الجامعـــة الإســلامية- غـــزة
عمـــادة الدراســـات العليـــا
كليـــة أصـــول الـــدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصـرة



التحولات المذهبية العقائدية عند السلف والمعتزلة والأشاعرة

إعداد الطالب:
عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح حمودة

إشراف الدكتور:
نسيم شحدة ياسين

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

1433هـ - 2012م



قال ﷻ:

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُم وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:153].

قال النبي ﷺ:

"فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" .

جامع الترمذي (2676).

الإهداء

أهدي هذا البحث إلى :

* نور عيني، ومهجة قلبي، وسر وجودي ،إلى: أمي وأبي الغاليين.

* إخوتي، وأخواتي، وزوجتي، وعائلتي الأعزاء، الذين صبروا وكابدوا، فحفظهم الله ورعاهم.

* الذين أسرجوا بدمائهم قناديل المساجد والمقدسات، شهداء الأمة، وأسراها البواسل.

* كليتي العريقة : كلية أصول الدين ، و قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .

* أساتذتي الأفاضل، ومدرسيَّ الكرام - حفظهم الله - ومن له فضل عليَّ.

* كلية الدعوة الاسلامية .

* رفاق دربي، وأصحابي.

* طلبة الجامعة الإسلامية، ومحبي العلم.

* جميع إخواني في الله ﷻ.

* كل من علمني، وأخذ بيدي، وسار معي على طريق الدعوة إلى الله عز وجل.

إليهم جميعًا أهدي هذا البحث

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمد كثيرًا، طيبًا، مباركًا فيه، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، والصلاة والسلام على رسولنا، وحبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعد:

فنطلاقًا من قول الله ﷻ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان:14]، كان واجبًا عليَّ أن أشكر الله ﷻ على إتمام نعمة إتمام البحث، فالشكر أولًا وأخيرًا له ﷻ، قال تعالى: ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ [القمر:35]، فله الحمد والمنة على فضله وإحسانه، ثم الشكر لوالديَّ العزيزين، اللَّذيْن أولياني الرعاية الخاصة، منذ طفولتي، وحتى يومنا هذا.

وانطلاقًا من قول ربنا الكريم ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:7]، وقول النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "من لا يشكر الناس، لا يشكر الله" جامع الترمذي (1954) وهو حديث صحيح، فإنني أقدم شكري، وامتناني، إلى جامعتي التي أحبها من كل قلبي: الجامعة الاسلامية، ممثلة بالقائمين عليها، والعاملين في أركانها، فبارك الله فيهم جميعًا.

وأخص بالشكر: كليتي الغراء: كلية أصول الدين، والعاملين فيها أكاديميين، وإداريين، وفي مقدمتهم عميدها المُوقر: فضيلة الدكتور: محمد حسن بخيت "حفظه الله ورعاه".

والشكر موصول إلى المربي الفاضل، والعميد السابق لكلية أصول الدين، فضيلة الدكتور: نسيم شحدة ياسين، الذي تفضل عليَّ بالإشراف على الرسالة، ووجهني فيها خير توجيه، وأفادني فيها خير فائدة.

والشكر موصول كذلك إلى اللَّذيْن تفضلا بمناقشة الرسالة، وتقويمها؛ من أجل الارتقاء بها إلى الأفضل، والأحسن، فضيلة الأستاذ الدكتور: صالح الرقب، وفضيلة الدكتور: خالد حمدان.

ولا يفوتني أن أوصل عاطر شكري، وجميل تحياتي، لكل من أفادني في بحثي، من قريب أو بعيد، وأخص منهم: من كان سببًا بعد الله ﷻ في كتابة هذه الرسالة، الأستاذ، والأخ الحبيب: بشير محمود سليمان، الذي وفقه الله ﷻ لدلالتي على هذا الموضوع، حيث كتب الله ﷻ له القبول والحظوة لدى قسم العقيدة، وكلية أصول الدين.

فجزا الله هؤلاء جميعًا خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:102]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:70-71] .

أَما بعد، فإن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد:

لقد خلق الله ﷻ الناس وأمرهم بالعبادة وتحقيق التوحيد، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ [محمد:19]، وليس كل توحيد قال عنه الناس توحيدًا فهو توحيد، وليس كل من ادعى التوحيد يكون موحدًا.

إن التوحيد الصحيح هو التوحيد الذي نطق به الكتاب، وعززته السنة، وثبته العقل، ووافقته الفطرة، وصدقه السلف، دون رد للنصوص، أو تأويلها بما يخالف مراد الله ﷻ منها.

ومن هذا التوحيد الخالص، بُنيت عقيدة السلف، وعلى أساسه تكونت دعائمها، فكانت واضحة كل الوضوح، ساطعة كالشمس، مضيئة كالقمر؛ ولذلك: سار عليها الصحابة والتابعون، دون أن يجدوا أدنى مشقة في الاعتقاد بها.

وكون العقيدة الاسلامية على درجة عالية من الوضوح، هو الذي جعل من اللائق أن يُؤمر بإتباعها جميع الناس، وذلك يستلزم أن تكون سهلة المأخذ، قريبة المتناول، مفهومة من العامة، قبل العلماء المتقنين.

وبإزاء ذلك: دخل المتكلمون ميدان العقيدة، فتكلفوا فيها، وأرادوا صعود سلم، لم يُكلفوا بصعوده، فخاضوا في العلوم العقلية، وأمعنوا النظر فيها، واستمالوا إليها من صحت عقيدته.

ولكن كثيرًا من هؤلاء المتكلمين فوجئوا بما هم عليه من الانحراف في الاعتقاد، ووجدوا أن الأمر لم يكن كما تصوروا وأرادوا، حيث صارت المعقولات نقمة عليهم، وأنفاقًا تلف الظلام

من حولهم، ووبالًا يفسد ختام حياتهم، فانتهى أمرهم إلى الشك، والحيرة، والاضطراب في الاعتقاد، فمنهم من أدرك طول الطريق، واستدرك نفسه من الهلاك، فسرعان ما رجع إلى بساط العامة، ومنهم من توغل فيها، ولم يبلغ منتهاها، حتى مات بين جنبات مسالكها.

وعلى ضوء ذلك: دار الناس في فلك المذاهب العقدية المختلفة، وصاروا فيها أشكالًا وألوانًا، فكان منهم المتأثر بغير عقيدة السلف، وكان منهم العائد إلى مذهب السلف، وكان منهم النادم على الاشتغال بغير مذهب السلف، دون الإقرار به.

وهذا البحث يُلقي الضوء على أبرز التنقلات الحاصلة في المذاهب العقدية، سواء كان إلى المذهب الحق، المتمثل في عقيدة السلف، أو إلى غيره من المذاهب العقدية المختلفة، والتي اقتصرت فيها على أبرز طائفتين كلاميتين في التاريخ الإسلامي (المعتزلة، والأشاعرة)، وقد سمَّيت هذا البحث: "**التحولات المذهبية العقائدية عند السلف والمعتزلة والأشاعرة**"، محاولًا إبراز الأسباب المتعلقة في ذلك، ومستشهدًا بنماذج من الأعلام، الذين حصل لهم مثل هذا الانتقال، ومبيناً ما لذلك من الآثار العلمية والاجتماعية.

واللهَ أسأل أن أكون قد وُفقتُ في هذا الجهد، وقدمتُ نفعًا، وأن يتقبله مني، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم

أولًا: أهمية الموضوع:

تنبع أهمية هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

1) التأكيد على عقيدة السلف، وبيان فضلها؛ كونها الأولى بالإتباع والانقياد؛ والموافقة للفطرة السليمة.
2) بيان نشأة علم الكلام، والغرض منه، وأثره على العقيدة الإسلامية.
3) معرفة مسالك الدفاع عن عقائد الإسلام، ووسائل الوقاية من تسرب الفساد إلى العقيدة والأحكام، فهي مما يتجدد في كل عصر.
4) بيان مدى أثر علم الكلام على العلماء وبلادهم، حيث غرق بعض من صحت عقيدته في بحاره المظلمة، دون الخروج منه.
5) التمييز بين عقيدة أهل السنة وبين المخالفين، من خلال بيان رجوع الكثير من أئمة علم الكلام إلى مذهب السلف؛ بل وذمهم لعلم الكلام، فضلًا عمن غيبته سكرات الحيرة، دون الديانة بمذهب السلف.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

تعد الأسباب التالية من أهم الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع للبحث:

1) ما لهذا الموضوع من أهمية عظيمة للأمة الإسلامية؛ كونه يمايز بين عقيدة أهل السنة، وبين مخالفيهم.
2) التأكيد على فضل عقيدة السلف الصالح، وفضل الثبات عليها، وأنها الأولى بالإتباع والانقياد؛ فهي خير الطرق للظفر برضى الله ﷻ ونعيمه، وبطلان ما سواها.
3) اظهار مدى اهتمام العلماء الأوائل بعقيدة السلف، وعظم حبهم للانتماء إلى مذهب السلف.

ثالثًا: أهداف الدراسة والغاية منها:

إنّ لهذه الدراسة أهدافا كثيرة وغاياتٍ متعددة، منها:

1) خدمة عقيدة أهل السنة والجماعة، والعمل على نشرها، وبيان مكانتها وفضلها.
2) التعرف على صفاء عقيدة السلف، وانعكاس ذلك على علمائها وأفرادها، في مقابل انتكاسة علماء الكلام، وحيرتهم، وشكوكهم في اعتقاداتهم.
3) إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة علمية محكّمة تتناول موضوعًا جديدًا في مجال العقيدة.
4) فتح آفاق جديدة أمام الدارسين وطلبة العلم الشرعي، وذلك من خلال النتائج والتوصيات التي سيخرج بها الباحث في الخاتمة إن شاء الله ﷻ.
5) تسليط الضوء على أهمية هذا الموضوع، وزيادة الاهتمام من قبل الدعاة؛ للارتقاء بالمجتمع المسلم نحو العقيدة الصحيحة، المبنية على الأصول الثابتة عند أهل السنة (الكتاب والسنة الصحيحة).
6) بيان فضل العقيدة الاسلامية، ودورها في بناء وريادة الأمة الإسلامية.

رابعًا: الدراسات السابقة:

يعد هذا الموضوع دراسة نوعية جديدة في مجال العقيدة الاسلامية، على ضوء بيان التحولات المذهبية؛ وذلك أنني لم أعثر -حسب إطلاعي وبحثي- على رسالة علمية قد كتبت في هذا الموضوع؛ وإنما وجدتُ الكتابات في التحول المذهبي على ثلاثة أضرب، كالتالي:

1) الكتب التي جمعت مباحث في التحول المذهبي الفقهي، مثل: إرشاد أهل الملة في إثبات الأهلة، للشيخ محمد بخيت المطيعي.

2) الكتب التي تناولت تأريخ التمذهب في الأقطار، وتحول بعضها من مذهب إلى آخر، منها: وحدة المغرب المذهبية خلال التأريخ، عباس الجراري، وكتاب: نظرة تأريخية في حدوث المذاهب الأربعة، أحمد تيمور باشا.
3) مباحث متناثرة في كتب متعددة، كمجموع الفتاوى لابن تيمية، واختلاف المذهب للسيوطي، والآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح، وهي مباحث تناولت حكم التحول المذهبي الفقهي.
4) الكتابات التي جمعت بين التحولات المذهبية العقائدية، والتحولات المذهبية الفقهية، كما فعل الشيخ بكر أبو زيد، في جزء من رسالته "النظائر"، حيث خصص جزءًا منه بعنوان: "التحول المذهبي".

خامسًا: منهج البحث وطبيعة العمل فيه:

في إطار التنوع الحاصل في مناهج البحث العلمي، فإنني استخدمت في هذه الرسالة، المنهج الوصفي؛ باعتباره أنسب المناهج لمثل هذا الموضوع، وذلك بعرض الظاهرة، وبيان أسبابها، وحيثياتها، ونماذج منها، وقد اعتمدت بجانب ذلك المنهج التاريخي، الذي لزمني كثيرًا في بيان ظاهرة التحول العقائدي، ونماذج منه؛ ولذلك تمثلت منهجية البحث، وطبيعة العمل فيه، من خلال النقاط التالية:

أولًا: بيان الأسباب العامة والخاصة، التي تؤدي إلى هذه الظاهرة.

ثانيًا: ذكر نماذج ممن كان لهم تحولات مذهبية عقائدية، سواء كان التحول ايجابيًا، أو كان سلبيًا، مع المحاولة الاستقرائية لكل من كان له رجوع إلى مذهب السلف، أو تحير دون ذلك.

ثالثًا: مراعاة الترتيب الزمني التصاعدي لهذه النماذج، وذلك حسب تاريخ الوفاة، إضافة إلى تقسيم كل نموذج بالحديث عن ترجمته، ثم الحديث عن تحوله، وسببه.

رابعًا: التماس الآثار العلمية والاجتماعية من تلك التحولات المذهبية، وذلك باستنباطها.

سادسًا: طريقة البحث:

تمثلت طريقة البحث في النقاط التالية:

1) كتابة الآيات القرآنية مُشكلةً برواية حفص ٍعن عاصم الكوفي، مع بيان مواقعها في المصحف، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وتمييزها، وذلك بوضعها بين هلالين، بهذا الشكل: ﴿ ﴾.
2) تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، وذلك بعزوها إلى مظانها في كتب السنة المعتمدة، حسب ضوابط التخريج وأصوله، ونقل حكم العلماء على الأحاديث التي في غير

الصحيحين إن وجد؛ لأن الأمة أجمعت على قبولهما، فأكتفي بتخريجه منهما، مع تمييز هذه الأحاديث النبوية الشريفة، وذلك بوضعها بين معكوفتين، بهذا الشكل **[ ]**.

3) أخذ النصوص من مظانها، وعزوها إلى أصحابها، مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق والتعليق.
4) الالتزام بالمنهج العلمي المتعارف عليه في كتابة الرسائل العلمية، والعمل على المحافظة عليه في جميع مفردات الرسالة، مع تتويج الرسالة بالفهارس العامة في آخرها.

سابعًا: خطة البحث:

وضع الباحث خطة لهذا البحث فجعله في مقدمة، وفصل تمهيدي، وأربعة فصول، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة:

وتشتمل على: أهمية البحث، أسباب اختياره، أهداف الدراسة والغاية منها، الدراسات السابقة، منهج البحث وطبيعة العمل فيه، طريقة البحث، وخطة البحث.

الفصل التمهيدي:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالسلف وعقيدتهم ومنهجهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: السلف (العقيدة والمنهج).

المطلب الثاني: ثبات عقيدة السلف ورسوخ علمائهم.

المبحث الثاني: التعريف بعلم الكلام.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نشأة علم الكلام.

المطلب الثاني: نشأة الفرق الكلامية.

أولًا: المعتزلة (العقيدة والمنهج).

ثانيًا: الأشاعرة (العقيدة والمنهج).

المطلب الثالث: اضطراب عقيدة المتكلمين وكثرة تقلباتهم.

الفصل الأول: الأسباب العامة للتحولات المذهبية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسباب العامة في الانتقال إلى مذهب السلف.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الفطرة.

المطلب الثاني: شرح الصدر بالهداية والتوفيق الإلهي.

المطلب الثالث: النظر في السنة والسيرة، ودور الولاة في ذلك.

المطلب الرابع: عجز المذاهب الكلامية وضعف مسالكها.

المطلب الخامس: الانتقال بين الشيوخ وفواح أثرهم.

المبحث الثاني: الأسباب العامة في الانتقال إلى غير مذهب السلف.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الشبهات.

المطلب الثاني: الموقف السلبي من السنة

المطلب الثالث: النظر في علم الكلام.

المطلب الرابع: الخطأ في تقدير منزلة العقل من العقيدة الاسلامية.

المطلب الخامس: متابعة ولاة الأمور.

المطلب السادس: الوعظ والإرشاد.

الفصل الثاني: الأسباب الخاصة للتحولات المذهبية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسباب الخاصة في الانتقال إلى مذهب السلف.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر علماء الحديث.

المطلب الثاني: أثر علماء الحنابلة.

المطلب الثالث: أثر المذاهب الفقهية.

المطلب الرابع: أثر الاحتكاك بالعامة.

المبحث الثاني: الأسباب الخاصة في الانتقال إلى غير مذهب السلف.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الصحبة والمخالطة.

المطلب الثاني: الرحلة.

المطلب الثالث: جهود المتكلمين في نشر مذاهبهم.

الفصل الثالث: نماذج من التحولات المذهبية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: علماء تحولوا إلى مذهب المعتزلة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: واصل بن عطاء.

المطلب الثاني: أبو عبد الرحمن الشافعي.

المبحث الثاني: علماء تحولوا إلى مذهب الأشاعرة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أبو ذر الهروي.

المطلب الثاني: أبو الوليد الباجي.

المطلب الثالث: أبو بكر بن العربي.

المبحث الثالث: علماء تحولوا من الاعتزال والأشعرية إلى مذهب السلف.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: أبو الحسن الأَشعري.

المطلب الثاني: أبو محمد عبد الله الجُويْني.

المطلب الثالث: الفخر الرازي.

المطلب الرابع: النَّوَوي.

المطلب الخامس: ابن دقيق العيد.

المطلب السادس: أبو الحسن ابن العطار.

المطلب السابع: الشَّوْكاني.

المبحث الرابع: علماء تحولوا من علم الكلام، ولم يتبعوا منهج السلف.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الوليد بن أَبَان الكرابيسي.

المطلب الثاني: الشَّهْرَستاني.

المطلب الثالث: الآمِدي.

المطلب الرابع: الخُوْنَجِي.

المطلب الخامس: الخُسْرُوشَاهي.

المطلب السادس: محمد بن واصل الحموي.

المطلب السابع: المَرْعَشي.

الفصل الرابع: الآثار العلمية والاجتماعية للتحولات المذهبية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآثار العلمية والاجتماعية للانتقال إلى غير مذهب السلف.

أولًا: الآثار العلمية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: انتشار البدع.

المطلب الثاني: إثارة الشبهات والفتن.

المطلب الثالث: رواج العقائد الكلامية.

المطلب الرابع: اضطهاد علماء السلف.

ثانيًا: الآثار الاجتماعية.

وفيه مطلب واحد:

المطلب الأول: حدوث الفرقة والاختلاف.

المبحث الثاني: الآثار العلمية والاجتماعية للانتقال إلى مذهب السلف.

أولًا: الآثار العلمية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إقامة الحجة وبيان المحجة.

المطلب الثاني: تعزيز اعتقاد السلف واظهاره.

المطلب الثالث: التأكيد على بطلان اعتقاد المتكلمين.

المطلب الرابع: دحض الشبهات ودفع التشكيكات.

ثانيًا: الآثار الاجتماعية.

وفيه مطلب واحد:

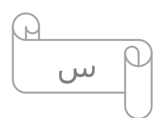
المطلب الأول: تحسين المكانة الاجتماعية.

* **الخاتمة:**

وفيها أبرز النتائج التي توصلتُ إليها خلال هذا البحث، ثم أهم التوصيات التي تخدم غرض البحث .

* **قائمة المصادر والمراجع.**

* **الفهارس العامة.**



وهذا الجهد المبذول في هذا البحث، يبقى جهدًا بشريًا، قاصرًا عن بلوغ درجة الكمال، مهما سعيتُ لإتقانه، وكماله؛ فإن الكمال المطلق لله ﷻ، فما كان فيه من توفيق، فالفضل لله ﷻ وحده، وما كان من تقصير، فمن نفسي، ومن الشيطان، وأستغفر الله على كل حال.

والله وحده ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل

الفصل التمهيدي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالسلف.

المبحث الثاني: التعريف بعلم الكلام.

المبحث الأول

التعريف بالسلف وعقيدتهم ومنهجهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: السلف (العقيدة والمنهج).

المطلب الثاني: ثبات عقيدة السلف ورسوخ علمائهم.

المبحث الأول
التعريف بالسلف وعقيدتهم ومنهجهم

لقد قضى الله ﷻ أن يُوجد أهل الحق، في كل زمان ومكان، فهم الذين يذودون عن العقيدة الصحيحة، ويُعززونها بين الناس، فهم من الوسائل التي ذللها الله ﷻ لحماية دينه، وإعلاء كلمته في الأرض.

وهؤلاء أهل الحق، لهم مذهب خاص بهم، فهم ذوو عقيدة مُتَّبعة، ومنهج رباني، تميزوا عن غيرهم بعقيدتهم، ومنهجهم، فكان لهم أصول انطلقوا منها، وثوابت تمسكوا بها، عرفوا ضوابط الحق فلزموها، وقيدوا عقولهم عن المسائل التي لا تستطيعها عقولهم، فخلاصة أمرهم: الإتباع، والانقياد، لكل ما أمر الله ﷻ، فمن هذا المبدأ كانت عقيدتهم، ومنه كان منهجهم، وعلى ذلك كان النبي ﷺ، وأصحابه، والتابعون.

وبثبات العقيدة: ثبت أصحابها، فلم يتزعزع إيمانهم، ولم تكل عزيمتهم؛ بل ساروا إلى الله ﷻ بالعقيدة التي أمر، وبالمنهج الذي ارتضى، بالرغم من كل ما يُحاك، ويدور بين الناس، من الاختلاف، ولا سيما في مسائل العقيدة، فكان أهل الحق هم المتفوقون، وهم الفائزون، الذين جمعوا بين العقل والفطرة، والعلم والعمل.

وفي هذا المبحث: تعريف بالسلف، وعقيدتهم، وبيان منهجهم، وثباتهم، ورسوخهم في العقيدة، التي عقدوا أنفسهم عليها إلى لقاء ربهم ﷺ، والذي نرجوا الله ﷻ بالاقتداء بهم، والسير على نهجهم أن نكون منهم، والله المُستعان.

المطلب الأول

السلف (العقيدة والمنهج)

يُعد هذا المطلب من ألزم خصوصيات السلف، فالحديث عن عقيدتهم، ومنهجهم من الأمور المميزة لهم، والخاصة بهم، وذلك عن غيرهم من الفرق الأخرى، التي تشعبت في طرقها، وانحرفت عن صفاء الفطرة، ورجاحة العقل.

تعريف السلف:

أولًا: التعريف اللغوي لكلمة "السلف":

قال ابن فارس(1): "سلف: السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف: الذين مضوا، والقوم السُّلَّاف: المتقدمون، والسُّلَّاف: السائل من عصير العنب قبل أن يعصر، والسُّلْفة: المُعجَّل من الطعام قبل الغداء"(2)، وتطلق السلف على "كل شيء قدمه العبد من عمل صالح، أو ولد فرط يقدمه، فهو له سلف، وقد سلف له عمل صالح"(3)؛ ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح(4).

ويدل على هذا قول النبي ﷺ لابنته فاطمةؓ: **[ولا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نِعم السلف أنا لك]**(5).

---

(1) هو: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها سنة: (395هـ)، من مصنفاته: تمام الفصيح، المجمل، متخير الألفاظ. انظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزِّرِكلي الدمشقي، (193/1)، ط(15)2002م، دار العلم للملايين- بيروت- لبنان.

(2) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (95/3)، دار الفكر- بيروت- لبنان، عام النشر: 1399هـ-1979م.

(3) لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ابن منظور، (159/9)، ط(3)1414هـ، دار صادر- بيروت- لبنان.

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، (390/2)، الناشر: المكتبة العلمية- بيروت- لبنان، 1399هـ-1979م.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عائشة ؓ كتاب: الاستئذان، باب: باب من ناجى بين يدي الناس، ومن لم يخبر بسر صاحبه، فإذا مات أخبر به، (64/8)، رقم: (6285)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط(1)1422هـ، دار طوق النجاة- جدة- السعودية. ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ؓ (44)، باب: باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام (15)، (1904/4)، رقم:(2450)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

ومن خلال التعريف اللغوي لكلمة: "سَلَفَ" يتبين أنها تدور حول التقدم والسبق.

ثانيًا: التعريف الاصطلاحي لكلمة "السلف":

السلفية تطلق ويراد بها أحد معنيين: الأول: الحقبة التاريخية التي تختص بأهل القرون الفاضلة الثلاثة المتقدمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، فهي متضمنة للمنهج والزمان، والثاني: الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون، ومن تبعهم بإحسان، من التمسك بالكتاب والسنة[(1)].

والمعنى الأول يُفهم من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية، حيث يقول: "سلف الأمة وخيار قرونها"[(2)]، فعلى ذلك تكون السلفية مرحلة تاريخية انتهت بموت رجالها.

"إن القرون الأولى للمسلمين كانت خير القرون في الدين والدنيا معًا، فقد حققوا الإسلام في قلوبهم فدانت لهم الدنيا، وأقاموا أفضل حضارة؛ لأنها قائمة على الحق والعدل، ومستوية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[(3)].

وممن ذكر المعنى الثاني: الإمام السفاريني[(4)]، حيث عرف السلف بقوله: "ما كان عليه الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم-، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف، دون من

---

(1) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان بن علي حسن، (رسالة ماجستير)، (35/1-36)، ط(6)1429هـ-2008م، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية.

(2) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، (134/7)، ط(2)1411هـ-1991م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية.

(3) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، د/ مصطفى حلمي، ص28، ط(1)1426هـ-2005م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(4) هو: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون، عالم بالحديث والأصول والأدب، ومحقق، ولد في سفارين (من قرى نابلس)، ورحل إلى دمشق، فأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس، فدرس وأفتى، وتوفي فيها سنة: (1188هـ)، من كتبه: الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات، كشف اللثام، شرح عمدة الأحكام انظر: الأعلام (14/6).

رُمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي، مثل: الخوارج[1]، والروافض[2]، والقــدرية[3]، والمرجئة[4]، والجبرية[5]، والجهمية[6]، والمعتزلة[7]، والكرَّامية[8]، ونحو هؤلاء"[1].

(1) "الخوارج": من أقدم الفرق الاسلامية ظهورًا، حيث ظهرت سنة: (37هــ)؛ إثر قضية التحكيم في موقعة صفين، فخرجوا على علي ومعاوية ﭭ، وتبرؤا من عثمان ﭬ، ويسمون بالحرورية، ثم افترقوا على أكثر من عشرين فرقة، وهو يرون تكفير مرتكب الكبيرة، وتخليده في النار، إذا مات مصرًا عليها، وذلك بإجماع عدا النجدات منهم.انظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشَّهْرَسْتَاني، (114/1-115)، مؤسسة الحلبي- القاهرة- مصر بدون طبعة. وانظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ص45، ط(1)1403هــ-1983م، عالم الكتب- بيروت- لبنان.

(2) "الروافض، الشيعة": هم الذين شايعوا عليًا ﭬ على الخصوص، وقالوا بإمامته نصًا ووصية، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وهم يعتبرون الإمامة ركنًا من أركان الدين، والأئمة معصومين من الصغائر والكبائر، وهم فرق كثيرة، كانت بذرة نشأتهم في عهد عثمان ﭬ، بتأثير عبد الله بن سبأ اليهودي. انظر: الملل والنحل (146/1-147).

(3) "القدرية": هم القائلون باستفراد العبد بخلق أفعاله، وكان متقدموهم ينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها، وقد كفرهم السلف على ذلك، وقد كان من أعلامهم: معبد الجهني، أما متأخروهم: فيثبتون العلم، وينازعون في مرتبة الخلق، ومن أشهر فرقهم: المعتزلة. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، (298/2)، ط(1)1426هــ-2005م، المكتبة العصرية. وانظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، للسفاريني، (297/1-302)، ط(2)1402هــ-1982م، مؤسسة الخافقين ومكتبتها- دمشق- سوريا.

(4) "المرجئة": هم الذين أرجئوا العمل عن الإيمان، اعتقادًا واصطلاحًا، فقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا يضر مع الكفر طاعة، والإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهم نحو اثنتي عشرة فرقة، منهم الغالي، ومنهم دون ذلك. انظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر الأسفراييني، أبو منصور، ص190-194، ط(2)1977م، دار الآفاق الجديدة – بيروت- لبنان. الفرق بين الفرق. وانظر: الملل والنحل (139/1).

(5) "الجبرية": هم الذين ينفون الفعل عن العبد، ويضيفونه إلى الرب ﻷ، وهم درجات، فمنهم الغالي الذي لا يثبت للعبد فعلًا ولا قدرة أصلًا، وهم الجبرية الخالصة، ومنهم من يثبت له قدرة غير مؤثرة، وهم الجبرية المتوسطة، ومن أشهر فرق الجبرية: الجهمية. انظر: الملل والنحل (85/1-86). وانظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للفخر الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، ص68-69، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

(6) "الجهمية": هم أتباع الجهم بن صفوان، يرون الجبر والاضطرار إلى الأعمال، وأن الإيمان هو المعرفة بالله، والكفر هو الجهل به، وأن الجنة والنار تفنيان وتبيدان، وأن القرآن مخلوق، وهم معطلة للأسماء والصفات. انظر: الفرق بين الفرق ص199. وانظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، (155/4)، مكتبة الخانجي- القاهرة – مصر، بدون طبعة.

(7) "المعتزلة": من أبرز الفرق الكلامية، التي ظهرت في عصر التابعين، وسيأتي الحديث عنها في المبحث الثاني من هذا الفصل- بعون الله تعالى-.

(8) الكرَّامية": هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرَّام، وهم من جملة الصفاتية، لكنهم يعتقدون التشبيه، ويقولون بحلول الحوادث في ذات الرب ﻷ، وبالتحسين والتقبيح العقليين كما المعتزلة، وإن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، كما الكفر واقع بالكفر باللسان، وقد تفرقت إلى اثنتي عشرة فرقة. انظر: الملل والنحل (108/1-113). وانظر: الفرق بين الفرق ص202-214.

قال ابن عثيمين: "هل يمكن أن تكون السلفية في وقتنا الحاضر؟ نعم يمكن، ونقول: هي سلفية عقيدة، وإن لم تكن سلفية زمنا؛ لأن السلف سبقوا زمنا، لكن سلفية هؤلاء سلفية عقيدة؛ بل عقيدة وعمل"[(2)].

فالتحديد الزمني ليس شرطًا في ذلك؛ بل الشرط هو موافقة الكتاب والسنَّة في العقيدة والأَحكام والسلوك بفهم السَّلف، فكل من وافق الكتاب والسنة فهو من أتباع السَّلف، إن باعد بينه وبينهم المكان والزمان، ومن خالفهم فليس منهم وإن عاش بين ظهرانيهم[(3)].

مجمل أصول الاعتقاد عند السلف:

إن أصول الاعتقاد عند السلف مبنية على الايمان الغيبي، وقد لخص الإمام ابن تيمية أصول الاعتقاد عند السلف بقوله: "اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة: أصول الإيمان وأركانه الست"[(4)]، فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة التي نزل بها كتاب الله العزيز، وبعث الله بها رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام، ويتفرع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب، وجميع ما أخبر الله به ورسوله ﷺ[(5)].

فواضح من ذلك: أن أصول الاعتقاد عند السلف هي أركان الإيمان الستة، والتي يعتمد الإيمان بها على الإقرار الغيبي.

منهج السلف في العقيدة:

إن لكل قوم منهجهم، المميز لهم عن غيرهم، ولا شك في أن منهج السلف هو أفضلها وأحكمها، وقد "ظهر مصطلح السلف حيث دار النزاع حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، ومحاولة الجميع الانتساب إلى السلف الصالح، فكان ينبغي ظهور قواعد واضحة للاتجاه السلفي،

---

(1) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (20/1).

(2) شرح العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)، لابن عثيمين ص19، ط(1)1426هـ، دار الوطن للنشر- الرياض- السعودية.

(3) الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ص28، ط(1)1422هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية.

(4) العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ص54، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط(2)1420هـ-1999م، أضواء السلف- الرياض- السعودية.

(5) العقيدة الصحيحة وما يضادها، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ص4، ط: السنة السابعة، العدد الثالث، محرم 1395هـ- يناير1975م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

تميزه عن مدعي الانتساب للسلفية، ويسترشد بها أيضًا للفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية، وهذه القواعد هي: تقديم الشرع على العقل، رفض التأويل الكلامي، الاستدلال بالآيات والبراهين القرآنية، واتباع النبي ﷺ، وصحبه، ومن سار على طريقتهم"[1]، وطريقتهم: الإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة، من عقيدة وشريعة[2][3]، فهذه القواعد الأربع تُعد الأبرز في منهج السلف؛ ولذلك فإن منهج السلف: "الطريقة التي سلكها علماء السلف في العقيدة والعمل، فميزتهم عن غيرهم، ومنهجهم هو الإسلام نفسه، صراط الله المستقيم، ودينه القويم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153] "[4].

وهذا يعني أنهم متمسكون بالكتاب والسنة، ولا منهج لهم غيره، وهم في ذلك يلتمسون طريق النجاة في المتابعة؛ ولهذا: قال حذيفة بن اليمان ﷺ: "اتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم، فلعمري لئن اتبعتموه، لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن تركتموه يمينًا وشمالًا، لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا"[5].

وهم يزنون العلم بميزان المتابعة؛ ولهذا قال الإمام الأوزاعي[6]: "العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجئ عن واحد منهم، فليس بعلم"[7]، فلم يأتِ عنهم سوى ميراث النبي

---

(1) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي ص157-159. وانظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، (217/1)، ط(2)1418هـ، دار الراية للنشر والتوزيع – الرياض- السعودية. وانظر: أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف، (4/1)، ط:1420هـ-1421هـ، بدون ناشر. وانظر: العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة (127-128).

(2) قدم المؤلف الشريعة على العقيدة، والصواب: تقديم العقيدة على الشريعة.

(3) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي، ص24، ط(1)1408هـ، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- السعودية.

(4) بحث بعنوان: المنهج الكلامي ملامحه وآثاره على مناهج التعليم الديني المعاصر في العالم الإسلامي، د/ سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي، ضمن ندوة مناهج التعليم في العالم الإسلامي (التحديات والآفاق، الجامعة الاسلامية العالمية بماليزيا، ص2، المعهد العالمي لوحدة الأمة الاسلامية، 6/9-7/9-2005م-1426هـ، كوالالمبور- ماليزيا.

(5) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، (947/2)، أثر رقم: (1809)، ط(1)1414هـ-1994م، دار ابن الجوزي- السعودية.

(6) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب، ولد في بعلبك، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها، عُرض عليه القضاء فامتنع، من مصنفاته: السنن (في الفقه)، المسائل، ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها، توفي سنة: (157هـ). انظر: الأعلام (320/3).

(7) جامع بيان العلم وفضله (618/1)، أثر رقم: (1067).

ﷺ، وقال كذلك: "اصبر نفسك على السنة، وقِف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكفَّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم"[(1)].

وهم يذمون الكلام والجدل، فقد بوب الإمام الآجُرِّي[(2)] بابًا عظيمًا يدل على عقيدة السلف فقال: "باب الحث على التمسك بكتاب الله – تعالى–، وسنة رسول الله ﷺ، وسنة أصحابه ﵃، وترك البدع، وترك النظر والجدال فيما يخالف فيه الكتاب والسنة، وقول الصحابة ﵃"[(3)].

ولذلك: لا يجد الناس غضاضة في التعامل مع منهج السلف؛ لوضوحه؛ وانسجامه مع الفطر السوية، "فقد دل الكتاب والسنة على ظهور دين الإسلام، وسهولة تعلمه، وأنه يتعلمه الوافد ثم يولي في وقته، واختلاف تعليم النبي ﷺ في بعض الألفاظ بحسب من يتعلم"[(4)].

وبذلك يتضح أن عقيدة السلف، ومنهجهم: أقرب الطرق الموصلة إلى الله ﷻ؛ كونها الطريق التي ارتضاها، وأرادها، دون غيرها.

---

(1) الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ البغدادي، تحقيق: د/ عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، (674/2)، أثر رقم: (294)، ط(2)1420 هـ–1999م، دار الوطن– الرياض– السعودية.

(2) هو: محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري، فقيه شافعي محدث، نسبته إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها، وحدث ببغداد، ثم انتقل إلى مكة، فتنسك، وتوفي فيها، سنة: (360هـ)، من مصنفاته: أخلاق حملة القرآن، النصيحة، أخلاق العلماء. انظر: الأعلام (97/6).

(3) الشريعة (398/1).

(4) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، ص518، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، ط(1)1426هـ–2005م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة– القاهرة– مصر.

المطلب الثاني
ثبات عقيدة السلف ورسوخ علمائهم

لقد انعكس ثبات عقيدة السلف على علمائها وأئمتها، فكانوا ثابتين كعقيدتهم، فالمتتبع لما أثر عن سلفنا الصالح في أصول الدين، يجد اتفاقًا في جل مسائله، ويجد اعتناءً خاصا بقضايا العقيدة، واهتمامًا بها في التعليم والتوجيه والدعوة، على خلاف ما نراه اليوم في كثير من بلاد العالم الإسلامي، مما أحدث شيئا من الاختلاف والتخبط لدى بعض الجماعات والطوائف الإسلامية[1]، وهذا ما يمكن أن يسمى به الوحدة الفكرية عندهم[2]، فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة[3]، وعليه فإن "ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم أهل السنة والجماعة من المعرفة، واليقين، والطمأنينة، والجزم الحق، والقول الثابت، والقطع بما هم عليه أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين "[4]؛ وذلك لأن "مسائل الاعتقاد أمور ثوابت، لا يدخلها نسخ أو تبديل، أو نحو ذلك"[5].

يقول الأصفهاني[6]: "ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا، ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على

---

(1) مجمل اعتقاد أئمة السلف، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، ص5، ط(2)1417هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية.

(2) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، (74/1)، ط(1)1415هـ- 1995م، مكتبة الرشد – الرياض- السعودية.

(3) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (51/4)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية- السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م، بدون طبعة.

(4) مجموع الفتاوى (49/4).

(5) انظر: ثبات عقيدة السلف وسلامتها من التغيرات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص57، منار السبيل الجزائر، بدون طبعة.

(6) هو: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقِوَام السنّة، من أعلام الحفاظ، ولد سنة: (457هـ)، وتوفي سنة: (535هـ)، من كتبه: الترغيب والترهيب، دلائل النبوة، الإيضاح. الأعلام (323/1).

لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟"[1]، إلى أن قال: "كان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف"[2].

قال ابن تيمية: "وأما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده؛ بل هم أعظم الناس صبرا على ذلك وإن امتحنوا بأنواع المحن وفتنوا بأنواع الفتن"[3].

وإذا كان ذلك كذلك: فهذا لا يمنع من أن تطال أئمة السلف اتهامات من قبل غيرهم، فاتُّهم كثير من علماء السلف بالتلبس في علم الكلام، وخاصة: بالأشعرية[4] والاعتزال، ومن هؤلاء العلماء الأجلاء: الحافظ ابن حجر العسقلاني، صاحب الفتح، الذي أسهم في الرد على الفرق المبتدعة بأصنافها، والتحذير من بدعهم، والحث على الاعتصام بالكتاب والسنة، ومما قال فيه: "فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف، وإن لم يكن له منه بد، فليكتفِ منه بقدر الحاجة، ويجعل الأول المقصود بالأصالة، والله الموفق"[5].

وقد قام أحد طلاب العلم بعمل رسالة علمية بعنوان: منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري، وخلص فيه إلى نتائج متعددة، قال في أبرزها: "لم يكن الحافظ ابن حجر أشعريّ المذهب في جزئيات العقيدة ولا في كلياتها، وإنما وافق الأشاعرة في مسائل، وخالفهم في مسائل أخرى تُعدّ من أصول مذهبهم. لقد كان الحافظ ابن حجر ذابًّا عن السنة، محبًا للسلف، مفضلًا لمذهبهم وطريقتهم في العقيدة، كما كان ذامًّا للبدعة، مبغضًا

---

(1) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، (2/239)، ط(2)1419هـ-1999م، دار الراية- الرياض- السعودية.

(2) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (2/241). وقد نسبها الإمام ابن القيم إلى أبي المظفَّر السمعاني. انظر في ذلك: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: ابن القيم، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، ص600، ط(1)1422هـ-2001م، دار الحديث- القاهرة - مصر. وانظر: الانتصار لأصحاب الحديث، أبو المظفر السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني ص47، ط(1)1417هـ-1996م، مكتبة أضواء المنار - السعودية.

(3) مجموع الفتاوى (4/50). وانظر: تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص16، ط(1)1424هـ-2003م، غراس للنشر والتوزيع- الكويت.

(4) "الأشاعرة": من أبرز الفرق الكلامية، تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري، وسيأتي الحديث عنها في المبحث الثاني من هذا الفصل- بعون الله تعالى-.

(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر أبو العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (13/253)، دار المعرفة - بيروت-لبنان، 1379هـ، بدون طبعة.

للمبتدعة، محذرًا من مذهب أهل الكلام"[1]، وبالرغم من ذلك فقد تأثر بعلم الكلام ووافق بعضًا من مسائل المتكلمين، عن حسن نية واجتهاد[2]، ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح، وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور؛ بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين[3].

ومن العلماء الذين اتهموا كذلك: الخطيب البغدادي، قال عنه السبكي[4]: "كان يذهب في الكلام إلى مذهب أبي الحسن الأشعري[5]"[6]، وهذا يعني أن الخطيب كان على مذهب الأشاعرة، إلا أنه كان يفتخر بأهل الحديث؛ كونهم حماة الشريعة وحفظتها، ويقول: "رأس مالي، وإلى علمهم مآلي، وبهم فخري وجمالي"[7]، وقد نقل الإمام الذهبي عنه أنه كان يعتقد في الصفات اعتقاد السلف[8]؛ ولذلك دافع عنه الإمام الذهبي بقوله: "لم يدخل الرجل أبدًا في علم الكلام ولا

---

(1) منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري، محمد إسحاق كنُدو، ص1458-1459، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية، بدون طبعة.

(2) انظر: منهج الأشاعرة في العقيدة سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ص74-75، ط: السنة السادسة عشرة، العدد: الثاني والستون ربيع الآخر- جمادى الآخرة، 1404هـ-1984م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

(3) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، (220/3)، ط(1)1411هـ-1991م، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان.

(4) هو: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تاج الدين أبو نصر، ولد بالقاهرة، وتوفي بدمشق، انتهى إليه قضاء في الشام وعزل، من كتبه: منع الموانع، جمع الجوامع، الأشباه والنظائر، توفي سنة: (771هـ). انظر: الأعلام (184/4-185).

(5) الإمام أبو الحسن الأشعري له انتقال إلى مذهب السلف، وسيأتي ذكره في المبحث الثالث من الفصل الثالث - بعون الله تعالى-.

(6) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي، د/ عبد الفتاح محمد الحلو، (30/4)، ترجمة رقم: (259)، ط(2)1413هـ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة- مصر. وانظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (130/7)، دار إحياء التراث- بيروت- لبنان، عام النشر:1420هـ-2000م، بدون طبعة. وانظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ثقة الدين أبو القاسم علي ابن عساكر، ص271، ط(3)1404هـ، دار الكتاب العربي- بيروت – لبنان.

(7) الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، (140/2)، ط(2)1421هـ، دار ابن الجوزي- السعودية.

(8) انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط، (284/18)، ط(3)1405هـ-1985م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

الجدال، ولا خاض في ذلك؛ بل كان سلفيًا[1]، فهذه نصوص صريحة منه في تبيين عقيدته ومذهبه، فالصحيح: أن لا ننسبه البتة إلى الأشاعرة، وعلى ذلك: فمن كان مقصوده من هذه العبارة أن الخطيب البغدادي كان على منهج أبي الحسن الأشعري، وذلك في آخر فترة عقدية له، فلا بأس في ذلك، فالإمام الأشعري ألف كتاب الإبانة، وأثبت فيه عقيدة السلف، ومات عليها[2]، وإن كان الأولى عدم الانتساب إليه؛ وذلك سدًا للذريعة[3].

ومن علماء السلف الذين اتهموا بالتلبس في علم الكلام: الإمام ابن حبان[4]، الحافظ، والمحدث الكبير، فقد طعن بعض الناس في عقيدته، واتهموه بالزندقة، والتأثر بالفلسفة والمنطق، يقول الإمام السيوطي: "صحيح ابن حبان، ترتيبه مخترع ليس على الأبواب ولا على المسانيد؛ ولهذا سماه: "التقاسيم والأنواع"، وسببه أنه كان عارفًا بالكلام والنحو والفلسفة؛ ولهذا تكلم فيه ونسب إلى الزندقة، وكادوا يحكمون بقتله، ثم نفي من سِجِسْتَان[5] إلى سَمَرْقَنْد[6]"[7]، وقد أشار

---

(1) سير أعلام النبلاء (457/16).

(2) انظر: الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: د/ فوقية حسين محمود، ص20، ط(1)1397هـ، دار الأنصار – القاهرة – مصر.

(3) انظر: مجموع الفتاوى (359/6-360).

(4) هو: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم البُستي، ويقال له ابن حبان، محدث، ولد في بُست (من بلاد سجستان)، وارتحل، وكان إماما، حافظًا، وعاءً للعلم، من مصنفاته: المسند الصحيح، روضة العقلاء، الأنواع والتقاسيم، توفي سنة: (354هـ). انظر: الأعلام (78/6).

(5) "سِجِسْتَان": مدينة كبيرة، وولاية واسعة، أعظم من خُرَاسَان، وأبعد فروجاً منها، غير أنها منقطعة متصلة ببلاد السند والهند، وقيل: وهي اسم للناحية ومدينتها زرنج، وبينها وبين هَراة عشرة أيام، وهى جنوبىّ هراة، وأرضها كلها رملة سبخة، والرياح فيها لا تسكن أبدًا، فبها رحى على الريح، أجواؤها حارة، ونخلها كثير، وأهلها من خيار الناس، وقد فتحت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ سنة: (23هـ)، وفتحت مرة أخرى في عهد عثمان ﷺ سنة: (30هـ). انظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، (190/3-192)، ط(2) 1995م، دار صادر– بيروت– لبنان. وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد الحِميرى، تحقيق: إحسان عباس، ص304-305، ط(2)1980م، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت– لبنان، طبع على مطابع دار السراج. وانظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (141/7)، دار الفكر– بيروت– لبنان، عام النشر: 1407هـ– 1986م، بدون طبعة. وانظر: آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد القزويني، ص201-202، دار صادر – بيروت– لبنان، بدون طبعة.

(6) "سَمَرْقَنْد": يقال لها بالعربية: سمران: مدينة كبيرة حسنة، قيل: إنها من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصّغد، مبنية على جنوبي وادي الصغد، مرتفعة عليه، وبها عدة مدن، منها: كرمانية، ودبوسية، وأشروسنة، والشاش، ونخشب، وبناكث، وتقع اليوم في جمهورية أوزباكستان السوفيتية. انظر: معجم البلدان (246/3-250). وانظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص535-537.

(7) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي جلال الدين السيوطي، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، (115/1)، دار طيبة – الرياض – السعودية، بدون طبعة.

الإمام الذهبي إلى ذلك بقوله عن ابن حبان: "وله أوهام كثيرة، وقد بدت من ابن حبان هفوة فطعنوا فيه لها"[1]، فمن ذلك: إنكاره الحد، والقول بأن النبوة القول والعمل؛ فاتُّهم بالزندقة لأجل ذلك؛ وهُجر[2]، والصحيح: أنه بريء مما رمي به، فإنه أراد بذلك العمل تسهيل الحفظ على طلبة العلم[3]، ولا يصح الإنكار عليه في مسألة الحد فليس فيها نص[4]، وأما قوله في النبوة فإنه قد ترك الأولى، فضلًا عن حسن الظن به، إذا أراد بذلك عدم حصر المبتدأ في الخبر[5].

ومن هذا يتضح بأن: ثبات الرجال، مع ثبات العقيدة أمران متلازمان، وهو أصل لازم لكل من اعتقد بعقيدة السلف، وأن الإخلال به نابع من التجافي عن الصواب.

خلاصة المبحث:

مما تقدم: نرى كم تميز منهج السلف بالأصالة في الاعتقاد والمنهج؛ ولذلك حظيت عقيدة السلف بالمكانة الرفيعة في نفوس المنتسبين إليها، وأنها تقذف في قلب الإنسان ثباتًا لا يتزعزع، وشكيمة لا تقاوم، هكذا كان علماء السلف، وهذا ما يجب علينا من حسن الظن فيهم، وفي دينهم، وعقيدتهم.

---

(1) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، (507/3)، ط(1)1382هـ-1963م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

(2) انظر: سير أعلام النبلاء (16/95-97). وانظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال (507/3).

(3) انظر: إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، بتصرف يسير، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وهو عبارة عن دروس مفرغة.

(4) انظر: سير أعلام النبلاء (97/16). وانظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال (507/3).

(5) انظر: سير أعلام النبلاء (96/16). وانظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال (507/3-508).

المبحث الثاني

التعريف بعلم الكلام

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نشأة علم الكلام.

المطلب الثاني: نشأة الفرق الكلامية.

أولًا: المعتزلة (العقيدة والمنهج).

ثانيًا: الأشاعرة (العقيدة والمنهج).

المطلب الثالث: اضطراب عقيدة المتكلمين وكثرة تقلباتهم.

المبحث الثاني

التعريف بعلم الكلام

إنه من الواضح والمعلوم بداهة: أن الله ﷻ قد أكمل الدين، وبسط للناس ما يعتقدون، وكيف يسيرون، فعلى ذلك: كان من الأمور المقررة عند أهل الحق، أن كل عقيدة تخالف الكتاب والسنة، وكل منهج ينحرف عنهما، هي عقيدة فاسدة، ومنهج غير صالح.

وعلى الرغم من هذا التقرير، إلا أن التاريخ الإسلامي، قد سجل الكثير من الفرق، والمذاهب، التي قامت على أسس عقدية، ذات مناهج مُستحدثة، وطرق مبتكرة، مُغايرة لما عليه السلف، والحديث في هذا الشأن يطول في التاريخ، وعلى رأس ذلك: المتكلمون، ذوو المناهج الكثيرة، والعقائد المتباينة، الذين راموا الهداية بغير الكتاب والسنة، واعتمدوا العقل مصدرًا في تقرير مسائل الاعتقاد، فكانت النتائج فرقة خلافًا، وتهميشًا للحق، وتمزيقًا لأواصر المجتمع المسلم، إضافة إلى التذبذب في الاعتقاد، وعدم الرسوخ على عقيدة مُعينة، جعلوا دينهم عُرضة للخصومات، فأكثروا التنقل بين المذاهب والتيارات.

وهذا المبحث فيه: بيان لنشأة علم الكلام، وبيان لأبرز الفرق الكلامية، والتي سيدور موضوع الرسالة عليها، فيما بينها، وبين عقيدة السلف، وفيه كذلك: إبراز للمرض الأخطر الذي يحل بالمتكلمين، والمُتمثل في الحيرة، والشك، والاضطراب، ببيان، طبيعته، وأسبابه، ونتائجه، والذي تمثل في الرجوع إلى مذهب السلف، أو البقاء على الحيرة، والموت عليها، والله المُستعان.

المطلب الأول
نشأة علم الكلام

إن علم الكلام ليس من الموضوعات التي تبناها أهل السنة، فهو من الموضوعات المستحدثة التي أحدثها المتكلمون، والتي سعت منذ لحظات إنشائها الأولى إلى غزو عقيدة السلف، وإقصاء الناس من حولها؛ لذلك: كان من اللازم: بيان مفهوم علم الكلام، وتاريخ نشأته في الإسلام.

مفهوم علم الكلام:

وردت تعريفات كثيرة لعلم الكلام، والتي كان من أبرزها: تعريف الإيجي[1]، حيث قال: "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهة"[2]، وعرفه التَّفتازاني[3] بقوله: "هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية"[4]، وقد عرفه ابن عثيمين بقوله: "هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء الكتاب والسنة"[5].

ومن خلال تعريف علم الكلام يتبين للباحث أن هذا العلم يقوم على دراسة العقيدة الاسلامية من خلال العقل فحسب، وهي طريقة لم يشرعها الإسلام، يقول شيخ الإسلام: "فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمداً ﷺ لم يدع الناس بها إلى الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه"[6]؛ بل قد يترتب

---

(1) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي، عالم بالأصول والمعاني والعربية، من أهل إيج بفارس، ولي القضاء، وأنجب تلاميذ عظامًا، من مؤلفاته: العقائد العضدية، توفي سنة: (756 هـ). انظر: الأعلام (295/3).

(2) المواقف، عبد الرحمن بن أحمد عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، (31/1)، ط(1)1417هـ-1997م، دار الجيل- بيروت- لبنان. وانظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (4/1).

(3) هو: مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق، ولد سنة: (712هـ)، وتوفي سنة: (793هـ)، من مصنفاته: تهذيب المنطق، مقاصد الطالبين، إرشاد الهادي. انظر: الأعلام (219/7).

(4) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني الشافعي، (5/1)، ط(1)1401هـ-1981م، دار المعارف النعمانية – باكستان.

(5) فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ص95، دار الوطن للنشر- الرياض- السعودية، بدون طبعة.

(6) درء تعارض العقل والنقل (39/1).

عليها أمور معلومة الفساد في الشرع والعقل[1]، فمن الواضح الذي لا يخفى على أحد أن علم الكلام والفلسفة، ليسا من سبيل أهل القرون الفاضلة؛ بل هما من صراط المحدَثين، وإن أكثر القرآن الكريم من الإستدلال العقلي[2].

ولذلك: تواترت أقوال السلف في التحذير منه، قال الإمام أحمد: "عليكم بالسنة والحديث، وما ينفعكم الله به، وإياكم والخوض والجدال والمراء، فإنه لا يفلح من أحب الكلام، وكل من أحدث كلامًا لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة؛ لأن الكلام لا يدعو إلى خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال، وعليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال، وكلام أهل الزيغ، والمراء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا، ويجانبون أهل الكلام، وعاقبة الكلام لا تئول إلى خير، أعاذنا الله وإياكم من الفتن، وسلمنا وإياكم من كل هلكة"[3].

وقال البربهاري[4]: "وإياك والنظر في الكلام والجلوس إلى أصحاب الكلام، وعليك بالآثار، وأهل الآثار، وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس"[5]، وعليه: فلا يصح تسمية العقيدة الاسلامية بعلم الكلام؛ للتباين بينهما[6].

نشأة علم الكلام:

لم يكن الصحابة في الصدر الأول يألون جهدًا في سؤال النبي ﷺ عن كل ما يحتاجون إليه في العقيدة، والعبادات، والمعاملات، وفي سائر حياتهم، فكان حبل النبي ﷺ رابطًا لجميع

---

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل (39/1).

(2) انظر: القائد إلى تصحيح العقائد "وهو القسم الرابع من كتاب "التنكيل بما تأنيب الكوثري من الأباطيل"، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص41، ط(3)1404هـ-1984م، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

(3) الإبانة الكبرى، لابن بطة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، (539/2)، رقم: (676)، ط(1)1409هـ-1988م، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية.

(4) هو: أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، الفقيه، كان قوَّالًا بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، من مؤلفاته: شرح السنة، توفي سنة: (329هـ). انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (90/15-94)، ترجمة رقم: (53).

(5) شرح السنة، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، ص105، بدون طبعة، أو ناشر.

(6) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، عرضًا ونقدًا، سليمان بن صالح بن عبد العزيز الغصن، (27/1)، دار العاصمة للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية، بدون طبعة.

أفكارهم ومعتقداتهم[1]، فلم يعرف الناس في ذلك الوقت سوى السنة، حيث كانت تمثل منهج فكرهم وحياتهم، لكنْ: شاب ذلك نشوء فرق ذات الطابع السياسي النشأة، وليس العقدي[2].

ومن خلال استعراض كتب العقيدة والفرق الإسلامية، يتضح أن الكلام في العقيدة ظهر في أواخر عصر الصحابة ﷺ، ولم يكن بعد قد اتضحت معالمه، وأصبح هو الأصل في تقرير العقيدة، ولكن ظل الكلام في هذه الحقبة في بعض جوانب العقيدة دون البعض، ووافق المتكلمون أهل السنة في سائر أبواب العقيدة، حتى إذا اجتمعت هذه الأصول التي تكلم فيها المتكلمون، ولملم شتاتها، ظهر علم الكلام، الذي يمثل الشق والطرف المخالف لأهل السنة في إثبات وتقرير العقائد، ابتداءً على أيدي المعتزلة[3]، فوضعت قواعده في عهد المأمون[4]، فأدى إلى وقوع الخصومات والمجادلات، وقد خضع بعد ذلك لتطورات متعددة، ساهم فيها أعلام أئمة الكلام ومؤسسوه[5]، وقد "بلغ قمته في العهد العباسي إبَّان ترجمة العلوم اليونانية والهندية والفارسية إلى اللغة العربية، ساعد عليها الزنادقة والمنافقون، إبَّان الفتوحات الاسلامية، فاختلطت المترجمات، فلقيت صدىً كبيرًا في نفوس الكثير من الناس؛ حبًا في الترف العقلي؛ واغترارًا في الدخيل على أمة الإسلام"[6]، وهكذا بدأ الكلام في مسائل الاعتقاد وإن كان مفرقًا، لكنه أشبه ما يكون بالسيل، يبدأ قطرات، ثم ما يلبث أن يتجمع، ثم يطبق بعد ذلك الأرض[7].

---

(1) انظر: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، د/ مصطفى محمد حلمي، ص66، ط(1)1426هـ، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان.

(2) انظر: العين والأثر في عقائد أهل الأثر، عبد الباقي الأزهري الدمشقيّ، تقيّ الدين، ابن فَقِيه فُصَّة، تحقيق: عصام رواس قلعجي، ص6، ط(1)1407هـ، دار المأمون للتراث– بيروت– لبنان.

(3) انظر: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص23–36. وانظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (4/1).

(4) هو: عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور العباسي، المأمون، الخليفة، أبو العباس، قرأ العلم، والأدب، والأخبار، والعقليات، وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وبالغ، وكان عالمًا، فصيحًا، مفوهًا، توفي سنة: (218هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (272/10–306)، ترجمة رقم: (72).

(5) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني (1097/2)، ط(4)1420هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع– الرياض– السعودية.

(6) انظر: الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، تقديم: عبد الرزاق عفيفي، ص95–96، بتصرف يسير، ط(1)، دار طيبة– الرياض – السعودية.

(7) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين المقريزي، (191/4)، ط(1)1418هـ، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان. وانظر: الفرق الاسلامية الكلامية مدخل ودراسة، د/ علي عبد الفتاح المغربي، ص100–102، ط(2)1415هـ– 1995م، مكتبة وهبة – القاهرة – مصر.

ولا بد من بيان أن علم الكلام قد يضطر إليه السلف؛ للدفاع عن الإسلام، وهذا مما لا حرج فيه، وقد فعله السلف، قال الإمام الدَّارمي[1]: "وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه، وقد كانوا رزقوا العافية منهم، وابتلينا بهم عند دروس الإسلام، وذهاب العلماء، فلم نجد بُدًّا من أن نرد ما أتوا به من الباطل بالحق"[2]، ولا سيما عند ضعف تلقي علوم السنة[3].

وجماع القول: "من أحدث في الدين خلاف ما أتى عن رسول الله ﷺ، وخالف أصحابه ﷺ، وترك قول الأئمة والفقهاء في الدين، ورجع إلى قول المتكلمين، ودعا إلى خلاف السنة، فقد ابتدع، وإن الله – تعالى– حسيبه، والمجازي له، إن شاء تاب عليه، وإن شاء أضله، وحق القول عليه، والله ﷻ الفعال لما يريد"[4].

وبذلك يتضح لنا أن علم الكلم من العلوم الدخيلة على أمة الإسلام، وهو يسعى إلى دراسة العقيدة دراسة عقلية، بعيدة عن الكتاب والسنة، وقد قُعدت قواعده في عصر متأخر، علمًا بأن القرآن الكريم قد أغنانا بأدلته العقلية عن هذا العلم.

---

(1) هو: عثمان بن سعيد بن خالد الدارميّ السجستاني، أبو سعيد، محدث هَرَاة، من مصنفاته: النقض على بشر المريسي، مسند، توفي سنة: (280هـ). انظر: الأعلام (205/4).

(2) الرد على الجهمية، أبو سعيد الدارمي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، ص21، ط(2)1416هـ–1995م، دار ابن الأثير– الكويت.

(3) المنهج المقترح لفهم المصطلح، حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني، ص77، ط(1)1416هـ–1996م، دار الهجرة للنشر والتوزيع– الرياض– السعودية.

(4) تحريم النظر في كتب الكلام، لابن قدامة الجماعيلي المقدسي الحنبلي، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، ص59، ط(1)1410هـ–1990م، عالم الكتب– الرياض– السعودية.

المطلب الثاني
نشأة الفرق الكلامية

تتعد الفرق الكلامية إلى أصناف كثيرة، ومناهج شتى، فلم تعد الفرق الكلامية متفقة؛ بل اختلفت وتناحرت، وتنازعت في معتقداتها، ومناهجها؛ وذلك نظرًا لاعتمادها العقل في تقرير مسائل العقيدة، وسوف يجمل الباحث في هذا المطلب: أهل الفرق الكلامية في التاريخ الإسلامية، والتي يدور حولها موضوع الرسالة، وهما: المعتزلة والأشاعرة، مبرزًا في ذلك: عقيدتها، ومنهجها.

أولًا: المعتزلة.

التعريف بالمعتزلة:

هي: فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية؛ لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة؛ مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة، منها: المعتزلة، والقدرية، والعدلية، وأهل العدل والتوحيد، والمقتصدة، والوعيدية[1]، فقد كان ظهورهم في أيام عبد الملك بن مروان[2]، وهشام بن عبد الملك[3]، حين اعتزل واصل بن عطاء[4] مجلس الحسن البصري، وقد كان من تلاميذه؛ لأجل حكم مرتكب الكبيرة[5]، وقد افترقت على عشرين فرقة[6].

---

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (64/1).

(2) هو: عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد، من أعاظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ في المدينة، فقيهًا، واسع العلم، متعبدًا، ناسكًا، استلم الخلافة سنة: (65هـ)، وكانت وفاته في دمشق، سنة: (86هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (246/4-249)، ترجمة رقم: (89).

(3) هو: هشام بن عبد الملك بن مروان، أبو الوليد، من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق، وتمت له الخلافة سنة: (105هـ)، كان حسن السياسة، يقظًا في أمره، توفي سنة: (125هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (351/5-353)، ترجمة رقم: (162).

(4) هو: المؤسس الفعلي لمذهب الاعتزال، وسيأتي الحديث عنه في المبحث الأول من الفصل الثالث- بعون الله تعالى.

(5) الإيمان بين السلف والمتكلمين، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ص119، ط(1)1432هـ-200م، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية.

(6) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ص18.

مجمل أصول الاعتقاد عند المعتزلة:

يقوم مذهب المعتزلة على أصول خمسة، قد أجمعوا عليها، واعتبروها الجامع، الذي يجمعهم والحد الذي يمنع الالتباس بهم، وإن اختلفوا في كثير من المسائل الفرعية"[1].

يقول أبو الحسين الخياط المُعتزلي[2]: "وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمســـة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال فهو معتزلي"[3].

فالتوحيد: نفي الصفات، والعدل: نفي القدر، والوعد والوعيد: ويقصدون به أن الله لا يغفر لمرتكب الكبيرة بل هو مخلد في النار، والمنزلة بين المنزلتين: وهو أن مرتكب الكبيرة لا يسمى في الدنيا مؤمنا، ولا كافراً؛ بل هو في منزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ويقصدون به الخروج على الحكام إذا جاروا وظلموا[4].

وعلى تلك الأسس نشأت انحرافات كثيرة عند المعتزلة، فهم ينكِرون رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ويوجبون على الله الثواب والعقاب والصلاح والأصلح، ويقدمون العقل على النقل، ويقولون بخلق القرآن، وأصل معتقدهم باقٍ إلى اليوم، متمثل في كل الفرق التي تتخذ من العقل حكمًا على مسائل العقيدة[5].

---

(1) الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف السلفيين منها، صالح زين العابدين الشيبي، رسالة ماجستير بإشراف: أ.د/ عوض الله جاد أحمد حجازي، ص28، 1397هــ- 1977م، كية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة- السعودية، بدون طبعة.

(2) هو: أبو الحسين، عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، شيخ المعتزلة البغداديين، كان من بحور العلم، وله جلالة عجيبة عند المعتزلة، من مؤلفاته: نقض نعت الحكمة، الرد على من قال بالأسباب، والاستدلال، توفي في حدود: (30هــ). انظر: سير أعلام النبلاء (220/14)، ترجمة رقم: (121).

(3) الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، أبو الحسين عبد الرحيم الخياط، مقدمة وتحقيق وتعليقات: د/ نيبرح، ص126-127، ط(2) بيروت 1413هــ-1993م، مكتبة الدار العربية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان.

(4) انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له: د/ عبد الكريم عثمان، ص128-148، ط(3)1416هــ- 1996م، مكتبة وهبة- القاهرة - مصر.

(5) انظر: الملل والنحل(43/1-44). وانظر: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص91-109. وانظر: تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، محمد أبو زهرة، ص120-124، دار الفكر العربي- القاهرة- مصر، بدون طبعة.

منهج المعتزلة في العقيدة:

قعّد المعتزلة لأنفسهم قواعد، تتفق مع مخالفتهم التي انحرفوا بها عن الشرع، فأهما: تقديس العقل، وتقديمه على الشرع، فالعقل حاكم على الشرع، وهو المصدر الأول للاعتقاد، ومتى خالف الشرعُ العقلَ في زعمهم، فإنه يجب اطراحه أو تأويله[1].

قال القاضي عبد الجبار المُعتزلي[2]: "اعلم أن الدلالة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع، ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل"، ثم قال: "الكلام في أن معرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل؛ فلأن ما عداها فرع على معرفة الله – تعالى- بتوحيده وعدله، فلو استدللنا بشيء منها على الله، والحال هذه، كنا مستدلين بفرع للشيء على أصله، وذلك لا يجوز"[3].

ثانيًا: الأشاعرة.

التعريف بالأشاعرة:

هي: فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري، الذي خرج على المعتزلة، وقد اتخذت الأشاعرة البراهين، والدلائل العقلية، والكلامية، وسيلة في محاجة خصومها من المعتزلة والفلاسفة[4] وغيرهم؛ لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية على طريقة ابن

---

(1) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى العمراني اليمني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، (65/1)، ط(1)1419هــ-1999م، أضواء السلف- الرياض- السعودية. وانظر: مختصر معارج القبول، هشام بن عبد القادر آل عقدة، ص76، ط(5)1418هــ، مكتبة الكوثر- الرياض- السعودية.

(2) هو: القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمذاني، العلامة، المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة، منها: الأمالي في الحديث، دلائل النبوة، وطبقات المعتزلة، تخرج به خلق في الرأي الممقوت، مات في ذي القعدة، سنة: (415هــ). انظر: سير أعلام النبلاء (17/ 244-245)، ترجمة رقم: (150).

(3) شرح الأصول الخمسة ص88.

(4) "الفلاسفة": هم الذين يزعمون أن العالم مفعول ومصنوع لشيء يسمى: العقل الفعال، ويُعدونه رب الكائنات، ولازم للواجب بنفسه، ومعلول له، وأنه يلزمه نفس وعقل وفلك، ثم يلزم ذلك العقل عقل ونفس وفلك، إلى الوصول على العقل العاشر، وهم يقولون بقدم العالم، وأن علته مؤثرة بالإيجاب، وليست فاعلة بالاختيار، والغالب منهم ينكرون علم الله ﷻ، وحشر الأجساد. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص91. وانظر: الملل والنحل (71/1)، (48/2).

كُلَّاب[1][2]، وقد ظهرت في القرن الثالث الهجري، فأصبح الانتساب إلى الأشعري هو ما عليه أكثر الناس في البلدان الإسلامية، ولكن الأشعري لم يدم فيها إذ رجع إلى مذهب السلف، فصار أتباعه على أقسام، فبعضهم على معرفة بمذهبه الصحيح وآرائه التي استقر عليها أخيرًا، وبعضهم على جهل تام بذلك، وبعضهم يتجاهل، ويصر على مخالفته، مع انتسابه إليه، فمن انتسب إليه في مرحلته الثالثة فقد وافق السلف[3].

مجمل أصول الاعتقاد عند الأشاعرة:

الأشاعرة يثبتون لله ﷻ سبع صفات، يسمونها: صفات المعاني، وهي: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، ويؤولون بقية الصفات، أما في القرآن فقالوا: المعاني مسموعة حقيقة، والألفاظ مخلوقة، وفي القدر: أرادوا التوفيق بين الجبرية والقدرية، فجاءوا بنظرية الكسب، وهي في مآلها جبرية خالصة؛ لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير، وفي أخبار الآحاد قالوا: لا تفيد العلم، فلا يحتج بها في العقائد، والأشاعرة يجعلون اهتمامهم كله في إثبات انفراد الله بالخلق والاختراع (إثبات الربوبية)، ولا يهتمون بتوحيد الألوهية الذي هو أصل بعثة الرسل، وقلما يذكرونه في كتبهم؛ لذا انخرط كثير منهم في بدع الصوفية والطرق الشركية[4].

وقد تفرعت عن هذه الأصول الكبار مسائل متعددة، متفرقة، كانوا في كل واحدة منها سالكين ومتابعين لأقوال طائفة، أو فرقة من الفرق المنحرفة عن منهج أهل السنة[5].

منهج الأشاعرة في العقيدة:

يمتثل الأشاعرة منهجًا مستقلًا في كيانه الفكري، فالأشاعرة فرقة كلامية انشقت عن أَصلها (المعتزلة)، ووافقت السلف فِي بعض القضايا، وتأثرت بمنهج الوحي؛ ولذلك يعد

---

(1) هو: رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب البصري، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم، وكان يلقب: كُلَّابا؛ لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببلاغته، من تصانيفه: الصفات، خلق الأفعال، توفي سنة: (245). انظر: سير أعلام النبلاء (174/11-176)، ترجمة رقم: (76).

(2) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (83/1).

(3) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د/ غالب بن علي عواجي، (1205/3)، ط(4)1422هـ-2001م، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق- جدة- السعودية.

(4) مختصر معارج القبول ص76 بتصرف. وانظر: منهج الأشاعرة في العقيدة ص77-90. وانظر: تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ص156-159.

(5) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (773/2).

الأشاعرة العقل مصدر التلقي[1]، فهم: "يجعلون العقل هو الأساس، والنقل تبعًا له"[2]، وقد استعانوا بقضايا فلسفية، ومسائل عقلية خاض فيها الفلاسفة، وسلكها المناطقة[3]، قال الفخر الرازي[4]: "ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية، صار العقل متهمًا، غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم نثبت هذه الأصول، خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معًا، وإنه باطل، فالدلائل النقلية بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة إما أن تكون غير صحيحة، أو أنها صحيحة، إلا أن المراد منها غير ظواهرها، وهذا أمر نقطع به[5].

فهذه الانحرافات، وهذا الابتداع في الشرع ما ليس منه لدى أصحاب الأهواء والبدع نتج بسبب فساد دينهم بالاعتقاد الباطل[6]، و"من شرح الله صدره إلى الإسلام، وحبب إليه الإيمان، ووفقه لسلْك طريق الهدى، وترْك الردى لا يسلك في طلب معرفة الله ﷻ طريق أهل المراء والجدال؛ حتى يقول: لا أنظر في المعجزة أو في الأدلة السمعية، حتى أعلم صدق صاحبها، ولا أعلم صدقه حتى أنظر فيها، ونحو ذلك من مدافعة الحق، ودعاة من ليس بموفق، واصطلاح من ليس فيه صلاح، ولا لاح عليه فلاح؛ بل يبادر إلى النظر فيها؛ لاحتمال صدقها المترتب على التصديق به السعادة الكبرى، وعلى التكذيب به الشقاوة العظمى، فإذا علم صدقها، سارع إلى التصديق بها، والعلم النافع، والعمل، ولم يشتغل بعلم المغالطات، والتشدق بالجدل، كاشتغال الخالين عن الخوف والوجل، الناسين لذكر الله ﷻ"[7].

ومما سبق: فإن المعتزلة والأشاعرة من الفرق الكلامية، التي تباينت عن السلف، في عقيدتها، ومنهجها، وخطت من العقل سبيلًا لذلك.

---

(1) انظر: منهج الأشاعرة في العقيدة (76/1-77).

(2) وسطية أهل السنة بين الفرق (رسالة دكتوراه)، محمد با كريم محمد با عبد الله، ص63، ط(1)1415هـ-1994م، دار الراية للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

(3) انظر: تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ص 158.

(4) الإمام الفخر الرازي له انتقال إلى مذهب السلف، وسيأتي ذكره في المبحث الثالث من الفصل الثالث- بعون الله تعالى-.

(5) أساس التقديس في علم الكلام، فخر الدين الرازي، ص130، ط(1)1415هـ-1995م، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان.

(6) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، (118/1-119)، ط(7)1419هـ-1999م، دار عالم الكتب- بيروت- لبنان. وانظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (106/1).

(7) مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق: محمود محمد محمود نصار، ص67-68، ط(1)1412هـ-1992م، دار الجيل- بيروت- لبنان.

المطلب الثالث
اضطراب عقيدة المتكلمين وكثرة تقلباتهم

إن الانتقال من مذهب إلى مذهب في حياة المسلمين أمر واقعي، فإذا كان هذا الأمر حادثًا في المذاهب الفقهية، فإنه كذلك حادث في المذاهب العقدية، فقد ثبت لنا في الواقع ومن خلال كتب التاريخ والتراجم أن كثيرًا من الناس تراجعوا عن معتقدات كانوا يعتقدونها، وأفكار كانوا يدينون لله ﷻ بها، سواء كان ذلك رجوعًا عن علم الكلام إلى مذهب السلف، أو كان تأثرًا من بعض السلف بتلك المذاهب الكلامية، وقد كان لهذا الأمر أسباب كثيرة، تتنوع بين أن تكون أسبابًا عامة، وما بين أن تكون أسبابًا خاصة.

إن رجوع الإنسان عن مذهب علم الكلام إلى مذهب السلف لهو أمر حسن؛ لأنه ينم عن بصيرة في الاعتقاد، ووعي في التفكير، فإن "عقيدة أهل السنة والجماعة مبنية على الدليل من كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه صحابته الكرام ﷺ، وأرضاهم، فهي صافية نقية، واضحة جلية، ليس فيها غموض ولا تعقيد، بخلاف غيرهم الذين عولوا على العقول، وتأولوا النقول، وبَنَوا معتقداتهم على علم الكلام المذموم، الذي بين أهله الذين ابتلوا به ما فيه من أضرار، وندموا على ما حصل منهم من شغل الأوقات فيه من غير أن يظفروا بطائل، ولا أن يصلوا إلى حق، وفي نهاية أمرهم صاروا إلى الحيرة والندم، فمنهم من وفق لتركه، وإتباع طريقة السلف، وجاء عنهم عيب علم الكلام وذمه"[1].

ومنهم من لم يُوفق إلى إتباع طريقة السلف، فبقي حائرًا، متوقفًا، شاكًا، لا يدري ماذا يعتقد، وبماذا يدين الله ﷻ، فتخلى عن سائر الاعتقادات، ودان بمذهب تكافؤ الأدلة.

وهذا يعني: "أنه لا يمكن نصر مذهب على مذهب، ولا تغليب مقالة على مقالة"[2]، ودلائل كل مقالة عند القائلين به مكافئة لدلائل سائر المقالات[3]، وهذه من الحالات الخطيرة، والأمراض المزمنة، لأن تؤدي بهؤلاء إلى أنواع من الشكوك، التي قد يكون من أثارها زيغ

---

(1) قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، عبد المحسن بن حمد البدر، ص30، ط(1)1423هـ-2002، دار الفضيلة- الرياض- السعودية.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل(75/5).

(3) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (207/1)، ط(4)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القلوب –ولا حول ولا قوة إلا بالله–[1]، وإن المُلاحَظ: أن القول بتكافؤ الأدلة سمة غالبة على المتكلمين[2].

قال ابن القيم: "ولهذا ذهب طائفة من أهل الكلام إلى القول بتكافؤ الأدلة، ومعناه: أنها قد تكافأت وتعارضت، فلم يعرف الحق من الباطل، وصدقوا، وكذبوا، أما صدقهم: فإن أدلتهم وطرقهم قد تكافأت وتصادمت...وأما كذبهم: فإن أدلة الحق وشبه الباطل لا تتكافأ، حتى يتكافأ الضوء والظلام، والبياض والسواد، والمسك وأنتن الجيف"[3].

وقد كان المتكلمون كثيرًا ما يتوقفون في المسائل الكبار، فالرازي –مثلًا– "كثيرًا ما يأتي بعبارات الشك، والإشكال، والحيرة"[4]، فمثلًا: يقول بعد ذكر الأدلة في مسألة حدوث العالم، وأنه ليس من شرطه أن يكون مسبوقًا بالعدم: "وعلى هذه الطريقة إشكال"، ثم ذكره وقال: "فقد بطلت هذه الحجة، فهذا شك، لابد وأن يتفكر في حله"[5].

وبعد أن عرض المسألة في موضع آخر قال: "هذا سؤال صعب وهو ما نستخير الله فيه"[6]، وبعد الاطالة والعرض رجع فقال: "الحيلة ترك الحيلة"[7].

وهذا إمام الحرمين الجويني يحتار في مسألة أزلية كلام الله تعالى، والخلاف الواقع في أزلية الأمر والنهي، فيقول: "ولا أرى ذلك أمرًا حاقًا، وإنما هو فرض تقدير– وما أرى الأمر لو كان كيف يكون– إذا حضر المخَاطَب قام بنفس الأمر إلحاق المتعلق به، والكلام الأزلي ليس تقديرًا، فهذا مما نستخير الله تعالى فيه"[8].

وكذا الشَّهْرَستَاني لم تخلُ مقالاته من عبارات الحيرة، فعند حديثه في مسألة الادراك يقول: "وهذا موضع اشكال وشَك عظيم"[9].

---

(1) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (893/2).

(2) انظر: درء تعارض العقل والنقل (164/1). وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (893/2).

(3) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، (842/3–843)، ط(1)1408هـ، دار العاصمة– الرياض– السعودية.

(4) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (670/2–671).

(5) المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات، للفخر الرازي، (487/1)، ط:1966م، مكتبة الأسدي– طهران– إيران.

(6) الأربعين في أصول الدين، للفخر الرازي، ص40، ط(1)، دائرة المعارف العثمانية بالهند، 1353هـ.

(7)الأربعين في أصول الدين ص237.

(8) البرهان في أصول الفقه، للجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، (274/1–275)، ط(2)1400هـ، دار الأنصار– القاهرة– مصر.

(9) نهاية الاقدام ص340.

ولعل وقوع المتكلمين في الاضطراب ولجوأهم إلى القول بتكافؤ الأدلة راجع إلى ثلاثة أسباب رئيسية، وهي:

أولًا: اعتمادهم على المعقُولات: قال الأصبهاني: "أهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلَّما يختلف، وإن اختلف في لفظ أو كلمة، فذلك اختلاف لا يضر الدين، ولا يقدح فيه، وأما دلائل العقل فقلَّما تتفق؛ بل عقل كل واحد يري صاحبه غير ما يرى الآخر"(1).

ثانيًا: معارضة الوحي: قال ابن القيم: "إن من عارض بين الوحي والعقل فقد قال بتكافؤ الأدلة؛ لأن العقل الصحيح لا يَكذب، والوحي أصدق منه، وهما دليلان صادقان"(2).

ثالثًا: الجهل بعقيدة السلف، ومنهجهم في الاستدلال: قال ابن تيمية: "ومن صار من أهل الكلام إلى القول بتكافؤ الأدلة والحيرة؛ فإنما ذلك لفساد استدلاله؛ إما لتقصيره؛ وإما لفساد دليله"(3).

هذا هو حال المتكملين؛ فبتعلقهم بالكلام؛ واشتغالهم به ابتعدوا عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فأورثهم ذلك الشك والحيرة والاضطراب(4).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن المعظمين للفلسفة والكلام المعتقدين لمضمونهما هم أبعد عن معرفة الحديث وأبعد عن إتباعه من هؤلاء، هذا أمر محسوس؛ بل إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله ﷺ، وأحواله، وبواطن أموره، وظواهرها، حتى لتجد كثيرًا من العامة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول ﷺ، وما لم يقله؛ بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه، وحديث مكذوب موضوع عليه، وإنما يعتمدون في موافقته على ما يوافق قولهم، سواء كان موضوعًا، أو غير موضوع، فيعدلون إلى أحاديث يعلم خاصة الرسول ﷺ بالضرورة اليقينية أنها مكذوبة عليه، عن أحاديث يعلم خاصته بالضرورة اليقينية أنها قوله"(5).

فهذا الذي يحصل للمتكلمين أمر ليس بالمستغرب؛ بل هو ردة فعل للابتعاد عن الكتاب والسنة، إلى الاقتراب من الحجج العقلية، التي أدت بهم إلى الحيرة والوقوف إذا ما تناقضت ولم

---

(1) الحجة في بيان المحجة (241/2). وقد نسبها الإمام ابن القيم إلى أبي المظفَّر السمعاني. انظر في ذلك: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص600. وانظر: الانتصار لأصحاب الحديث ص47.

(2) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (989/3).

(3) درء تعارض العقل والنقل (275/1).

(4) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، ص160-161، دار الصميعي- الرياض- السعودية، بدون طبعة.

(5) مجموع الفتاوى (95/4).

يستطيعوا معالجتها، قال ابن تيمية: "ثم من جمع منهم بين هذه الحجج أداه الأمر إلى تكافؤ الأدلة، فيبقى في الحيرة والوقف، أو إلى التناقض، وهو أن يقول هنا قولًا، ويقول هنا قولًا يناقضه، كما تجد من حال كثير من هؤلاء المتكلمين والمتفلسفة؛ بل تجد أحدهم يجمع بين النقيضين، أو بين رفع النقيضين، والنقيضان اللذان هما الإثبات والنفي، لا يجتمعان، ولا يرتفعان؛ بل هذا يفيد صاحبه الشك والوقف، فيتردد بين الاعتقادين المتناقضين: الإثبات والنفي، كما يتردد بين الإرادتين المتناقضتين"[1]؛ ولهذا اتفق كل من خبر مقالة هؤلاء المتفلسفة في العلم الإلهي، أن: غالبه ظنون كاذبة، وأقيسة فاسدة، وأن الذي فيه من العلم الحق قليل[2].

فإن الذين سلكوا هذه السبيل كلهم يخبر عن نفسه بما يوجب حيرته وشكه، والمسلمون يشهدون عليه بذلك، فثبت بشهادته وإقراره علي نفسه وشهادة المسلمين، الذين هم شهداء الله في الأرض، أنه لم يظفر من أعرض عن الكتاب، وعارضه بما يناقضه، بيقين يطمئن إليه، ولا معرفة يسكن بها قلبه[3].

إن السبيل الوحيد للتخلص من الاضطراب والتقلب في الاعتقاد يتمثل في لزوم طريق السلف، والسير على نهجهم، وفي ذلك ينقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن عقيل كلامًا نفيسًا في الإتباع، ولزوم ما وسع السلفَ اعتقادُهُ، حيث قال: "ثم هذا علم الكلام قد أفضى بأربابه إلى الشكوك، وأخرج كثيرًا منهم إلى الإلحاد، تُشم روائح الإلحاد من فلتات كلامهم، وأصل ذلك كله أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع، وطلبوا الحقائق، وليس في قوة العقل درك لما عند الله من الحكمة التي انفرد بها، ولا أخرج الباري من علمه ما علمه هو من حقائق الأمور، وقد درج الصدر الأول على ما درج عليه الأنبياء من هذه الإقناعات، ولما راموا ما وراءها ردوا إلى مقام غايته التحكيم والتسليم، وهو الذي يزرى به طائفة المتكلمين على أهل النقل والسنة، وتسميهم الحَشْوِية[4]، وإليه ينتهي المتكلمون أيضًا، لكنهم يتحسنون بما ليس لهم، وبما لم يتحصل عندهم، فهم بمثابة من يدعي الصحة بتجلده، وهو سقيم، ويتغانى على الفقراء، وهو عديم،

---

(1) الصفدية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، (294/1)، ط(2)1406هـ، مكتبة ابن تيمية- مصر.

(2) الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، (79/1)، ط(1)1403هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود- المدينة المنورة- السعودية.

(3) درء تعارض العقل والنقل (168/1). وسيأتي ذكر نماذج لتلك التحولات في الفصل الثالث من هذا البحث - بعون الله تعالى-.

(4) "الحَشْوِية": لفظ يراد به: حشْو الناس، وهم العامة والجمهور منهم، وهي من اطلاقات المتكلمين على أهل السنة، ابتدأها عمرو بن عبيد على عبد الله بن عمر ﷺ، ثم عدَّها المتكلمون شتمًا لكل من أثبت الصفات والقدر، وعلى التحديد: أصحاب الحديث، وقد يقصدون بها: حشْو الأحاديث التي لا أصل لها في الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ، أو التجسيم؛ لأنهم يعتقدون بأن أهل السنة جعلوا ربهم حشْو هذا الكون بإثبات الصفات. انظر: مجموع الفتاوى (176/12). وانظر: وسطية أهل السنة بين الفرق ص141-146.

والعقل وإن كان للتعليل طالبًا، فإنه يذعن بأن فوقه حكمة إلهية، توجب الاستكانة والتحكيم لمن هو بعض خلقه"[1].

فيا للعجب من أناس تركوا منهج الله ﷻ، وعدلوا عنه إلى مناهج المتكلمين، وما أجمل السير على منهج الله، القائم على التسليم والانقياد لله له ﷻ، يقول الطحاوي: "ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مَرامُه[2] عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسًا، تائهًا، شاكًا، لا مؤمنًا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبًا"[3].

فمن أراد السعادة والنجاة فعليه بطريق السلف، وقد نصح أهل العلم الناس أن يرفعوا شعار: ما كان عليه السلف، "فهذه الوصايا الموروثة المتبوعة، والآثار المحفوظة المنقولة، وطرائق الحق المسلوكة، والدلائل اللائحة المشهورة، والحجج الباهرة المنصورة التي عملت عليها: الصحابة والتابعون، ومن بعدهم من خاصة الناس وعامتهم من المسلمين، واعتقدوها حجة فيما بينهم وبين الله رب العالمين، ثم من اقتدى بهم من الأئمة المهتدين، واقتفى آثارهم من المتبعين، واجتهد في سلوك سبيل المتقين، وكان مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"[4]؛ فإن الإنسان كلما أخذ من الأقربين عصرًا كان اعتقاده أسلم وأحكم، وهذا الذي ميز الصحابة وفضلهم عن غيرهم، "ولا شك أن هذه الأفضلية- أعني أفضلية الصحبة التي اختصوا بها، ولا يمكن أن ينال فضلها أحد ممن جاء بعدهم- تجعل لهم منزلة في فهم العقيدة وإدراكها، لا يمكن أن ينالها من جاء بعدهم؛ ولذلك كان السلف يفتخرون في أن دينهم أخذوه عن التابعين عن الصحابة، فشريك بن عبد الله[5] لما قيل له: إن قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث أي: أحاديث

---

(1) درء تعارض العقل والنقل (48/8-49). وانظر: تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، ص77، ط(1)1421هـ-2001م، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت- لبنان.

(2) "مَرامه": أصله من "رَوَمَ"، وتعني: مطلبه ومراده. انظر: معجم مقاييس اللغة (462/2).

(3) تخريج العقيدة الطحاوية (متن الطحاوية)، أبو جعفر الطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، ص43، فقرة رقم: (36)، ط(2)1414هـ، المكتب الإسلامي - بيروت- لبنان.

(4) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، (7/1-8)، ط(8)1423هـ-2003م، دار طيبة - الرياض- السعودية.

(5) هو: شرِيك بن عبد الله بن الحارث النَّخعي، أبو عبد الله، عالم بالحديث، فقيه، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته. استقضاه المنصور العباسي على الكوفة، سنة: (153هـ) ثم عزله، وأعاده المهدي، فعزله موسى الهادي، وكان عادلًا في قضائه، مولده في بخارى، ووفاته بالكوفة، سنة: (177هـ). انظر: الأعلام (163/3).

النزول، حدث بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: "أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ فهم عمن أخـــذوا؟"[1]"[2].

إن التنقل في فلك المذاهب العقدية لا يُحمد إلا إذا كان انتقالًا إلى مذهب السلف، أو رجوعًا إليه، وأما سائر التنقلات فلا تُحمد؛ لأن مدارها على غير منهج الله ﷻ، وما كان عليه السلف من الصحابة والتابعين، ومن سار على هديهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

فإذا كان الانتقال من مذهب فقهي إلى آخر لا يصح إلا إذا كان لأجل الدين؛ وتبين الحق؛ بل يكون واجبًا حينها[3]، فكيف إذا كان ذلك في باب الاعتقاد الذي لا يصح فيه إلا اعتقاد واحد ومنهج واحد!

ولذلك يمكن أن نصطلح على أرباب علم الكلام بأنهم: أناس دُحَّضُ الأقدام، فهم الذين لا ثبات لهم، ولا عزيمة في الأمور، وهي جمع داحض[4].

قال شيخ الإسلام: "وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب؛ فإن آخر ما يُقَدَّر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها، مات قلبه موتًا لا ترجى الحياة معه أبدًا، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبدًا، فلا فلاح إلا بإتباع الرسول ﷺ، فإن الله خص بالفلاح أتباعه المؤمنين وأنصاره، كما قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:157]، أي: لا مفلح إلا هم، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:104] "[5].

وقد لخص لنا ابن تيمية أحوال المتكلمين، وتزعزع حججهم، وما نتج عن ذلك، بقوله: "ومن علم أن المتكلمين في الغالب ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات:8-9]،

---

(1) رواه الصاغاني كما في سير أعلام النبلاء (208/8). والأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق: عبد الله الحاشدي، قدم له: مقبل الوادعي، (949,374/2)، ط(1)1413هـ-1993م، مكتبة السوادي- جدة – السعودية.

(2) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (65/1).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (221/20-223). وانظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح، (164/1)، عالم الكتب، بدون طبعة.

(4) انظر: غريب الحديث، أبو سليمان الخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، (640/1)، ط: 1402هـ-1982م، دار الفكر- بيروت- لبنان. وانظر: لسان العرب (148/7).

(5) مجموع الفتاوى (96/19-97).

يعلم الذكي منهم والعاقل: أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست ببينة؛ وإنما هي كما قيل فيها:حُجج تهافت كالزُّجاج تخالُها[1]*حقًا وكل كاسر مكسور[2]"[3].

وليس أدل على ذلك من أن "غالب أكابر الذين كانوا يخوضون في الفلسفة والكلام ينتهي بهم أمرهم إلى الحيرة، وعدم الثقة بما كانوا يقررون"[4].

وجماع القول: إنه لا خير في عقيدة تخالف عقيدة السلف، ولا خير في منهج لا يُوقرها، ولا يُسلِم نفسه إليها، وإلا فهو جانٍ على نفسه، وأهله.

خلاصة الفصل:

إن أفضل ما تحلى به المسلم من المناهج، هو: المنهج المتمثل في الاستقاء من الكتاب والسنة، كمصدرين أساسيين للعقيدة الاسلامية، وإن ما سواه من المناهج فهي لا تمثل سوى نتاجات عقلية أحدثها الناس في دين الله ﷻ.

---

(1) "تخالُها": أصلها من "خَيَلَ"، وخال الشيء يعني: ظنه. انظر: لسان العرب (226/11).

(2) هذا البيت يُنسب للإمام الخطّابي. انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ص35، ط(1)1412هـ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت. وانظر: مجموع الفتاوى (28/4)، ثم قال شيخ الإسلام معقبًا: "فإذا كانت هذه حال حججهم، فأي لغو باطل وحشوٍ يكون أعظم من هذا؟".

(3) مجموع الفتاوى (119/5).

(4) الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان، جمع: محمود بن محمد بن مصطفى المنياوي، (165/1)، ط(1)1426هـ–2005م، مكتبة ابن عباس– مصر.

الفصل الأول

الأسباب العامة للتحولات المذهبية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسباب العامة في الانتقال إلى مذهب السلف.

المبحث الثاني: الأسباب العامة في الانتقال إلى غير مذهب السلف.

المبحث الأول

الأسباب العامة في الانتقال إلى مذهب السلف

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الفطرة.

المطلب الثاني: شرح الصدر بالهداية والتوفيق الإلهي.

المطلب الثالث: النظر في السنة والسيرة، ودور الولاة في ذلك.

المطلب الرابع: عجز المذاهب الكلامية وضعف مسالكها.

المطلب الخامس: الانتقال بين الشيوخ وفواح أثرهم.

المبحث الأول
الأسباب العامة في الانتقال إلى مذهب السلف

تساهم الأسباب العامة في التأثير كثيرًا على علماء الكلام في الرجوع إلى مذهب السلف، وقد مثلت تلك العوامل أسبابًا مهمة، وعناصر ركيزة، وهذه العوامل تتميز بأنها ترتكز على الأطر العامة للحياة الإنسانية، فالفطرة تمثل عنصرًا داخليًا متجذرًا في نفوس الناس، تستجيش الإنسان نحو الاستقامة إذا حاد عن الطريق، وابتعد عن المنهج، فإذا أضيف إلى ذلك إرادة الله الهداية للإنسان كان ذلك أكمل في إيقاظ الضمير، وإعمال الفكر نحو الاستقامة، والامتثال لضوابط المنهج، ورسوخ القدم في العقيدة الصحيحة، ولا ننسى الدور العلمي الذي تحلى بها المتكلمون العائدون لمنهج السلف، والمتمثل في النظر في الكتاب والسنة، وسيرة النبي ﷺ، تلك الينابيع الصافية لاستقاء المنهج، وريّ العقيدة، فعقيدة السلف متميزة بسلاسة الاعتقاد، وصحة مناهج الاستدلال، وفي المقابل: نجد الضعف والقصور واضحين كل الوضوح في علم الكلام، فمسالكه في عرض مسائل العقيدة وقضاياها ضعيفة؛ ولذلك اهتم العلماء في بيان ذلك، وإبراز عقيدة السلف وتوضيح العقيدة الصحيحة للناس، التي عرّت علم الكلام عن حقيقته، فجميع هذه العوامل ساهمت في الانتقال إلى مذهب السلف.

وهذا المبحث فيه بيان لهذه الأسباب والعوامل، والله المُستعان.

المطلب الأول
الفطرة

لقد فطر الله ﷻ الناس على الإسلام، وعلى معرفة الحق ﷻ، وجعل المنهج مرتبطًا بتلك الفطرة؛ ولذلك تعد الانحرافات الواقعة في البشرية انحرافًا عن الفطرة، وخروجًا عن طبيعتها، سواء كانت تلك الانحرافات في العقيدة أو السلوك، فإذا ابتعد الإنسان عن الفطرة، وانحرف عنها فإنه لن يجد طعمًا للراحة في حياته، وتبقى الفطرة تستجيش عوامل التوبة لديه، فإذا استقبل ذلك بعقل نافذ، أو قلب يقظ، فسوف يرجع ويعود إلى المنهل الأول الذي سخره الله ﷻ للإنسان.

"وقد نص الله – تبارك وتعالى– في كتابه على أنه خلق الناس على الهيئة التي ترشحهم لمعرفة الحق، قال الله – تعالى–: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم:30] "[(1)].

قال ابن كثير: "يقول تعالى: فسدّد وجهك واستمر على الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه – تعالى– فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، وفي الحديث: **[إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم[(2)] الشياطين عن دينهم]**[(3)]"[(4)].

"وعدم العلم إنما هو لأمرين: الأول: ما يطرأ على الفطرة مما يغشاها، فيصرف عن مراعاتها، وفي الصحيحين من طرق عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم–: **[ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، وينصّرانه، ويمجّسانه، كما**

---

(1) القائد إلى صتحيح العقائد ص40.

(2) قال السيوطي: "فاجتالتهم بالجيم وروي بالخاء المعجمة أي أزالتهم وأذهبتهم". الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للسيوطي، حقق أصله، وعلق عليه: أبو إسحاق الحويني الأثري، (202/6)، ط(1)1416هـ–1996م، دار ابن عفان للنشر والتوزيع– السعودية.

(3) هذا جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، من حديث عِياض بن حمار المُجَاشِعِي ﷺ، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها(51)، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار(16)، (2197/4)، رقم: (2865).

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (313/6–314)، ط(2)1420هـ–1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع– الرياض– السعودية.

تنتج البهيمة بهيمة جمعاء[1]، هل تحسون فيها من جدعاء[2]"؟ ثم يقول أبو هريرة ﷺ: واقرءوا إن شئتم: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم:**30**][3]"[4].

قال ابن حجر: "أي على ما ابتدأ الله خلقه عليه، والمعنى: أن كل أحد لو تُرك من وقت ولادته، وما يؤديه إليه نظره، لأداه إلى الدين الحق، وهو التوحيد"[5]، فمعنى هذا الحديث: أن كل مولود يولد على الفطرة التي خلق عليها من الإيمان[6].

وأما الأمر الثاني لعدم العلم فهو: "الإعراض عما أعده الله – تعالى– لجلاء الفطرة عن تلك الغواشي[7]، وهو الشرع"[8].

فالشرع هو الذي يحفظ الإنسان من الغواشي، التي تحاول النيل من الفطرة، وقد بين الله ﷻ في كتابه الكريم أن دعوة الرسل عليهم السلام جاءت لتقرير الحفاظ على الفطرة، وذلك بالدعوة إلى منهج الله ﷻ الكريم، وصراطه المستقيم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشُّورى:52-53].

يقول السعدي: "تُبينه لهم وتوضحه، وتنيره وترغبهم فيه، وتنهاهم عن ضده، وترهبهم منه، ثم فسر الصراط المستقيم فقال: ﴿صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ أي: الصراط الذي

---

(1) "البهيمة الجمعاء: هي السليمة؛ سميت بذلك لاجتماع السلامة لها في أعضائها". غريب الحديث، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: د/ عبد الله الجبوري، (351/1)، ط(1)1397هـــ، مطبعة العاني– بغداد– العراق.

(2) "الناقة الجدعاء: مقطوعة الأطراف، أو واحدها". النهاية في غريب الحديث والأثر (247/1).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ [الرُّوم:30]: لدين الله، (114/6)، رقم: (4775). ومسلم في صحيحه، كتاب: القدر (46)، باب: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (6)، (2047/4)، رقم: (2658).

(4) القائد إلى تصحيح العقائد ص40.

(5) فتح الباري شرح صحيح البخاري (339/10).

(6) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، (33/2)، ط (1)1332هــ، الناشر: مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر.

(7) "الغَواشي": الأغطية. انظر: لسان العرب (127/15).

(8) القائد إلى تصحيح العقائد ص40.

نصبه الله لعباده، وأخبرهم أنه موصل إليه وإلى دار كرامته، ﴿أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ أي: ترجع جميع أمور الخير والشر، فيجازي كلا بحسب عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر"[1].

فمنهج الله ﷻ هو المنهج الموصل إليه، ولا شيء غيره، أما "العقائد التقليدية هي التي تصد القلوب عما فطرت عليه...ثم إن هذه المقالات السلبية لم يقل شيئًا منها إمام من أئمة المسلمين، ولا نطق بها كتاب ولا سنة"[2]، كما "روي عن أرسطاليس[3] أنه كتب في أول كتابه في الإلهيات: من أراد أن يشرع في المعارف الإلهية فليستحدث لنفسه فطرة أخرى"[4].

ولذلك: اعترف علماء الكلام بأن منهجهم ليس على الفطرة؛ بل إنه معارض لها، ولا يمكن للناس أن يفهموه، ففي وجود الله ﷻ، يعتذر الغزالي: "من رأى هذا الحق (إثبات موجود في الوجود، لا هو داخل العالم، ولا خارجه، ولا متصل، ولا منفصل، ولا هو في مكان، ولا هو في جهة)، اعتذر (عن الإبانة عنه) بأن هذا لو ذكره لنفر الناس عن قبوله، ولبادروا بالإنكار، وقالوا: هذا عين المحال، ووقعوا في التعطيل، ولا خير في المبالغة في تنزيه ينتج التعطيل في حق الكافة إلا الأقلين"[5]، ويقول العز بن عبد السلام[6]: "فإن اعتقاد موجود ليس بمتحرك، ولا ساكن، ولا منفصل عن العالم، ولا متصل به، ولا داخل فيه، ولا خارج عنه: لا يهتدي إليه أحد

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص762، ط(1)1420هـ-2000م، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

(2) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، (366/2)، ط(1)1426هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- السعودية.

(3) هو: أرسطو، الفيلسوف اليوناني، تتلمذ على أفلاطون، وعلّم الإسكندر الأكبر، ومعنى أرسطاليس: محب الحكمة، وقيل: محب الفضيلة، برع في الفلسفة والطب، وكان مشركًا، من مؤلفاته: الالهيات، الحروف، والسياسة، توفي سنة: (322 ق.م). انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى القرشي العدوي العمري، (31/9-38)، ط(1)1423هـ، المجمع الثقافي- أبو ظبي- الإمارات.

(4) أساس التقديس في علم الكلام ص21.

(5) إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، راجعها وحققها: إبراهيم أمين محمد، ص345-346، المكتبة التوفيقية- القاهرة- مصر، بدون طبعة.

(6) هو: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي، ولد سنة: (578هـ)، وتوفي سنة: (660هـ)، من مصنفاته: القواعد الكبرى، والقواعد الصغرى، ومقاصد الرعاية، واختصر نهاية المطالب. انظر ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى (209/8-254)، ترجمة رقم: (1183).

بأصل الخلقة في العادة، ولا يهتدي إليه أحد إلا بعد الوقوف على أدلة صعبة المدرك، عسرة الفهم؛ فلأجل هذه المشقة عفا الله عنها في حق العامي"[1].

وفي إثبات الجهة والحيز يقول الفخر الرازي: "فإن قيل: إذا كان الدين الحق نفي الحيز والجهة، فما بال الكتب السماوية، والأحاديث النبوية مشعرة في مواضع لا تحصى بثبوت ذلك من غير أن يقع في موضع منها تصريح بنفي ذلك...أجيب بأنه لما كان التنزيه عن الجهة مما تقصر عنه عقول العامة حتى تكاد تجزم بنفي ما ليس في الجهة، كان الأنسب في خطاباتهم، والأقرب إلى صلاحهم، والأليق بدعوتهم إلى الحق ما يكون ظاهرًا في التشبيه"[2]؛ ولذلك كانت الفطرة هي المحركة نحو تراجع المتكلمين عن مذاهبهم إلى المذهب الحق، فعن "أبي جعفر الهَمَذاني الحافظ[3] قال: سمعت أبا المعالي الجويني، وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]، فقال: "كان الله ولا عرش"، وجعل يتخبط في الكلام، فقلت: "قد علمنا ما أشرت عليه، فهل عندك للضرورات من حيلة"؟ فقال: "ما تريد بهذا القول، وما تعني بهذه الإشارات"؟ فقلت: "ما قال عارف قط: يا رباه، إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، يقصد الفوق، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة، فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت؟[4] وبكيت، وبكى الخلق، فضرب بكمه على السرير، وصاح بالحيرة، وخرق ما كان عليه، وصارت قيامة في المسجد، ونزل ولم يجبني إلا: بيا حبيبي، الحيرة الحيرة، والدهشة الدهشة، فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرني الهمذاني"[5].

---

(1) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، ط: 1414هـ-1991م، (201/1)، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة- مصر.

(2) شرح المقاصد في علم الكلام (67/2).

(3) هو: محمد ابن أبي علي الحسن بن محمد بن عبد الله الهمذاني، أبو جعفر، إمام، زاهد، ورحال، حافظ، بقية السلف والأثبات، توفي سنة: (531هـ). انظر: سير أعلام النبلاء(101/20-102)، ترجمة رقم: (61).

(4) احتج الهمذاني على أبي المعالي بصفة العلو؛ باعتبار أنها مغروسة في فطر الناس، وفي قلوبهم، وهي بذلك تمثل ضرورة، لا يمكن دفعها، من غير تعيين عرش، ولا استواء، المأخوذة من جهة الشرع، وخبر الكتاب والسنة، فكانت هذه الحجة قاصمة لظهره، عادلة له عن فكره. انظر: مجموع الفتاوى (61/4).

(5) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، (238/32)، ط(2)1413هـ-1993م، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، للذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ص259، ط(1)1416هـ-1995م، مكتبة أضواء السلف- الرياض- السعودية. سير أعلام النبلاء (477/18). طبقات الشافعية الكبرى (190/5).

قال الباحث: لو افترضنا أن المسائل الاعتقادية، كمسألة وجود الله ﷻ مما تقصر عن فهمه عقول الناس، فكيف يأمر الله ﷻ الناس أن يحققوا التوحيد، وأن يلجئوا إليه، لا سيما وأن غالب المسلمين ليسوا من العلماء؟ وهل المخاطب بالعقيدة هم العلماء فقط؟ وأما عوام الناس فلا يُعبأ بهم، فهموا أو لم يفهموا! تعالى الله عما يقول المتكلمون.

فبان: أن الفطرة تُوقظ ضمير الإنسان نحو المعتقد الصحيح في ذات الله ﷻ.

المطلب الثاني
شرح الصدر بالهداية والتوفيق الإلهي

إن إرادة الله ﷻ للعبد بالهداية والاستقامة لهو من الأمور التي لها دور كبير، وشأن عظيم في رجوع أصحاب المقالات إلى الحق، وإبصارهم للنور، لا سيما إذا صاحبت الفطرة السوية، فحينها يعظم الشأن، وينبري القلب للعودة إلى البصيرة، والامتثال، فالله ﷻ له الملك والحكمة، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وقد بين الله ﷻ في كتابه الكريم تلك الحكمة الإلهية، فقال: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:125].

يقول الإمام الطبري: "فمن يرد الله أن يهديه للإيمان به، وبرسوله، وما جاء به من عند ربه، فيوفقه له، ﴿يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، يقول: فسح صدره لذلك وهونه عليه، وسهله له، بلطفه ومعونته، حتى يستنير الإسلام في قلبه، فيضيء له، ويتسع له صدره بالقبول"[1]، إلى أن قال: "ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى، يَشغله بكفره وصده عن سبيله، ويجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه حرجًا، والحرج: أشد الضيق، وهو الذي لا ينفذه، من شدة ضيقه، وهو ههنا: الصدر الذي لا تصل إليه الموعظة، ولا يدخله نور الإيمان؛ لرِيْن[2] الشرك عليه، وأصله من الحرج، والحرج: جمع حَرَجة، وهي الشجرة الملتف بها الأشجار، لا يدخل بينها وبينها شيء؛ لشدة التفافها بها[3]"[4].

قال ابن تيمية: "وأصحاب القرآن والإيمان في نور على نور، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (98/12)، ط(1)1420هـ-2000م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

(2) "رَيْن": أصله من "رَيَنَ"، ويعني: الستر والتغطية. انظر: لسان العرب (192/13).

(3) قال ابن فارس: "(حرج) الحاء والراء والجيم أصل واحد، وهو معظم الباب وإليه مرجع فروعه، وذلك تجمع الشيء وضيقه، فمنه الحرج جمع حرجة، وهي مجتمع شجر، ويقال في الجمع: حرجات". معجم مقاييس اللغة (50/2).

(4) جامع البيان في تأويل القرآن (103/12-104).

عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشُّورى:52-53]"[1].

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري:" وقوله ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ أي: جعلنا القرآن نورًا، نهدي به من نشاء من عبادنا، إلى الإيمان بنا، وتوحيدنا، وطلب مرضاتنا، بفعل محابّنا، وترك مساخطنا"[2]؛ ولأجل هذا كان الحق معهم، قال شيخ الإسلام: "اعتقاد الحق الثابت، يقوي الإدراك، ويصححه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:17]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا* وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء:66-68]، وهذا يعلم تارة بموارد النزاع بينهم وبين غيرهم، فلا تجد مسألة خُولفوا فيها، إلا وقد تبين أن الحق معهم"[3].

"إن عامة المسلمين المحبين الخاضعين لله ﷻ، الذين يغلب عليهم التقوى والطاعة هم ممن تعرض لذاك النور، وذلك التأييد، وتلك الهداية، وكثير منهم لهم من اليقين الحقيقي الناشئ عن الفطرة والنظر العادي، واجتماع أمور كثيرة يفيد مجموعها اليقين، مع عناية الله ﷻ وتأييده ما ليس لأكابر النظار، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، فأما المتكلمون فلم يتعرضوا لذلك النور والتأييد والهداية؛ بل تعرضوا للحرمان والإضلال؛ بعدولهم عن الصراط المستقيم؛ وسلوكهم غير سبيل المؤمنين"[4]، وقد بين شيخ الإسلام أنواع الظلمة التي تعرض لها كثير من المتكلمين، فانحرفوا بذلك عن منهج رب العالمين، فقال: "من لم يرد الله له الهداية ويعرض عن المنهج، فمنهم أصحاب الجهل البسيط والمركب: فأهل الجهل البسيط: فهم أهل الشك والحيرة من هؤلاء المعارضين للكتاب، المعرضين عنه، وأهل الجهل المركب: أرباب الاعتقادات الباطلة التي يزعمون أنها عقليات، فالأول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ [النور:39]،

---

(1) درء تعارض العقل والنقل (169/1-170).

(2) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، (625/4)، ط(5)1424هـ-2003م، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية.

(3) مجموع الفتاوى (10/4).

(4) القائد إلى تصحيح العقائد ص67-68.

والثاني: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور:40]"[1].

ولهذا: لا يتحقق هذا النور إلا بملازمة المنهج القويم، والصراط المستقيم، القائم على الملازمة بين النقل والعقل، قال ابن القيم في تفسير قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:35]: "والنور على النور: نور الفطرة الصحيحة والإدراك الصحيح، ونور الوحي والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر، فيزداد العبد نورًا على نور؛ ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة، قبل أن يسمع ما فيه بالأثر، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه، ونطق به، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع والفطرة والوحي، فيريه عقله وفطرته وذوقه أن الذي جاء به الرسول ﷺ هو الحق، لا يتعارض عنده العقل والنقل البتة؛ بل يتصادقان ويتوافقان"[2].

فإذا أراد الله ﷻ لعبده النور هيأ له أسبابه، وشرح صدره له، وعلى الإنسان أن يدعو الله ﷻ بأن يمنحه ذلك النور، الذي به يحيا بين الناس على المنهج القويم، فإن حاد عن المنهج هداه الله فأرجعه للحق، وحببه فيه، وكره إليه طرق المتكلمين، وانحرافاتهم.

فهذا أبو محمد الجويني[3] رَحِمَهُ اللهُ يُرجع الفضل لله ﷻ في رجوعه إلى مذهب السلف، بأن شرح صدره ووفقه للاعتقاد الصحيح، حيث يقول: "والذي شرح الله صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول الأمر، واليدين بالنعمتين والقدرتين، هو: علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالمخلوقين"[4].

وإنّ من أراد الله ﷻ له الهداية فقد حفظه من الضلال؛ وذلك لأن "الهداية تستلزم الحماية من الضلال وأسبابه[5]، و"هي ثمرة العمل الصالح، والإقبال على منهج الله – تعالى–، والضلال

---

(1) درء تعارض العقل والنقل (169/1–170) بتصرف.

(2) اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، (52/2)، ط(1)1408هـ–1988م، نشر: مطابع الفرزدق التجارية – الرياض– السعودية.

(3) الإمام الجويني له انتقال إلى مذهب السلف، وسيأتي ذكره في المبحث الثالث من الفصل الثالث– بعون الله تعالى.

(4) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية، لأبي محمد الجُويني، تحقيق: د/ أحمد معاذ بن علوان حقي، ص72، ط(1)1419هـ– 1998م، دار طويق للنشر والتوزيع– الرياض– السعودية.

(5) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، (254/1) بتصرف، ط(1)1423هـ–2003م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة– السعودية.

إنما هو نتائج العمل القبيح السيئ، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:69]"[1]، فإن الفسق والمعاصي تَرِين على القلوب، حتى تمنعها الهداية والمعرفة[2].

فمن أراد الله ﷻ هدايته وفقه للاعتقاد الصحيح، وعرفه به، وثبته عليه، ويوم القيامة يُفرحه، ويعظم له الأجر والمثوبة بذلك.

---

(1) مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، ص535-536، ط(1)1415هـ-1995م، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية.

(2) الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق، لابن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران، ص33، ط(1)1429هـ، دار عالم الفوائد- مكة- السعودية.

المطلب الثالث
النظر في السنة والسيرة ودور الولاة في ذلك

لقد فطِن السلف الصالح للقيمة الشرعية، والعقدية التي يحظى بها كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، فكلما كان الإنسان قريبًا من الكتاب والسنة، والسيرة المطهرة فقد كان أقرب إلى الحق من غيره، ممن جردوا عقولهم وأرواحهم عن النظر والتأمل في السنة والسيرة، واستقاء لوازم الحياة منها عقيدة ومنهجًا، فأفضل طريق لاستقاء التوحيد ولوازمه: الكتاب والسنة، فلزومهما أصل عظيم عند السلف، بمعنى: "الاعتقاد الجازم أنه لا يتحقق رضا الله – تبارك وتعالى–، والفوز بجنته، والنجاة من عذابه إلا بالإيمان بهما، والعمل بما جاءا به، وما يترتب على هذا من وجوب أن يعيش المسلم حياته كلها اعتقادًا، وعملًا، وسلوكًا، مستمسكًا ومعتصمًا بهما، لا يزيغ عنهما ولا يتعدى حدودهما، ومن مستلزمات هذا: أن يتحاكم إليهما عند التنازع والاختلاف، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:59]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65] "[1].

و"لقد أغنى الله – تعالى– المسلمين بكتابه وسنة رسوله ﷺ عن الالتجاء إلى مصادر أخرى لمعرفته ﷻ، أو إثبات توحيده، وصفاته، وأسمائه الحسنى، فقد أرسل الرسول ﷺ ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب:45-46] ، مع تكليفه بالتبليغ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:67] ، وقد أدى الرسول ﷺ الأمانة، وبلغ الرسالة على خير وجه، وأشهد المسلمين على إتمام التبليغ في خطبة الوداع: **[ألا هل بلغت؟]**[2]، وكمل إتمام الدين بقوله تعالى: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:3]، وهذا يثبت

---

(1) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (51/1).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، من حديث أبي بَكْرة رضي الله عنه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، (177/5)، رقم: (4406). ومسلم في صحيحه، كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات(28)، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال(9)، (1305/3)، رقم: (1679).

أن الرسول ﷺ لم يترك أمرًا من أمور الدين – أصوله وفروعه – إلا وقد وضحها وأتم بيانها؛ بل إنه كان يبلغ كل أوامر ربه ﷻ في التو واللحظة، ولا يؤخرها"[1].

قال السَّعدي: "﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع؛ ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه، فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله ﷺ"[2].

وعلى ذلك سار السلف وتابعوهم، وسيسيرون بعون الله؛ لأن أصول الدين واضحة عندهم كل الوضوح؛ كاملة كل الكمال؛ لا مجال فيها للنقص، ولا سيما لو كان في مجال الاعتقاد، قال شيخ الإسلام: "فصل: في أن رسول الله ﷺ بين جميع الدين أصوله وفروعه، باطنه وظاهره، علمه وعمله، فإن هذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان، وكل من كان أعظم اعتصامًا بهذا الأصل كان أولى بالحق، علمًا وعملًا"[3]، وحين اقتصر المسلمون الأوائل على الوحيَيْن العزيزين خرج منهم جيل فريد، ليس له مثال، لا سابق، ولا لاحق، جيل اعتز بانتمائه لدينه الخالص، ففتح الدنيا، ومزق ظلام الكفر والشرك، وصدع باسم الله في الأرض من مشارف فرنسا غربًا إلى حدود الصين شرقًا[4].

وحُقَّ بعد ذلك للإنسان أن يتساءل: لماذا عدل بعض من أهل الإسلام للعدول عن منهج الله ﷻ إلى علماء الكلام؟ لا شك أن ذلك له عوامل كثيرة ساهمت فيه، هي عوامل يتجاذبها الحق والباطل، وإنه لمن العدل والإنصاف أن نقول: إن تلبس بعض المسلمين بعلم الكلام كان عن قصد نية، فكان الاغترار به سببًا في قبوله، فـــــــــ"الرغبة في الدفاع عن عقيدة أهل السنة بخاصة والإسلامية بعامة هي التي دفعت أئمة الأشاعرة إلى علم الكلام؛ ظنًا منهم أنه المنهج الصحيح لهذا الغرض، ثم تبين لهم بعد التجربة غير ذلك، فتحولوا عنه"[5].

ولقد أغنى الله ﷻ المسلمين عن الطرق الكلامية، في كل شيء، وعلى رأس ذلك الاعتقاد والاستدلال، وطبيعة القضايا التي يطرحها المتكلمون، فالقرآن الكريم قد استوفى القضايا

---

(1) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص67.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص219.

(3) مجموع الفتاوى (155/19-156).

(4) الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف ص94.

(5) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص196.

التي خاض فيها المتكلمون، حتى إنه كفاهم طرق نقد نظرياتهم الكلامية، وذلك بالاستناد على طرق الاستدلال القرآنية[1].

قال ابن تيمية: "وأما الطريقة النبوية، السنية، السلفية، المحمدية، الشرعية، فإنما يناظرهم بها من كان خبيرًا بها بأقواله التي تناقضها، فيعلم حينئذ فساد أقوالهم بالمعقول الصريح، المطابق للمنقول الصحيح"[2].

فيا أهل الإسلام: كفى بالقرآن والسنة مرشدان للحق، ومعلمان طريق البصيرة، فقد كان لذلك الأثر الكبير في رجوع كثير من علماء الكلام إلى مذهب السلف، حيث اتضح لهم الحق من تدبر آيات الكتاب العزيز، ومن النظر في السنة المطهرة، فصبروا على مخالفة مشايخهم وزملائهم وأصدقائهم[3].

وعلى ذلك: فالاشتغال بالقرآن والسنة والنظر فيهما يورث الإنسان كمالًا في العلم، وزهدًا في غيرهما؛ ولذلك انبرى ولاة أمور المسلمين، ممن وفقهم الله لنصرة عقيدة السلف لنشر علماء الحديث في الأمصار؛ حتى يعلموا الناس القرآن والحديث؛ ويكفوهم النظر في ضلالات المتكلمين، كما فعل الخليفة المتوكل[4] عليه سحائب الرحمات.

"ففي سنة أربع وثلاثين ومائتين أظهر السنةَ المتوكلُ في مجلسه، وتحدث بِها، ووضع المحنة ونهى عن القول بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الآفاق، واستقدم المحدثين إلى سامَرَّاء[5]، وأجزل عطاياهم وأكرمهم، وأمرهم أن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية.

وجلس أبو بكر بن أبي شيبة[6] في جامع الرُّصَافة[7]، فاجتمع له نحو من ثلاثين ألف نفس، وجلس أخوهُ عثمان بن أبي شيبة على منبر في مدينة المنصور[1]، فاجتمع إليه أيضًا نحو

---

(1) انظر: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص69.

(2) درء تعارض العقل والنقل (164/1).

(3) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ص170.

(4) هو: جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، أبو الفضل، ولد ببغداد، وبويع بعد وفاة أخيه الواثق سنة: (232هـ)، وكان جوادًا، ناصرًا للسنة، من آثاره: المتوكلية ببغداد، نقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق، وكانت وفاته سنة: (247هـ). انظر: الأعلام (127/2).

(5) "سامَرَّاء": قيل في تسميتها: سر من رأى، وهي: مدينة بين بغداد وتكريت شرقى دجلة، وهى مدينة قديمة جدّد بناءها المعتصم، سنة: (221هـ). انظر: معجم البلدان (173/3-178).

(6) هو: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، مولاهم، الكوفي، أبو بكر، حافظ للحديث، له فيه كتب، منها: المسند، المصنف في الأحاديث والآثار، الإيمان، توفي سنة: (235هـ). انظر: الأعلام (117/4).

(7) "مسجد الرُّصَافة": مسجد ببغداد، بناه: محمد بن عبد الله المنصور بن محمد ابن علي العباسي، أبو عبد الله، المهدي باللَّه، من خلفاء الدولة العباسية في العراق، (ت: 169هـ). الأعلام (221/6).

من ثلاثين ألفًا، وجلس مصعب الزُّبَيري[2] وحدث، وتوفر دعاء الخلق للمتوكل، وبالغوا في الثناء عليه، والتعظيم له، ونسوا ذنوبه، حتى قال قائلهم: "الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق يوم الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التجهم""[3]، وإلى ذلك أشار ابن كثير بقوله: "وارتفعت السنة جدًا في أيام المتوكل –عفا الله عنه–، وكان لا يولِّي أحدًا إلا بعد مشورة الإمام أحمد، وكان ولاية يحيى بن أكثم[4] قضاء القضاة موضع ابن أبى دؤاد[5] عن مشورته، وقد كان يحيى بن أكثم هذا من أئمة السنة، وعلماء الناس، ومن المعظمين للفقه والحديث وإتباع الأثر"[6].

ومن الأمراء الذين وجهوا الناس إلى النظر في السنة والسيرة، وإتباع منهج السلف: القادر بالله[7]، "فقد تحرك القادر بالله، فأظهر السنة، وسعى إلى إخماد البدع، ونصر مذهب أهل السنة، واستتاب المبتدعة، وغلّظ عليهم"[8]، "ففي سنة (408هـ) استتاب القادر فقهاء المعتزلة، فأظهروا الرجوع، وتبرؤوا من الاعتزال، ثم نهاهم عن الكلام، والتدريس، والمناظرة في

---

(1) "مدينة المنصور": مدينة بالعراق، مشرفة على دجلة، بناها أبو جعفر المنصور، وهي في الأصل: بغداد. انظر: معجم البلدان (457/1). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص529.

(2) هو: مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري، تُكلم فيه لوقفه في القرآن، مات سنة ست وثلاثين ومائتين. ميزان الاعتدال في نقد الرجال (120/4–121)، ترجمة رقم: (8564).

(3) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (13/17). وانظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (207/11)، ط(1)1412هـ–1992م، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان. وانظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الظاهري الحنفي أبو المحاسن، (275/2)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي– دار الكتب– مصر، بدون طبعة.

(4) هو: يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسيدي المروزي، أبو محمد، قاض رفيع القدر، عالي الشهرة، من نبلاء الفقهاء، يتصل نسبه بأكثم ابن صيفي حكيم العرب، ولد بمرو، كان حسن العشرة، حلو الحديث، قريبًا من المأمون. توفي سنة: (242هـ). انظر: الأعلام (138/8).

(5) هو: أحمد بن أبى دؤاد بن جرير، أبو عبد الله القاضي، الإيادي، يقال: إن اسم أبي دؤاد الفرج، جمع بين التجهم والاعتزال، وتوفي سنة: (240هـ). انظر: ميزان الاعتدال (97/1)، ترجمة رقم: (374).

(6) البداية والنهاية (316/10).

(7) هو: أحمد بن إسحاق، أبو العباس ابن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن أبي أحمد طلحة بن المتوكل، كان من أهل الستر والصيانة وإدامة التهجد، توفي سنة: (422هـ). انظر: الوافي بالوفيات (150/6–151).

(8) الاعتقاد القادري، أبو طاهر أحمد بن الحسن الباقلانِي البغدادي، كتبه وجمع الناس عليه: الخليفة القادر بالله، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، ص238، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها (مكة المكرمة)، ج 18، ع 39، ذو الحجة 1427هـ، بدون طبعة.

الاعتزال، والرفض، والمقالات المخالفة للإسلام، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم"[1].

وكذا نصر الله ﷻ السنة على يد السلطان محمد بن عبد الله العلوي[2]، الذي جدد الدولة العلوية بدعوته السلفية، والتحذير من أهل البدع والأهواء، فقد أصدر مرسومًا ملكيًا سنة: (1203هـ) في إصلاح المنهج التعليمي بالمغرب، وألزم العلماء والوعاظ به، وتوعد بالعقوبة كل من خالفه[3]، وهذا الإصلاح قام بناءً على تقرير عقيدة السلف من ناحية، والنهي عن علم الكلام، وكتبه المؤسسة على القواعد الكلامية من ناحية أخرى[4]، وكان مما قال فيه: "من أراد أن يخوض في علم الكلام، والمنطق، وعلوم الفلاسفة، وكتب غلاة الصوفية، وكتب القصص، فليتعاطَ ذلك في داره مع أصحابه الذين لا يدرون بأنهم لا يدرون، ومن تعاطى ما ذكرنا في المساجد ونالته عقوبة، فلا يلومن إلا نفسه"[5].

حقًا لقد نصر الله ﷻ به السنة، وأعلى قدرها في زمنه، "وقد ذهبت به حماسته الدينية إلى الإذن بإتلاف الكتب المتساهلة في الدين، والمحللة لمذهب الأشعرية، وتهديهم بعض الزوايا"[6].

من هنا: يتبين كم كان فضل النظر في السنة والسيرة في توجيه الإنسان نحو الاعتقاد الحق، والمذهب السليم، وأن الناس يحتاجون في ذلك إلى من يرشدهم، ويعينهم، ويشجعهم على الالتزام بهما، كما كان يفعل الكثير من الأمراء والحكام من أهل السنة.

---

(1) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (125/15).

(2) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي، سلطان المغرب الأقصى، كان سلفي العقيدة، على مذهب الحنابلة، يحض على قراءة كتب المتقدمين، وينهى عن المختصرات، ويرى الرجوع للكتاب والسنة، ولو عملوا برأيه، لارتقى علم الدين إلى أوج الكمال، توفي سنة: (1204هـ). انظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري، (349/2-350)، ترجمة رقم: (776)، ط(1)1416هـ-1995م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(3) انظر: النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون الحسني، (275/1)، ط(2)، بدون ناشر.

(4) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، شهاب الدين أبو العباس أحمد الجعفري، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، (68/3)، دار الكتاب- الدار البيضاء- المغرب، بدون طبعة. وانظر: النبوغ المغربي في الأدب العربي (275/1-276).

(5) النبوغ المغربي في الأدب العربي (276/1).

(6) تاريخ أفريقيا الشمالية، شارلي أندري جويان، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، (311/2)، ط: 2011م، مؤسسة تاوالت الثقافية.

المطلب الرابع
عجز المذاهب الكلامية وضعف مسالكها

لقد أثبت علم الكلام في طريقته ومسالكه ضعفًا كبيرًا، قد سيطر على جوانبه، فهو عاجز عن تلبية حاجات الإنسان الفطرية والروحية، كما أنه يفتقد إلى مقومات وجوده، وآليات بقائه، ولا سيما إذا لاحظنا الفرق الشاسع بين طريقة علم الكلام، وبين طريقة القرآن الكريم، في عرض العقيدة، فشتان بين صفاء القرآن، وظلام علم الكلام، ولقد عكس ضعف ذلك أثرًا كبيرًا على نفوس الكثير من المستسلمين لعلم الكلام.

و"لقد أدرك سلف هذه الأمة –رحمهم الله– أن كتاب الله العزيز هو: كتاب هداية، وليس كتاب فلسفة، ونظريات فارغة، لا تمس الواقع، وأيقن ذلك الجيل أن الله هو خالق النفس البشرية، وأنه هو العليم وحده بما يصلحها، فلما أنزل كتابه على رسوله ﷺ كان هو النور الهادي للنفوس، ومصدر كل خير لها، وهو أيضًا النذير لها من كل ما يورد موارد الهلاك والخسران"[1].

فاعتمد السلف على نصوص الكتاب والسنة كمصدرين أساسيين للعقيدة، والاستقامة والفلاح، حيث إن "ظواهر الكتاب والسنة هي نور الله الذي أنزله على رسوله؛ ليستضاء به في أرضه؛ وتقام به حدوده؛ وتنفذ به أوامره؛ وينصف به بين عباده في أرضه"[2].

حقًا إن هؤلاء القوم قد أصابوا حين ساروا على ذلك المنهج الرباني، خلافًا لما يتبناه غيرهم ممن جهلوا بحقيقة منهج الإسلام، فهو"الاتجاه الذي يتبناه شيوخ المعتزلة، والأشاعرة، بمفاهيم ومصطلحات، بعضها إسلامي، والآخر مستعار من ميتافيزيقا اليونان، كالقول بالقديم والمحدث، والجوهر والعرض، وغيرها"[3]، فـــ"علماء الحديث والسنة وقفوا طويلًا أمام علم الكلام، نابذين أصحابه، مبتعدين عن الخوض فيه، ثم دخلوا الميدان حينما قويت شوكة المعتزلة، فاضطروا اضطرارًا إلى مجابهتهم –لا سيما عند محنة خلق القرآن–، ولكن بمنهج مخالف، فكانت طريقتهم في الدفاع عن أصول الدين إتباع منهج السلف، أي: مراعاة المعاني الصحيحة، والألفاظ الشرعية، والرد على من تكلم بلفظ مبتدع، يحتمل حقًا وباطلاً"[4]، حيث "يرى علماء السلف أنه بمسائله، واصطلاحاته، وأبحاثه يعد من قبيل فضول الكلام، الذي لا يفيد الاشتغال به؛

---

(1) الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف ص94.
(2) الجموع البهية للعقيدة السلفية (133/1).
(3) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص69.
(4) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص161.

بل إن العمل به مضيعة للجهد والوقت، بعد أن كفانا الله ﷻ مؤونة العكوف على مسائله، بما بين لعباده ما يحتاجون إليه في عاجلهم وآجلهم"[1]، فـــــ"السلف والأئمة يذمون ما كان من العقليات والجدل والكلام مبتدعًا، وإن قصد به نصر السنة، فكيف ذمهم لمن عارض السنة بالبدعة، والوحي بالرأي، وجادل في آيات الله بالباطل؛ ليدحض به الحق"[2]؛ فالخوض في علم الكلام قد جر إلى مخالفة السلف[3]، وتعكير صفاء مؤلفات العقيدة لدى السلف[4].

حتى إن علماء الكلام أنفسهم قد أقروا بعجزه وضعف مسالكه، فمن ذلك: أن أبا حامد الغزالي اعتبر أن علم الكلام ليس من علوم الدين الأصلية؛ وإنما هو ضرورة ألجأ العلماءَ إليها الردُّ على المبتدعة والفلاسفة، فيما خالفوا فيه ما جاء في نصوص الدين القطعية[5].

وفي ذلك يقول: "أما مضرته (علم الكلام): فإثارة الشبهات، وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك مما يحصل في الابتداء، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق"[6].

ولا شك في أن التمسك بالكتاب والسنة لهو من أعظم وسائل الثبات على العقيدة، ولا خير في عقيدة لا تستند إليهما، و"لو سوغ للناظرين أن يعرضوا عن كتاب الله – تعالى–، ويعارضوه بآرائهم، ومعقولاتهم، لم يكن هناك أمر مضبوط يحصل لهم به علم، ولا هدى"[7]، وهذا ما وقع فيه المتكلمون، فلم يصلوا إلى علم، ولا هدى، قال ابن القيم: "وأخص أوصافها أنها تعطيك مناقضة الخصوم واضطراب أقوالهم وأما أن تعطيك علما وهدى، فإذا بعثت إلى السِّبَاخ[8] برائدٍ... تبغي الرِّياض[9] فقد ظلمتَ الرائدا"[10].

---

(1) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص67-68.

(2) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (1273/4).

(3) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق ص74.

(4) انظر: الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف ص93.

(5) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، (23/1)، دار المعرفة– بيروت– لبنان، بدون طبعة.

(6) قواعد العقائد، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: موسى محمد علي، ص99-100، ط(2)1405هــ-1985م، عالم الكتب– بيروت – لبنان.

(7) درء تعارض العقل والنقل (168/1).

(8) "السِّباخ": جمع "سَبَخَة"، وهي: الأرض المالحة، لا تكاد تُنبت إلا بعض الشجر. انظر: لسان العرب (24/3).

(9) "رِياض، ورَوْض": جمع "الرَّوضة"، قيل في معناها: الأرض ذات الخضرة، والبستان الحسن، والموضع يجتمع إليه الماء، يكثر نبتُه. انظر: لسان العرب (162/7). وانظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن، (156/2)، ط(1)1412هــ-1992م، مؤسسة الرسالة – بيروت– لبنان.

(10) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (1277/4).

العوامل التي أدت إلى تقليص كفاءة علم الكلام:

لقد برزت عوامل متعددة أدت إلى تقليص كفاءة علم الكلام؛ الأمر الذي تسبب في نفور كثير من العلماء عنه، والرجوع إلى مذهب السلف، وهذه العوامل يمكن أن نستخلصها فيما يلي:

أولًا: مخالفة علم الكلام لنصوص الكتاب والسنة الصحيحة: فـــ"تجد عقائد المتكلمين تخالف صريح القرآن، وصحيح السنة، مخالفة ظاهرة، لا يمكن الجمع بينهما، وتخالف اعتقاد المسلمين في الصدر الأول، وما تلاه من أهل القرون الفاضلة المفضلة، وما عليه أهل السنة جميعًا بعد ذلك، غير أن بعد المتكلمين من الحق وقربهم منه بقدر حظهم من علم الكلام، فمن زاد علمه به زاد بعده عن الحق[1]، وما أجرأ المتكلمين على رد نصوص القرآن الكريم وتأويلها.

ثانيًا: اعتماد المتكلمين على العقل: الأمر الذي أوقعهم في التناقض، حيث إن "وجود التناقض في المذهب، وفي طرق الاستدلال له يؤدي إلى عدم الثقة فيه"[2].

ثالثًا: ضعف القيمة العلمية لعلم الكلام: فضلًا عن قلة الفائدة والبركة المتحصلة منه، يقول ابن قتيبة: "وقد كنت في عنفوان الشباب وتطلب الآداب، أحب أن أتعلق من كل علم بسبب، وأن أضرب فيه بسهم، فربما حضرت بعض مجالسهم، وأنا مغتر بهم، طامع أن أصدر عنه بفائدة، أو كلمة تدل على خير، أو تهدي لرشد، فأرى من جرأتهم على الله- تبارك وتعالى-، وقلة توقيهم، وحملهم أنفسهم على العظائم؛ لاطراد القياس؛ أو لئلا يقع انقطاع - ما أرجع معه خاسرًا نادمًا"[3].

النتائج المترتبة على ضعف مسالك علم الكلام:

لقد أدت تلك عوامل تقليص كفاءة علم الكلام إلى نتائج متباينة عند المتكلمين، وهي كالتالي:

أولًا: العودة إلى مذهب السلف، والتبرؤ من كل الطرق المخالفة لمنهج السلف، وقد صار ذلك كثير من أرباب الكلام.

---

(1) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة، عبد العزيز بن فيصل الراجحي، ص334، ط(1)1424هـ، مطابع الحميضي- الرياض- السعودية.

(2) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (891/2).

(3) تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري، ص113-114، ط(2)1419هـ-1999م، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق- بيروت، الدوحة.

مصيبة أن يرفع الإنسان لواءَ منهج غير منهج السلف، ولكن المصيبة الأكبر هي: أن لا يتفطن الإنسان إلى ضلالها، ويعود للمنبع الصافي، فإن السعيد من هؤلاء من وُفق لذلك، ومات عليه.

ثانيًا: الحيرة، والشك، والوقف: وقد حصل ذلك لجملة من علماء الكلام، دون الانتقال إلى عقيدة السلف؛ نتيجة للجهل الحاصل بها؛ أو لضيق فرصة الانتماء إليها.

والوقف: هو الذي يُعبر عنه بتكافؤ الأدلة، مع إقرارهم بذم الكلام، فـــ"كثيراً ما يؤدي خوض هؤلاء في علم الكلام إلى الشك والوقف والحيرة، وهذه من الحالات الخطيرة، والأمراض المزمنة، لأنْ تؤدي بهؤلاء إلى أنواع من الشكوك، التي قد يكون من أثارها زيغ القلوب– ولا حول ولا قوة إلا بالله –"[1]، فالشك والحيرة –خاصة في المسائل الكبار– من سمات أهل الكلام، وفي مقدمتهم: أعلام الأشاعرة[2]، قال ابن تيمية: "وهكذا كل من أمعن في معرفة هذه الكلاميات والفلسفيات، التي تعارض بها النصوص، من غير معرفة تامة بالنصوص ولوازمها، وكمال المعرفة بما فيها، وبالأقوال التي تنافيها، فإنه لا يصل إلي يقين يطمئن إليه، وإنما تفيده الشك والحيرة"[3].

ثالثًا: إضراب الإيمان، والإكثار من التنقل: قال ابن تيمية: "تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالًا من قول إلى قول، وجزمًا بالقول في موضع، وجزمًا بنقيضه، وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين؛ فإن الإيمان كما قال فيه قيصر، لما سأل أبا سفيان عمن أسلم مع النبي ﷺ: **[هل يرجع أحد منهم عن دينه؛ سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا، قال: وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشتُه القلوبَ لا يسخطه أحد]**[4]؛ ولهذا قال بعض السلف –عمر بن عبد العزيز أو غيره–: "من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل"[5]"[6].

---

(1) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (893/2).

(2) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (891/2).

(3) درء تعارض العقل والنقل (164/1).

(4) هي جزء من رواية التقاء أبي سفيان مع قيصر ملك الروم، أخرجها البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: **[فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، ثم قال له: وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب]**، كتاب: بدء الوحي، (8/1)، رقم: (7).

(5) هذا الأثر من كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله. أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (144/1)، رقم: (216). وابن أبي الدنيا في: الصمت وآداب اللسان، دراسة وتحقيق: نجم عبد الرحمن خلف (رسالة دكتوراه)، بإشراف: د/عبد المجيد النجار، ص298، رقم: (161)، ط(1)1406هـ–1986م، دار الغرب الإسلامي– بيروت– لبنان. **(قال خلف: إسناده صحيح).**

(6) مجموع الفتاوى (50/4).

إذن، صار من البيِّن الواضح: ضعف علم الكلام، وعجزه، وإن أكثر ما يدلل على ذلك: ما آل إليه المتكلمون، من الحيرة، والشك، والاضطراب في الإيمان، فمنهم من عاد إلى مذهب السلف، ومنهم من مات على الحيرة؛ نتيجة الجهل بعقيدة السلف، أو تدارك الوقت له عن اللحاق بها.

المطلب الخامس
الانتقال بين الشيوخ وفواح أثرهم

لقد رغب إسلامنا الحنيف بحضور مجالس الذكر ترغيبًا كبيرًا، ووعد الملتزمين بذلك بأجور وفيرة وعظيمة، فعن أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **[إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**[1]**، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر]**[2]، ويدخل في حلق الذكر: مجالس العلم، التي يُتداول فيها العلم الشرعي ويُتذاكر.

وتأخذ هذه المجالس أهمية كبيرة في حياة العلماء وطلاب العلم؛ وذلك لأنها تعد حلقة الوصل بين المتعلم والشيخ من ناحية، فإذا ألم بالمتعلم قصور فهم في مسألة من المسائل يكون قد قرأها من الكتب فإنه يسأل شيخه، وحينها يفتح الله ﷻ على المتعلم وشيخه ما لا يفتحه لغيرهما، فيحصل له العلم ببركة امتثال السنة بالتعلم من العالم، ومن ناحية أخرى: فإن مجالس العلم تمثل مصدرًا أساسيًا في تعليم العقيدة الصحيحة، والذود عنها من موجات الانحراف العقدي، التي تسعى إلى النيل منها، فهي تمثل مركزًا محوريًا في التواصل مع جمهور الناس.

ولذلك: فإن مجالسة أهل العلم والصالحين من الأمور المطلوبة شرعًا، وهي وصية السلف الصالح من العلماء والراسخين، قال الإمام ابن الجوزي: "وينبغي لطالب العلم أن يصحح قصده، إذ فقدان الإخلاص يمنع قبول الأعمال، وليجتهد في مجالسة العلماء، والنظر في الأقوال المختلفة، وتحصيل الكتب، فلا يخلو كتاب من فائدة"[3].

---

(1) "الرَّتع": الأكل والشرب رغدًا في الريف، يقال: خرجنا نرتع ونلعب، أي: ننعم ونلهو، وفي هذا الحديث: أراد برياض الجنة: ذكر الله، وشبه الخوض فيه بالرتع في الخِصْب، وهو كناية عن السعي في الاستزادة من العبادة والعلم، والإشارة إلى حلق الذكر بأنها رياض الجنة؛ بناءً على أن الإكثار من القيام العبادة، وطلب العلم، سبب في الحصول على رياض الجنة. انظر: لسان العرب (112/8). وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفورى، (344/9-345)، رقم: (3509)، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب: أبواب الدعوات (45)، باب (83)، ص797، رقم: (3510)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، ط(1)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية. **(قال الألباني: حسن)**.

(3) صيد الخاطر، لابن الجوزي، اعتنى به: حسن المساحي سويدان، ص323، ط(1)1425هـ-2004م، دار القلم – دمشق – سوريا.

وهي ما جاء في "وصية طاهر بن الحسين[1]، لابنه عبد الله[2]، لما ولاه المأمون الرَّقَّةَ[3]، ومصر، وما بينهما سنة: (206ه)"[4]، حيث قال مما قال له: "وأكثرْ مجالسة العلماء، ومشاورتهم، ومخالطتهم"[5].

وجاء في المستطرف: "وإذا رأيت إنسانًا لا يسمع الحكمة والعلم، وينفر من مجالسة العلماء، ويألف أخبار أهل الدنيا، فألحقْه بعالم الخنافس، فإنه يعجبها أكل العذرات، وملامسة النجاسات، وتنفر من ريح المسك والورد، وإذا شمت الرائحة الطيبة ماتت لوقتها"[6].

وهذه الأهمية التي أعناها سلفنا الصالح لمجالسة العلماء تنبع من كون تعلم العقيدة أمر شرعي، ولا بد للإنسان أن يعرف عمن يتلقى العلم، فينتقي أصحاب الاعتقاد الصحيح، ويتعلم على أيديهم؛ حتى لا يكون عرضة للانحراف في العقيدة بسبب تأثير شيخه عليه؛ ولذلك قال الإمام مالك ﷺ: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه"[7].

إن الله ﷻ يقول: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:65]، ولم يقل: ويوم يناديهم فيقول: ماذا أجبتم فلان وفلان، وإن الله – تبارك وتعالى- يقول في كتابه العظيم: ﴿فَآَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:158]، فأمر

---

(1) هو: طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق الخزاعي، الأمير، مقدم الجيوش، ذو اليمينين، أبو طلحة الخزاعي، القائم بنصر خلافة المأمون، كان شهمًا، مهيبًا، عالمًا، خطيبًا، بليغًا، شاعرًا، بلغ أعلى الرتب، ثم مات في الكهولة، سنة: (207هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (108/10-109)، ترجمة رقم: (7).

(2) هو: عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي، ظل أميرًا إلى أن توفي بنيسابور، وقيل: بمرو، سنة: (230هـ)، وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه. انظر: الأعلام (93/4-94).

(3) "الرَّقَّةَ": مدينة مشهورة في العراق، تقع على الجانب الشرقي من نهر الفرات، بينها وبين حرّان ثلاثة أيام، فتحها عياض بن غنم، صلحًا، بقيادة سعد بن أبي وقاص، في سنة: (18هـ). انظر: معجم البلدان (58/3). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص270. وانظر: البداية والنهاية (93/7).

(4) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، (134/3)، المكتبة العلمية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

(5) تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، للإمام الطبري، وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، (590/8)، ط(2)1387هـ، دار التراث – بيروت- لبنان.

(6) المستطرف في كل فن مستطرف، محمد بن أحمد الأبشيهي أبو الفتح، ص135-136، ط(1)1419هـ، عالم الكتب – بيروت – لبنان.

(7) سير أعلام النبلاء (343/5). وعن ابن سيرين مثله، كما في مقدمة صحيح الإمام مسلم (14/1).

بالإيمان به وإتباعه، وإذا كان كذلك، فهل يمكن أن يكون الإنسان مؤمنًا بالله ورسوله تمام الإيمان، ثم يعدل عن سنة رسوله ﷺ في عقيدته بربه؟[1].

إن الاعتقاد السليم هو الاعتقاد الذي يربط الإنسان بربه ﷻ، وهذا الاعتقاد يحتاج لمجالس العلم، يحتاج للعلماء الربانيين الذين وضعوا على عاتقهم نشر العقيدة الصحيحة، وتعليمها للناس؛ فالله ﷻ "ما مدح أهل العلم بما مدحهم به إلا لأنهم ورثة الأنبياء، يبلغون الشرائع للناس، ويوضحون طرق الفلاح والنجاح، وأسباب السعادة والعزة، في هذه الدار"[2]، ولا يتم ذلك إلا بالعقيدة الصحيحة، وعلى المرء أن يستحضر ما في مجالسة العلماء من اللطائف الدينية والتربوية؛ حتى يحظى بالإخلاص والقبول.

لذلك: اهتم سلفنا الصالح من طلبة العلم بهذه الأسس والمبادئ، فتلقوا العلم على يد مشايخهم؛ بل عددوا ممن يأخذون العلم عنهم، فلقد: "كان الإكثار من الشيوخ سمة بارزة بين علماء السلف الصالح، فما من عالم له شأن إلا ونجد وراء نبوغه عددًا غير قليل من العلماء، الذين تتلمذ على أيديهم"[3].

قال أيوب بن المتوكل[4]: سمعت عبد الرحمن بن مهدي[5] يقول: "كان الرجل من أهل العلم، إذا لقي من هو فوقه في العلم، فهو يوم غنيمته، سأله وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه في العلم علمه، وتواضع له، وإذا لقي من هو مثله في العلم ذاكره ودارسه"، وقال: "لا يكون إمامًا في العلم من أخذ بالشاذ من العلم، ولا يكون إمامًا في العلم من روى كل ما سمع، ولا يكون إمامًا في العلم من روى عن كل أحد، والحفظ الإتقان"[6].

---

(1) موقع الإسلام سؤال وجواب: http://www.islamqa.com/ar/ref/10693، ضمن الفتوى رقم: (10693).

(2) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (435/15)، ط(6)1417هـ-1996م، بدون ناشر.

(3) الاقتصاد في الاعتقاد، عبد الغني المقدسي، أبو محمد، تقي الدين، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ص22، ط(1)1414هـ-1993م، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية.

(4) هو: أيوب بن المتوكل القارئ البصري الأنصاري، إمام ثقة ضابط، روى عن عبد الرحمن بن مهدي، توفي سنة: (200هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، (172/1)، ترجمة رقم: (808)، مكتبة ابن تيمية، بدون طبعة.

(5) هو: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري اللؤلؤي، أبو سعيد، من كبار حفاظ الحديث، حدث ببغداد، ومولده ووفاته في البصرة، توفي سنة: (198هـ). انظر: الأعلام (339/3).

(6) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للرامهرمزي، تحقيق: د/ محمد عجاج الخطيب، ص205، ط(3)1404هـ، دار الفكر- بيروت- لبنان.

ولقد حظي العلماء بالتقدير الكبير من طلبتهم، فكانوا ينزلونهم منازلهم الرفيعة، ولقد صنف ابن جَمَاعة الكِنَاني[1] كتابًا قيمًا في ذلك، فمما قاله فيه في حديثه عن آداب المتعلم مع شيخه: "أن ينقاد لشيخه في أموره، ولا يخرج عن رأيه وتدبيره؛ بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر، فيشاوره فيما يقصده، ويتحرى رضاه فيما يعتمده، ويبالغ في حرمته، يتقرب إلى الله – تعالى– بخدمته، ويعلم أن ذله لشيخه عز، وخضوعه له فخر، وتواضعه له رفعة"[2].

وقال: "أن ينظره بعين الإجلال، ويعتقد فيه درجة الكمال، فإن ذلك أقرب إلى نفعه به، وكان بعض السلف إذا ذهب إلى شيخه تصدق بشيء وقال: اللهم استر عيب شيخي عني، ولا تُذهب بركة علمه مني"[3].

لقد أدرك هؤلاء الأجلاء أن مجالسة العلماء تعكس على القلب صفاءً، وتضفي عليه من الصلاح أنوارًا، وتجعل من العقيدة الصحيحة إعزازًا وفلاحًا، فتزيد من الإيمان، وتقوي صلة الإنسان بربه ﷻ، فـــ"عن أبي المليح[4] قال: سمعت ميمون بن مهران[5] يقول: "العلماء هم ضالتي في كل بلدة، وهم بغيتي إذا لم أجدهم، وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء"[6].

---

(1) هو: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعيّ، بدر الدين، أبو عبد الله، قاض، من العلماء بالحديث، وسائر علوم الدين، ولد في حَمَاة، من مصنفاته: المنهل الرويّ في الحديث النبوي، كشف المعاني في المتشابه، توفي سنة: (733هـ). انظر: الأعلام (5/297–298).

(2) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، خرج نصوصه وحقق أحاديثه وعلق عليه: عبد السلام عمر علي، شارك في المقابلات والمراجعات اللغوية: مصطفى محمود حسين، تحقيق: مكتب الضياء لتحقيق التراث، ص187–188، ط(1)1425هـ– 2005م، مكتبة ابن عباس– سمنود– مصر، دار الآثار للنشر والتوزيع– القاهرة – مصر. وانظر: العقد التليد في اختصار الدر النضيد (المعيد في أدب المفيد والمستفيد)، عبد الباسط بن موسى الدمشقي الشافعي، تحقيق: د/ مروان العطية، ص143–144، ط(1)1424هـ–2004م، مكتبة الثقافة الدينية– القاهرة– مصر. وانظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، ص217–218، ط: 1425هـ–2005م، عالم الكتب– بيروت– لبنان.

(3) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ص189.

(4) هو: الحسن بن عمر الرقي، ويقال: ابن عمرو بن يحيى الفزاري الإمام المحدث، توفي: بالرَّقَّة، في سنة إحدى وثمانين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (8/ 194)، ترجمة رقم: (33).

(5) هو: ميمون بن مهران، أبو أيوب، فقيه من القضاة، نشأ بالكوفة، واستوطن الرَّقَّة، فكان عالم الجزيرة، وسيدها، واستعمله عمر بن عبد العزيز ﷺ على خراجها وقضائها، وكان ثقة في الحديث، كثير العبادة، توفي سنة: (117هـ). انظر: الأعلام (7/342).

(6) جامع بيان العلم وفضله (1/221)، رقم (239). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، (4/85)، مكتبة السعادة – بجوار محافظة مصر، 1394هـ–1974م، بدون طبعة.

فمجالسة أهل الصلاح والاستقامة تجلو عن القلب صدأ الذنوب، ومجالسة ذوي المروءات تدل على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تذكي القلوب"[1].

ويُروى عن أم الدرداء[2] الفقيهة الزاهدة قولها: "لقد طلبت العبادة في كل شيء، فما أصبت لنفسي شيئًا أشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم"[3].

ومن هذا النبع السلفي الأصيل، كان لمجالسة العلماء، والانتقال بين الشيوخ، والتأثر بهم، وبكتبهم، ومؤلفاتهم الأثر الكبير في الرجوع إلى مذهب السلف، والنجاة من عواصف علم الكلام والبدع، والأهواء، وقد برز هذا التأثير من خلال ما يلي:

أولًا: صحبة الشيخ وملازمته:

وهي من أهم العوامل المؤثرة في المتعلم وأبرزها في الانتقال إلى مذهب السلف، وهذا ما حصل مع الإمام ابن القيم وشيخه (شيخ الإسلام: ابن تيمية)، حيث كاد الإمام ابن القيم أن يتأثر بأصحاب البدع والأهواء؛ وذلك أن "ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ كان قد عاش في بيئة يسودها كثير من الفساد الديني والأخلاقي، وتنتشر فيها عادات اجتماعية متردية، وتروج فيها أفكار ونحل منحرفة مع انتسابها – زورًا – للإسلام، وشاء الله ﷻ –وله الحمد– أن يشرح صدر ابن القيم للمنهج الحق، وأن يريه الطريق المستقيم، وأن يحبب إلى قلبه التمسك بالكتاب والسنة، دون سواهما، وكان من توفيق الله ﷻ أن هيأ له أستاذًا فاضلًا، وعلمًا شامخًا، وعالمًا نِحرِيرًا[4] مجاهدًا، وهو: شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي كان سبقه إلى سلوك هذا السبيل، فكان له – بعد توفيق الله– خير القدوة، ونعم المرشد[5]، وكان ذلك: "لما عاد الشيخ من الديار المصرية في سنة ثنتي

---

(1) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان التميمي أبو حاتم البُستي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ص233–234، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، بدون طبعة. المروءة، محمد بن خلف بن بسام، أبو بكر المحولي، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ص117، ط(1)1420هـ–1999م، دار ابن حزم– بيروت – لبنان.

(2) هي: أم الدرداء الصغرى هجيمة الحميرية، الدمشقية، العالمة، الفقيهة، وقيل: جهيمة، وهي أم الدرداء الصغرى، عرضت القرآن وهي صغيرة على أبي الدرداء، وطال عمرها، واشتهرت بالعلم والعمل والزهد، توفيت في حدود سنة: (90هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (4/ 277–279)، ترجمة رقم: (100).

(3) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، (355/35)، ترجمة رقم: (7974)، ط(1)1400هـ–1980م، مؤسسة الرسالة – بيروت– لبنان.

(4) "النِّحرير": "العالم بالشيء المجرب؛ سمي بذلك لأنه ينحر العلم نحرًا، كقولك: قتلت هذا الشيء عِلمًا". معجم مقاييس اللغة (400/5) بتصرف.

(5) ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها، جمال بن محمد السيد، (113/1)، ط(1)1424هـ–2004م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية– المدينة المنورة– السعودية.

عشرة وسبعمائة، لازمه إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علمًا جمًا، مع ما سلف له من الاشتغال، فصار فريدًا في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلًا ونهارًا، وكثرة الابتهال"[1]، وقد لازمه حضرًا وسفرًا وسجناً، حتى سجن معه في سجن القلعة بدمشق سنة: (726هـ)، إلى وفاة شيخه سنة: (728هـ)، حيث خرج بعدها[2]، فبلغت سنوات الصحبة ستة عشر عامًا، أضحى من خلالها أبرز تلاميذه وأشهرهم، بعد أن كان سببًا في هدايته من مزالق المذاهب الفاسدة[3]، وهذا ما أبَان عنه الإمام ابن القيم في قصيدته المشهورة بالنونية التي قال فيها:

يا قوم والله العظيم نصيحة   من مشفق وأخ لكم معوان

جربت هذا كله ووقعت في   تلك الشباك وكن ذا طيران[4]

حتى أتاح لي الإله بفضله   من ليس تجزيه يدي ولساني

حبر أتى من أرض حَرَّانٍ[5] فيا   أهلًا بمن جاء من حران

فالله يجزيه الذي هو أهله   من جنة المأوى مع الرضوان

أخذت يداه يدي وسار فلم يَرِم[6] ... حتى أراني مطلع الإيمان[7]

---

(1) البداية والنهاية (234/14).

(2) الأثبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب، علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، ص232، ط: 1423هـ-2002م، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض- السعودية.

(3) الأثبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب، ص231 بتصرف.

(4) يضرب لنفسه مثلًا بالطائر المحبوس في شبك الحق، بعد أن كان حرًا في جو الأفكار والمعتقدات الضالة. انظر: التعليق المختصر على العقيدة النونية، المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم، تعليق: صالح الفوزان، أشرف على طبعه وإخراجه: عبد السلام عبد الله السليمان، ص574، بدون طبعة أو ناشر.

(5) "حَرَّان": مدينة واقعة بشمال العراق، بالقرب من تركيا، بمنطقة الجزيرة بين دجلة والفرات، على طريق الموصل والشام، قد فتحت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ سنة (18هـ). انظر: معجم البلدان (235/2-236). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص191-192. وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (186/3).

(6) أصلها من: "رامَهُ يَريمُه رَيْمًا، أي بَرحَه، يقال: لا تَرِمْه، أي لا تبرحْه". الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (1939/5)، ط(4)1407هـ-1987م، دار العلم للملايين – بيروت- لبنان.

(7) القصيدة النونية، لابن القيم، ص143، ط(2)1417هـ، مكتبة ابن تيمية- القاهرة- مصر.

"وهكذا كان لابن تيمية رحمه الله أثر كبير؛ بل أكبر الأثر في حياة ابن القيم رحمه الله توجيهًا وتعليمًا، وتربية وإرشادًا؛ فقد أخذ عنه علمًا غزيرًا، واستفاد منه منهجًا قويمًا في حياته ودعوته"[1].

ثانيًا: ملازمة حلقات الشيخ ودروسه:

إن حضور مجالس العلماء من السلف تؤثر كثيرًا في الانتساب إلى مذهبهم، فقد ينوع المتعلم من مشايخه؛ طلبًا في معرفة الحق، وهذا ما كان واضحًا في مجالس الفخر الرازي، بالرغم من أنه كان رأسًا في الأشاعرة أغلب حياته، إلا أنه ساهم في انتقال كثير من أصحاب المقالات عن أقوالهم وانحرافاتهم، "فقد كان: له في الوعظ باللِّسانيْن (العربي والعجمي) مرتبة عالية، وكان يلحقه الوُجد[2] حال وعظه، وكان يكثر البكاء، ويحضر مجلسه أرباب المقالات والمذاهب، ويسألونه، وهو يجيب كل سائل بأحسنَ إجابة، ورجع بسببه خلق كثير من الكرَّامية وغيرهم إلى مذهب أهل السنة[3]، وكان يلقب بهَرَاة[4]: شيخ الإسلام"[5].

---

(1) ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها (113/1-114).

(2) "الوُجد": عرفه الجُرجاني بقوله: "ما يصادف القلب، ويرد عليه بلا تكلف وتصنع، وقيل: هو بروق تلمع، ثم تخمد سريعًا" التعريفات، للجُرجاني، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء، بإشراف الناشر، ص250، ط(1)1403هـ-1983م، دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان.

وهو أحد مصادر التلقي عند الصوفية، ويقصدون به: "ما صادف القلب من فزع، أو غم، أو رؤية معنى من أحوال الآخرة، أو كشف حالة بين العبد الله ﷻ، قالوا: وهو سمع القلوب وبصرها". التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق البخاري الحنفي، ص112، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

(3) ليس المراد من ذلك: رجوعهم إلى العقيدة الصحيحة؛ بل إلى الأشعرية، ولعل الإمام الذهبي قد عبر بهذا التعبير؛ جريًا على عادة أهل السنة، في الاصطلاح على الأشاعرة، بـــ"متكلمة أهل السنة"، ليس من باب الثناء؛ بل مقتضى الحال، كما كان عليه شيخ الإسلام. انظر: درء تعارض العقل والنقل (21/3). وانظر: مجموع الفتاوى (580/12). وانظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، (87/3)، ط(1)1406هـ-1986م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- المدينة المنورة- السعودية.

(4) "هَرَاة": مدينة عظيمة من أمهات مدن خُرَاسَان وأعظمها، دخلها التتار فعاثوا فيها فسادًا، تقع على سفح جبل جنوب بَلْخ، وهي اليوم: شمال غرب أفغانستان، بالقرب من حدود إيران، فتحت في عهد عثمان ﷺ، سنة: (22هـــ). انظر: معجم البلدان (396/5). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص594-595. وانظر: المختصر في أخبار البشر، عماد الدين إسماعيل بن أيوب، (164/1)، ط(1)، المطبعة الحسينية المصرية.

(5) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (214/43). وانظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، (249/4-250)، ط(1)1971م، دار صادر- بيروت- لبنان. وانظر: الوافي بالوفيات (176/4).

وهذا الانتقال وإن كان غير متوافق مع مذهب السلف إلا أنه يمثل عاملًا مهمًا في ترك العقائد الفاسدة؛ تحت تأثير مجالس العلم.

ثالثًا: الإطلاع على كتب السلف:

وهي تمثل إحدى صور التواصل مع العلماء، والتأثر بعقيدتهم، فقد لا يكون مجالًا للاتصال مع الشيخ مباشرة، وحضور مجلسه، إلا أن ذلك ممكن من خلال الإطلاع على كتبه ومؤلفاته، فصارت حلقة وصل بين أصحاب المقالات وبين علماء السلف، كيف لا؟، ومؤلفات السلف تمثل مرتكزًا جوهريًا في الدعوة إلى الله ﷻ، واللحوق بمذهب السلف؟.

وإن من أهم الكتب المعتبرة في عقيدة السلف، والتي كان لها الأثر الكبير في رجوع المخالفين لمذهب السلف: كتب شيخ الإسلام رحمه الله، قال أبو حفص البزار[1]: "حدثني غير واحد من العلماء الفضلاء...أن كلًا منهم لم يزل حائرًا في تجاذب أقوال الأصوليين، ومعقولاتهم، وأنه لم يستقر في قلبه منها قول، ولم يبن له من مضمونها حق؛ بل رآها كلها موقعة في الحيرة والتضليل، وجلها مُمعن بتكلف الأدلة والتعليل، وأنه كان خائفًا على نفسه من الوقوع بسببها في التشكيك والتعطيل، حتى من الله – تعالى- عليه بمطالعته مؤلفات هذا الإمام: أحمد ابن تيمية شيخ الإسلام، وما أورده من النقليات والعقليات في هذا النظام، فما هو إلا أن وقف عليها، وفهمها، فرآها موافقة للعقل السليم، وعلمها، حتى انجلى ما كان قد غشيه من أقوال المتكلمين من الظلام، وزال عنه ما خاف أن يقع فيه من الشك، وظفر بالمُرام"[2].

فلقد وضع الله ﷻ له قبولًا بين الناس، وصارت كتبه منارات لأهل العلم، ويمكن أن نستشهد على ذلك، بحياة الشيخ: جمال الدين القاسمي[3].

---

(1) هو: عمر بن علي بن موسى بن الخليل البغدادي، الأزجي، البزار، الفقيه المحدث، سراج الدين، أبو حفص، كان حسن القراءة للقرآن والحديث، ذا عبادة وتهجد، وصنف كثيرًا في الحديث وعلومه، وفي الفقه والرقائق، توفي سنة: (749هـ). انظر: ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (146/5-148)، ط(1)1425هـ-2005م، مكتبة العبيكان- الرياض- السعودية.

(2) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للبزّار، سراج الدين أبو حفص، تحقيق: زهير الشاويش، ص32-33، ط(3)1400هـ، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

(3) هو: محمد جمال الدين، ولد بدمشق، سنة: (1283هـ)، ومات بها سنة: (1332هـ)، كان إمام الشام في عصره، عمل واعظًا في القرى والبلاد السورية لأربع سنوات، ولكنه تعرض لفتنة كبيرة سنة (1313هـ)، اتهم من خلالها بتأسيس مذهب جديد سموه: "المذهب الجمالي"، وقد ثبتت براءته، واعتذر إليه، فانقطع في منزله للتصنيف والتعليم. الأعلام (135/2).

نشأ الإمام جمال الدين في عصر كان يغلب عليه التقليد، كان الناس يعيشون فيه على الزوايا والطرق، وعلى حلقات الذكر المبتدعة، وما شاكل ذلك، وكان الناس معجبين بما هم عليه، وكأن هذا هو العقيدة الاسلامية التي جاء بها رسول الله ﷺ، فأي إنسان خالف هذه الأمور أو اعترض عليها فإنه يكاد يكفّر؛ لأنه خالف ما عليه الناس، عاش العلامة القاسمي إلى ثلاثين من عمره على هذه المائدة التقليدية التي كان يعيش عليه أبناء عصره[1]، حيث كان له شيوخ من الصوفية، أبرزهم: محمد بن محمد الخاني، الذي تعلم على يديه الطريقة النَّقَشْبَنْدِيَّة[2]، وقرأ عليه كتب الصوفية وشروحها، كما حضره في كتاب البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية، لوالده: محمد بن عبد الله الخاني[3]، وقد ذكر بعض أهل العلم: أن القاسمي كان على ذلك أول حياته، ثم رجع عنه آخرها، وتأثر بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم الحنبليين، وعكف على مطالعتها، فصلحت عقيدته، واستقامت طريقته، ودللوا على ذلك بما في تفسيره[4]، وبعض رسائله المتأخرة الأخرى، مما يخالف ما كان عليه أول حياته مما تقدم[5]، فأخذ يعيش المنهج الحق المأخوذ من كتاب الله ﷻ، ومن صحيح سنة الرسول ﷺ[6].

---

(1) وليد القرون المشرقة، إمام الشام في عصره: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، ويليه شيوخه وإجازتهم له، تلاميذه وإجازاته، جمع وتعلق: محمد بن ناصر العجمي، ص3، دار البشائر الاسلامية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

(2) "الطريقة النَّقَشْبَنْدِيَّة": هي إحدى الطرق الصوفية الغلاة، تنسب إلى بهاء الدين محمد الأويسي البخاري، الملقب بشاه نقشبند؛ وذلك لانطباع صورة لفظ الله على قلبه، وقيل: لأن رسول الله ﷺ وضع كفه على قلبه فصار نقشاً في القلب، توفي سنة: (791هـ)، وقد انتشرت الطريقة في فارس، وبلاد الهند، وآسيا الغربية، فروعها: المجددية، والديوبندية، والفنجفيرية، ونحوها. انظر: الطريقة النقشبندية، عبد الرحمن دمشقية، ص11-15، نشر موقع الفرقان: www.frqan.com. وانظر: تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، محمد أمين الكردي، ص537-567، ط(1)1416هـ-1995م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان. وانظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (رسالة دكتوراه)، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد الأفغاني، (753/2)، ط(1)1416هـ-1996م، دار الصميعي- الرياض- السعودية.

(3) وليد القرون المشرقة، إمام الشام في عصره: جمال الدين القاسمي ص23 بتصرف.

(4) سمَّاه: محاسن التأويل.

(5) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة ص118.

(6) وليد القرون المشرقة، إمام الشام في عصره: جمال الدين القاسمي ص3.

تأثر القاسمي بفكر أحمد بن تيمية، وتلميذه ابن القيم تأثرًا عن بصيرة، يأخذ منهما ما يراه صالحًا، ويناقشهما فيما سوى ذلك[1]، فلا يستغرب من القاسمي أن يكون متدرجًا في منهجه الجديد الذي تحول إليه، ويمكن أن يكون تحديد ذلك على الأقل بسنة انتهائه من القراءة على شيخه الخاني، وذلك سنة (1309ه)[2]، على أن الميول نحو المنهج الجديد كان قائمًا عنده من قبل[3].

لقد ساهمت كتب ابن تيمية وابن القيم في انتقال القاسمي إلى مذهب السلف، فعاش عليه، ومات عليه، حيث يقول عن نفسه:

"زعم الناس بأني مذهبي يدعى الجمالي
وإليه حينما أفتي الورى أعزو مقالي
لا وعمر الحق إني سلفي الانتحال
مذهبي ما في كتاب الله ربي المتعالي
ثم ما صح من الأخبار لا قيل وقال
أقتفي الحق ولا أرضى بآراء الرجال
وأرى التقليد جهلًا وعمى في كل حال"[4].

وشهد له الإمام الزِّركلي بذلك فقال: "كان سلفي العقيدة، لا يقول بالتقليد"[5]، وبه أشاد الشيخ أحمد شاكر بأنه كان على نهج السلف الصالح، دون تعصب لرأي وهوى، أو جمود تقليدي[6].

ويمكن أن نقول: إن السلفية اليوم في بلاد الشام مدينة للقاسمي إلى حد ما، الذي أحيا بذرتها، بعدما كادت تموت بعد ابن تيمية وابن القيم[7].

---

(1) جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام، د/نزار أباظة، ص348، دار القلم- دمشق- سوريا، الدار الشامية- بيروت ط(1)1418هـ-1997م، ضمن سلسلة أعلام المسلمين(66).

(2) وليد القرون المشرقة، إمام الشام في عصره: جمال الدين القاسمي ص24.

(3) انظر: جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام ص306.

(4) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن الدمشقي، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار، ص436، ط(2)1413هـ-1993م، دار صادر- بيروت- لبنان.

(5) الأعلام (135/2).

(6) انظر: مقدمة كتاب المسح على الجوربين، محمد جمال الدين القاسمي، ويليه إتمام النصح في أحكام المسح للألباني، تقديم: أحمد محمد شاكر، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص3-4، ط(3)1399-1979، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

(7) شيخ الشام: جمال الدين القاسمي، محمود مهدي الاستانبولي، ص44، ط(1)1405-1985، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

رابعًا: المناظرة:

تحدث المناظرات بين أهل العلم؛ سعيًا للوصول إلى الحق، فمن ضعفت حجته عن المناقشة كان الحيد عن مذهبه أولى، وقد تكون المناظرة بين أصحاب المذهب الواحد، فيؤدي إلى تراجع أهله عنه، ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره الإمام الذهبي في ترجمة ابن الحداد[1]، حيث قال: "وله مع شيخ المعتزلة الفَرَّاء[2] مناظرات بالقَيْرَوَان[3]، رجع بها عدد من المبتدعة"[4].

وكذا: ما حدث مع أبي الحسن الأشعري وتلميذه أبي علي الجُبَّائي[5]، وذلك بعد ملازمة استمرت أربعين سنة، ونضال عن الاعتزال، اعتزل أبو الحسن شيخه، ومنهجه، ففي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة طلع الأشعري على منبر الجامع بالبصرة بعد صلاة الجمعة، ومعه شريط فشده على وسطه، ثم قطعه وقال: "اشهدوا أني تائب مما كنت فيه من القول بالاعتزال""[6]، وقد كان ذلك نتيجة لمناظرات عديدة قام بها الأشعري مع الجُبَّائي، وقد كان أبرزها في وجوب الأصلح على الله ﷻ، فأثبته الجُبَّائي على قواعد مذهبه، وخالفه الأشعري، فخرج عن مذهبه" [7].

وهذا الانتقال من أبي الحسن وإن كان انتقالًا إلى غير مذهب السلف، إلا أنه يمثل تحولًا كبيرًا في حياته، كما أنه يعد تحولًا إيجابيًا، ساهم في الانتقال إلى مذهب السلف بعد ذلك.

وعلى كل حال: فمصاحبة الشيوخ: تؤثر إلى حد بعيد في عقائد التلاميذ.

---

(1) هو: سعيد بن محمد صبيح المغربي، أبو عثمان، شيخ المالكية، وصاحب سحنون، كان رأسًا في لسان العرب، من رؤوس السنة، توفي سنة: (302هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (14/205-214)، ترجمة رقم: (116).

(2) هو: أبو موسى الفراء، من رؤوس المعتزلة البغداديين، مات سنة: (226هـ). سير أعلام النبلاء (10/555).

(3) "القَيرَوان": مدينة بإفريقية، فتحت في عهد معاوية ﷺ على يد عقبة بن نافع القرشي ﷺ، سنة: (50هـ). انظر: معجم البلدان (4/420-421). وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (4/20).

(4) سير أعلام النبلاء (14/206).

(5) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجُبَّائي، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة "الجُبَّائية"، اشتهر في البصرة، ولد عام: (235هـ)، وتوفي عام: (303هـ) ودفن بجُبى. انظر: الأعلام (6/256).

(6) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (14/30) بتصرف.

(7) انظر: المختصر في أخبار البشر(2/90). وانظر: تاريخ ابن الوردي، عمر بن مظفر ابن الوردي، (1/265)، ط(1)1417هـ-1996م، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان. وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، (4/130)، ط(1)1406هـ-1986م، دار ابن كثير- دمشق، بيروت.

خلاصة المبحث:

لقد ساهمت تلك الأسباب العامة في إحداث تغيرات كبيرة في أفكار ومعتقدات الناس، فساعدت على رجوعهم إلى مذهب السلف، وقد لُوحظ بأنها سهلة المنال والتأثير، وهي أسباب متعددة المنابع، متباينة المظان، ولكنها متحدة في الهدف والغاية.

المبحث الثاني

الأسباب العامة في الانتقال إلى غير مذهب السلف

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الشبهات.

المطلب الثاني: الموقف السلبي من السنة

المطلب الثالث: النظر في علم الكلام.

المطلب الرابع: الخطأ في تقدير منزلة العقل من العقيدة الاسلامية.

المطلب الخامس: متابعة ولاة الأمور.

المطلب السادس: الوعظ والإرشاد.

المبحث الثاني
الأسباب العامة في الانتقال إلى غير مذهب السلف

تساهم عوامل داخلية وخارجية في الانتقال عن مذهب السلف، وهذه العوامل متباينة الموارد، متعددة المظان، فقد تكون ناشئة عن سوء التعامل مع جوانب الاعتقاد، وخصوصياته، وقد تكون ناشئة تحت تأثير عامل البيئة، وهي تمثل انحرافًا عن المنهج المبسوط في القرآن والسنة.

وتعد هذه العوامل نتيجة حتمية لضعف النظر في المنهج الحنيف، فالشبهات تمثل ضعفًا علميا لدى بعض ما انتسب إلى منهج السلف، فكان أسهل للوقوع في مخالفة منهاج السلف، ولا سيما إذا تبع ذلك ترك الاحتجاج بالسنة، كمصدر من مصادر الاستدلال على العقيدة الاسلامية، بدوافع ومبررات غير مشروعة، كأن تكون خبر آحاد، وليت تلك العوامل تقف على ذلك؛ بل تعدى ببعض المسلمين إلى تفضيل علم الكلام على الكتاب المجيد والسنة الغراء، فاستوردوا الكثير من ضلالات الغرب؛ مغترين بهذا العلم الدخيل المتمثل في علم الكلام من الفلسفة والمنطق، فحق عليهم أن يتيهوا في متاهات ومعارضات، كيف لا وهم بعيدون عن الكتاب والسنة؟، أما وقد قادهم علم الكلام إلى تحكيم عقولهم في نصوص الكتاب والسنة، وعدم إعطاء العقل منزلته الحقيقية التي أعطاها إياه خالقه ﷻ، والتي ساهمت في استقامتهم، وانحراف محكمي عقولهم عن المنهج القويم، وكذا ساهم بعض الأمراء والحكام في نشر مذاهب علم الكلام، كالاعتزال والأشعرية، حيث فرضوها على الناس وألزموهم بها، فجميع هذه العوامل ساهمت في الانتقال إلى غير مذهب السلف، أو على الأقل التأثر بمناهجٍ غيره.

فهذه الأسباب تعد بمثابة المداخل السيئة على المسلمين، بحيث إذا دخل واحد منها على قلب المسلم أفسده، وغاص في بحار من الظلمات، لن يخرج منها إلا بالعودة إلى المنهج الصافي والنبع الأصيل، الذي وسع السلفَ ماؤُه، وفاض منه الكثير الكثير؛ لينهل منه المسلمون، إلا من أبى منهم الركون إلى المناهج الدخيلة على أمة الإسلام،

وهذا المبحث يلقي الضوء على أبرز هذه الأسباب والعوامل، في الانتقال إلى غير مذهب السلف، والله المُستعان.

المطلب الأول
الشبهات

لقد قدر الله ﷻ أن الإيمان ينبني على التسليم المطلق لله ﷻ، والإنسان مطالب بالانقياد لله ﷻ، لكن قد يجد الإنسان مسائل لا يستطيع العقل إدراكها، أو لا يستطيع أن يدرك وجه الحكمة الإلهية فيها، فتمثل لديه موضع شبهة؛ ولذلك يُحْذر على الإنسان أن يحكم عقله فيها، فإذا فعل ذلك فسرعان ما يقوده إلى عدم التسليم لله ﷻ فيها، وحينها يقع ما لا يصح اعتقاده، فيجب على الإنسان أن يستسلم لله ﷻ في جميع مسائل الدين وقضاياه، "وفي الحديث المأثور عن النبي ﷺ: **[إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم، وفروجكم، ومضلات الفتن]**[(1)]، وهؤلاء المعرضون عن الطريقة النبوية السلفية يجتمع فيهم هذا وهذا: إتباع شهوات الغي، ومضلات الفتن، فيكون فيهم من الضلال والغي بقدر ما خرجوا عن الطريق الذي بعث الله به رسوله"[(2)].

إن الاعتقاد السليم القائم على التسليم والانقياد يجنب الإنسان الوقوع في الشبهات، وعلى العكس من ذلك: فإن الاعتقاد القائم على إعمال العقل في مسائل الاعتقاد، وفي المسائل الغيبية لن يعصم الإنسان من أن تضل قدمُه في ظلمات الشبهات، وهذا ما حصل مع المتأثرين بمناهج علم الكلام، وإذا كان الإنسان معرضا للتأثر بالشبهات؛ لقصر عقله عن إدراك المسائل العقدية والغيبية، فليس معنى ذلك الركون إليها أو الاستسلام لإملاءاتها، فـــ"من عرضت له شبهة وجب عليه أن يبادر إلى إزالتها بالنظر بنفسه، أو بسؤال غيره من أهل العلم؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من حديث أبي بَرْزة الأَسلمي ﷺ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، (18/33)، رقم: (19772)، ط(1)1421هـ-2001م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان. والبزار في مسنده (البحر الزخار)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (292/9)، رقم: (3844)، ط(1) (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية. والطبراني في المعجم الصغير(الروض الداني)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، (309/1)، رقم: (511)، ط(1)1405هـ- 1985م، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان، دار عمار- عمان- الأردن. **(قال الألباني: صحيح)**، أخرجه في صحيح الترغيب والترهيب (21/1)، رقم: (52)، ط(5)، مكتبة المعارف- الرياض- السعودية.

(2) درء تعارض العقل والنقل (166/1).

كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس:94]؛ ولقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:43]"[1].

وقد اتسمت أساليب عرض العقيدة عند السلف بالحكمة في آلية توصيلها للناس؛ حتى لا يدعوا بابًا للشبهات، فإن "هناك فرق بين حالين، الحال الأولى: بيان العقيدة الإسلامية للناس والدعوة إليها، والحال الثانية: الرد على خصومها وبيان العقيدة الصحيحة من خلال ذلك، ففي الحال الأولى: يجب ذكر العقيدة سليمة، صافية، بعيدة عن إثارة الشبهات أو أدلة الخصوم والرد عليها، وإنما تذكر أدلة القول الصحيح، وتشرح، وتوضح؛ حتى يستقر الحق في النفوس- بعيدًا عما يضاده من شبهات المخالفين-، أما في الحالة الثانية: فلابد من دفع المعارض، وبيان الحق من خلال المناقشة"[2]، فكلاهما طريقان شرعيان لعرض العقيدة، ولكن بمراعاة مقتضى الحال، فتبيين العقيدة للناس يجب أن يكون منطلقًا من أسس واضحة وسهلة، فتبيّن بصورتها الفطرية المشرقة، أما في مجال المناقشات والمناظرات، فحينئذ يتصدر العلماء لذلك، كما كان يفعل شيخ الإسلام في مناظراته، وذبه عن عقيدة السلف، إضافة على المنهج الأول عند تعامله مع سائر المسلمين.

ولذلك: يجب على المسلمين أن يبنوا عقائدهم على التسليم والانقياد، والرضا، وسلامة البصيرة، كما قامت على ذلك عقائد السلف؛ حتى يحافظوا على سلامة عقيدة من وفقهم الله ﷻ في الانتساب إلى عقيدة السلف، فيكون ذلك مدعاة للثبات على العقيدة والمنهج، "أما العقائد المبنية على الشبهات، وعلى الشكوك، وعلى أقوال الناس، والتقليد الأعمى، فإنها عقائد زائلة، لا تثبت، وهي عرضة للنقض، وعرضة للإبطال، فإن فساد الاعتقاد ناشئ من جهة الشبهات"[3]، فلما عُرضت الشبهات لأقوام لأهل الكلام وقعوا بذلك في فساد الاعتقاد، فضلًا عن فساد المنهج، المتمثل في الوقوع في البدع، فإن: "أهل البدع أهل الشبهات، ابتدعوا بدعًا خلطوها بما جاءت به الرسل، وفرقوا دينهم وكانوا شيعًا، فكان في كل فريق منهم حق وباطل، وهم يكذبون بالحق

---

(1) العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، عبد الحميد محمد الصنهاجي، رواية: محمد الصالح رمضان، ص40، ط(2)، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بوداود وشركاؤهما- الجزائر.

(2) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (266/1-267).

(3) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (118/1-119). وانظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (106/1).

الذي مع الفريق الآخر، ويصدقون بالباطل الذي معهم؛ وبسبب ذلك وقعت الشبهة، وإلا فالباطل المحض لا يشتبه على أحد"[1].

قال الباحث: إن هذا الكلام لهو عين الحق، فهذا حال من يبنون عقيدتهم على الشبهات، وينقلون علمهم إلى الناس، فيحيرونهم، ويخلطون في عقولهم بين الحق والباطل، خاصة إذا كانت تلك الشبهات تحتوي على جانب من الحق، ويفرضون على الناس عقولهم وأفكارهم في مسائل النزاع، وإن كانت تحتوي على جانب من الحق، قال ابن تيمية: "وهكذا عامة ما تنازع فيه الناس يكون مع هؤلاء بعض الحق، وقد تركوا بعضه، كذلك مع الآخرين، ولا يشتبه على الناس الباطل المحض؛ بل لا بد أن يشاب بشيء من الحق"[2].

وما هذا الانحراف العقدي لدى المعتزلة والأشاعرة إلا لأنهم تأثروا بالشبهات، "فكان المعتزلة لا يرجعون إلى كتاب، ولا إلى سنة في مسائل الصفات، ولا في أحكامهم على المخالفين لهم؛ وإنما يأخذون ما تمليه عليهم عقولهم، إضافة إلى الشبهات التي تلقفوها من علماء الكلام"[3]، أما الأشاعرة فهم كما قال عنهم شيخ الإسلام: "يوردون الشبهات، ولا يستطيعون الرد عليها"[4].

والقرآن الكريم- الذي أعرض عنه المتكلمون- حافل بأجوبة جميع ما يتساءل الناس، ويختلفون فيه، قال شيخ الإسلام: "فالقرآن قد دل على جميع المعاني التي تنازع الناس فيها: دقيقها، وجليلها"[5].

لقد اهتم القرآن الكريم بأسئلة الناس، ووضع لها أجوبة وحلولًا، ولم يترك خيرًا إلا وحث عليه، ولا شرًا، أو محدثًا إلا رد عليه، وأبطله، وحذر منه، قال مسروق[6]: "ما أحد من أصحاب

---

(1) آل رسول الله وأولياؤه، محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحنبلي، ص156، بدون طبعة أو ناشر.

(2) مجموع الفتاوى (37/8).

(3) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (202/1).

(4) النبوات، لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، (937/2)، ط(1)1420هـ-2000م، أضواء السلف- الرياض- السعودية.

(5) درء تعارض العقل والنقل(56/5-57).

(6) هو: مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة، تابعي ثقة، من أهل اليمن، قدم المدينة في أيام أبى بكر ﷺ، وسكن الكوفة، وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء، توفي سنة: (63هـ). انظر: الأعلام (215/7).

الأهواء إلا في القرآن ما يرد عليهم، ولكنا لا نهتدي له"[1]، فالقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، يحث على الحق، ويحذر من البدع، وينهى عنها، فأبطل ضلالات المتكلمين، وانحرافاتهم، وبدعهم، قال الإمام الشعبي[2]: "ما ابتُدع في الإسلام بدعة إلا وفي كتاب الله ﷻ ما يكذبه"[3]، وقال الإمام أحمد: "لو تدبر إنسان القرآن، كان فيه ما يرد على كل مبتدع بدعته"[4]، فلا شك في نجاة المتمسكين به، والمعتصمين بحبله.

إن الحقيقة التي لا بد من بيانها: أن الشبهات أفسدت العقول، وانحرفت بالأفكار عن مسارها، "وهذا مما يبين للفاضل المعتبر كيف تدخل الشبهات والبدع على كثير من الناس، وإن كانوا من أعقل الناس، وأذكاهم، وأفضلهم، وإن كانوا لم يعتمدوا التلبيس، لا على أنفسهم، ولا على من يعلمونه ويخاطبونه، لكن اشتبه الأمر عليهم، فوقعوا في شبهات ظنوها بينات، وهذا مما يعتبر به المسلم، فلا يعدل عن كلام الله وكلام رسوله المعصوم، الذي عرف أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إلى كلام من يروج عليهم مثل هذه الشبهات"[5].

فليحذر المسلم من الشبهات وأصحابها، الذين ما فتئوا عن النيل من عقيدة السلف؛ فـــ "لا نجاة لنا إلا بإتباع دعاة الصلاح: الذين يدعون إلى منهج السلف الصالح، وإلى إتباع الكتاب والسنة، هؤلاء هم الخير على الأمة[6].

ومما قيل في دحض الشبهات: ما نُسب للشيخ محمد بن عبد الوهاب[7] في التعامل مع الشبهات، حيث قال: "وجوب التسلح بالكتاب والسنة؛ لدحض شبهات الأعداء، إذا عرفت ذلك

---

(1) ذم الكلام وأهله، للهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، ص 69، ط(1)1418هـ -1998م، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية.

(2) هو: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو، راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه، وهو من رجال الحديث الثقات، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيهًا شاعرًا، توفي سنة: (103هـ). انظر: الأعلام (251/3).

(3) السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي، تحقيق: د/ عطية الزهراني، (547/3)، رقم: (914)، ط(1)1410هـ-1989م، دار الراية- الرياض- السعودية.

(4) السنة للخلال (456/3)، رقم: (912).

(5) درء تعارض العقل والنقل (339/8).

(6) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، (336/1)، ط(3)1423هـ-2002م، مؤسسة الرسالة- بيروت – لبنان.

(7) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، نهج منهج السلف الصالح، ودعا إلى التوحيد الخالص، ونبذ البدع، وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام، من مصنفاته: التوحيد، وكشف الشبهات، توفي سنة: (1206هـ). انظر: الأعلام (257/6).

وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء، قاعدين عليه، أهل فصاحة، وعلم، وحجج، فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحًا لك، تقاتل به هؤلاء الشياطين...فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق، وليس معه سلاح، وقد من الله – تعالى- علينا بكتابه الذي جعله تبيانًا لكل شيء، وهدى، ورحمة، وبشرى للمسلمين، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها، ويبين بطلانها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:33]، قال بعض المفسرين: "هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة""[1].

قال الباحث: أشار الطاهر ابن عاشور[2] إلى ذلك بقوله في تفسيرها: "وصيغة المضارع في قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ تشمل ما عسى أن يأتوا به من هذا النوع"[3]، ويقصد ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:32]، حينما اعترض المشركون على نزول القرآن الكريم منجمًا، فأبان الله ﷻ الحكمة من ذلك، ألا وهي: تثبيت قلب النبي ﷺ، والآية ذاتها "بيان لحكمة أخرى من حكم نزول القرآن منجمًا، وهو أن هذا النزول على تلك الصورة، يرصد الأحداث الواقعة على طريق الدعوة الإسلامية، من مبدئها إلى ختامها، ثم يطلع على كل حدث، بما هو مناسب له، فيحقّ حقًّا، ويبطل باطلًا، ويزيل شبهة، ويُحيى سنة، ويميت بدعة، وهكذا"[4]، مع صيانة العموم الذي تحلت به الآية الكريمة.

فحاصل ما تقدم: أن الشبهات من أخطر الأمور المؤثرة في عقائد الناس، ومشاربهم، وأفكارهم، وأن خير دواء لها: التسلح بسلاح العلم.

---

(1) كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب، ص13-14، ط(1)1418هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية.

(2) هو: محمد الطاهر بن عاشور، مولده ووفاته بتونس، ودراسته بها، عُين عام: (1932م) شيخاً للإسلام مالكيًا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، من مصنفاته: مقاصد الشريعة الإسلامية، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، توفي سنة: (1393هـ). انظر: الأعلام للزركلي (174/6).

(3) التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، للطاهر بن عاشور، (22/19)، الناشر: الدار التونسية للنشر- تونس، سنة النشر: 1984هـ، بدون طبعة.

(4) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، (19/10)، دار الفكر العربي- القاهرة- مصر، بدون طبعة.

المطلب الثاني
الموقف السلبي من السنة

تباين الناس في موقفهم من السنة النبوية، واختلفوا في كونها مصدرًا من مصادر الاستدلال على العقيدة من عدمه، فلكم أودى ترك الاحتجاج بها إلى الانحراف عن العقيدة، وولوج بحار الكلام والمتكلمين، الذين لم يتورعوا عن ترك الاحتجاج بها، والاعتداد بها كمصدر من مصادر الاستدلال على العقيدة، عندما ردوا أحاديث الآحاد، ولم يقبلوها في الاستدلال، ولقد وفق الله ﷻ السلف للأخذ بالسنة في مجال الاعتقاد؛ ولذلك كان موقفهم واضحًا منها، فالله ﷻ بين منزلة السنة في كتابه الكريم، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:59] .

يقول الإمام الطبري: "يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ربكم فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، وأطيعوا رسوله محمدًا ﷺ، فإن في طاعتكم إياه لربكم طاعة؛ وذلك أنكم تطيعونه لأمر الله إياكم بطاعته"[1].

ولذلك فقد أجمع السلف على حجية السنة في العقيدة والشريعة وفي سائر أمور الدين، "وهذه من القواعد الكبرى في منهج السلف– رحمهم الله–، تميزوا بها عن كثير من أهل الأهواء والبدع، وما عني أهل السنة بجمع السنة والكلام في متونها وأسانيدها، ونشأة هذا العلم الذي تميزت به الأمة الاسلامية عن غيرها من الأمم، وبذلوا في سبيل ذلك جهودًا منقطعة النظير؛ كل ذلك إنما كان منهم حفاظًا على المصدر الثاني، الذي هو وحي يوحى من الله – تعالى–، ولم يميزوا بين الأحاديث المتعلقة بالأحكام، والأحاديث المتعلقة بالعقائد"[2]، يعني: في العلم والعمل؛ لأن "من الإيمان بكتاب الله: أن نؤمن بأن كل ما ثبت عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم – فهو حق من عند الله، وبيان لكتاب الله، وأن الأخذ به أخذ بالقرآن، وأن الترك له ترك للقرآن؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:7] "[3].

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن (495/8).

(2) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (60/1).

(3) العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ص104.

فعلى ذلك سائر الأئمة، والعلماء، والمحققون من السلف والخلف، ومن دانوا لله ﷻ بالإتباع، لا الابتداع؛ فكان ذلك سببًا في ثباتهم، ورسوخهم على العقيدة الغراء، قالوا: "إن الحديث النبوي الشريف، والذي صح حسب القواعد الأصولية، حجة على جميع الأمة، وقد أجمعوا على ذلك إجماعًا"[1]، وذلك من عصر الصحابة إلى يومنا هذا، لم يخالف في ذلك أحد منهم[2]، فبهؤلاء السلف فلنقْتد، ولتعظم السنن في قلوبنا، ولنربِّ الأجيال على احترامها وتطبيقها، وما لم يكن يومئذ دينًا فلن يكون اليوم دينًا[3].

يقول الإمام الشوكاني[4]: "إن ثبوت حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام"[5].

وبالرغم من الإجماع الحاصل في حجية السنة، وحث القرآن الكريم على ذلك، إلا أنها لم تسلم من الغمز بها، وإنكار حجيتها، فـــ"لقد تعرضت السنة لمن ينكر حجيتها قديمًا وحديثًا، أما في القديم: فلم يأت القرن الثاني حتى ظهر من ينكر أنها مصدر من مصادر التشريع، ومنهم من أنكر حجية غير المتواتر منها، كما ظهر من ينكر منها ما لا يكون بيانًا للقرآن، أو مؤكدًا له"[6]، مثلما فعل "الزنادقة، وطائفة من غلاة الرافضة: ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة، والاقتصار على القرآن"[7]، هم قوم كما وصفهم الشاطبي[8] حين قال: "إن الاقتصار على الكتاب رأيُ قوم لا خلاق لهم، خارجين عن السنة"[9].

---

(1) حجية السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي، عبد القادر بن حبيب الله السندي، ص91-92، ط: السنة الثامنة- العدد الثاني- رمضان 1395هـ سبتمبر 1975م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – السعودية.

(2) انظر: حجية السنة ودحض الشبهات التي تثار حولها، محمود بن أحمد النعيمي، ص40، ط: السنة الرابعة، العدد الثالث، محرم1392هـ- فبراير1972م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

(3) شبهات القرآنيين، عثمان بن معلم محمود بن شيخ علي، ص11، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة- السعودية، بدون طبعة.

(4) الإمام الشوكاني من أئمة السلف، وسيأتي ذكره في المبحث الثالث من الفصل الثالث – بعون الله تعالى-.

(5) إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني اليمني، تحقيق: أحمد عزو عناية، قدم له: خليل الميس، ولي الدين صالح فرفور، (97/1)، ط(1)1419هـ- 1999م، دار الكتاب العربي- بيروت – لبنان.

(6) حجية السنة ودحض الشبهات التي تثار حولها ص44-45.

(7) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، للسيوطي، ص6، ط(3)1409هـ-1989م، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة- السعودية.

(8) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه: المجالس، الجمان في مختصر أخبار الزمان، أصول النحو، توفي سنة: (790هـ). انظر: الأعلام (57/1).

(9) الموافقات، للشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (325/4-326)، ط(1)1417هـ-1997م، دار ابن عفان- السعودية.

ولذلك: لم يألُ العلماء جهدًا في الرد عليهم، والتغليظ من شناعة جرمهم، حتى وإن كانوا يُغْرون الناس في كلامهم الباطل، والطاعن في عقيدة السلف، "فليعلم المسلمون أن كل كلام يخالف الشرع، يزخرفه صاحبه؛ لتمويهه؛ والتلبيس به على الناس؛ حتى يغتراوا به؛ ويتلقفوه، وكل عمل يخالف الشرع كذلك، يزينونه؛ حتى يروج بين الناس، فهؤلاء الأعداء الذين يتظاهرون بالإسلام، ويكيدون له ليل نهار، لم يخفَ أمرهم على علماء الإسلام، فنبهوا الناس على سوء مذهبهم"[(1)].

قال أيوب السختياني[(2)]: "إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا، وحدثنا من القرآن، فاعلم أنه ضال مضل"[(3)].

وقال السيوطي: "فاعلموا –رحمكم الله– أن من أنكر كون حديث النبي ﷺ، قولًا كان، أو فعلًا، بشرطه المعروف في الأصول حجة، كفر، وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء الله من فرق الكفرة"[(4)].

وفضلًا عن ذلك: فقد رد المتكلمون، وكثير من أصحاب الطوائف خبر الواحد، فلم يأخذوا به في مجال العقيدة؛ بحجة إفادته الظن، وذلك بخلاف أهل الحق؛ حيث إن أهل السنة يقبلون خبر الواحد في العقدة إذا صح، قال شيخ الاسلام ابن تيمية: "ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، تصديقًا له، أو عملًا به، أنه يوجب العلم، وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه: من أصحاب أبي حنيفة[(5)]، ومالك[(6)]، والشافعي[(1)]، وأحـــــمد[(2)]، إلا فرقة قليلة من المتأخرين، اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام، أنكروا ذلك"[(3)].

---

(1) شبهات القرآنيين ص17.

(2) هو: أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، أبو بكر، سيد فقهاء عصره، تابعي، من النساك الزهاد، وحفاظ الحديث. كان ثابتًا ثقة روي عنه نحو ثمانمائة حديث، توفي سنة: (131هـ). انظر: الأعلام (38/2).

(3) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، ص16، المكتبة العلمية – المدينة المنورة – السعودية، بدون طبعة.

(4) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص5.

(5) انظر: المبسوط، محمد بن أحمد السرخسي، (87/1)، الناشر: دار المعرفة – بيروت – لبنان، تاريخ النشر: 1414هـ–1993م، بدون طبعة. وانظر: الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، (117/2)، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق، بدون طبعة.

(6) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر (8/1)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: 1387هـ، بدون طبعة.

قال ابن أبي العز الحنفي: "ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة، قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم ضروري"[(4)].

و"لما ظهرت بدعة المعتزلة القائلين بأن أخبار الآحاد تفيد الظن خالفهم أهل السنة، وهم جمهور المسلمين، واستمروا على الأخذ بسنة نبيهم في العقائد، لا يفرقون بينها وبين نصوص القرآن، وتابع عتاة المعتزلة الروافضُ والخوارجُ في القول بأن أخبار الآحاد تفيد الظن، وفي عدم الأخذ بها في العقائد، على أنه من الجائز أن يكون هناك من هذه الفرق أفرادًا وجماعات من يأخذ بأخبار الآحاد في العقائد، ومن ادعى خلاف هذا فعليه أن يأتي بالبراهين على صحة دعواه"[(5)]، فالرازي- مثلًا- يقول: "أما التمسك بخبر الواحد في معرفة الله – تعالى- فغير جائز"[(6)].

وكل ما تقدم من المواقف السلبية تجاه السنة النبوية المطهرة، قد يؤثر في جوهر الاعتقاد، والذي مداره على عليها، والكتاب.

---

(1) انظر: الأم، للإمام الشافعي، (201/7)، الناشر: دار المعرفة- بيروت- لبنان، سنة النشر:1410هـ- 1990م، بدون طبعة.

(2) انظر: المسودة في أصول الفقه، آل تيمية (بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية، وأضاف إليها الأب: عبد الحليم بن تيمية، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص240، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، بدون طبعة. وانظر: العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د/ أحمد بن علي بن سير المباركي، (899/3)، ط(2)1410هـ-1990م، بدون ناشر.

(3) مجموع الفتاوى (351/13). وانظر: حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، عامر بن حسن صبري، ص10، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة- السعودية، بدون طبعة. وانظر: مختصر التحرير شرح الكوكب المنير، لابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي، نزيه حماد، (349/2-350)، ط(2)1418هـ-1997م، مكتبة العبيكان الرياض- السعودية. وانظر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير، أحمد محمد شاكر، ص34، ط(1)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(4) شرح العقيدة الطحاوية ص152. وللمزيد انظر: حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، فرحانة بنت علي شويتة، ص12-61، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة- السعودية، بدون طبعة.

(5) حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، ربيع بن هادي المدخلي، ص76، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة- السعودية، بدون طبعة.

(6) أساس التقديس في علم الكلام ص127.

المطلب الثالث
النظر في علم الكلام

يُعد دخول علم الكلام، والفلسفة والمنطق من أنماط الغزو الفكري الوافد على ديار المسلمين، وذلك في قالب العلم والإبداع، وقد كان له الدور الكبير في التأثير على عقيدة المسلمين، حيث حدا بكثير من المسلمين إلى دراستها، والعكوف عليها علمًا وتعليمًا، فأودى بهم إلى الانحراف عن عقيدة السلف؛ "وكل ذلك لأجل أنهم خاضوا في علم الكلام والفلسفة؛ وتركوا الاعتماد على الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح"[(1)]؛ ولذلك جرت عادة السلف على التحذير من النظر في كتب المتكلمين[(2)]، فهم يعتقدون بأن المسلمين ليسوا بحاجة إلى تلك الوافدات الغربية، والدخيلة على بلاد الإسلام، من علم الكلام، والفلسفة، والمنطق، وغير ذلك، فإن مما لا شك فيه: "أن منهج علم الكلام يقوم على أسس غريبة على المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وأية محاولة للعودة بالمسلمين إلى الإسلام، فلابد أن تكون أولى مسلماته: العودة إلى صفاء العقيدة، وتخليصها مما ران عليها من شوائب علم الكلام والفلسفة"[(3)]؛ ولذلك: كان من الأصول التي امتثل بها السلف، ونادوا بها: "عدم الخوض في علم الكلام، والفلسفة، والاقتصار في بيان وفهم العقيدة على ما في الكتاب والسنة"[(4)]؛ ولما في الاشتغال بها من المفاسد، على عقيدة الإنسان، وسلوكه.

ولقد تضافرت أقوال أئمة المسلمين في التحذير من علم الكلام، قال الامام الشافعي: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال: هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل على الكلام"[(5)].

وقال الإمام أحمد: "لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل"[(6)]، ولقد أصاب الدغل أهل الكلام؛ فإنه لا يكاد يسلم من نظر في الكلام من مشنعاته،

---

(1) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (891/2).
(2) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (201/1)، رقم: (322).
(3) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (57/1).
(4) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (55/1).
(5) مجموع الفتاوى (119/5).
(6) جامع بيان العلم وفضله (942/2)، أثر رقم: (1796).

فانحرفوا عن منهج الاسلام إلى المناهج الكلامية كالاعتزال والأشعرية، وهذا ما لُوحظ في كثير من أهل الكلام ممن كان على مذهب السنة.

قال ابن مسعود ﷺ: "أنذرتكم صعاب المنطق"[1]، فلم يكن الصحابة والتابعون يتكلفون في تعلم ما لا طائل من ورائه، ولا فائدة تُرجى منه، وفي ذلك قول الإمام مالك ﷺ: "لا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل"[2].

وقال الشاطبي: "ومن طِماح النفوس إلى ما لم تكلف به نشأت الفرق كلها أو أكثرها"[3].

"إن علم الكلام وكتبه: كتب المنطق والفلسفة لم تكن في عهد النبي ﷺ حتى يخصها بشيء، إلا أن علم الكلام قد احتوى على مسائل كثيرة وعظيمة، قد حذر النبي ﷺ، وشدد في آحادها، فكيف بها مجتمعة؟ كرد القرآن أو السنة بالرأي، أو ضرب بعضه ببعض، أو التشكيك في حكمه بمتشابهه، أو الكلام في الدين بالرأي، مع ما احتواه علم الكلام من مخالفة لكلام الله ﷻ، وكلام رسوله ﷺ، وهذا كافٍ في معرفة حكم الشارع فيه"[4]، ولقد كان السبب في ذلك أن علم الكلام: "تأثر بالتيار العقلي اليوناني في نهجه العقلي، وكان بذلك فلسفة يرتطم بكل ما يعترض الفلسفة من عقبات، وأضاع بمقدار قربه من الفلسفة ما كان ينبغي له من مكانة، وكان ابتعاده عن النهج القرآني السليم الفطري يثير الكثير من المشاكل التي تفرق المسلمين، وتجعلهم فرقًا، وأشياعًا، متنافرين، متخاصمين، لقد ابتعد علم الكلام على مر الزمن عن القرآن، مقترباً من الفلسفة، حتى إنه ليوشك أن يصير فلسفة عقلية بحتة، ولسان المتكلمين هو لسان أرسطو، هو نمط خفيف، ولكنه من غير شك لسان من ألسنة أرسطو، فالمتكلمون في الإسلام إنما يعبرون عن نزعة بشرية عقلية تقحم نفسها في الوحي بصورة تحاول أن تكون مقنعة، ولكنها مهما حاولت أن تخفى على الناس تُعلم وتظهر وتتضح، ولقد ثار على هذا الاتجاه أئمة المسلمين من السلف الصالح ووقفوا له، وأعلنوا رفضهم لهذا النهج"[5].

فالحق الذي لا مرية فيه: أن علم الكلام مصطنع مما دانت به عقول أهل اليونان وفكرهم، وذلك "عن طريق ترجمة كتب الفلسفة اليونانية، التي فتن بها المعتزلة؛ وكانت سببًا

---

(1) شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، (308/1)، ط(2)1403هـ- 1983م، المكتب الإسلامي- دمشق سوريا، بيروت- لبنان.

(2) جامع بيان العلم وفضله (938/2)، أثر رقم: (1786).

(3) الموافقات (143/2).

(4) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة ص337.

(5) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، ص175، ط(1)1425هـ-2004م، دار ماجد عسيري- جدة- السعودية.

للقول ببدع كثيرة، وسببًا لأنواع الفساد، والاضطراب في المنهج، وفي المقررات التي خرجوا بها في الجانب الفكري والعقائدي...مما تصدى لبيانه ونقضه شيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره ممن يمثلون منهج الأصالة: بالعودة إلى القرآن والسنة[1].

لقد حق للسلف -رضوان الله تعالى عليهم- أن يرفضوا ذلك العلم الدخيل على عقيدتهم، فقد حققوا التوحيد دون وجود علم الكلام، أو الفلسفة والمنطق، "ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله – تعالى-، وعلى إثبات نبوة محمد ﷺ سوى كتاب الله، ولا عرف أحد منهم شيئًا من الطرق الكلامية، ولا مسائل الفلسفة"[2]، فالله ﷻ "أرسل رسله، وأنزل كتبه، وفرض شرائعه، معرضًا عن علم الكلام والفلسفة، فأرسل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس...وكلفهم بالنظر والإيمان، وقبل إيمان من آمن منهم، بأنهم خير أمة أخرجت للناس، وبأنهم هم المؤمنون حقًا، وقضى بقيام الحجة على من كفر منهم، ولم يكن فيهم أثر لعلم الكلام، ولا الفلسفة، ولا أرشدهم الشرع إلى تحصيل ذلك؛ بل حذرهم منه"[3].

ولعل ما ذُكر مسبقًا في هذا المطلب، يُفسر لنا ما قام به عمر بن الخطاب ﷺ من حرق للكتب العجمية[4].

يقول سيد قطب، في معرض كلامه عن المنهج الذي يراه في العقيدة: "ولما كانت هناك جفوة أصيلة بين منهج الفلسفة، ومنهج العقيدة، وبين أسلوب الفلسفة، وأسلوب العقيدة، وبين الحقائق الإيمانية الإسلامية، وتلك المحاولات الصغيرة، المضطربة، المفتعلة، التي تتضمنها الفلسفات، والمباحث اللاهوتية البشرية، فقد بدت "الفلسفة الاسلامية"-كما سميت- نشازًا كاملًا في لحن العقيدة المتناسق، ونشأ من هذه المحاولات تخليط كثير، شاب صفاءَ التصور الإسلامي، وصغر مساحته، وأصابه بالسطحية، ذلك مع التعقيد، والجفاف، والتخليط، مما جعل تلك الفلسفة الإسلامية، ومعها مباحث علم الكلام غريبة غربة كاملة على الإسلام وطبيعته، وحقيقته، ومنهجه، وأسلوبه"[5].

---

(1) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د/ عثمان جمعة ضميرية، د/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، ص213، ط(2) 1417هـ-1996م، مكتبة السوادي للتوزيع.

(2) الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي، عبد المحسن البدر، ص170، ط(1)1424هـ-2003م، دار الفضيلة- الرياض- السعودية.

(3) القائد إلى تصحيح العقائد ص40.

(4) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (377/1).

(5) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ص11-12، ط(15)1432هـ-2002م، دار الشروق-القاهرة- مصر.

إن علم الكلام يمثل سببًا مباشرًا في إفساد العقيدة، وتشتيت المسلمين، وذيوع الفتن[1]، فحرف من آثره على النبع الصافي، والمنهج الأصيل، و"لا ريب عند من عرف المقالات، وأسبابها، أن الذي صار به المتكلمون مذمومين هو: ما شاركوا به هؤلاء المتفلسفة من القياس الفاسد، والتأويل الحائد[2]، وأن أحسن حال المتفلسف أن يكون مثل هؤلاء، فإذا كان هؤلاء قد اتفقت الأئمة، والأمة، وعقلاؤهم متفقون أيضًا، على أنهم فيما قالوا من خلاف مذهب السلف ليسوا أهل برهان؛ بل أهل هذيان"[3].

"وعلى الجملة: فينبغي أن يُعلم أن هذا العلم: الذي هو علم الكلام، غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا"[4].

ولعل من الأهمية القول بأن الحجج النظرية قد تكون مهمة لطلبة العلم؛ لأن "فائدته في آحاد الناس، وطلبة العلم فائدة معتبرة؛ إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها"[5]، فهذا أقل ما يقال إذا سلمنا بما قاله ابن خلدون.

وما أجمل ما قاله سيد قطب، في معرض بيانه لموقع الفلسفة من الإسلام، وموقفنا منها، حيث قال: "وأنا على يقين جازم بأن "التصور الإسلامي" لن يخلص من التشويه، والانحراف، والمسخ، إلا حين نُلقي عنه جملة بكل ما أطلق عليه اسم الفلسفة الاسلامية، وبكل مباحث علم الكلام، وبكل ما ثار من الجدل بين الفرق الإسلامية المختلفة في شتى العصور أيضًا، ثم نعود إلى القرآن الكريم، نستمد منه – مباشرة– خصائص التصور الإسلامي، مع بيان خصائصه التي تفرده من بين سائر التصورات"[6].

والفلاح كل الفلاح في لزوم ما قاله قطب، وما دون ذلك من علم الكلام، والفلسفة، والمنطق، فإنها لا تجني إلا الخراب والدمار.

---

(1) انظر: تحريم النظر في علم الكلام، لابن قدامة المقدسي ص17.

(2) يُراد به المعنى الثالث للتأويل، وهو معنًى حادث، من اصطلاحات المتأخرين، والتي منها: "صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح؛ لدليل يقترن به، وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات، وترك تأويلها". الرسالة التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لابن تيمية، تحقيق: د/ محمد بن عودة السعوي، ص91، ط(6)1421هـ–2000م، مكتبة العبيكان– الرياض– السعودية. وقال فيه: "كان السلف ينكرون التأويلات التي تخرج الكلام عن مراد الله ورسوله، التي هي من نوع تحريف الكلم عن مواضعه". الصفدية (291/1).

(3) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (95/2).

(4) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، لابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، (591/1)، ط(2)1408هـ–1988م، دار الفكر– بيروت– لبنان.

(5) تاريخ ابن خلدون (591/1).

(6) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ص12.

المطلب الرابع

الخطأ في تقدير منزلة العقل من العقيدة الاسلامية

تنوعت مصادر الاستدلال على العقيدة عند السلف، فهي لم تكن قاصرة على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة؛ بل تعدت ذلك إلى مصادر أخرى، لا تتعارض مع ذلك المنبعين الأساسيين، ولقد ضل المتكلمون في مصادر الاستدلال على العقيدة، وتباينوا مع السلف في تحديدها، فأوقعهم ذلك في الانحراف، ومجانبة الصواب، لا سيما في تعيين مجال العقل من العقيدة، ومنزلته منها، وذلك يشمل كل من تابع المتكلمين في ذلك، أو أعطى العقل فوق طاقته، وقدراته، وجعله حاكمًا على مسائل الاعتقاد.

لقد أنصف السلف مسالك الاعتقاد، وعرفوا مظانه، ومواضعه، فكان وضوح الاعتقاد من وضوح الطريق، "فالسلف لهم منهج خاص في استقاء العقيدة؛ ولذلك تعد أنواع أدلة علم التوحيد المرضية مهمة جدا؛ وذلك لأن علم التوحيد أوثق العلوم الشرعية دليلًا؛ وأصرحها برهانًا؛ وأظهرها بيانًا، تقوم دعائم دلائله على صحائح المنقول، والإجماع الصحيح المتلقى بالقبول، ثم صرائح وبراهين المعقول، والفطرة المستقيمة السالمة من الانحراف، وهذه إشارة إلى أنواع هذه الأدلة التي يؤيد بعضها بعضًا، وهي: النقل الصحيح، الإجماع، العقل الصريح، الفطرة السوية"[(1)].

لقد ساهم العقل الصريح عند السلف في تعزيز العقيدة، وتثبيتها، والاستئناس به على صدقها، فهو لا يستدل به الاعتقاد ابتداءً، ولكنه يعد مدعمًا للاعتقاد المُستقى من الكتاب والسنة، ومثبتًا له، فإن أصول الاعتقاد عند السلف قامت على ثلاثة أصول، وهذه الأصول مسائل غيبية، لا يستطيع العقل أن يدرك كنهها، أو تفاصيلها، "فالأصل الأول: يتضمن إثبات الصفات، والتوحيد، والقدر، وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه، وهي: القصص التي قصها على عباده، والأمثال التي ضربها لهم، والأصل الثاني: يتضمن تفصيل الشرائع، والأمر، والنهي، والإباحة، وبيان ما يحبه الله وما يكرهه، والأصل الثالث: يتضمن الإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار، والثواب والعقاب، وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق، والأمر، والسعادة، والفلاح، موقوفة عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل؛ فإن العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها، ومعرفة

---

(1) انظر: علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة المبادئ والمقدمات، د/ أبو عبد الله محمد يسري، ص133-146، بدون طبعة أو ناشر. وانظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة (49/1-218). وانظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، د/ ناصر بن عبد الكريم العقل، ص23، ط(1)1412هـ، دار الوطن للنشر- الرياض- السعودية.

حقائقها، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة، كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الطب، ومن يداويه، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه"[1].

فلا يستطيع العقل أن يتفرد بإثبات مسائل العقيدة، ولكن المسألة العقدية إذا ثبتت في القرآن، أو السنة الصحيحة كان العقل مبادرًا إلى القبول والانقياد، وهكذا بنى السلف عقيدتهم على الإتباع والانقياد، مع تضافر مصادر الاستلال وتآلفها، "وهذا مقرر عند أهل السنة والجماعة، بالكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، ومن جاء بعدهم من الأئمة، وهذا ما يسميه المبتدعة تقليدًا، ويعيبون أهل السنة به؛ لجعلهم الوحيين مصدرًا للعقيدة، دون تحكيم العقل فيها، وأمور الغيب عامة، لا يمكن إدراكها بالعقل قط؛ بل إن غاية إدراك العقل لما غاب عن الإنسان من أمور الدنيا، أو شيء منها، ظني لا يفيد العلم، ولا حتى العلم المقارب، فكيف بما غاب عنه من أمور الآخرة ونحوها؟ فلا يحكم العقل في ذلك، أو يصحح حكمه فيها، إلا ناقص عقل، أو من لا عقل له، ولو كان في العقول كفاية، أو نوع كفاية، لما كان الخلق في حاجة للرسل، ولما أرسل الله – سبحانه– رسله إلى عباده"[2]، "فلا تثبت العقيدة، ولا سائر الأحكام الشرعية، إلا بأدلة الكتاب والسنة، وبالأدلة العقلية المسلمة"[3].

إن العقل الذي يعطيه السلف تلك المكانة هو العقل الصريح، "والعقل الصريح: هو الخالي من الشبهات والشهوات"[4]، وهو يمنع من الاستدلال بغير الكتاب والسنة[5].

لقد حقق السلف للعقل قدرَه، فحقق لهم صدق مواقفهم، وعقيدتهم، فالعقل الصريح مصدق للنصوص، غير متعارض معها؛ بل إنه محب لها، ومدعم لصدقها، يقول ابن تيمية: "العقل الصريح موافق ما أخبر به الرسول ﷺ، لا يناقضه، فالعقل الصريح لا يخالف النقل؛ بل هو يوافقه، ويعاضده، ويؤيده"[6]، وقال: "من تبحر في المعقولات، وميز بين البينات والشبهات، تبين له أن العقل الصريح أعظم الأشياء موافقة لما جاء به الرسول ﷺ، وكلما عظمت بمعرفة الرجل بذلك، عظمت موافقة الرسول ﷺ"[7].

---

(1) مجموع الفتاوى (96/19).

(2) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة ص332- 333.

(3) شرح الأصول الثلاثة، صالح بن فوزان الفوزان، ص95، ط(1)1427هـ-2006م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

(4) مصطلحات في كتب العقائد، محمد بن إبراهيم الحمد، ص131، ط(1)، درا بن خزيمة، الرياض-السعودية.

(5) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ص34.

(6) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (535/8).

(7) درء تعارض العقل والنقل (314/5).

فكل ما ثبت من مسائل العقيدة في الكتاب والسنة، يصدقها العقل الكامل الصحيح، الذي يُستخدم بدقة وإمعان؛ لأن العقل الصريح في دلالته على المراد، لا يمكن أن يخالف المنقول الصحيح الثابت؛ لأن العقل والنقل وسيلتان لغاية واحدة، هي الوصول إلى الله، والوسائل التي تؤدي إلى غاية واحدة لا يمكن لها أن تتعارض[1]، فثبت أن ما جاء في الكتاب والسنة موافق لفطرة الخلائق، وما جعل فيهم من العقول الصريحة، والقصود الصحيحة، لا يخالف العقل الصريح، ولا القصد الصحيح، ولا الفطرة المستقيمة، وهي حق كلها، يصدق بعضها بعضًا، لا تنافر بينها، ولا تكذيب[2].

أما المتكلمون فقد كان موقفهم من العقل مغايرًا لما عليه سلف الأمة وصلاحها؛ ولذلك يمكن أن نجمل أبرز مواطن المغايرة والانحراف في منزلة العقل عند المتكلمين من خلال ما يلي:

أولًا: يرى المتكلمون أن الناس سواسية في عقولهم، وهذا القول يلزم منه تباين العقول في نظرتها للعقيدة، وعدم التمييز بين العقل الصريح الذي يدعم الاعتقاد، وبين العقل القاصر، أو العقل المليء بالشبهات والشهوات، فإذا كان ذلك كذلك فسوف يضل موقف العقل من الاعتقاد، وعلاقته به، فقد عرف الباجي[3] العقل بقوله: "العلم الضروري الذي يقع ابتداءً، ويعم العقلاء"[4]، وهو بذلك يشير إلى تساوي الناس في عقولهم، وهو الذي ذهب إليه المعتزلة، والأشاعرة، وابن عقيل من الحنابلة، وحجتهم في ذلك: أن العقل حجة عامة يرجع إليها الناس عند اختلافهم، ولو تفاوتت العقول ما حصل مثل ذلك، والصواب: أن العقل يتفاوت من إنسان لآخر[5]، وبذلك جزم

(**1**) مجمل اعتقاد أئمة السلف ص157. وانظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص195. وانظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد ملكاوي، ص28، ط(1)1405هـ-1985م، مكتبة دار الزمان- المدينة المنورة- السعودية. وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (37/1).

(**2**) انظر: الرسالة العرشية، لابن تيمية، ص35، ط(1)1399هـ، المطبعة السلفية- القاهرة- مصر.

(**3**) الباجي من المتأثرين بالأشعرية، وسيأتي الحديث عنه في المبحث الثاني من الفصل الثالث – بعون الله –.

(**4**) الحدود، أبو الوليد الباجي، تحقيق: نزيه حماد، ص31، ط(1)1392هـ-1973م، مؤسسة الزغبي للطباعة والنشر- حمص وبيروت.

(**5**) انظر: مختصر التحرير شرح الكوكب المنير(85/1-86). وانظر: المسودة في أصول الفقه ص560. وانظر: طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، تحقيق: محمد حامد الفقي، (26/2)، دار المعرفة – بيروت- لبنان، بدون طبعة.

أبو محمد البربهاري، والقاضي أبو يعلى[1]، وأبو الحسن التميمي[2] من الحنابلة، وغيرهم[3]؛ بل قد يحصل هذا التفاوت في الشخص الواحد[4]، قال الشاطبي: "فالإنسان وإن زعم في الأمر أنه أدركه وقتله علمًا- لا يأتي عليه الزمان إلا وقد عقل فيه ما لم يكن عقل، وأدرك من علمه ما لم يكن أدرك قبل ذلك، كل أحد يشاهد ذلك من نفسه عيانًا"[5].

ثانيًا: غالى المتكلمون في تعظيم منزلة العقل من الاعتقاد، فـــ"إن من أبرز الدلائل على غلو المتكلمين في نظرتهم للعقل، وقلة تعظيمهم للشرع: أنهم لا يجدون حرجًا في رد أي نص شرعي، يخرج عن قواعدهم العقلية، التي وضعوها لأنفسهم، وجعلوا منها حاكمًا على شرع الله، فيثبتون ويقبلون ما وافقها، ويردون وينكرون ما خالفها...وقد بنوا تقديمهم للعقل على الشرع: أن العقل هو الذي دل على صحة الشرع، وذلك بمعرفة الله وصدق الرسول ﷺ، فلو تقدم النقل على العقل، لكان في ذلك تقديم للفرع على الأصل، ولكان فيه إبطال للأصل، وإذا بطل الأصل الدال على الفرع، بطل بالتالي الفرع المترتب عليه، قد ذكر هذا المعنى كثير من أهل الكلام بعبارات متنوعة وأساليب مختلفة[6].

فمن ذلك: قول الفخر الرازي: "والقول بترجيح الظواهر النقلية على القواطع العقلية محال؛ لأن النقل فرع على العقل، فالقدح في الأصل لتصحيح الفرع يوجب القدح في الأصل والفرع معًا، وهو باطل، فلم يبقَ إلا الإقرار بمقتضى الدلائل العقلية القطعية، وحمل الظواهر النقلية إما على التأويل، وإما على تفويض علمها إلى الله ﷻ، وهو الحق"[7].

---

(1) هو: المعلى بن منصور الرازي، أبو يعلى، من رجال الحديث، المصنفين فيه، ثقة نبيل، من أصحاب أبى يوسف، ومحمد بن الحسن، صاحبي أبى حنيفة، طُلب للقضاء غير مرة فأبى، من كتبه: النوادر، والأمالي، كلاهما في الفقه، توفي سنة: (211هــ). انظر: الأعلام (271/7).

(2) هو: عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث، أبو الحسن التميمي، فقيه حنبلي، له إطلاع على مسائل الخلاف، صنف كتبًا في الأصول والفرائض، توفي سنة: (371هــ). انظر: الأعلام (16/4).

(3) انظر: المسودة في أصول الفقه ص560. وانظر: العدة في أصول الفقه (94/1).

(4) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة (161/1).

(5) الاعتصام، للشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ص835-836، ط(1)1412هــ-1992م، دار ابن عفان- السعودية.

(6) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، عرضًا ونقدًا (340/1).

(7) معالم أصول الدين، للفخر الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ص48، دار الكتاب العربي – بيروت- لبنان، بدون طبعة.

ويمكن أن نستدل على تلبس المتكلمين بما ذهبوا إليه، وانحرفوا عنه بمثالين:

الأول: ذكر القاضي عبد الجبار في معرض حديثه عن صفة الاستواء فقال: "إن الاستدلال بالسمع على هذه المسألة غير ممكن؛ لأن صحة السمع موقوفة عليها؛ لأنَّا ما لم نعلم القديم –تعالى– عدلًا، حكيمًا، لا نعلم صحة السمع، وما لم نعلم أنه غني لا تجوز عليه الحاجة، لا نعلمه عدلًا، وما لم نعلم أنه ليس بجسم، لا نعلمه غنيًا، فكيف يمكن الاستدلال بالسمع على هذه المسألة، وهل هذه إلا استدلال بالفرع على الأصل؟"[(1)].

الثاني: ذهب النظّام[(2)] إلى أن حجة العقل قد تنسخ الأخبار[(3)].

قال الباحث: وهل هذا إلا انحراف عن المنهج السوي، الذي ارتضاه الله ﷻ لعباده، وأمرهم أن يدينوا له به؟ وهل هذا إلا تنقيص من شأن العقل؟ فمن أراد أن يقدر العقل قدره، فليعطهِ منزلته التي خلقه الله ﷻ عليها، فإن تقدير العقل لا يعني إعطاؤه منزلة فوق منزلته، أو طاقه فوق طاقته، كما يفعل المتكلمون.

ثالثًا: الاكتفاء بالعقل في الاستدلال على العقيدة: وقد تسبب هذا في وقوعهم في الانحراف الفكري والعقدي، فالاعتداد بالعقول سمة المتكلمين، وهذا عين مجانية الصواب، فــــ "لو كانت كافية لما ضلت اليونان، وهم أهل العقل وعلومه؛ بل إن ضلال اليونانيين في هذه الأبواب أعظم من ضلال غيرهم؛ لهذا تجد أن جميع أهل الملل والنحل –باختلافها– أقرب إلى الهداية، وأكثر طلبًا لها من اليونانيين: فلاسفة ومناطقة"[(4)].

ومن طالع تراجم المتكلمين لم يجد أحدًا منهم يسلم من طامة أو بلية؛ بل هم في ذلك بين مكثر ومقل، –عياذًا بالله–، ومن لم يشفهِ الوحي في معرفة أصول الدين، فلا شفاه الله، ومن لم يعرفْه به فكيف وبم يعرفه؟[(5)].

إذن، العقل عند أهل السنة له قيمته، ومنزلته، وله مكانه في الاعتقاد، دون أن يستقل بذلك، أو يتعالى عليه، والخطأ في هذا الفهم قد جرَّ المتكلمين إلى لوازم لا تُحمد عاقبتها.

---

(1) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد ص226.

(2) هو: إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظّام، من أئمة المعتزلة، متعمق في دراسة الفلسفة، وإليه تنتسب الفرقة النظامية، توفي سنة: (231هـ). انظر: الأعلام (43/1).

(3) تأويل مختلف الحديث ص94.

(4) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة ص333.

(5) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة ص333-334.

المطلب الخامس
متابعة ولاة الأمور

لقد ساعد وجود الأمراء والحكام كثيرًا في التأثير على المذاهب العقدية للناس، وجذبهم نحو علم الكلام، فقد شغل المعتزلة والأشاعرة حيزًا كبيرًا من كراسي الحكم، سعوا من خلالها إلى فرض مذاهبهم على الناس بالقوة، أو على الأقل: تسخير الحكام لخدمة مذاهبهم، والعمل على نشرها، فابتلي المحكومون بما عليه حكامهم من الاعتقاد.

ففي العصر العباسي الأول، الذي يمتد قرنًا من الزمان، منذ بداية تأسيس الدولة في عام: (132هـ) إلى عام: (232هـ)[1]، كان آخره من الولاة: أبو جعفر عبد الله المأمون، الذي ولي في الفترة: (198-218هـ)، ثم أبو إسحاق المعتصم[2]، الذي ولي في الفترة: (218-227هـ)، وانتهت بأبي جعفر هارون الواثق[3]، الذي ولي في الفترة: (227-232هـ)، ففرضوا الاعتزال، والقول بخلق القرآن على الناس، ابتداءً من سنة (212هـ)[4]، بقيادة المأمون، الذي "كان على مذهب الاعتزال؛ لأنه اجتمع بجماعة، منهم: بشر بن غياث

---

(1) انظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، أحمد شوقي ضيف، ص14، دار المعارف- الرياض- السعودية، بدون طبعة.

(2) هو: محمد ابن الرشيد هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي المعتصم، الخليفة، باني مدينة سامراء، سنة: (221هـ)، توفي سنة: (227). انظر: سير أعلام النبلاء (290/10-306)، ترجمة رقم: (73).

(3) هو: هارون الواثق ابن محمد (المعتصم بالله) ابن هارون الرشيد العباسي، أبو جعفر، من خلفاء الدولة العباسية بالعراق، ولد ببغداد، وكان كريمًا عارفًا بالآداب والأنساب، توفي سنة: (232هـ). انظر: الأعلام (62/8-63). وللمزيد عن هؤلاء الخلفاء يُنظر: تاريخ الخلفاء، للسيوطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، ص225-252، ط(1)1425هـ-2004م، مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة- السعودية.

(4) انظر: دول الإسلام، للإمام الذهبي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، (130/1)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.

المَرِيْسي[1]، فخدعوه، وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل، وكان يحب العلم، ولم يكن له بصيرة نافذة فيه؛ فدخل عليه بسبب ذلك الداخل؛ وراج عنده الباطل؛ ودعا إليه؛ وحمل الناس عليه قهرًا"[2].

فكان المأمون، وأخوه المعتصم، وابنه الواثق على نهج واحد من فرض الاعتزال، والنيل من أصحاب الحديث[3]، فإنهم أساءوا إلى أهل السنة، وقربوا أهل البدع والضلال: من المعتزلة وغيرهم[4]، "وأعظم ما كانت المحنة: زمن المأمون، والمعتصم، فتورع عن مجادلتهم أحمد بن حنبل، فموهوا بذلك على الملوك وقالوا: إنهم يعنون أهل السنة، يفرون من المناظرة؛ لما يعلمون من ضعفهم على نصرة الباطل؛ وأنه لا حجة بأيديهم، وشنعوا بذلك عليهم، حتى امتحن في زمانهم أحمد بن حنبل، وغيره، حتى أخذ الناس حينئذ بالقول بخلق القرآن، حتى ما كان تقبل شهادة شاهد، ولا يستقضي قاضٍ، ولا يفتي مفتٍ إلا يقول بخلق القرآن"[5].

فهذه الدعوة الباطلة انتشرت في ذلك الزمان؛ لأنها وجدت مناصرة وتأييدًا من بعض الحكام، وممن ينتسب لأهل العلم[6].

وينتهي العصر العباسي الأول، فيبدأ العصر الثاني، الذي يمتد في الفترة: (232هـ-590هـ)[7]، فتنتهي محنة أهل السنة معه، حيث قيض الله ﷻ المتوكل للخلافة، فقد ولي في الفترة: (232-247هـ)[8]، فـــــ"لما تولى المتوكل الخلافة عام: (232هـ) انتصر

---

(1) هو: بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المَرِيسي، العدوي بالولاء، أبو عبد الرحمن، فقيه معتزلي، عارف بالفلسفة، يُرمى بالزندقة، وهو رأس الطائفة (المَرِيسية) القائلة بالإرجاء، وإليه نسبتها، توفي سنة: (218هـ). انظر: وفيات الأعيان (277/1-278)، ط:1900م.

(2) البداية والنهاية (275/10). وانظر: حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي، (145/1)، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية، بدون طبعة.

(3) انظر: المعارف، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، ص52، ط(2)1992م، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- مصر.

(4) البداية والنهاية (306/10).

(5) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عفيف الدين عبد الله اليافعي، وضع حواشيه: خليل المنصور، (227/2)، ط(1)1417هـ-1997م، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان.

(6) الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده، عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، ص182، ط(3)1424هـ-2004م، دار التدمرية الرياض- السعودية.

(7) انظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ص14.

(8) انظر ترجمته: تاريخ الخلفاء ص252-259.

لأهل السنة، وأكرم الإمام أحمد، وأنهى عهد سيطرة المعتزلة على الحكم، ومحاولة فرض عقائدهم بالقوة خلال أربعة عشر عاماً"[1].

قال عنه ابن كثير: "كان من خيار الخلفاء؛ لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة...وقد كان المتوكل يكرم الإمام أحمد بن حنبل إكرامًا زائدًا جدًا"[2].

إذن، كان للمعتزلة صولات وجولات في الحكم، والسياسة، فمن خلالها: نصروا مذهب الاعتزال، وحطوا على أهل السنة، وعقيدتهم.

ومن ذلك أيضًا: أن إدريس بن إدريس[3] حكم بلاد المغرب الأقصى[4]، وهو ابن الحادية عشرة من عمره، وذلك بعد وفاة أبيه، أي: في سنة: (188هـ)، إلى أن توفي، وهو يمثل ثاني ملوك الأدارسة في تلك البلاد[5]، وكان يدين بمذهب المعتزلة، فنصره على خصومه السلف[6].

---

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (65/1-66).

(2) البداية والنهاية (306/10).

(3) هو: إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى، أبو القاسم، ثاني ملوك الأدارسة في المغرب الأقصى، وباني مدينة فاس، ولد في وَلِيلَي بالمغرب، بالقرب طنجة، توفي سنة: (213هـ). انظر: الأعلام (278/1).

(4) "المغرب الأقصى": أعظم جهات المغرب، وهي: المنطقة الواسعة شمال أفريقيا، وتشمل: ليبيا، وتونس، والجزائر، ومرَّاكُش. انظر: معجم البلدان (161/5). وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق، الحنبلي، (1293/3)، ط(1)1412هـ، دار الجيل، بيروت- لبنان. وانظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار(184/5-185). أما "المغرب الأوسط": فهو ذو مدن كثيرة، أبرزها: الأندلس، وتِلمسان. انظر: الاستبصار في عجائب الأمصار، كاتب مرَّاكُشي (ت: ق6هـ)، ص176، الناشر: دار الشؤون الثقافية- بغداد- العراق، عام: 1986م، بدون طبعة. وانظر: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، عمر بن المظفر بن الوردي الحلبي، تحقيق: أنور محمود زناتي، ص59، ط(1)1428هـ-2008م، مكتبة الثقافة الإسلامية- القاهرة- مصر.

(5) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (219/1-227). وانظر: الأعلام (278/1).

(6) انظر: عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام، د/ يحيى هاشم فرغل، ص102، مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية، 1392هـ. وانظر: البلدان، لابن الفقيه، تحقيق: يوسف الهادي، ص136، ط(1)1416هـ-1996م، عالم الكتب- بيروت- لبنان.

ومثال آخر على ذلك: ففي عهد دولة بني بُوَيْه عام: (334هـ)[1] توطدت العلاقة بين الشيعة والمعتزلة، وأصبحت علاقة متينة، فارتفع شأن الاعتزال أكثر مما مضى في ظل هذه الدولة، فقد عُيّن القاضي عبد الجبار رأس المعتزلة وزعيمهم في عصره قاضيًا لقضاء الرَّي[2]، عام: (360هـ) [3]، بأمر من الصاحب بن عبَّاد[4]، وهي تعد "أجمع البلاد للمقالات والاختلافات في المذاهب، على تضادها وكثرتها"[5]، وقد كان الصاحب وزير مؤيد الدولة البُوَيْهِي، وهو من الروافض المعتزلة، قال فيه الإمام الذهبي: "وكان شيعيًّا معتزليًّا مبتدعًا"[6]، حتى إنه: "لما توفي قال عبد الجبار: لا أرى الترحم عليه، لأنه مات عن غير توبة ظهرت منه، فنسب عبد الجبار إلى قلة الوفاء"[7].

---

(1) "الدولة البُوَيْهِيَّة (334هـ إلى477هـ)": قامت الدولة البويهية (الدَّيْلَمِيَّة) في القرن الرابع الهجري، وسيطرت على الدولة العباسية، أسسها أبو شجاع بويه، وأولاده الثلاثة: عماد الدولة، وركن الدولة، ومعزّ الدولة، حكمت في أصفهان، وشيراز، وكرمان، وبغداد. قضت عليها الدولة السلجوقية، وفيها: ارتفع شأن المذاهب الضالة. انظر: رسائل المقريزي، للمقريزي، ص76، ط(1)1419هـ، دار الحديث- القاهرة- مصر. وانظر: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، لابن الطقطقي، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، ص38، ط(1)1418هـ-1997م، دار القلم العربي، بيروت- لبنان. وانظر: سير أعلام النبلاء (334/13). وانظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري، (163/26)، ط(1)1423هـ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة- مصر. وانظر: تاريخ ابن خلدون (369/1)، (551/4).

(2) "الرَّي": مدينة مشهورة تقع بين جُرْجَان، وطَبَرِسْتَان في منطقة الجبل، وهي اليوم: شمال إيران، جنوب شرق طهران، وجنوب بحر قزوين، فتحت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، سنة ثلاث وعشرين. انظر: معجم البلدان (116/3-123)، وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص278-279. وانظر: البلدان، لليعقوبي، ص89-90، ط(1)1422هـ، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(3) انظر: الكامل في التاريخ، أبو الحسن لابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (470/7)، ط(1)1417هـ-1997م، دار الكتاب العربي- بيروت – لبنان.

(4) هو: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر، علمًا، وفضلًا، وتدبيرًا، وجودة رأي، من مصنفاته: المحيط، الوزراء، الإقناع في العروض وتخريج القوافي، توفي بالري، سنة: (385هـ). انظر: الأعلام (316/1).

(5) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد أبو البركات، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ص236، ط(3)1405هـ-1985م، مكتبة المنار- الزرقاء- الأردن.

(6) سير أعلام النبلاء (512/16)، ترجمة رقم: (377).

(7) الكامل في التاريخ (470/7).

وفي ظلال تلك الدولة الآثمة: صار لأصحاب المقالات حظ وافر من البسط والسيطرة، حيث فشا مذهب الاعتزال، في العراق، وخُرَاسَان[1]، وما وراء النهر، وكل ذلك على حساب مذهب السلف، حيث استبدوا بدولة الإسلام، وحجروا الخلافة[2].

وكما فعل المعتزلة في جبر الناس على المذهب فعل الأشاعرة، حيث فرضوا أفكارهم بالقوة والعنف، وساعدتهم السلطة على ذلك.

فقد كان المغاربة على مذهب السلف زمن دولة المرابطين (451-541هـ)، فلما أظهر محمد بن تُومَرت[3] دعوته، كفّر مخالفيه من المغاربة، واتهمهم بالتشبيه والتجسيم، واستباح دماءهم وأموالهم، ودخل في حروب طاحنة مع المرابطين، وأدخل المغرب الإسلامي في فتنة دامية، وفرض الأشعرية على الرعية في كافة العقائد، وعندما توفي واصل أتباعه دعوته، وارتكبوا مجازر رهيبة في حق المرابطين، عندما دخلوا مدينة مَرَّاكُش[4] سنة: (541هـ)، ويُروى إنهم قتلوا منهم سبعين ألف شخص[5]، "وابن تومرت في ذلك كله لون واحد من الزهد، والتقلّل، والعبادة، وإقامة السنن والشعائر، لولا ما أفسد القضية بالقول بنفي الصفات كالمعتزلة،

---

(1) "خُرَاسَان": كلمة مركبة من "خُور" أي: شمس، و"أسان" أي: مشرق، بلاد واسعة، أول حدودها ممّا يلي العراق، كانت مقاطعة كبيرة من الدولة الإسلامية، تتقاسمها اليوم إيران الشرقية "نَيْسَابور"، وأفغانستان الشمالية (هَرَاة وبَلْخ)، ومقاطعة تُرْكُمَانِسْتَان السوفيتية (مَرْو)، فُتحت في خلافة عثمان ﷺ صلحًا، على يد عبد الله بن عامر ﷺ، سنة: ثلاثين. انظر: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد بن محمد شُرَّاب، ص108، ط(1)1411هـ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق- سوريا، بيروت- لبنان. وانظر: معجم البلدان (350/2-354). وانظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (7/5).

(2) انظر: نظرية الخلافة، السلفية، الثورة، الفرق الإسلامية "مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية والإسلامية"، محمد عمارة، ص365، ط(1)1986م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- لبنان. وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (66/1). وانظر: تاريخ ابن خلدون (369/1)، (551/4).

(3) هو: محمد بن عبد الله بن تُومَرت المصمودي البربري، أبو عبد الله، المتلقب بالمهدي، ويقال له: مهدي الموحدين: صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب، وواضع أسس الدولة المؤمنية الكومية، توفي سنة: (524هـ). انظر: الأعلام (228/6).

(4) "مَرَّاكُش": أعظم مدينة بالمغرب، وأجلّها، وبها سرير ملوكه، في وسط بلاد البربر، بينها وبين البحر عشرة أيام، ومعنى مرَّاكُش بالبربرية: أسرع المشي؛ لأنها كانت موضع مخافة، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملثمين الملقب بأمير المسلمين في حدود سنة: (470هـ). معجم البلدان (94/5). مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (1251/3).

(5) انظر: سير أعلام النبلاء (548/19-552). وانظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (196/1-197)، (80/2-97). وانظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، عبد الواحد بن علي المرَّاكُشي، تحقيق: د/ صلاح الدين الهواري، ص139، ط(1)1426هـ-2006م، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- لبنان.

وبأنه المهدي، وبتسرعه في الدماء، وكان ربما كاشف أصحابه، ووعدهم بأمور فتوافق، فيفتتون به"[1].

وقد وصف ابن القيم ابنَ تومرت وأفعاله بقوله: "رجل كذاب، ظالم، متغلب بالباطل، ملك بالظلم، والتغلب، والتحيل، فقتل النفوس، وأباح حريم المسلمين، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وكان شرًا على الملة من الحجاج بن يوسف[2] بكثير، وكان يودع بطن الأرض في القبور جماعة من أصحابه أحياء، يأمرهم أن يقولوا للناس إنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ، ثم يردم عليهم ليلًا؛ لئلا يكذبوه بعد ذلك، وسَمَّى أصحابه الجهمية: الموحدين[3]، وكان يبطن شيئًا من التشيع، غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيء"[4].

يظهر من خلال هذا الكلام التأثير الواضح الذي لعبه ابن تومرت في فرض المذهب الأشعري، على بلاد المغرب؛ لأن أهل المغرب كانوا على طريقة السلف، ينافرون الكلام وأهله[5]، يعلّمون العامة أن اللازم لهم أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولكن ابن تومرت كفرهم بجهلهم العرض والجوهر[6]، وأن من لا يعرف ذلك لا يعرف المخلوق، ولم يعرف الخالق، وأن من لم يهاجر إليه، ولم يقاتل المرابطين معه، فهو كافر، حلال الدّم والحريم[7].

---

(1) العبر في خبر من غبر، للذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (423/2)، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، بدون طبعة.

(2) هو: الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد، داهية، سفاك، خطيب، ولد ونشأ في الطائف، وباني مدينة واسط بالعراق، وكان سفاكًا سفاحًا، باتفاق معظم المؤرخين، توفي سنة: (95هـ). انظر: الأعلام (168/2).

(3) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ص153، ط(1)1390هـ–1970م، مكتبة المطبوعات الإسلامية– حلب– سوريا.

(4) المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ص141.

(5) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (119/6).

(6) هذه الألفاظ من الألفاظ التي أحدثها المتكلمون في دين الله، تأثرًا بالفلاسفة، وهي من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقًا وباطلًا. انظر: الصفدية (125/1). وانظر: تنبيه ذوي الألباب السليمة عن والوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الخثعمي التبالي العسيري النجدي، ص7، دار العاصمة – الرياض– السعودية، بدون طبعة.

ويقصدون بالجوهر: "ما ليس في محل". معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد الغزالي، تحقيق: د/ سليمان دنيا، ص314، الناشر: دار المعارف– مصر، عام النشر: 1961م، بدون طبعة.

ويقصدون بالعرض: "الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع، أي محل، يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به". التعريفات ص148.

(7) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (117/36) بتصرف، وهو من كلام اليَسَع بن حزم. وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (645/2).

ثم مات ابن تُومَرت فخلفه عبد المؤمن بن عليّ القيسيّ[1]، وتلقب بأمير المؤمنين، وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعد مدة سنين، وتسموا بالموحدين؛ فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت؛ إذ هو عندهم الإمام المعلوم، المهدي المعصوم، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق، لا يحصيها إلا الله خالقها ﷻ...فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعري، وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نسي غيره من المذاهب، وجهل حتى لم يبقَ اليوم مذهب يخالفه، إلا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ﷺ، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف"[2].

وعلى أسس العقيدة التي فرضها تُومَرت جاء نور الدين محمود زنكي[3]، وتبنى المذهب الأشعري، كمذهب رسمي للدولة، وعمل على نشره[4]، حيث عمّ المذهبُ ديار مصر، وبلاد الشام، وأرض الحجاز، واليمن، وبلاد المغرب، وكل من يخالف المذهب الأشعري يضرب عنقه، في حين لم يكن في الدولة الأيوبية بمصر كثير ذكر لمذهب أبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، ولكنهما اشتهرا في آخرها[5].

ومن اللفتات البارزة في هذا الصدد: أن الفخر الرازي قد ألف كتابه المشهور: "أساس التقديس" للملك العادل: محمد بن أيوب[6][7]، علمًا بأن شيخ الإسلام ابن تيمية نقض هذا الكتاب، من خلال كتابه الموسوم: نقض التأسيس.

---

(1) هو: عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي، سلطان المغرب، الذي يلقب بأمير المؤمنين، الكومي، مولده: بأعمال تلمسان، توفي سنة: (458هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (20/ 366-375)، ترجمة رقم: (254).

(2) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (192/4).

(3) هو: محمود بن زنكى (عماد الدين) ابن أقسنقر، أبو القاسم، نور الدين، الملقب بالملك العادل، ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم، توفي سنة: (569هـ). انظر: الأعلام (170/7).

(4) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (92/1). وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (499/2). وانظر: مقالة التعطيل والجعد بن درهم، محمد بن خليفة التميمي، ص100، ط(1)1418هـ-1997م، أضواء السلف- الرياض- السعودية.

(5) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(167/1) بتصرف.

(6) هو: محمد بن أيوب بن شاذي، أبو بكر، سيف الإسلام، الملقب بالملك العادل، أخو السلطان صلاح الدين، وهو من كبار سلاطين الدولة الأيوبية، توفي سنة: (615هـ). انظر: الأعلام (47/6).

(7) انظر: أساس التقديس في علم الكلام ص13-14. وانظر: سير أعلام النبلاء (120/22).

وفي سنة: (455هـ- إلى 485هـ) انتشر المذهب الأشعري على عهد وزارة نظام الملك، الذي كان أشعري العقيدة، وصاحب الكلمة النافذة في الإمبراطورية السَّلجوقية[1]، فقد تولى الوزارة لسلاطين السَّلاجقة، فتولى الوزارة: لألب أرسلان[2] وملكشاه[3] مدة ثلاثين سنة، وفي عهده أُنشأت المدارس النَّظَّامية؛ نسبة إليه، وذلك في عدة مدن منها: البصرة وأصفهان[4]، وبَلْخ[5]، وهَرَاة، ومَرْو[1]، والمُوصل[2]، وأهمها وأكبرها: المدرسة النَّظَّامية التي أنشأت في

(1) "الدولة السَّلجوقية (429هـ إلى 522هـ)": قامت في بغداد، وهي نسبة إلى السلاجقة، من أسرة تركمانية، جدّها سَلجوق، كانوا يسكنون بلاد ما وراء النهر، في مكان قريب من بخارى، وإليهم يرجع الفضل في تجديد قوة الإسلام، وإعادة تكوين وحدته السياسية، وقد قضوا على دولة بني بويه الشيعية انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (20/30). وانظر: البداية والنهاية (48/12). وانظر: المهروانيات (الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب)، يوسف بن محمد المهرواني، تخريج : الشّيخ الإمام أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب البغداديّ، دراسة وتحقيق : د/ سعود بن عيد بن عمير بن عامر الجربوعي، (34/1)، ط(1)1422هـ-2002م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة-عمادة البحث العلمي- رقم الإصدار (41). وانظر: رحلة بنيامين التطيلي، بنيامين التطيلي النباري الإسباني اليهودي، ص64، ط(1)2002م، المجمع الثقافي، أبو ظبي- الإمارات. وانظر: تحفة الترك فيما يجب= =أن يعمل في الملك، إبراهيم بن علي الطرسوسي، نجم الدين الحنفي، تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ص74، ط(2)، بدون ناشر.

(2) هو: أبو شجاع محمد بن جعفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب عضد الدولة، استولى على الممالك، ورهبت سطوته، حتى دانت له الأمم، وألب أرسلان: اسم تركي، معناه: شجاع أسد، توفي سنة: (465هـ). انظر: وفيات الأعيان (69/5-71)، ط(1)1994م.

(3) هو: أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب بجلال الدولة تملك بعد أبيه، وفتح البلاد، واتسعت ممالكه، وتوفي سنة: (485هـ). انظر: وفيات الأعيان (283/5-289).

(4) "أصبهان، وأصفهان": مدينة عظيمة من بلاد فارس، تتألف من مدينتين: اليهودية، وشَهْرَسْتَان، في كل منهما منبر، وبينهما نصف فرسخ، وتطلق أصفهان على الإقليم الذي تقع فيه هذا المدينة، وهي من أخصب مدن الجبال وخُرَاسَان، وأكبرها، وهي مدينة نزهة ذات نعم وفيرة، ولها نهر يدعى: زرن رود ينتفع منه في الزراعة، تقع اليوم وسط إيران، وقد فتحت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ سنة (23هـ). انظر: معجم البلدان (206/1-210). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص43. وانظر: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، مؤلف مجهول (كتبه عام 372هـ)، محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية): السيد يوسف الهادي، ص151، ط: 1423هـ، الدار الثقافية للنشر- القاهرة - مصر. وانظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، (163/1)، ط(3)1403هـ، عالم الكتب- بيروت- لبنان. وانظر: البداية والنهاية (141/7).

(5) "بَلْخ": مدينة من أجل مدن بخُرَاسَان، وأذكرها، وأكثرها خيرًا، بينها وبين نهر جيحون بَلْخ عشرة فراسخ، خرج منها خلق كثير من العلماء، والزهاد، وغيرهم، ولهم تاريخ، وتقع اليوم في أفغانستان غرب مزار شريف وقد فتحت في خلافة عثمان بن عفان ﷺ سنة (32هـ). انظر: معجم البلدان (479/1-480). وانظر: آثار البلاد وأخبار العباد، ص331-335. وانظر: تاريخ الطبري (313/4).

بغداد، وكذلك في نَيْسَابور[3]، فمثلت في بغداد أكبر جامعة إسلامية في العالم الإسلامي، وكان يقوم عليهما رواد المذهب الأشعري، ذات النشاط العلمي المذهبي الأشعري الواسع؛ لأنها وجدت المجال خاليًا؛ والمناخ ملائمًا لنشر فكرها؛ ومهاجمة خصومها؛ لغياب المنافسة من مدارس أهل الحديث، ثم إنه أعلى من قدر الأشاعرة، وأكرم إمامهم الجُويْني: إمام الحرمين، وأبا القاسم القُشَيري[4]، وبنى المدرسة النِّظامية، وقد حَرَص على أن يتولى التدريس في تلك المدارس فقهاء

(1) يراد بها: "مَرْو الشاهجان": مدينة من أعظم مدن خُرَاسَان، وتسمى: أم خُرَاسَان، بينها وبين ونيسابور سبعون فرسخًا، ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخًا، وإلى بَلْخ مائة واثنان وعشرون فرسخًا، وهي كلمة فارسية، معناها: "مرح نفس الملك"؛ سميت بذلك لجلالتها عندهم، وهي في أرض مستديرة، بعيدة من الجبال، وأرضها كثيرة الرمل، وأبنيتها بالطين، وبها نهرا: الرّزيق، والشاهجان، بها حملت أم أحمد بن حنبل به، وولدته في بغداد، حدها من المشرق بشاطئ جيحون، ومن الجنوب: حدود الترمذ والبحر، ومن الشمال أوائل دروب خوارزم، ومن المغرب أول حد سرخس، وهي اليوم واقعة بجمهورية تركمانستان السوفيتية. انظر: معجم البلدان (112/5-116). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص532-533. وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (1262/3).

(2) "المُوصل": مدينة مشهورة في العراق، تقع على الجانب الغربي من دجلة شمال العراق، وبينها وبين بغداد أربعة وسبعون فرسخًا، وهي: إحدى قواعد بلاد الإسلام، رفيعة البناء، ووسيعة الرقعة، تمثل محطّ رحال الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان، فهي باب العراق، ومفتاح خُرَاسَان، ومنها يقصد إلى أذربيجان، فتحت في عهد عمر بن= =الخطاب ﷺ سنة (20هـــ). انظر: معجم البلدان (223/5-225). وانظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص461-464. وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (1333/3-1334). وانظر: الكامل في التاريخ (349/2).

(3) "نَيْسَابور": إحدى مدن خُرَاسَان الجميلة، تمثل قلبًا للبلاد من حولها، وهي قديمة البناء، تبعد عن الري مائة وستون فرسخًا، وبينها وبين مرو الشاهجان ثلاثون فرسخًا، هي منبع العلماء، وجامعة أكابر الفضلاء، وعلى رأسهم الإمام: مسلم صاحب الصحيح، وتقع اليوم في إيران غرب "مشهد"، فتحت مرتين، وذلك في عهد عمرﷺ، سنة: (22هـــ)، وفي عهد عثمان ﷺ، سنة: (30هـــ). انظر: معجم البلدان (331/5-333). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص588-589. وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (1411/3-1412). وانظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (322/4). وانظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (86/1-87). وانظر: البداية والنهاية (127/7).

(4) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القُشَيري، زين الإسلام، وشيخ خراسان في عصره، زهدًا وعلمًا بالدين، كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها، سنة: (465هــ)، من كتبه: التيسير في التفسير، لطائف الإشارات، الرسالة القشيرية. انظر: الأعلام (57/4).

شافعية من الأشعرية؛ ولذلك أصبحت العقيدة الأشعرية عقيدة شبه رسمية، تتمتع بحماية الدولة[1].

وهذا يعني أن: الدور الذي يقوم به الحكام في نشر عقيدة المتكلمين، يعتمد بشكل كبير على وجود المؤسسات العلمية التي ترعى تدريس المذاهب الكلامية.

وإضافة إلى ذلك: فقد برز دور المعاصرين في نشر العقيدة الأشعرية، وهذا ما قام به قد كانت الدولة العثمانية (700-1300هـ)، حيث جمعت بين العقيدة الأشعرية، والعقيدة المَاتُرِيدية[2]، وسعت في نشر تلك العقيدة الكلامية في شرق الأرض وغربها، وفرضها في كل الولايات الخاضعة لها، وكذا عملت على تمكين الماتريدية من كل الوظائف الدينية، كالإفتاء، والقضاء، والتدريس، وغير ذلك؛ مستغلة في ذلك مالها من نفوذ وسلطة[3].

وعمومًا: لقد أثر وجود الحكام من غير أهل السنة على عقيدة السلف، فقد ساعدوا على نشر مذاهبهم وأفكارهم بقوة الحكم والسلطة، في حين أن التاريخ لا يعرف عن أهل السنة أنهم اضطهدوا الناس في عقائدهم، أو عاقبوا من لا يدينون بمذهبهم، بالموت، أو الإبعاد؛ بل كان الناس يدينون لمذهبهم طواعية وحبًا واعتقادًا.

---

(1) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (302/16-304). وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (92/1). وانظر: الكامل في التاريخ (358/8). وانظر: الكتاب: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (60/3). وانظر: البداية والنهاية (140/12-141).

(2) "المَاتُرِيدية": هي طائفة تنتسب إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، كان وشيوخه على مذهب الإمام أبي حنيفة، تُعد هذه الفرقة شقيقة الأشعرية؛ ذلك لما بينهما من الائتلاف والاتفاق حتى لكأنهما فرقة واحدة، وهم يقولون بأزلية التكوين، وهي الصفة الثامنة التي تضيفها الماتريدية على الصفات السبع عند الأشاعرة. انظر: العرش، للذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، (68/1)، ط(2)1424هـ-2003م، عمادة= =البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة- السعودية. وانظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (274/1).

(3) انظر: مقالة التعطيل والجعد بن درهم ص122. وانظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد الخامس والخمسون، ص140، من رجب إلى شوال 1419هـ، الماتريدية ربيبة الكُلَّابِية، د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، وهي مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- السعودية.

المطلب السادس
الوعظ والإرشاد[1]

يُعد الوعظ والإرشاد من أهم المظاهر الاجتماعية التي سادت في الحياة الاسلامية، فقد تجلّى بين السلف، وأصحاب الكلام، لا سيما الأشاعرة؛ فقد استخدموه كوسيلة لنشر أفكارهم؛ والرد على خصومهم؛ ووجدوا فيه ميدانًا واسعًا وخصبًا للاتصال بالجماهير؛ والتغلغل فيهم؛ والتمكين لمعتقداتهم من خلاله، وقد ساهم مساهمة كبيرة في الانتقال إلى غير مذهب السلف، وتبرز الأهمية المذهبية للوعظ من خلال ما يلي:

أولًا: إن سوق الوعظ مارسه كثير من أهل العلم من المشهورين والمغمورين، وكانت عوام الناس تُقبل عليهم بأعداد كبيرة جدًا.

ثانيًا: إن كثيرًا من الوعاظ كانوا علماء، من متكلمين، وفقهاء، ومحدثين وأدباء، لهم خلفيات مذهبية ينطلقون منها في مجالسهم الوعظية؛ وذلك خدمة لأفكارهم المذهبية؛ لذا وجدناهم ينشرونها بين العوام علانية، ويُهيجونهم، ويدفعونهم إلى التعصب والمواجهات، فكان ذلك تعبيرًا عمليا لسبب رئيسي من أسباب الانتقال إلى مذهب غير السلف.

وإن الأمثلة على ذلك كثيرة جدًا، وهذه طائفة من هؤلاء الوعاظ المذهبيين، الذين ساهموا في التأثير على عقيدة الناس.

أولهم: أحمد الفوركي[2]، وعظ بالمدرسة النظامية، وكان أشعريًا داعية لمذهبه، تسبب في حدوث فتن بين الحنابلة والأشاعرة [3].

---

(1) هذا المطلب مستفاد في أغلبه من كتاب الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين: مظاهرها، آثارها، أسبابها، والحلول المقترحة لها، د/ خالد كبير علال، ص22-24، ط(1)1426هـ-2005م، دار الإمام مالك- البليّدة- الجزائر، مع بعض التعديل والإضافة.

(2) هو: أحمد بن محمد بن الحسين بن أبي أيوب أبو بكر الفوركي، سبط الإمام أبي بكر بن فورك، استوطن بغداد إلى وفاته كان حسن المعرفة بالكلام والنظر والوعظ، توفي سنة: (478). انظر: الوافي بالوفيات (243/7).

(3) لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرف النظامية- الهند، (1/304-305) بتصرف، ط(2)1390هـ-1971م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت - لبنان. وانظر: البداية والنهاية (127/12).

وثانيهم: المتكلـــــم عيســـى بن عبد الله الغَزْنَوي[1]، دخل بغداد سنة: (495هـ)، وعظ بها وأظهر الأشعرية، فمن ذلك: إنه وعظ ذات يوم بجامع المنصور، وأظهر مذهب الأشعري، فمال إليه بعض الحاضرين، واعترض عليه الحنابلة، فنشب عراك بين الجماعتين داخل المسجد[2]، ولا ندري ما حدث بعد ذلك بين الفريقين؛ لأن ابن الجوزي روى الخبر موجزًا، ومن ذلك أيضًا: إن هذا الرجل- أي الغَزْنَوِي- مر ذات يوم برباط شيخ الشيوخ أبي سعد الصوفي ببغداد؛ ليذهب إلى بيته، فرجمه بعض الحنابلة من مسجد لهم هناك، فهب أصحابه لنجدته، والتفوا حوله[3].

وثالثهم: الفقيه أبو الحسن البلخي[4]، قدم دمشق سنة: (510هـ)، وعقد بها مجلس وعظ وتذكير، وأظهر فيه خلافه للحنابلة، وتكلم فيهم، فتصدوا له، وتعصبوا عليه، فترك دمشق، وتوجه إلى مكة المكرمة[5].

ورابعهم: المدرس أبو علي النهرواني الأشعري[6]، درّس بنظامية بغداد، ووعظ بجامع القصر[7]، وكان له علم بالأدب، ولم يكن قائمًا بشروط الوعظ، فكان يقول: "أنا في الوعظ مُبتدى، وأنا في الفقه مُنتهى"، غير أنه أنشأ خطبًا كان يذكرها في مجالس الوعظ، ينظم فيها

---

(1) هو: عيسى بن عبد الله الغَزْنوي الفارض، من غَزنين بخراسان، شاعر، كاتب، صاحب الكتب الكثيرة، والمروءة اللائقة، من الشافعية، توفي سنة نيف وتسعين وأربع مائة. انظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، إبراهيم بن محمد الصرِيفيني الحنبلي، تحقيق: خالد حيدر، ص442، ترجمة رقم: (1374)، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع- بيروت- لبنان، سنة النشر1414هـ، بدون طبعة.

(2) انظر المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (76/17). وانظر: البداية والنهاية (165/12).

(3) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (76/17).

(4) هو: علي بن الحسن البلخي الحنفي، شيخ الحنفية ببلده، كان ذا جلالة ووجاهة، وإليه تنسب إليه المدرسة البلخية، توفي سنة: (548هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (276/20)، ترجمة رقم: (184).

(5) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (339/41)، ترجمة رقم: (4857)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، عام النشر: 1415هـ-1995م، بدون طبعة. وانظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (221/3).

(6) هو: الحسن بن سلمان بن عبد الله أبي طالب بن محمد النهرواني، ثم الأصبهاني، المعروف بابن الفتى، مدرس النظامية، توفي كهلًا، سنة: (493هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (611/19-612)، ترجمة رقم: (358).

(7) "جامع القصر": أحد مساجد بغداد. انظر: وفيات الأعيان (72/5).

مذهب الأشعري، فنفقت على أهل بغداد، فكان يظهر مذهب الأشعري، وينتصر له، ويميل على الحنابلة وأهل الحديث، ويطعن فيهم[1].

والخامس هو: الفقيه محمد العثماني المقدسي[2]، دخل بغداد واستقر بها، وكانت له فيها مجالس وعظ بجامع القصر، أظهر فيها مذهب الأشعري، وكان مغاليًا فيه[3].

والسادس هو: الواعظ الحسن بن أبي بكر[4]، دخل بغداد مع السلطان السلجوقي مسعود[5]، (ما بين سنتي: 515-530هـ)، فجلس للوعظ بجامع القصر، وأظهر السنة، وذم الأشاعرة، وبالغ، ولعن أبا الحسن الأشعري علانية، وكان يقول: "كن شافعيًا ولا تكن أشعريًا، وكن حنفيًا ولا تكن معتزليًا، وكن حنبليًا ولا تكن مشبهًا"، وهو كان السبب في إخراج أبي الفتوح الإسفرائيني[6] من بغداد، ثم اختبروه فإذا هو معتزلي، يقول بخلق القرآن، ففتر سوقه، ثم قلعه الله من بغداد، وهلك بغربة في جمادى الآخرة من هذه السنة؛ وجرت بسببه فتنة ببغداد"[7].

والسابع هو: الواعظ المتكلم أبو الفتوح، دخل بغداد سنة: (515هـ)، وتفرّغ للوعظ؛ واتخذه وسيلة لإظهار مذهب الأشعري؛ والدعوة إليه؛ ومهاجمة خُصومه، وقد مارس ذلك علانية، وبالغ في التعصب للأشعرية، والحط على الحنابلة، فكثرت بينه وبينهم اللعنات والفتن،

---

(1) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (266/17)، ترجمة رقم:(3967) بتصرف.

(2) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى العثماني، المقدسي، الشافعي، الأشعري، جمع العلم والعمل والزهد والورع والمروءة وحسن الخلق، توفي سنة: (527هـ)، وكان يوم جنازته يومًا مشهودًا. انظر: سير أعلام النبلاء (44/20-46)، ترجمة رقم: (20).

(3) انظر: سير أعلام النبلاء (44/20-45)، ترجمة رقم: (20).

(4) هو: الحسن ابن ذي النون بن أبي القاسم بن أبي الحسن الشعري، أبو المفاخر بن أبي بكر النيسابوري الحنفي، له معرفة حسنة باللغة، وفهم جيد في المناظرة، توفي سنة: (545). انظر: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ص614-617، ط(1)1417هـ-1996م، دار عالم الكتب- الرياض- السعودية. وانظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (31/18).

(5) هو: مسعود أبو الفتح بن محمد بن ملكشاه السلجوقي، السلطان الكبير، غياث الدين، نشأ بالموصل، وكان عادلًا لينًا، كثير المزاح، حسن الخلق، بطلًا شجاعًا، ذا رأي وشهامة، توفي سنة: (547هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (384/20-368)، ترجمة رقم: (259).

(6) هو: محمد بن الفضل الإسفراييني الأشعري، أبو الفتوح، ابن المعتمد، كان رأسًا في الوعظ، فصيحًا، عذب العبارة، ظريفًا، عالمًا، من مصنفاته: كشف الأسرار، بيان القلب، بث السر، توفي سنة: (538هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (139/20-142)، ترجمة رقم: (84).

(7) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (31/18)، (79/18). وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (225/36). وانظر: البداية والنهاية (228/12).

وفي سنة: (521هــ) رجمه العوام أكثر من مرة في الأسواق، ورموا عليه الميتات، ولعنوه و سبوه؛ لمبالغته في إظهار الأشعرية؛ والدعوة إليها، فلما سمع بذلك الخليفة العباسي المسترشد بالله[1]، منعه من الوعظ، وأمر بإخراجه من بغداد، وفي هذا الظرف ظهر الشيخ عبد القادر الجيلاني الحنبلي[2] وجلس للوعظ، فالتف حوله الناس، وانتصر به أهل السنة[3]، و يعني بهم الحنابلة وأهل الحديث، لكنه لما توفي الخليفة المسترشد، وولي المقتفي رجع إلى بغداد واستوطنها، وعاد إلى عادته القديمة، فأظهر الأشعرية، وذم الحنبلية، وعادت الفتن واللعنات كما كانت عليه من قبل، فأُخرج ثانية من بغداد، وأُلزم بالمكوث ببلده أَسْفَرَايين[4] بخُرَاسَان[5].

والثامن هو: الواعظ أبو المظفر البروي الأشعري[6]، دخل بغداد ودرس بنظاميتها، وأظهر الأشعرية ونصرها، وبالغ قي التعصب على الحنابلة وذمهم، وقال فيهم: "لو كان لي أمر لوضعت عليهم الجزية"، فجعلهم بمرتبة أهل الذمة من اليهود والنصارى وغيرهم، ولم يزل

(1) هو: الفضل ابن أحمد (المستظهر باللّه) ابن المقتدي عبد الله بن محمد الهاشمي العباسي، أبو منصور، من خلفاء الدولة العباسية، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه، سنة: (512هــ)، وكان عالي الهمة شجاعًا، فصيحًا، توفي سنة: (529هــ). انظر: سير أعلام النبلاء (561/19-568)، ترجمة رقم: (325).

(2) هو: عبد القادر بن موسى بن عبد الله، أبو محمد، محيي الدين الكيلاني، أو الجيلي، مؤسس الطريقة القادرية، ومن كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان (وراء طَبَرِسْتان)، وتوفي سنة: (561هــ). انظر: الأعلام (47/4).

(3) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (387/1-388). وانظر المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (35/18-37)، ترجمة رقم: (4102). وانظر: سير أعلام النبلاء (139/20-142)، ترجمة رقم (84). وانظر: العبر في خبر من غبر (454/2-455). وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (170/6-173)، ترجمة رقم: (680).

(4) "أَسْفَرَايين": بليدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جُرْجَان، واسمها القديم مِهْرِجَان؛ سمّاها بذلك بعض الملوك لخضرتها ونضارته، ومِهْرِجَان قرية من أعمالها. معجم البلدان (177/1-178). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص57.

(5) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (36/18). وانظر: سير أعلام النبلاء (140/20). وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (172/6)، ترجمة رقم: (680).

(6) هو: محمد بن محمد البروي الشافعي الأشعري، أبو منصور، فقيه، من علماء الشافعية. (ت: 567هــ)، ولد بطُوس، واستقر ببغداد، ومات بها، سنة: (567هــ)، تولى المدرسة البهائية، وسعى للتدريس بالنظامية، ببغداد، من كتبه: مقترح الطلاب في مصطلح الأصحاب. انظر: الأعلام (24/7).

يتحامل عليهم حتى آذوه، ويروى إن بعض جهلتهم دس إليه من أهدى إليه شيئًا مسموما فمات، والله أعلم[1].

والتاسع: الواعظ الشهاب الطُّوْسي الأشعري[2]، أقام بمصر، وأظهر الأشعرية ونصرها، وكان صاحب حرقة على الحنابلة، فتصدوا له مرارًا، وكانت بينه وبين الواعظ الحنبلي ابن نجية[3] خصومة شديدة، وكل منهما يتكلم في الآخر، ولكل منهما أيضا مجلس وعظ بجامع القَرَافَة[4] بمصر، ومن طريف ما حدث بينهما حادثتان، الأولى: إنه في ذات يوم كان الواعظان بجامع القَرَافَة كل في حلقته، فوقع سقف على ابن نجية وأصحابه، فعلق الطوسي على ذلك بذكر قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:26]، والثانية مفادها: إنه ذات يوم كان كل منهما في حلقته، فجاء كلب يشق مجلس الطوسي، فقال ابن نجية: هذا جاء من هناك، وأشار إلى جهة حلقة خصمه الشهاب الطُّوْسي[5].

وفي سنة: (580هـ) وقعت بين الحنابلة والأشاعرة خصومة، وذلك عندما أنكر الحنابلة على الشهاب الطوسي تكلمه في مسألة من مسائل العقيدة – لم تُحدد– في مجلس وعظه، فحدث

---

(1) انظر: طبقات الشافعيين، لابن كثير، تحقيق: د/ أحمد عمر هاشم، د/ محمد زينهم محمد عزب، ص670–671، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: 1413هـ–1993م، بدون طبعة. وانظر: الأعلام ص172. وانظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (198/18)، ترجمة رقم: (4292). وانظر: الوافي بالوفيات (214/1).

(2) هو: شهاب الدين، أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد الخراساني، الطوسي، شيخ الشافعية، كان جامعًا للفنون، غير محتفل بأبناء الدنيا، وتخرج به أئمة، توفي سنة: (596هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (387/21–389)، ترجمة رقم: (195).

(3) هو: علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري، الدمشقي، الحنبلي، أبو الحسن، زين الدين، ويعرف بابن نجية، اقتنى أموالًا عظيمة، وتنعم تنعمًا زائدًا، ومع هذا كان فقيرًا، توفي سنة: (599هـ). سير أعلام النبلاء (393/21–396)، ترجمة رقم: (199).

(4) هذا الجامع يعرف الآن بجامع الأولياء، وهو القرافة الكبرى، وكان موضعه يعرف في القديم عند فتح مصر بخطة المغافِر، وهو مسجد بني عبد الله بن مانع بن مُوَرِّع يعرف بمسجد القبة. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (125/4).

(5) انظر: سير أعلام النبلاء (387/21)، ترجمة رقم: (195) و(395/21)، وانظر: الوافي بالوفيات (7/5).

خصام بينهما، وأطلق كل منهما لسانه في الآخر، ثم ترافعوا إلى السلطان الأيوبي- لم يُميز- بمصر، فأمر برفع كراسي الوعظ عند الطرفين[1].

وهؤلاء الوعاظ المذكورين هم مجرد عينة فقط، وإلا فإن عدد الوعاظ كان كبيرًا[2]، ساهموا كلهم في نشر أفكارهم، وإثارة القلائل بين المتنازعين، وأيضًا: كان لهم دور كبير في التأثير على عوام الناس، فوقع أثرهم على العامة؛ كون الوعظ هو الوسيلة السهلة في الاتصال بجمهور الناس؛ والتأثير فيهم، وكأن الأمر مخطط له سلفا على أيدي هؤلاء الوعاظ، في حين إن المطلوب منهم شرعا وعقلًا، أن يسعوا جاهدين لتطويق الأزمة، والتخفيف منها، وإبعادها عن الجماهير؛ تمهيدًا لحلها كلية، لكن ذلك لم يحدث، وبقيت الأزمة تنخر بسلبياتها في المجتمع الإسلامي، بمختلف مظاهرها المتعددة.

ولقد كان موقف السلف من الوعاظ الذين كانوا يدعون الناس إلى غير مذهب السلف متمثلًا في نقطتين:

أولًا: نبذهم، وتحذير الناس منهم، وهجرتهم: وذلك مثلما فعل شيخ الإسلام: عبد الله بن محمد الأنصاري[3] حين ترك الحِيْرِيّ[4]؛ لأنه كان يدري الكلام على رأي الأشعري، فكان يسمع منه كلاما يخالف السنة، في حين كان شيخ الإسلام رجلًا أثريًا، يحب الحديث وأهله، ويبغض أهل الكلام وأهله، بغضًا؛ من أجل الله ﷻ[5].

---

(1) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (200/1)، ط(1)1418هـ-1997م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(2) انظر على سبيل المثال: سير أعلام النبلاء (424/19). وانظر: البداية والنهاية (187/12)، (229/12)، (20/13).

(3) هو: عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، أبو إسماعيل، شيخ خراسان في عصره، من كبار الحنابلة، ومن ذرية أبي أيوب الأنصاري ﷺ، كان بارعًا في اللغة، حافظًا للحديث، عارفًا بالتاريخ والأنساب، مظهرًا للسنة، داعياً إليها، امتحن وأوذي، وتوفي سنة: (481هـ). انظر: الأعلام (122/4).

(4) هو: أبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد الإمام، العالم، المحدث، مسند خراسان، قاضي القضاة، درس الكلام والأصول على أصحاب أبي الحسن الأشعري، وتوفي سنة: (421هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (356/17-358)، ترجمة رقم: (221).

(5) انظر: سير أعلام النبلاء (506/18-510)، ترجمة رقم: (260). وانظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي، (250/3)، ترجمة رقم: (1028)، ط(1)1419هـ-1998م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

ثانيًا: طردهم من البلاد التي تلهج بمذهب أهل السلف: وذلك كما فعل السلطان محمود بن سُبُكْتِكين[1] لما دخل الرَّي، منع الكل من الوعظ غير أبي حاتم بن خاموش[2] الحافظ بالرَّي، وقد كان مُقَّدم أهل السنة بالرَّي، وكان من دخل الرَّي يعرض عليه اعتقاده، فإن رضيه، أذن له في الكلام على الناس، وإلا فمنعه[3].

فقد كان السلف يقصدون من ذلك: ألا يعطوهم فرصة للنخر في عقيدة السلف، وخاصة عند عوام الناس من ناحية، ومن ناحية أخرى: رجاءَ أن يكون ذلك سببًا في رجوعهم وهدايتهم.

يقول الشيخ ابن جبرين: "يجب هجر أهل البدع وبغضهم، ومباينتهم، أي: فراقهم، كما يجب مقتهم، والتحقير من شأنهم، والتحذير من شرهم، وكل ما فيه إذلالهم، وإهانتهم؛ مما يسبب رجوعهم إلى السنة، أو التحذير منهم، وعدم الانخداع بزخرفهم"[4].

يظهر من ذلك أن: الوعظ كان يمثل أهمية كبيرة في الحياة الاسلامية عند أصحاب المذاهب، وقد نتج عنه بعض المناوشات والفتن، حتى أودى بالبعض إلى العدول عنه، وذلك كما فعل ابن عقيل الحنبلي، حيث قال عنه ابن كثير: "كان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب، فربما لامه بعض أصحابه، فلا يلوي عليهم؛ فلهذا برز على أقرانه، وساد أهل زمانه في فنون كثيرة، مع صيانة، وديانة، وحسن صورة، وكثرة اشتغال، وقد وعظ في بعض الأحيان، فوقعت فتنة، فترك ذلك"[5]، واقتصر على التدريس، وذلك في سنة خمس وسبعين وأربعمائة[6].

وبذلك يتضح أن: الأسباب العامة في الانتقال إلى غير مذهب السلف تعددت، وهي: تساهم جميعها في صياغة نسيج من الفكر المخالف لعقيدة السلف.

---

(1) هو: أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سُبُكْتِكين، الملقب أولاً سيف الدولة، ثم لقبه الإمام القادر بالله لما سلطنه بعد موت أبيه: يمين الدولة وأمين الملة، واشتهر به، عظم السنة، وناصرها، وتوفي سنة: (387هـ)، وسُبُكْتِكين تعني: ورقتان خضراوان. انظر: وفيات الأعيان (175/5-182).

(2) هو: أحمد بن الحسن بن محمد الرازي، الملقب بخاموش، حافظ، محدث له: رحلة، ومعرفة، وشهرة، كان شيخ أهل الري في زمانه، مات بعد خمس وأربعين وأربعمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (624/17-626)، ترجمة رقم: (422).

(3) سير أعلام النبلاء (507/18) بتصرف.

(4) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، اعتنى به: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، ص183، ط(1)1416هـ-1995م، دار الصميعي للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

(5) البداية والنهاية (184/12).

(6) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (181/17)، ترجمة رقم: (3882) بتصرف.

خلاصة الفصل:

إن عقيدة الناس تخضع لعوامل تأثيرية متعددة، فتبين خلال الفصل ما للأسباب العامة في الانتقال إلى مذهب السلف من الفضل على الناس، وضخامة الأثر الايجابي لها، وعموم فائدته، في حين عملت الأسباب العامة في الانتقال إلى غير مذهب السلف على حل الاعتقاد السليم من صدور الناس، وشراء الفكر الضال بالفكر المستقيم.

الفصل الثاني

الأسباب الخاصة للتحولات المذهبية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسباب الخاصة في الانتقال إلى مذهب السلف.

المبحث الثاني: الأسباب الخاصة في الانتقال إلى غير مذهب السلف.

المبحث الأول
الأسباب الخاصة في الانتقال إلى مذهب السلف

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر علماء الحديث.

المطلب الثاني: أثر علماء الحنابلة.

المطلب الثالث: أثر المذاهب الفقهية.

المطلب الرابع: أثر الاحتكاك بالعامة.

المبحث الأول

الأسباب الخاصة في الانتقال إلى مذهب السلف

بالإضافة إلى الأسباب العامة في الرجوع إلى مذهب السلف: تساهم مجموعة من الأسباب في ذات الغاية، وفي ذات الهدف، وهذه الأسباب يمكن أن نسميها: الأسباب الخاصة.

وهذه الأسباب الخاصة تنتسب إلى البيئة بشكل مباشر، فبيئة المجتمع المسلم لا تخلو من أناس يذودون عن عقيدة السلف، ويحمونها، ويدافعون عنها، يتصفون بالفطرة السليمة، والعلم الراسخ، والبصيرة النافذة، والحجة البالغة، وهؤلاء العلماء- وإن تباينت وجهات اشتغالهم- إلا أنهم اتفقوا على الحفاظ على عقيدة السلف، ونشرها، والتحذير من مخالفيها؛ بل ومقارعته، فعلماء الحديث نبغوا في الجانب الحديثي، وعلماء الحنابلة اشتغلوا بمذهب الإمام أحمد، والمذاهب الفقهية بعمومها اشتغلت بالجانب الفقهي من الشريعة الاسلامية، وعقيدة السلف هي البيت الكبير الذي جمعهم وآواهم، اعتقادًا ودفاعًا.

وبجانب هذه الأسباب: تبرز عقيدة العوام الفطرية، التي لم تتلوث برواسب علم الكلام، وبما أحدثه المتكلمون من انحرافات عقدية، حيث كانوا موافقين لمذهب السلف في الاعتقاد، ولم يعجبهم ما عليه أهل الكلام من الانحراف والضلال عن العقيدة الصحيحة، فهذا فضل الله ﷻ على الناس أن فطرهم على الاعتقاد الحق، الذي لا لبس فيه ولا غموض،

وهذا المبحث فيه إلقاء الضوء على تلك العوامل والأسباب، والله المُستعان.

المطلب الأول
أثر علماء الحديث

لم يكن علماء الحديث بمنأًى عن العلوم الشرعية الأخرى، وخاصة علم العقيدة، فعلى قدرهم من الفقه والعلم بعلم الحديث، إلا أنهم لم يغفلوا عن هذا الجانب المهم؛ فلذلك عملوا على تنميته، والدفاع عنه، بالإضافة إلى الحفاظ عليه، فتعاضدت العلوم، وتعاضد أهلها؛ فكان ذلك سببًا من الأسباب التي هيأها الله ﷻ لحفظ دينه وصونه؛ وكذا في التأثير على أصحاب المقالات والبدع، فكان لعلماء الحديث الأثر الكبير في خدمة العقيدة والذود عنها.

لم يكن منهج علماء الحديث منهجًا مبتدعًا؛ بل هو المنهج "المتصل بسلسلة طويلة من الأئمة، بادئة بعصر الصحابة والتابعين"[(1)]؛ فلذلك ظهر فضلهم؛ وعم خيرهم، في خدمة العلم الشرعي، قال الإمام أحمد: "أصحاب الحديث أمراء العلم"[(2)]، ويقول داود الأصبهاني[(3)]: "أصحاب الحديث أعظم أجرًا من الفقهاء؛ وذاك أن كَدهم[(4)] ضبط الأصول"[(5)]، حتى ظهر فضلهم على العلماء، كما أبان الإمام الشافعي ذلك بقوله: "لولا أصحاب الحديث لكنا بيَّاع الفول"[(6)].

ويمكن إجمال أثر علماء الحديث في خدمة العقيدة، وفي التأثير على أصحاب البدع والأهواء، وفي التغلغل بين أوساط المناهج والأفكار المخالفة لمنهج السلف، من خلال النقاط التالية:

أولًا: تقرير عقيدة السلف:

لقد تميز علماء الحديث بسعة العلم، وغزارة البصيرة، والحب الصادق للعقيدة، والسير على نهج السلف في تقرير العقيدة، وكذا تميزت ضوابط قبول الأحاديث عندهم بالاستقامة؛ فأورثهم ذلك سلامة في العقيدة، فجمعوا بين ضبط الحديث، وسلامة المعتقد، قال ابن تيمية:

---

(1) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص169.

(2) العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، ص127، ط(1)1408هـ، دار قتيبة- دمشق- سوريا.

(3) هو: داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، تنسب إليه الطائفة الظاهرية، سكن بغداد، ومات بها، توفي سنة: (270هـ). انظر: الأعلام (333/2).

(4) "الكَدُّ": الشدة في العمل. معجم مقاييس اللغة (126/5).

(5) ذم الكلام وأهله (3/25-26)، رقم: (394).

(6) ذم الكلام وأهله (3/16-17)، رقم: (387). مناقب الشافعي، للبيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط(1)1390هـ-1970م، (477/1)، مكتبة دار التراث- القاهرة- مصر.

"ولهذا كان علماء الحديث الجهابذة فيه، المتبحرون في معرفته، قد يحصل لهم اليقين التام بأخبار، وإن كان غيرهم من العلماء قد لا يظن صدقها فضلًا عن العلم بصدقها، ومبنى هذا على أن: الخبر المفيد للعلم يفيده من كثرة المخبرين تارة، ومن صفات المخبرين أخرى، ومن نفس الإخبار به أخرى، ومن نفس إدراك المخبِر له أخرى، ومن الأمر المخبَر به أخرى[1].

لقد أقر علماء الحديث ورجاله بمذهب السلف، ودانوا لله ﷻ به، حيث قالوا بما قال به السلف في سائر مسائل العقيدة[2].

ثانيًا: الدفاع عن عقيدة السلف:

وعلى قاعدة الإقرار بعقيدة السلف: دافع علماء الحديث عنها؛ انطلاقًا من الأمانة التي كلفهم الله ﷻ بها، وهي صون العقيدة، والذب عنها، من الذين يتربصون بها، ويحاولون النيل منها، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:**187**] : "فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئا"[3].

لقد فطن علماء الحديث لتلك الأمانة؛ فلذلك أخذوا على عاتقهم إظهار الحق، وبيانه، والذود عنه[4]، فعلماء الحديث هم إرادة الله وقضاؤه؛ "وحيث إن الله ﷻ قد تكفل لدينه بالحفظ، وقضى بأنه لا يخلي الأرض من قائم له بحجة، كما جاء في الحديث: **[إن الله يبعث على رأس كل قرن، أو مائة سنة من يجدد للناس أمر دينهم]**[5]، قيض لهذا الدين رجالًا هم صفوة خلقه،

---

(1) مجموع الفتاوى (258/20). رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لابن تيمية، ص46، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- الرياض- السعودية، عام النشر: 1403هـ-1983م، بدون طبعة.

(2) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (195/1). وانظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لابن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، ص451، ط(3)1415ه-1995م، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية. وانظر: الإبانة عن أصول الديانة ص20.

(3) تفسير ابن كثير (181/2).

(4) انظر: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص113.

(5) أخرجه أبو داود في سننه، من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب: الملاحم (31)، باب: ما يذكر في قرن المائة (1)، ص639، رقم: (4291)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، ط(1)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية. **(قال الألباني: صحيح)**.

وخيرته من عباده، ألا وهم: علماء الحديث، كثرهم الله – تعالى– في القديم والحديث؛ فقاموا في وجوه المبتدعين؛ وذبوا عن كتاب الله – تعالى– وسنة نبيه"[1].

قال الإمام أحمد: "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال[2] المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين"[3].

إن التاريخ الإسلامي قد سطر لنا مواقف جليلة في دفاع علماء الحديث عن العقيدة، وذلك مثلما تصدوا للمعتزلة وأفكارهم الذي، حيث "ولكن الصحيح أيضًا أنه قامت موجة عارمة بواسطة علماء الحديث لصد موجة الاعتزال"[4]، فحفظت لنا المصادر أهم محاورتين دارتا في هذا الصدد، ونعني بهما: محاورة الإمام أحمد بن حنبل وابن أبي دؤاد، ومحاورة عبد العزيز المكي[5] مع بشر المَرِيسِي[6].

---

(1) الكشف المُبدي لتمويه أبي الحسن السبكي، تكملة "الصّارم المنكي" (رسالة ماجستير)، محمد بن حسين بن سليمان بن إبراهيم الفقيه، دراسة وتحقيق: د/ صالح بن علي المحسن، د/ أبو بكر بن سالم شهال، ص107، ط(1)1422هــ–2002م، دار الفضيلة – الرياض– السعودية.

(2) "انتحال": الادعاء بالباطل، والإشارة إلى: خلط ملة بملة. انظر: معجم مقاييس اللغة (403/5). وانظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد المباركفوري، (342/1)، ط(3)1404هــ–1984م، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند.

(3) مقدمة كتاب: الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، ص55–57، ط(1)، دار الثبات للنشر والتوزيع– الرياض– السعودية.

(4) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص164.

(5) هو: عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكِنَاني المكي، فقيه مناظر، من تلاميذ الإمام الشافعي، من مصنفاته: الحيدة، توفي سنة: (240هــ). انظر: الأعلام (29/4).

(6) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص: 113.

فلله درَّ أولئك الأئمة الذين حموا حياض هذا الدين، ودافعوا عن صراط الله المستقيم، وتركوا لنا تراثًا عظيمًا، سطروا فيه بِيَرَاعِهم[1] منهج الحق القويم، وأبطلوا فيه شبهات حزب الشيطان الرجيم[2].

ثالثًا: تدوين عقيدة السلف:

لم يكن الصحابة والتابعون –رضوان الله عليهم– بحاجة إلى تدوين علم العقيدة أو أصول الدين، وإلى ترتيب مباحثه كتبًا، وأبوابًا، وفصولًا، كما نجد اليوم مثلًا[3]؛ لكن "مما أوقد جذوة التدوين: ما وقع في آخر زمن الصحابة من بدع، واختلاف في العقيدة"[4]، ولقد تمثلت صور تدوين علماء الحديث للعقيدة فيما يلي:

أ) نهج كثير من أئمة الحديث على تدوين اعتقادهم ضمن مصنفاتهم ومؤلفاتهم أو يقررونها على تلاميذهم، وذلك كأبي زُرعة الرازي[5]، حيث قام تلميذه: ابن أبي حاتم[6] بتجميع أسئلة في العقيدة، وجهها إلى والده، وإلى أبي زرعة مع إجاباتها، ووضعها في كتاب أسماه: "أصل السنة واعتقاد الدين"[7].

---

(1) "بيَرَاعِهم": أصله من "يَرَعَ"، وهي جمع "اليَرَاعَة"، وهو القلم، فالمعنى: سطروا بأقلامهم. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزَّبيدي، حققه: جمع من المحققين، (428/22)، دار الهداية، بدون طبعة.

(2) العرش للذهبي (13/1).

(3) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص48.

(4) طريق الهداية (مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة)، محمد يسري، ص176، ط(2)1427هـ–2006م، بدون ناشر.

(5) هو: عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، أبو زرعة الرازي، من حفاظ الحديث، الأئمة، حدث ببغداد، وجالس الإمام أحمد بن حنبل، وله مسند، وتوفي سنة: (264هـ). انظر: الأعلام (194/4).

(6) هو: عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد، حافظ للحديث، من كبارهم، من مصنفاته: الجرح والتعديل، التفسير، الرد على الجهمية، توفي سنة: (327هـ). انظر: الأعلام (324/3).

(7) انظر: الضعفاء وأجوبة أبي زرعة الرازي على أسئلة البرذعي، لأبي زرعة الرازي، تحقيق: سعدي بن مهدي الهاشمي، باسم: أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية، (224/1–225)، ط: 1402هـ–1982م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية– المدينة النبوية– السعودية.

ب) ترتيب الأحاديث على أبواب تتعلق بالتوحيد مثل: باب الإيمان، وباب التوحيد، وباب العلم، إلخ ...ولعل هذا التبويب للأحاديث كان النواة الأولى في استقلال كل باب فيما بعد بالتصنيف والبحث[1].

قال ابن تيمية: "إن كتب الصحاح والسنن والمسانيد هي المشتملة على أحاديث الصفات؛ بل قد بوب فيها أبواب، مثل: كتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية – الذي هو آخر كتاب صحيح البخاري–، ومثل كتاب: الرد على الجهمية في سنن أبي داود، وكتاب: النعوت في سنن النسائي، فإن هذه مفردة لجمع أحاديث الصفات، وكذلك قد تضمن كتاب السنة من سنن ابن ماجه ما تضمنه، وكذلك تضمن صحيح مسلم، وجامع الترمذي، وموطأ مالك، ومسند الشافعي، ومسند أحمد بن حنبل..."[2].

ت) كان علماء الحديث يصنفون الكتب في التوحيد، يذكرون إثبات ما أثبته الله ورسوله[3]، فالتأليف في العقيدة ثمرة من ثمرات علماء الحديث، لا سيما في القرن الثالث الهجري، مع بيان منهج السلف في فهم هذه النصوص، وموقفهم من أصحاب الأهواء، وكان أغلب هذا النوع بعنوان: السنة، مثل: "السنة" لأحمد بن حنبل، و"السنة" لابنه عبد الله، و"السنة" لأبي نصر المروزي[4]، وغيرها[5].

ث) صنف علماء الحديث كتبًا في الرد على أصحاب الأهواء والبدع، حيث حظيت هذه الفرق بالمناظرة، والردود، وذلك مثل: الرد على الجهمية" لأحمد بن حنبل، والدارمي– أيضًا–، و"الرد على بشر المَرِيسي المعتزلي" للدارمي أيضًا، و"خلق أفعال العباد" للبخاري وغيرها

---

(1) طريق الهداية (مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة) ص176. وانظر: المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ص11، ط(1)1417هـ، دار الراية للنشر والتوزيع – الرياض– السعودية.

(2) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، (331/6)، ط(1)1408هـ–1987م، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان.

(3) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (148/1).

(4) هو: بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي، أبو نصر، المعروف بالحافي، من كبار الصالحين، له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل مرو، سكن بغداد وتوفي بها، توفي سنة: (227هـ). انظر: الأعلام (54/2).

(5) انظر: تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني، ص95–96، ط(1)1417هـ–1996م، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض– السعودية.

كثير، وذلك حينما بلغ نشاط المعتزلة والجهمية ذروته، وذلك بتبني الدولة العباسية في عصر كل من المأمون، والمعتصم، والواثق لآرائهم وعقائدهم(1).

إذن: "يحق لكل صاحب سنة أن يفخر بما تركه علماء السنة من تراث عظيم، حوى منهج أهل الحق، وتضمن أقوال علماء وأئمة، شرحوا طريق الهدى، ونافحوا، ودافعوا عن العقيدة الصحيحة؛ لكي تبقى نقية صافية، كما تركها لنا النبي ﷺ" (2).

فجزا الله ﷻ علماء الحديث خيرًا على حفاظهم على العقيدة الصحيحة، عن ضلالات المضلين، وشبهات المغرضين.

---

(1) انظر: تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري ص96. وانظر: مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة في الدين، ربيع المدخلي، طبعت بدار الأرقم بالبحرين.

(2) مقدمة كتاب: العرش للذهبي (12/1).

المطلب الثاني
أثر علماء الحنابلة

يمثل تيار الحنابلة أحد أهم التيارات التي ساهمت في تشكيل بنية المجتمع المسلم العقدية، بالإضافة إلى تأثيرهم الكبير على بيئتهم والناس من حولهم، فقد قرر الحنابلة عقيدة السلف، ونافحوا عنها، ونصروها، وقطعوا مطامع الفكرية التي تحاول النيل منها، وذلك بكل ما أمكنهم، كالكلمة، والتأليف، واستغلال النفوذ والسلطة.

وعلى نهج السابقين سار اللاحقون: تأثرًا واقتداءً، علمًا وعملًا؛ وذلك "أن موقف الحنابلة لم يكن طارئًا جديدًا على مسرح الأحداث؛ بل كان امتدادًا لمنهج علماء الحديث والفقهاء قبلهم بزمن طويل[1].

لقد سار علماء الحنابلة على ما سار عليه علماء الحديث، من الاعتقاد السليم، ونشر العقيدة وتقريرها والدفاع عنها، ويمكن إجمال أثر علماء الحنابلة في خدمة العقيدة، وفي التأثير على أصحاب البدع والأهواء، وفي الحضور العقدي بين أوساط البيئات العقدية المتعددة، من خلال النقاط التالية:

أولًا: تقرير عقيدة السلف:

من المعلوم: أن المذهب الحنبلي نشأ على يدي الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، وكان مذهبه في أول أمره يميل إلى الحديث أكثر منه إلى الفقه[2]، والإمام أحمد لم تَخْفَ مكانته العلمية، وإتباعه للسنة المطهرة، في عقائده، وأقواله، وأفعاله، ومذهبه، وله مؤلفات عديدة، ولابنه عبد الله مؤلفات، وقد بنى مذهبه في العقائد على الكتاب والسنة الصحيحة[3]، فمعتقدهم معتقد سلفي صحيح، هو: الإسلام الخالص من غير شائبة؛ لاعتصامهم بالوحيين على فهم السلف الصالح[4].

---

(1) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص165.

(2) المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم، أ. د/ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ص63، ط(1)1421هـ-2000م، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت- لبنان.

(3) نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين، أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي البنعلي، ص18 بتصرف يسير، ط:1400هـ-1980م، مكتبة ابن تيمية - الكويت.

(4) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة ص45.

ويمكن أن نستدل على رسوخ قدم الحنابلة في العقيدة الصحيحة من خلال ما يلي:

أ) إقرار أئمة الحنابلة بذلك: أقر أئمة الحنابلة بلزوم مذهب السلف، ودانوا لمذهبهم في ذلك، يقول الإمام الكرمي الحنبلي[1]: "إن أئمتنا الحنابلة يقولون بمذهب السلف، ويصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل"[2]، ويقول الإمام السفاريني الحنبلي: "إن مذهب الحنابلة هو مذهب السلف"[3].

ب) إقرار أهل العلم، وشهادتهم لهم بذلك: تضافرت أقوال العلماء في بيان عقيدة الحنابلة- قديمًا وحديثًا-، فمن ذلك: قال المقريزي[4] في ذكر المحنة التي عصفت بمنهج السلف: "...حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلّا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ﷺ؛ فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف"[5].

وقال الشيخ أبو إسحاق الحُويني: "ونحن نعرف أن أئمة العقيدة السلفية على مدار العصور هم الحنابلة، فهم الطائفة الوحيدة التي نجت من الابتداع، وقلما تجد فيها مبتدعًا في العقيدة، بخلاف الطوائف الأخرى...علماء الحنابلة كلهم هم حاملوا لواء العقيدة السلفية"[6].

ت) المنهج الذي ساروا عليه: حيث إن "الحنابلة لا يحتجون إلا بالقرآن والسنة الصحيحة"[7].

ث) اتفاقهم على العقيدة: وذلك أن "عقائد الحنابلة- من القرن الأول إلى اليوم- متفقة غير مختلفة، مع اختلاف الدول، والملوك، والخلفاء، الذين حكموا تلك السنين الطويلة والقرون، فلم لم تختلف عقائدهم، مع اختلاف حكامهم ودولهم"[8].

---

(1) هو: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلى، من كبار الفقهاء، ولد في طولكرم بفلسطين، مات بالقاهرة، سنة: (1033هـ)، وله نحو سبعين كتابًا، منها: بديع الإنشاء والصفات، إحكام الأساس في أول بيت وضع للناس، غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى. انظر: الأعلام(7/203-203).

(2) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، مرعي الكرمى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ص64، ط(1)1406هـ، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

(3) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (107/1).

(4) هو: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين، نسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه)، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، زادات تصانيفه عن المائتين، منها: تجريد التوحيد المفيد، منتخب التذكرة، شارع النجاة، توفي سنة: (548هـ). انظر: الأعلام (1/177-178).

(5) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(4/192).

(6) محاضرة بعنوان: التحلية من أصول التربية، للشيخ: أبو إسحاق الحويني، قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية:

http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=227172.

(7) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة ص50.

(8) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة ص468.

ج) شهادة المخالفين: سار الحنابلة في إثبات الصفات على مذهب السلف؛ "ولهذا كان أهل البدع يسمونهم الحَشْوِية؛ لأنهم قد أبطلوا التأويل، واتبعوا ظاهر التنزيل، وخالفوا أهل البدع والتأويل"[(1)]، و"بهذا تبين لنا أن إطلاق هذا المصطلح (مجسمة الحنابلة) من قبل النفاة على مثبتة الصفات، إنما هو في الحقيقة: تزكية لهم بسلوكهم المسلك الصحيح، والاعتقاد الحق في أسماء الله وصفاته ألا وهو الإثبات مع نفي المماثلة والتعطيل، وأن رمي ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بأنه تأثر بمجسمة الحنابلة، إنما هو تزكية له بإتباع منهج السلف المتقدمين في أسماء الله وصفاته"[(2)].

ثانيًا: الدفاع عن عقيدة السلف:

لا شك في أن "الحنابلةَ لهم جهود كبيرة في تقرير عقيدة السلف، ومقاومة أهل البدع، والرد عليهم في مختلف العصور؛ بل إن الإمام أحمد نفسه قد رد على أهل البدع، ومما ألف في ذلك: كتاب الرد على الجهمية والزنادقة"[(3)]، فالحنابلة "هم أكثر الذين يمثلون مذهب السلف، ويناضلون عنه سائر الفرق الضالة"[(4)]، فقد كانوا يحمون عقيدة السلف، ويدافعون عنها، "فقد كان تباين العقيدة بين الحنابلة وغيرهم سببًا في وقوع الفتن، لا سيما مع الأشاعرة[(5)]، والأمثلة على ذلك كثيرة[(6)]، منها- على سبيل المثال-: أن الحنابلة وأهل الحديث لم يكونوا يُمكنون الأشاعرة من إظهار مذهبهم علانية أمام الناس، فضلًا عن الدعوة إليه، قبل سنة (469هــ)؛ وذلك بسبب ما كانوا يتعرضون له من القمع والإنكار من قبلهم[(7)]، ففي تلك السنة دخل مدينة بغداد المتكلم

---

(1) التحفة المدنية في العقيدة السلفية، حمد بن ناصر الحنبلي، تحقيق: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، ص164، (وطبع الكتاب باسم: الفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (في الصفات) بتحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي – مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

(2) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية (عرض ونقد)، د/ عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن، ص183، ط(1)1424هــ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- السعودية.

(3) الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي ص81. راجع ما استهل به كتابه: ص6 في نصرة مذهب السلف، والدفاع عن العقيدة.

(4) نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين ص13.

(5) انظر: البداية والنهاية (75/14).

(6) انظر في هذا الباب: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين: مظاهرها، آثارها، أسبابها، والحلول المقترحة لها.

(7) انظر: طبقات الحنابلة (239/2).

أبو نصر القُشيري[1]، قادمًا إليها من الحج، واستقر بالمدرسة النَّظَّامية، وعقد بها مجلسًا للوعظ والتدريس، وتجرأ على الحنابلة، ونسبهم إلى اعتقاد التجسيم في صفات الله ﷻ، في حين تكلم على مذهب الأشعري ومدحه[2]، فلم يَرُق ذلك للحنابلة، فأدى ذلك إلى حدوث أكبر فتنة دامية بين الحنابلة والأشاعرة، حيث قُتل فيها نحو عشرين شخصًا من الجانبين، وجرح آخرون، ثم توقفت الفتنة لما مالت الكفة لصالح الحنابلة[3].

قال الباحث: لقد ساعد نفوذ الحنابلة وسلطانهم على تقوية شوكتهم، الأمر الذي ساهم في بسط مذهبهم، وصلابة تعاملهم مع المخالفين، مثلما فعل القادر بالله، حين رأى توسَّع مذهب الأشاعرة، وإجماع علماء الدولة –سيما الحنابلة– على محاربته– أصدر مرسوم "الاعتقاد القادري"، سنة (433هـ)، واعتبره مذهبًا رسميًا للدولة، وأخذت خطوط العلماء والزهاد عليه بأنه اعتقاد المسلمين، ومن خالفه فُسِّق وكُفِّر[4].

وكذا استغل الحنابلة نفوذهم في إخراج كل واعظ يخلط قصصه بشيء من مذهب الأشاعرة"[5].

ثالثًا: مقاطعة المخالفين لعقيدة السلف:

استخدم الحنابلة هذا الأسلوب؛ سعيًا منهم في قطع دابر أهل البدع والأهواء، فقد كانوا "ينفرون بحق من كل من يقال: إنه أشعري، أو معتزلي، وينفرون عن الحنفية، والمالكية، والشافعية؛ لشيوع البدعة فيهم، وكان كثير من الحنابلة يبالغون في النفرة ممن نفروا عنه، فلا

---

(1) هو: عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر، واعظ، من علماء نيسابور، من بني قُشير، علت له شهرة كأبيه، كان ذكيًا حاضر الخاطر، فصيحًا، جريئًا، يحفظ كثيرًا من الشعر والحكايات، من كتبه: المقامات والآداب، توفي سنة: (514هـ). انظر: الأعلام (346/3).

(2) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (181/16). وانظر: طبقات الحنابلة (239/2). وانظر: تاريخ ابن خلدون (585/3).

(3) انظر: طبقات الحنابلة (239/2). وانظر: البداية والنهاية (115/12). وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (234/4).

(4) انظر: البداية والنهاية (49/12). وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (322/29). وانظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (279/15). وانظر: منهج الأشاعرة في العقيدة ص72.

(5) انظر: منهج الأشاعرة في العقيدة ص72.

يكادون يروون عنه إذا كان من أهل الرواية، ولا يأخذون عنه غير ذلك من العلوم، وإذا رأوا الطالب الحنبلي يتردد إلى أو مالكي، أو شافعي، سخطوا عليه"[1].

رابعًا: التأليف في عقيدة السلف:

زخرت المكتبة الاسلامية بمصنفات الحنابلة في عقيدة السلف، بحيث كان لها الوقع الكبير في التأثير على بيئة المجتمع المسلم، وهي كثيرة جدًا، فنتاجاتهم العلمية قد بلغت مبلغاً عظيمًا، أثبت الحنابلة فيها عقيدة السلف، وذادوا عنها، ولا سيما كتب شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم- عليهم سحائب الرحمة من الله ﷻ[2].

وبذلك: يتلاءم علماء الحديث، وعلماء الحنابلة في تقرير عقيدة السلف، والدفاع عنها.

---

(1) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبد الرحمن بن يحيى اليماني، مع تخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني، زهير الشاويش، عبد الرزاق حمزة، (326/1)، ط(2)1406هـ-1986م، المكتب الإسلامي - بيروت- لبنان.

(2) انظر: معجم مصنفات الحنابلة من وفيات (241-1420هـ)، أ. د/ عبد الله بن محمد بن أحمد الطّريقي، ط(1)1422هـ-2001م، بدون ناشر، وهو كتاب جيد في بابه، ويتكون من ثماني مجلدات. وللمزيد: انظر: موقع رُوَاق الحنابلة: http://www.rwaq.net/index.php. وانظر: موقع خزانة المذهب الحنبلي: http://hanabila.blogspot.com/.

المطلب الثالث
أثر المذاهب الفقهية

تحظى المذاهب الفقهية بقيمة شرعية واجتماعية كبيرة في أوساط المجتمع المسلم، وهذه المذاهب الفقهية قد برزت وتشعبت انطلاقا من الجانب الفقهي، إلا أنها ولا بد أن يكون لها عقيدة تعتقد بها، وتحملها، وتدين بها، أئمة ومأمومين؛ ولذلك تحتل هذه المذاهب أهمية كبيرة في التأثير على عقائد الناس وأفكارهم، بحيث يدين المأموم بمذهب إمامه في الاعتقاد، وإن حصل تباين في ذلك فهذا ينم عن قصور في الإتباع، ولا سيما إذا كان على المذهب الحق في الاعتقاد.

وحين نقول: المذاهب الفقهية فإننا "نريد مذاهب الفقهاء المجتهدين الأربعة: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، وهي المذاهب المعمول بها عند جمهور المسلمين إلى اليوم، والتي كتب لها البقاء والتغلب على سواها من مذاهب أهل السنة"[1].

إن الاختلاف بين المذاهب الفقهية في المسائل الفقهية لا يضر؛ "فإن اختلاف المذاهب الإسلامية رحمة ويسر بالأمة، وثروة تشريعية كبرى محل اعتزاز وفخار، واختلاف في مجرد الفروع والاجتهادات العملية المدنية الفقهية، لا في الأصول والمبادئ، أو الاعتقاد، ولم نسمع في تاريخ الإسلام أن اختلاف المذاهب الفقهية أدى إلى نزاع أو صدام مسلح هدد وحدة المسلمين، أو ثبط همتهم في لقاء أعدائهم؛ لأنه اختلاف جزئي لا يضر، أما الاختلاف في العقيدة فهو الذي يعيبها، ويفرق بين أبنائها، ويمزق شملها، ويضعف كيانها"[2].

لقد سار علماء المذاهب الفقهية على ما سار عليه علماء الحديث، وعلماء الحنابلة، من الاعتقاد السليم، ونشر العقيدة وتقريرها والدفاع عنها، ويمكن إجمال أثر المذاهب الفقهية في خدمة العقيدة، وفي نبذ المخالفين لمذهب السلف، من خلال النقاط التالية:

---

(1) المذاهب الفقهية الأربعة: (الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي) وانتشارها عند جمهور المسلمين، أحمد تيمور باشا، ص47، ط(1)1421هـ–2001م، دار الآفاق العربية – القاهرة – مصر.

(2) الفقه الإسلامي وأدلته أ. د/ وهبة الزحيلي، (68/1)، ط(2)1405هـ–1985م، دار الفكر– دمشق– سوريا. وانظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص20.

أولًا: تقرير عقيدة السلف والإجماع عليها:

من الأصول العظيمة التي قررها علماء السلف، والحقيقة التي دانوا بها: "اتفاق الأئمة الأربعة في العقيدة وأصول الدين، وإجماعهم عليها، وأن اختلافهم لم يكن إلا في أمور محدودة من فروع الشريعة، لا في أصولها"[(1)].

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري[(2)]: "إن أئمة المذاهب الأربعة، وسائر أئمة المسلمين، على هدى من ربهم، في العقائد وغيرها، ولا التفات لمن تكلم فيهم بما هو بريئون منه"[(3)]؛ فـــــ"ما من إمام إلا وقد انتسب إليه أقوام هو منهم بريء، قد انتسب إلى مالك أناس، مالك بريء منهم، وانتسب إلى الشافعي أناس هو بريء منهم، وانتسب إلى أبي حنيفة أناس هو بريء منهم..."[(4)].

وقال ابن تيمية "إن الأئمة المشهورين كلهم يثبتون الصفات لله – تعالى–، ويقولون: إن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ويقولون: إن الله يُـــــرى في الآخرة، هذا مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان، من أهل البيت وغيرهم، وهذا مذهب الأئمة المتبوعين، مثل: مالك بن أنس، والثوري[(5)]، والليث بن سعد[(1)]، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد"[(2)].

---

(1) منازل الأئمة الأربعة: (أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد)، يحيى بن إبراهيم بن أحمد الأزدي، تحقيق: محمود بن عبد الرحمن قدح، ص26، ط(1)1422هـ–2002م، مكتبة الملك فهد الوطنية– الرياض– السعودية. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص176. وانظر: إفحام اليهود، وقصة إسلام السموأل، ورؤياه النبي ﷺ، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوي، ص189، ط(3)1410هـ–1990م، دار الجيل– بيروت– لبنان.

(2) هو: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي، أبو يحيى، شيخ الإسلام، قاض، مفسر، من حفاظ الحديث، من مصنفاته: فتح الرحمن، تحفة نجباء العصر، الدقائق المحكمة، توفي سنة: (926هـ). انظر: الأعلام (46/3).

(3) غاية الوصول في شرح لب الأصول، زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، ص169، دار الكتب العربية الكبرى– مصر، بدون طبعة.

(4) مجموع الفتاوى (185/3). وانظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة ص636–638. وانظر: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، شمس الدين محمد بن أحمد الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ص251–252، دار الكاتب العربي – بيروت– لبنان.

(5) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة، من مصنفاته: الجامع الكبير، والجامع الصغير، والفرائض، وتوفي سنة: (161هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (229/7–279)، ترجمة رقم: (82).

وقد اعترف بذلك المخالفون لمذهب السلف، كما قال تاج الدين السبكي: "هذه المذاهب الأربعة–ولله تعالى الحمد– في العقائد واحدة، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال والتجسيم، وإلا فجمهورها على الحق، يقرون عقيدة أبي جعفر الطحاوي، التي تلقاها العلماء سلفًا وخلفًا بالقبول"[3].

حقًا كانت عقيدة السلف هي إحدى القواسم المشتركة بين أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة، كلهم دانوا لله ﷻ بعقيدة السلف، كما دان بذلك أتباعهم، وقد استفاضت أقوالهم في ذلك، فالإمام أبو حنيفة: كان "الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد السلف، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة"[4]، فمن أقواله: "لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات بشيء؛ بل يصفه بما وصف به نفسه"[5].

وكذا الإمام مالك ، قال أبو طالب المكِّي[6]: "كان مالك أبعد الناس من مذاهب المتكلمين...وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين"، قال سفيان بن عُيينة[7]: "سأل رجل مالكًا، فقال: على العرش استوى، كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك مليًا، حتى علاه الرُّحَضاء[8]، وما رأينا مالكًا وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به

---

(1) هو: الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمي بالولاء، أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره، حديثًا وفقهًا، أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة، وكان من الكرماء الأجواد، توفي سنة: (175هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (136/8–163)، ترجمة رقم: (12).

(2) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (106/2).

(3) معيد النعم ومبيد النقم، تاج الدين عبد الوهاب السبكي، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، محمد أبو العيون، ص22–23، ط(2)1413هـ–1993م، مكتبة الخانجي– القاهرة – مصر.

(4) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، للقَنُّوجي، ص53 بتصرف، ط(1)1421هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية. وانظر: التحفة المدنية في العقيدة السلفية ص25.

(5) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص313.

(6) هو: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب، واعظ، زاهد، فقي، من أهل الجبل (بين بغداد وواسط)، نشأ واشتهر بمكة، ورحل إلى البصرة، فاتهم بالاعتزال، له: علم القلوب، أربعون حديثًا، توفي سنة: (386هـ). انظر: الأعلام (274/6).

(7) هو: سفيان بن عُيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد، محدّث الحرم المكيّ، ولد بالكوفة، وسكن مكة، وتوفي بها، كان حافظًا ثقة، واسع العلم، كبير القدر، من مصنفاته: الجامع، والتفسير، توفي سنة: (198هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (454/8–475)، ترجمة رقم: (120).

(8) "الرُّحَضاء": عرق الحمى. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، (103/3)، دار ومكتبة الهلال– القاهرة– مصر.

ثم سُرِّي عنه[1]، فقال: "الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالًا، أخرجوه عني"، فناداه الرجل: يا أبا عبد الله، والله الذي لا إله إلا هو، لقد سألتُ عن هذه المسألة أهل البصرة، والكوفة، والعراق، فلم أجد أحدًا وُفق لما وفقتَ له"[2].

وكذا كان الإمام الشافعي، ففي مقدمة كتابه الرسالة يقول: "والحمد لله...لا يبلغ الواصفون كُنه عظمته، الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه"[3].

وكذا كان إمام أهل السنة: الإمام أحمد، حيث كان يقول: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يُتجاوز القرآن والحديث"[4].

لقد بان أن جميع أئمة المذاهب الأربعة كانوا على عقيدة السلف، وهذا يعني: أن على جميع المنتسبين للمذاهب الفقهية الانتساب لمذهب أئمتهم في الاعتقاد، فإذا خالفوا أئمتهم في الاعتقاد، فإنهم لن يكون متبعين لهم إتباعًا صحيحًا، "فانتسابهم غير صحيح؛ لأنهم خالفوهم في أهم الأشياء وهو العقيدة"[5]، فثبت أن الانتساب للمذهب الفقهي يساهم في التأثير على العقيدة.

وهذه الآثار التي وردت عن الأئمة الأربعة في إثبات عقيدة السلف كثيرة، كلها تدل على ثبات الإسلام، ووحدة المعتقد وسلامته[6].

---

(1) "سُرِّي عنه": انكشف عنه الهم. انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص147، ط(5)1420هـ-1999م، المكتبة العصرية- الدار النموذجية- بيروت – صيدا- لبنان.

(2) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، (39/2)، ط(1)، الناشر: مطبعة فضالة- المحمدية- المغرب. وانظر: مالك: حياته وعصره آراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة ، ص 193، ط(2)، دار الفكر العربي- بيروت – لبنان. وانظر: العرش للذهبي (189/1).

(3) الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، ص7-8، ط(1)1358هـ-1940م، مكتبه الحلبي- مصر.

(4) مجموع الفتاوى (26/5). وانظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع وتحقيق ودراسة: عبد الإله بن سلمان بن سالم الأحمدي، (276/1-278)، ط(1)1412هـ-1991م، دار طيبة- الرياض- السعودية.

(5) شرح "مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب"، صالح بن فوزان الفوزان، ص296، ط(1)1421هـ-2005م، دار العاصمة للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

(6) للمزيد من ذلك: انظر: اعتقاد الأئمة الأربعة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط (1)1412هـ-1992م، دار العاصمة – الرياض- السعودية.

ثانيًا: وجوب رد الأقوال إلى الكتاب والسنة الصحيحة:

تضافرت أقوال الأئمة الأربعة في وجوب عرض أقوالهم على الكتاب والسنة، فكانوا يقيمون روابط متينة بين مذاهبهم الفقهية والعقيدة الصحيحة، وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم: "وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم، وذموا من أخذ أقوالهم بغير حجة"[1]؛ لأن مسائل العقيدة التي وردت من طرق صحيحة، لا تحتمل الاجتهاد؛ بل التسليم المطلق"[2]، فعلى هذا سار الأئمة الأربعة، "فإنه قد صح عن كل واحد منهم هذا المعنى من طرق متعددة"[3].

فكلهم متفقون على وجوب التمسك بالكتاب والسنة والرجوع إليهما وترك كل قول يخالفهما؛ فهذا الإمام أبو حنيفة يقول: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"[4]، ويقول: "لا يحل لمن يفتي من كتبي أن يفتي، حتى يعلم من أين قلت"[5].

وهذا يقول الإمام مالك: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"[6].

وهذا الشافعي يقول: "إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ، ودعوا ما قلت"[7]، ويقول: "إذا وجدتم لرسول الله ﷺ سنة فاتبعوها، ولا تلتفتوا إلى قول أحد"[8].

وهذا الإمام أحمد يقول: "من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة"[9]، ويقول: "لا تقلدني، ولا تقلد مالكًا، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا"[10].

---

(1) إعلام الموقعين عن رب العالمين (139/2).

(2) انظر: حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض، عبد العزيز بن باز، ص34، ط(7)، العدد الأول، رجب 1394هـ -1974م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

(3) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، للإمام الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عبد الخالق، ص54، ط(1)1396م، دار القلم – الكويت.

(4) رد المحتار على الدر المختار(حاشية ابن عابدين)، لابن عابدين الدمشقي، (67/1)، ط(2)1412هـ-1992م، دار الفكر- بيروت- لبنان.

(5) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: (مالك والشافعي وأبي حنيفة ﷺ)، لابن عبد البر، ص145، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، بدون طبعة.

(6) إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار، صالح بن محمد الفُلَّاني المالكي، ص72، دار المعرفة – بيروت- لبنان، بدون طبعة.

(7) مناقب الشافعي (472/1).

(8) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (107/9).

(9) طبقات الحنابلة (15/2).

(10) إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار ص113.

وهكذا فإننا نجد اتفاقًا بين أئمة المذاهب الأربعة على وجوب عرض أقوالهم على الكتاب والسنة، وإن تباينت ألفاظهم، إلا أن معناها واحد؛ وذلك لأنهم كانوا حريصين كل الحرص على أن يربطوا الناس بالله ﷻ؛ دون العدول إلى كلامهم عن كلام الله وكلام رسوله ﷺ، لدرجة أن: "الإمام أحمد لم يؤلف في الفقه كتابًا؛ وإنما أخذ أصحابه مذهبه، من أقواله، وأفعاله، وأجوبته، وغير ذاك"[(1)]، فقيل له: لمَ لا تصنع لأصحابك كتابًا في الفقه؟ قال: "أو لأحد كلام مع كلام الله – تعالى– ورسوله ﷺ""[(2)]؛ ولذلك: "يجب على أتباع المذاهب أن يردوا أقوال أئمتهم إلى الكتاب والسنة، فما وافقهما أخذوا به، وما خالفهما ردوه، دون تعصب أو تحيز، ولا سيما في أمور العقيدة...فمن خالف ذلك، فليس متبعًا لهم، وإن انتسب إليهم"[(3)].

ثالثًا: الإنكار على المخالفين لمذهب السلف والرد عليهم:

كان أصحاب المذاهب الأربعة يحثون الناس على الالتزام بالعقيدة الصحيحة، ويحذرونهم من الانزلاق نحو أصحاب الأهواء والبدع، وقد تمثل دور المذاهب الفقهية في ذلك من خلال:

أ) الدعوة إلى التوحيد ومقارعة أصحاب الأهواء والبدع، وهي ميزة عظيمة، تحلى لها جميع أعلام المذاهب الأربعة[(4)]، يقول ابن تيمية: "ولكن: من رحمة الله بعباده المسلمين: أن الأئمة الذين لهم في الأمة لسان صدق مثل الأئمة الأربعة وغيرهم...كانوا ينكرون على أهل الكلام من الجهمية قولهم في القرآن والإيمان وصفات الرب[(5)].

ب) التبرؤ من عقيدة المخالفين، قال أبو الحسن الكَرَجِي[(6)]: "ولم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا إلى الأشعري، ويتبرؤون مما بنى الأشعري مذهبه عليه، وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حواليه"[(7)]، وقال: "فمن قال: أنا شافعي الشرع، أشعري

---

(1) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس الحنبلي، (21/1)، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، بدون طبعة.

(2) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود الآلوسي، قدم له: علي السيد صبح المدني، ص204، الناشر: مطبعة المدني– القاهرة– مصر، عام النشر: 1401هـ–1981م، بدون طبعة.

(3) كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ص65، ط(4)1423هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية.

(4) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (30/1).

(5) الإيمان، لابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص314 –315، ط(5)1416هـ–1996م، المكتب الإسلامي– عمان– الأردن. ومجموع الفتاوى (402/7).

(6) هو: محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر، الشافعي، محدث، فقيه، كان حسن المعاشرة، ظاهر الكياسة، توفي سنة: (532هـ). انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (331/17–332)، ترجمة رقم: (4043).

(7) درء تعارض العقل والنقل (2/ 96).

الاعتقاد، قلنا له: هذا من الأضداد، لا؛ بل من الارتداد، إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد، ومن قال: أنا حنبلي في الفروع، معتزلي في الأصول[1]، قلنا: قد ضللت إذًا عن سواء السبيل فيما تزعمه؛ إذ لم يكن أحمد معتزلي الدين والاجتهاد"[2].

وعلى هذا كان سائر الأئمة من الاعتقاد الصحيح، والمخالفة لأصحاب الأهواء والبدع من المتكلمين وغيرهم، والإقران بين العقيدة والمذهب الفقهي[3].

وبذلك خلف لنا الأئمة الأربعة –رضوان الله عليهم– تراثًا باهرًا من العلم والفقه والاستنباط والأحاديث وأسهموا أيما إسهام في دفع عجلة الفهم لهذا الدين[4].

وبهذا يكون أرباب المذاهب الفقهية مجمعون على عقيدة السلف، داعون إليها، محاربون كل من خالفها، وهم بذلك يدعون طلابهم إلى ما عليه يعتقدون، أما إذا كان دعاة المذاهب الفقهية، من غير أربابها، أصحابَ عقيدة مُخالفة لعقيدة السلف، فلا شك في أن التأثر يكون سلبيًا، فهو موجه إلى تلك العقيدة المُخالفة.

---

(1) اختلف الناس في تقسيم الدين إلى أصول وفروع، ويمكن التوفيق بين أقوالهم من خلال:

أولًا: ما قاله شيخ الإسلام: "الحق أن الجليل من كل واحد من الصنفين مسائل أصول، والدقيق مسائل فروع". مجموع الفتاوى (56/6).

ثانيًا: الاصطلاح عليه إذا حمل على معنى مناسب، فلا هو لفظ مبتدع، ولا عمل به السلف. انظر: ملتقى العقيدة والمذاهب المعاصرة: http://www.alagidah.com/vb/showthread.php?t=5270. فلا بأس بالتفريق بينهما باعتبار أن الأصول: ما كان دليله قطعيًا، وأما الفروع: ما كان دليله ظنيًا. انظر: الأصول والفروع حقيقتهما والفرق بينهما والأحكام المتعلقة بهما (دراسة نظرية تطبيقية)، د/ سعد بن ناصر الشثري، ص216–219، ط(1)1426هـ–2005م، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع – الرياض– السعودية.

(2) مجموع الفتاوى (177/4).

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل (2/ 98).

(4) السلفيون والأئمة الأربعة ﷺ، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، ص43، ط(2)1398هـ–1978م، الدار السلفية– الكويت.

المطلب الرابع

أثر الاحتكاك بالعامة

إن من تيسير الله ﷻ للعقيدة الاسلامية: أن جعلها متناسبة مع الفطرة، وهذا الاعتقاد يحتاج إلى تدعيم ومساندة، وذلك عن طريق العلم، وبذلك تصبح عقيدة الإنسان صحيحة نقية لا شائبة فيها، أو على الأقل: أن لا تتلوث بالضلالات التي أحدثها الناس، كالمتكلمين وغيرهم، وهذا العلم لا بد أن يكون صحيحًا، منطلقًا من الكتاب والسنة؛ حتى لا يقع الإنسان في الشك والحيرة، كما حصل مع المتكلمين؛ ولذلك: صارت عقيدة العوام الراسخة تفضل عقيدة المتكلمين، التي أودت بهم إلى الشك والحيرة، والتراجع عنها من بعضهم، لا سيما في آخر حياتهم.

وبذلك: تدخل عقيدة العوام في معترك بيئة العلماء، حيث إنها ربطت بين العلماء والعوام، فصارت عقيدة العوام تمثل حيزًا كبيرًا في حياة العلماء.

إن العوام يصلح ويستقيم معهم أن نقول لهم: أمروا مسائل العقيدة كما جاءت، ولا تتعرضوا لتأويلها؛ وذلك حفاظًا على العقيدة وصيانة لها، وهذا الأمر ليس مقصورًا على العوام؛ بل يتعداه لكل مسلم، وقد كان الفارق بين العوام والمتكلمين: أن التسليم عند العوام كان أبلغ منه عند المتكلمين[1]، وذلك أَمَارة على سلامة اعتقادهم، "وإن شئت المثال على عقيدة العوام فاسأل الملايين من المسلمين- شرقًا وغربًا-...كلهم مفطورون على أنه – تعالى- فوق المخلوقات، وهذه الفطرة تظل ثابتة في قلوبهم[2].

ويمكن إجمال أثر العوام في إبراز العقيدة الصحيحة، وفي تأثيرهم على المخالفين، والإنكار عليهم من خلال النقاط التالية:

أولًا: موافقة العوام للاعتقاد الصحيح:

تمثل عقيدة العوام في معظمها ودون تغييرها المعقد الصحيح، وهي بذلك تتوافق مع ما قرره علماء السلف من الاعتقاد الحق، الذي دانوا لله ﷻ به، وحضوا الأمة على امتثاله، فمن تلك الأمور التي دانت بها عقيدة العوام:

---

(1) انظر: صيد الخاطر ص 118.

(2) منهج الأشاعرة في العقيدة ص74.

أ) إثبات الصفات: فقد سأل النبي ﷺ جارية جاء بها سيدها؛ ليعتقها، فقال لها الرسول ﷺ: **[أين الله ؟ فقالت: في السماء، قال من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة]**[1]، وهو ما عليه السلف من إثبات الصفات لله ﷻ، وعلى رأسها: صفتي: الاستواء، والعلو[2].

ب) حقيقة الإيمان: وذلك "أن إيمان العوام هو التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان"[3]، وهو موافق لاعتقاد السلف في مسمى الإيمان[4].

وهكذا سائر مسائل العقيدة، لا يجد العوام غضاضة في إثباتها وفق العقيدة الصحيحة؛ مما أورثهم رسوخًا في الإقرار؛ ثباتًا في الاعتقاد، وفي ذلك يقول الغزالي: "فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس، بعقيدة المتكلمين والمجادلين، فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطَّوْد[5] الشامخ، لا تحركه الدواهي، والصواعق، وعقيدة المتكلم – الحارس اعتقاده بتقسيمات– الجدل كخيط مرسل في الهواء، تفيئه الرياح مرة هكذا، ومرة هكذا"[6].

على أن العامي محتاج لأن تقرع الأدلة أذنه، فتساعد على تقوية الاعتقاد وثباته ورسوخه، "فهذه الأدلة تجري للعوام مجرى الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، وما أخذه المتكلمون وراء ذلك من تنقير، وسؤال، وتوجيه، ثم إشكال، ثم اشتغال بحله، فهو بدعة، وضرورة في حق أكثر الخلق ظاهر، فهو الذي ينبغي أن يُتوقَّى"[7].

ثانيًا: رجوع المتكلمين إلى الفطرة السليمة التي ثبت عليها الكثير من العوام:

إن الفطرة السليمة تقر لله ﷻ بالاعتقاد الصحيح، وتبقى تدافع الإنسان، وتدفعه نحو الإقرار بما تمليه عليه عقيدته، مهما انحرف الإنسان عنها، فلن يستطيع الإنسان أن يتغلب على فطرته بعلوم لم يعرفها الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وهذا الذي حصل مع كثير من المتكلمين، حين غلبت عليهم الفطرة.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث معاوية بن الحكم السُّلمِي ﷺ، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة (5)، باب: تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته (7)، (381/1)، رقم: (537).

(2) انظر: العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها ص13-14. وانظر: تقريب التدمرية، لابن عثيمين، ص39-41، ط(1)1419هـ، دار ابن الجوزي- الدمام- السعودية.

(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان القاري، (57/1)، ط(1)1422هـ-2002م، دار الفكر- بيروت – لبنان.

(4) انظر: الإيمان لابن تيمية ص118. وانظر: مجموع الفتاوى (505/7).

(5) "الطَّوْد": الجبل العظيم. معجم مقاييس اللغة (430/3).

(6) إحياء علوم الدين (94/1).

(7) إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، ص335.

وقد اشتعلت الفطرة في قلوبهم، وبلغت أوجها -عندهم-، وحركت الاعتقاد الصحيح من خلال:

أ) ظهور الاعتقاد الصحيح على لسانهم، دون أن يشعروا بذلك، فالفخر الرازي كان من أشد المنكرين للعلو[1]، إلا أنه قال: "إن الله خسف بقارون فجعل الأرض فوقه، ورفع محمدًا عليه الصلاة والسلام فجعل قاب قوسين تحته"[2].

ب) الإقرار بالاعتقاد الصحيح، وذلك حين رأوا العاقبة السيئة للاشتغال بعلم الكلام، وتفضيله على كلام الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، فاستحضروا ما عليه عجائز المسلمين وعوامهم من الاعتقاد الصحيح، البعيد عن متاهاتهم وعقلياتهم، وتمنوا من الله ﷻ أن يميتهم على عقيدتهم، فـــ"قد جاء عنهم، وعن غيرهم عبارات تدل على أن السلامة والنجاة، إنما هي في عقيدة العجائز المطابقة للفطرة"[3].

قال الذهبي: "هذا معنى قول بعض الأئمة: عليكم بدين العجائز، يعني: أنهن مؤمنات بالله على فطرة الإسلام، لم يدرين ما علم الكلام"[4].

قال ابن عقيل: "قد تكرر من كثير من أهل العلم، لا سيما أصحابنا قولهم: مذهب العجائز أسلم، فظن قوم أنه كلام جهل، ولو فطنوا لما قالوا لاستحسنوا وقع الكلمة؛ وإنما هي كلمة صدرت عن علو رتبة في النظر، حيث انتهوا إلى غاية هي منتهى المدققين في النظر، فلما لم يشهدوا ما يشفي العقل من التعليلات والتأويلات بالاعتراض في أصل الوضع، وقفوا مع الجملة التي هي مراسم الشرع، وجنحوا عن القول بالتعليل، فإذا سلم المسلمون، وقفوا مع الامتثال حين عجز أهل التعليل، فقد أعطوا الطاعة حقها، ولقد علل قوم فمنعوا العقل عن الإصغاء إلى ذلك الإذعان بالعجز[5]، وأذعن العقل بأن فوقه حكمة إلهية فسلم"[6]، فكانوا أكثر الناس شكًا عند الموت - نسأل الله العافية-...، فرجعوا إلى عقيدة العجائز؛ لأنها فطرية، وهم عقيدتهم نظرية وهمية في الواقع[7].

---

(1) انظر: مفاتح الغيب (التفسير الكبير)، للفخر الرازي، (577/27)، ط(3)1420هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت– لبنان. وانظر: أساس التقديس في علم الكلام ص43-53.

(2) مفاتيح الغيب (209/1).

(3) قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص25، بتصرف يسير. وسيأتي الحديث عن ذلك في المبحث الثالث من الفصل الثالث من هذا البحث - بعون الله تعالى-.

(4) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها ص258.

(5) الآداب الشرعية والمنح المرعية (206/1).

(6) تلبيس إبليس ص77.

(7) شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين، ص137.

ومما يجب الإشارة إليه: أن تمني المتكلمين الموت على دين العجائز، لا يعني أفضلية الجاهل بعلم العقيدة على العالم بها، فليس مرادهم تمني الموت على الجهل بالعقيدة؛ ولا يعني أن إيمان العجائز أو العوام غاية تُطلب، أو أنه خير من إيمان علماء التوحيد، الذين أخذوا علومهم من الكتاب والسنة، وفقهوا العقيدة من خلالهما، ودافعوا عنها؛ وإنما تمنوا ذلك لما غلب عليهم الشك، فحينها رجحوا عقيدة العوام على عقيدتهم، فليس في العبارة حجة لدعاة الجهل بالتوحيد، فالذي يموت على دين العجائز أفضل من الذي يموت شاكًا في العقيدة، فكلما قوي علم الإنسان، ورسخت عقيدته، كان أفضل من ما عليه العوام من الاعتقاد، والتسليم فحسب، ولا يخفى ما يشوب عقيدة العوام من الأفكار والانحرافات العقدية، قد يكون سببها قصور في الفهم، أو من علم تلقوه جيلًا عن جيل، مما يصعب تغييره، أو تعديله.

ثالثًا: إنكار العوام على علماء الكلام:

نشأ العوام على فطرتهم، وقضوا حياتهم عليها، فكانوا على الاعتقاد الصحيح، دون أن يعرفوا شيئًا عن علم الكلام؛ بل إن علم الكلام كان له جنايات كبيرة على العقيدة الاسلامية، والتي كان أبرزها: النخر في أساس العقيدة، ومدارها، وأركانها، في حين لم تضرر عقيدة العوام بذلك المسلك الدخيل، وفي ذلك يقول الغزالي: "والدليل على تضرر الخلق به المشاهدة والعيان والتجربة، وما ثار من الشر منذ نبغ المتكلمون وفشت صناعة الكلام، مع سلامة العصر الأول من الصحابة عن مثل ذلك، ويدل عليه – أيضًا-: أن رسول الله ﷺ والصحابة بأجمعهم ما سلكوا في المحاجة مسلك المتكلمين في تقسماتهم وتدقيقاتهم، لا لعجز منهم عن ذلك، فلو علموا أن ذلك نافع لأطنبوا فيه، ولخاضوا في تحرير الأدلة خوضًا يزيد على خوضهم في مسائل الفرائض"[(1)].

لقد كانت الجناية عظيمة من وراء علم الكلام، أما العوام فلم يتأثروا بذلك؛ لأنهم لم يعرفوا تلك التفاصيل التي نادى بها المتكلمون، فقادتهم إلى الشك والحيرة، فعلى سبيل المثال:

أ) "مذهب الأشاعرة إنما يعتقده الذين تعلموه في مؤسسات علمية، أو تعلموه من مشايخ كانوا على مذهب الأشاعرة، وأما العوام- وهم الأكثرية- فلا يعرفون شيئًا عن مذهب الأشعرية؛ وإنما هم على الفطرة...والعقيدة المطابقة للفطرة هي: عقيدة أهل السنة والجماعة"[(2)].

ب) العوام لا يعرفون التأويل بالمعنى الذي أحدثه المتأخرون، والذي يقتضي صرف اللفظ عن الحقيقة التي وُضع لها، وتحريف معاني العقيدة، فكيف يكون من علوم العوام، أصحاب الفطرة الصحيحة؟.

---

(1) إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، ص335.

(2) قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص36. وانظر: العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها ص258.

والعوام كذلك: لا يعرفون القول بالمجاز[1]، وهو أيضًا من مصطلحات المتكلمين الحادثة، والتي ساهمت في اختراق العقيدة الصحيحة، فالعوام بمعزل عن معرفة هذه الدقائق البيانية[2]؛ ولذلك: عَدَّ الإمام ابن القيم هذا القول بالتأويل والمجاز من الطواغيت الحادثة[3].

ولذلك: أنكر العوام على علماء الكلام، فهذا الفخر الرازي "مر ببعض شيوخ الصوفية، فقيل للشيخ: هذا يقيم على الصانع ألف دليل، فلو قمت عليه، فقال: وعزته: لو عرفه ما استدل عليه، فبلغ ذلك الإمام، فقال: نحن نعلم من وراء الحجاب، وهم ينظرون من غير حجاب"[4].

إن المخرج مما وقع فيه المتكلمون هو: الاعتصام بالفطرة، والحفاظ عليها، والاعتصام بالكتاب والسنة، "ففي ذلك – فقط– تحديد المسلك الصحيح الذي يهتدي المرء بارتياده، كما فيه – أيضًا–: التحذير من السبل الأخرى التي إذا سلكها الإنسان، وترك فيها وشأنه، لا يمكن أن يجني إلا الحيرة والاضطراب، كما وقع لكثير من أذكياء علماء الكلام، الذين فتحوا المجال لعقولهم تجول في كل طريق، وفى النهاية أصبح أحدهم يتمنى أن يموت على عقيدة العجائز"[5].

وصار دين العجائز: المنفذ الوحيد لخروج المتكلمين من مآزقهم، فتمنوه بعدما ناطحوا السحاب في العلوم العقلية.

خلاصة المبحث:

يتبين مدى الجهود المباركة، والعظيمة، التي قام بها علماء السلف من المحدثين وأرباب المذاهب الفقهية وعلماء الحنابلة في تقرير عقيدة السلف، والدفاع عنها، والعمل على نشرها، وتبيينها للناس؛ حتى لا يكونوا فريسة للمتكلمين، والمتربصين بالعقيدة الصحيحة، فقد كان لهم الأثر الكبير في روح حياة العقيدة، حيث جذبوا الناس لها، وأدخلوهم بها، وصرفوهم عن الضلالات التي ألمّت بالعقيدة الصحيحة، والاعتقاد السليم، كما تبين فضل عقيدة العوام على عقيدة المتكلمين؛ لعدم اعترائها للتبديل والتغيير في مقابل الشك والريبة التي انتابت المتكلمين.

---

(1) عرفه الجُرْجَاني بقوله: "اسم لما أريد به غير ما وضع له المناسبة بينهما". التعريفات ص202. وهو"مصطلح يرد كثيرًا في كتب العقائد، خصوصًا في باب الأسماء والصفات؛ وذلك أن كثيرًا من أهل التعطيل اتخذوه مطية لنفي الصفات الإلهية". مصطلحات في كتب العقائد ص197.

(2) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (1029/2).

(3) انظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (632/2).

(4) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، (263/5)، ط(1)1997م، دار صادر– بيروت – لبنان.

(5) أول واجب على المكلف: عبادة الله تعالى وضوح ذلك من كتاب الله ودعوات الرسل، عبد الله بن محمد الغنيمان، (63/2)، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة– السعودية، بدون طبعة.

المبحث الثاني
الأسباب الخاصة في الانتقال إلى غير مذهب السلف

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الصحبة والمخالطة.

المطلب الثاني: الرحلة.

المطلب الثالث: جهود المتكلمين في نشر مذاهبهم.

المبحث الثاني
الأسباب الخاصة في الانتقال إلى غير مذهب السلف

لقد قضى الله ﷻ أن يخلق الإنسان على الفطرة، المقتضية للاعتقاد الصحيح، وأن ما يحصل من انحراف في المجتمعات، لا سيما في العقيدة، لا يدل على نقص في أصل الخِلقة؛ بل على أن عوامل معينة ساهمت فيه، وساعدت على وجوده، فأدت إلى هذا الانحراف، وجرفت الإنسان عن عقيدته الصحيحة في الله ﷻ.

تساهم الأسباب الخاصة جنبًا إلى جنب مع الأسباب العامة في التأثير على عقيدة السلف، وهذه الأسباب الخاصة مرتبطة بشكل كبير بعلاقة الإنسان بالناس من حوله، من جانب، وهي مرتبطة بشباك المتكلمين ودهائهم من جانب آخر، فكثيرًا ما ينشئ الإنسان علاقات مع الناس، وتكون هذه العلاقات سببًا في انحرافه عن العقيدة الصحيحة، حيث يكون أثر المخالطة على القلوب أشد من أثرها على غيرها، وكثيرًا من تؤدي مغادرة الإنسان بلده إلى انحراف عن العقيدة، حين ترتبط البلاد مع بعضها بحبال التواصل، ونقل الموروث العلمي لبعضها البعض، وعلى رأس ذلك: العقيدة والفكر، هذا بجانب ما يقصده المتكلمون من إفساد العقيدة الصحيحة، وشراء الكلام بها.

إن إسلامنا الحنيف قد راعى تلك الأسباب، وحذر من عواقبها، وأثرها، فعلمنا كيف يختار الإنسان صحبته، وكيف يحافظ على دينه، وكيف ينتبه للمخاطر المحدقة بعقيدته الغراء، فعلى الإنسان أن يلتزم بالضوابط التي قررها الإسلام؛ من أجل صيانة العقيدة، والحفاظ عليها،

وهذا المبحث يسلط الضوء على تلك العوامل والأسباب، والله المُستعان.

المطلب الأول
الصحبة والمخالطة

إن من القواعد المقررة في حياة الناس: أن الإنسان لا يمكن أن يعيش من دون أن يكون له أصحاب، يتفاعل معهم، ويتأثر بهم، ويؤثروا به، وهذا التأثير لا يقتصر على جانب معين؛ بل يتعداه لمجالات عديدة، وعلى رأسها: التأثير في عقيدة الصاحب، وفي ذلك يكمن دور الصحبة والمخالطة في انتقال الإنسان من مذهب عقدي إلى آخر، ولا سيما إلى غير مذهب السلف؛ لما للتلبيس من سرعة نفاذ وسريان إلى قلب الإنسان، "فالصحبة والمخالطة لا شك في أنها من أعظم أسباب التأثير على عقيدة الإنسان"[(1)].

ولأجل ذلك: حَرَص الإسلام حرصًا كبيرًا على انتقاء المسلم لأصحابه ورفقته، فهي وصية النبي ﷺ، ووصية الصحابة والتابعين من بعده، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **[الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل]**[(2)]، أي: يجذبه خليله إلى دينه ومذهبه[(3)]؛ لأن "الخلة الحقيقية لا تتصور إلا في الموافقة الديني؛ أو الخلة الظاهرة قد تفضي إلى حصول ما غلب على خليله من الخصلة الدينية"[(4)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلوب"[(5)].

وعن أبي قُلابة[(6)] قال: "لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمروكم في ضلالتهم؛ ويُلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون"[(7)].

---

(1) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين، (359/1)، ط(2)1424ه، دار ابن الجوزي- السعودية.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب: أبوب الزهد عن رسول الله ﷺ (34)، باب (45)، ص535، رقم: (2378)، **(قال الألباني: حسن)**.

(3) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، تحقيق: د/ أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ص259، دار النشر: دار السلام- القاهرة- مصر، عام النشر: 1428هـ-2007م، بدون طبعة.

(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (3142/8).

(5) الإبانة الكبرى (438/2)، رقم: (371).

(6) هو: عبد الله بن زيد بن عمرو الجَرْمِي، من أهل البصرة، كان إماما فاضلًا، من كبار الفقهاء، وعلماء الحديث، مات بالشام هاربًا من القضاء، توفي سنة: (104هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (72/1)، ترجمة رقم: (85).

(7) الاعتصام ص172.

وعن ابن وهب[1] قال: "سمعت مالكًا إذ جاءه بعض أهل الأهواء يقول: "أما أنا: فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاك، فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه"، ثم قرأ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:108]، فهذا شأن من تقدم من عدم تمكين زائغ القلب أن يسمع كلامه.

ومثل رده بالعلم: جوابه لمن سأله في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5] كيف استوى؟ فقال له: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وأراك صاحب بدعة"، ثم أمر بإخراج السائل[2].

ومثل ما لا يقدر على رده: أنه كان يقول: "كان يقال: لا تمكِّن زائغ القلب من أذنك؛ فإنك لا تدري ما يعلقك من ذلك"[3]، وهذا يفيد الحذر من مخالطة كل من لا يعرف دينه[4].

فبناءً على ذلك: نرى اتفاقًا واضحًا وجليًا بين النبي ﷺ، وبين الصحابة الكرام، وبين السلف الصالح، على لزوم انتقاء الصحبة الصالحة، التي تساهم في تكوين شخصية الإنسان، ومعالمها، وعقيدتها، ودليل على أن صحبة أهل البدع والأهواء تمثل خطرًا على عقيدة الإنسان، وسلوكه، وذلك الخطر راجع إلى عدة أمور:

أولًا: فتح باب للشبهات على المصاحَب، فيسرع إلى تقبلها، والاعتقاد بها؛ "إذ قد يكون المرء على يقين من أمر من أمور السنة، فيلقي له صاحب الهوى كلامًا فيه هوى، مما يحتمله اللفظ، ويكون هذا الكلام لا أصل له، أو يزيد له فيه قيدًا من رأيه، فيقبله قلبه، فإذا رجع إلى ما كان يعرفه، وجده مظلمًا، فإما أن يشعر به، فيرده بالعلم، أو لا يقدر على رده، وإما أن لا يشعر به، فيمضي مع من هلك"[5].

ثانيًا: طول المجالسة، وتغلغل المحبة: فإن مجالسة أهل البدع تولد محبة تنعكس على سلوك الإنسان وتصرفاته، "فإذا كاثرهم المجالس، وطاولهم المؤانس، أحب أن يقتدي بهم في أفعالهم، ويتأسى بهم في أعمالهم، ولا يرضى لنفسه أن يقصر عنهم، ولا أن يكون في الخير دونهم،

---

(1) هو: عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء، المصري، أبو محمد، فقيه، من الأئمة، جمع بين الفقه، والحديث، والعبادة، له كتب، منها: الجامع، الموطأ، وكان حافظًا ثقة مجتهدًا، عرض عليه القضاء، فخبأ نفسه، ولزم منزله، مولده ووفاته بمصر، توفي سنة: (197هـ). انظر: الأعلام (144/4).

(2) راجع هذا الأثر ص121–122 من هذا البحث.

(3) الاعتصام ص173.

(4) بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود، عبد الرحمن بن حسن بن التميمي، ص324، ط(1) بمصر 1349هـ، النشرة الثالثة، 1412هـ، دار العاصمة– الرياض– السعودية.

(5) الاعتصام ص172–173، بتصرف.

فتبعثه المنافسة على مساواتهم، وربما دعته الحمية إلى الزيادة عليهم، والمكاثرة لهم، فيصيرون سببًا لسعادته، وباعثًا على استزادته"[1].

ثالثًا: إحداث التغير العظيم في جميع جوانب شخصية الإنسان؛ "فهم أضر الناس على إيمان الشخص وسلوكه، وأخلاقه، فمخالطتهم ومصاحبتهم سبب عظيم من أسباب نقص الإيمان وضعفه"[2].

رابعًا: تغييب سنة النبي ﷺ عن الإنسان، وصرف له عنها، فـــ"عن عبد الله بن مسلم[3]، قال: "كنت أجالس ابن سيرين[4]، فتركت مجالسته إلى قوم من المعتزلة، فرأيت في المنام أني مع قوم يحملون جنازة النبي ﷺ"، فقال (ابن سيرين): "مالَكَ مع من جلست؟ إنك مع قوم يريدون أن يدفنوا ما جاء به النبي ﷺ"[5].

حقًا إن مجالسة أهل البدع ترمي بضررها على صاحب العقيدة الصحيحة، فتفسدها، وذلك مثلما حدث مع عمرو بن عبيد، وابن أبي دؤاد، حيث كانت صحبة واصل بن عطاء السبب المباشر في ترك السنة إلى الاعتزال[6].

فلينتبه الإنسان إلى من يصاحب حتى لا يكون صاحبه سببًا في انحرافه عن الإعتقاد الصحيح.

---

(1) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، (24/77-78)، ط(1)، مطابع دار الصفوة – مصر.

(2) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص260، ط(1)1416هـ-1996م، مكتبة دار القلم والكتاب- الرياض- السعودية.

(3) هو: عبد الله بن مسلم السُّلمي، العامري، المروزي، أبو طَيبة، من أهل خراسان، وقاضي مرو، من كتبه: الحديث النبوي، ولم أقف له على تاريخ وفاة. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (10/301)، ترجمة رقم: (209).

(4) هو: محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، مولده ووفاته في البصرة، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، من مصنفاته: تعبير الرؤيا، توفي سنة: (110هـ). انظر: الأعلام (6/154-155).

(5) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (4/ 818)، رقم: (1379). وانظر: سير أعلام النبلاء (4/617).

(6) انظر: تاريخ بغداد وذيوله، للخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (12/165)، في ترجمة عمرو بن عبيد رقم: (6652)، ط(1)1417هـ، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان. وانظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (1/81)، في ترجمة ابن أبي دؤاد، رقم: (32).

قال ابن عون[1]: "أمران أدركتهما وليس بهذا المصر (البصرة) منهما شيء: الكلام في القدر، إن أول من تكلم فيه رجل من الأساورة[2]، يقال له: سيسَوَيْه[3]، وكان دَحِيقًا[4]"، "وما سمعته قال لأحد دحيقًا غيره"، قال: "فإذا ليس له عليه تَبَع إلا الملَّاحون[5]، ثم تكلم فيه بعده رجل كانت له مجالسة يقال له: مَعْبَد الجُهني[6]، فإذا له عليه تَبَع"، ثم قال: "وهؤلاء الذين يدعون المعتزلة"[7].

وبذلك تبين لماذا دارت دوائر السلف على نبذ مصاحبة أهل البدع والأهواء، فهذا كله دائر حول الجانب النظري، أما في الجانب العملي، فحياة السلف عامرة بتطبيق تلك المبادئ والأسس التي نادوا بها، وحثوا الناس على تطبيقها، والالتزام بها، فمن ذلك:

1) التشنيع من مجالسة أهل الأهواء والبدع ، فـــ"عن خُوَيل[8] قال: "كنت عند يونس بن عُبيد[9]، فجاء رجل، فقال: يا أبا عبد الله: تنهانا عن مجالسة عمرو[10]، وقد دخل عليه ابنك، قال: ابني؟ قال: نعم، فتغيظ الشيخ، قال: فلم أبرح حتى جاء ابنه، فقال: يا بني، قد عرفت

---

(1) هو: عبد الله بن عون بن أرطبان المزني بالولاء، شيخ أهل البصرة، من حفاظ الحديث، ما كان في العراق أعلم بالسنة منه، ثقة في كل شيء، يغزو ويركب الخيل، توفي سنة: (151هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (364/6-375)، ترجمة رقم: (156).

(2) "الأساورة": "بطن من تميم، نزلوا البصرة، والتحقوا ببني تميم؛ فانتسبوا إليهم". انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا بن محمد، (19/1)، ط(7)1414هـ-1994م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان. وانظر: معجم البلدان (317/5)، "والإسوار والأسوار: الواحد من أساورة فارس، وهو الفارس من فرسانهم المقاتل". لسان العرب (388/4).

(3) هو: سِيسَويه البقال، أبو يونس، من أبناء المجوس. انظر: مجموع الفتاوى (384/7). وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (591/3).

(4) "دَحيق، أي: طريد". تاج العروس من جواهر القاموس (277/25).

(5) "الملَّاح": صاحب السفينة. مختار الصحاح ص297.

(6) هو: مَعْبَد بن عبد الله بن عويمر الجهني البصري، أول من قال بالقدر في زمن الصحابة، في البصرة، بعد المجوسي سِيسَويه، ونقله إلى المدينة، وعنه أخذ غيلان، وكان معبد ثقة في الحديث، من التابعين، توفي سنة: (80هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (185/4-187)، ترجمة رقم: (76).

(7) الإبانة الكبرى لابن بطة (297/4-298)، رقم: (1952). تاريخ دمشق لابن عساكر (318/59).

(8) هو: خُوَيل ابن واقد الصفار، خَتَنُ (صهر) شعبة بن الحجاج، ولم أقف له على تاريخ وفاة. انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، (405/3)، ترجمة رقم: (1858)، ط(1)1271هـ-1952م، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد الدكن- الهند، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

(9) هو: يونس بن عُبيد بن دينار العبديّ بالولاء، البصري، أبو عبد الله، أو أبو عُبيد، من حفاظ الحديث الثقات، ومن أصحاب الحسن البصري، كان يبيع الخز بالبصرة، له نحو مائتي حديث، توفي سنة: (139هـ). انظر: الأعلام (262/8).

(10) هو: عمرو بن عُبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة، ومفتيها، وأحد الزهاد المشهورين، من مصنفاته: التفسير، والرد على القدرية، توفي سنة: (144هـ). انظر: الأعلام (81/5).

رأيي في عمرو، ثم تدخل عليه؟، قال: كان معي فلان، قال: فجعل يعتذر، فقال يونس: أنهاك عن الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ولأن تلقى الله ﷻ بهن أحب إلي من أن تلقاه برأي عمرو وأصحاب عمرو"[1].

2) مقاطعة المتأثرين بأقوال أهل الأهواء والبدع، فالإمام أحمد كان يحذر مجالسة الحارث المحاسبي[2]، وقد أمر بهجره؛ لأنه كان ينتسب إلى قول ابن كُلَّاب؛ جريًا على عادته من التحذير من ابن كُلَّاب وأتباعه، وسائر أهل الأهواء والبدع[3]، مع جلالة قدر الحارث، وعلمه، ودينه، إلا أن الإمام أحمد كان يحذر منه، ويأمر بهجرته، وكان يقول: "احذروا من حارث، الآفة كلها من حارث"[4]، كما أمر السَّرِي السَّقَطِي[5] الجنيد أن يتقي بعض كلام الحارث[6]، وكذا سئل أبو زُرعة عن الحارث المُحاسبى وكتبه، فقال للسائل: "إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر، فإنك تجد فيه ما يغنيك"، قيل له: "في هذه الكتب عبرة"، فقال: "من لم يكن له في كتاب الله عبرة، فليس له في هذه الكتب عبرة"[7].

ومن خلال هذين الموقفين: نلاحظ مدى تغليظ العلماء في مجالسة أصحاب الأهواء والبدع، من المتكلمين، وغيرهم، سواء كانوا متأثرين أو داعين إلى بدعهم وأهوائهم، إلا أن الأئمة حذروا من مجالسته؛ "ولأجل هذا التحذير: اختفى الحارث في داره ببغداد، ومات فيها، ولم يصلِ عليه إلا نفر قليل"[8].

---

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (4/817-818)، رقم: (1378). الإبانة الكبرى (2/466)، رقم: (464). سير أعلام النبلاء (6/294).

(2) هو: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، من أكابر الصوفية، عالمًا بالأصول والمعاملات، واعظًا مبكيًا، ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد، له: شرح المعرفة، آداب النفوس، هُجرت كتبه لاشتمالها على مخالفات لعقيدة السلف، توفي سنة: (243هـ). انظر: الأعلام (2/153).

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل (2/6). وانظر: الإيمان لابن تيمية ص337.

(4) انظر: مجموع الفتاوى (12/95).

(5) هو: سَرِي بن المغلس السَّقَطي، أبو الحسن، أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين، وشيخهم في وقته، وهو خال الجنيد، وأستاذه، توفي سنة: (253هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (12/185-187)، ترجمة رقم: (65).

(6) مجموع الفتاوى (6/521).

(7) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (1/431)، رقم: (1606).

(8) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (11/309)، ترجمة رقم: (1455). وانظر: مجموع الفتاوى (12/95).

وقد ذُكر عن الحارث أنه تاب من ذلك، وكان له من العلم، والفضل، والزهد، والكلام في الحقائق الشيء الكثير، وأنه مات على عقيدة: "إن الله يتكلم بصوت"، وهذا يوافق قول من يقول: إنه رجع عن قول ابن كُلَّاب[1].

فبان أن الصحبة والمُخالطة تؤثر في سلوك الإنسان؛ بل في مُعتقده وأخلاقه.

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (6/521-522). وانظر: مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (2/108). وانظر: تلبيس إبليس ص150.

المطلب الثاني
الرحلة

إن عيش المسلم في بيئة يسودها الاعتقاد الصحيح، المتمثل في عقيدة السلف، لهو من أعظم نعم الله ﷻ على المسلم، حيث يكون ذلك داعيًا، ومحفزًا على الالتزام بالعقيدة الصحيحة، والثبات عليها، فإذا خرج من بلده، كان ذلك عرضة للتأثر بالمذاهب المخالفة لمذهب السلف، فيمثل ذلك خطرًا على العقيدة.

إن خروج المسلم من بلده ليس أمرًا مذمومًا في حد ذاته؛ بل حين ما يترتب عليه تأثير على سلامة العقيدة، وصحتها، وقد جرى دأب أهل العلم على الارتحال من أوطانهم، وبلدانهم، وتحمل المشاق؛ طلبًا في تحصيل العلوم الشرعية النافعة؛ وابتغاءً للأجر والثواب من الله ﷻ؛ وذلك انطلاقًا من التوجيه القرآني؛ والنبوي؛ وتشجيع العلماء على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:122].

قال أبو بكر بن العربي[1]: "إنما يقتضي ظاهر هذه الآية الحث على طلب العلم والندب إليه دون الإلزام والوجوب، واستحباب الرحلة فيه وفضلها"[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **[من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة]**[3]، وعن صفوان بن عسَّال[4] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **[ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم، إلا وضعت له الملائكة أجنحتها؛ رضًا بما يصنع]**[5].

وقد تضافرت أقوال أهل العلم في الحث على طلب العلم، قال الإمام الشافعي: "فحقٌّ على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه،

---

(1) هو أحد المتأثرين بالأشعرية، وسيأتي الحديث عنه في المبحث الثاني من الفصل الثالث- بعون الله تعالى-.

(2) أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي، راجع أصوله، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، (602/2)، ط(3)1424هـ-2003م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(3) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب: العلم عن رسول الله ﷺ (39)، باب: فضل طلب العلم (2)، ص596، رقم: (2646)، **(قال الألباني: صحيح)**.

(4) هو: صفوان بن عسال، من بني الربض بن زاهر بن عامر بن مراد، سكن الكوفة، وغزا مع النبي ﷺ ثنتي عشرة غزوة، لا يُعرف تاريخ وفاته. انظر: أسد الغابة، لأبي الحسن علي بن الأثير، (409/2)، ترجمة رقم: (2515)، دار الفكر- بيروت- لبنان، تاريخ النشر: 1409هـ-1989م، بدون طبعة.

(5) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم (17)، ص57، رقم: (226)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، ط(1)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية. **(قال الألباني: حسن صحيح)**.

وإخلاص النية لله في استدراك علمه نصًا واستنباطًا، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا يُدرك خير إلا بعونه"[1]، وقال ابن الجوزي: "تأملت عجبًا، وهو أن كل شيء نفيس خطير يطول طريقه، ويكثر التعب في تحصيله، فإن العلم لما كان أشرف الأشياء، لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار، وهجر اللذات والراحة"[2]، وقال ابن القيم: "وأما سعادة العلم فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع، وصدق الطلب، وصحة النية"[3]، وقال يحيى بن أبي كثير[4]: "لا يستطاع العلم براحة الجسم"[5].

إن المدار الذي قامت عليه رحلات السلف، هو: طلب العلم الشرعي، والعقيدة الصحية، فعلى ذلك، حثوا، وبذلك دانوا، فأصابت رحلتهم، وسلمت عقيدتهم، وقد تؤثر الرحلة في بعض الأحوال على عقيدة الإنسان، فتكون سببًا في تأثره بغير مذهب السلف، مما يتعلمه من عقيدة البلد الراحل إليه، وهذا التأثير واقع من ناحيتين:

أولًا: التأثير على عقيدة المرتحِل.

ثانيًا: التأثير على عقيدة بلد المرتحِل.

وهذان التأثيران لا يمكن الفصل بينهما؛ إذ كل من ارتحل وتأثر، حمل العقيدة إلى بلده، وذلك كما حصل مع "العلماء المغاربة: بدئوا حياتهم العلمية باقتفاء أثر العلماء المشارقة، وتتبعهم، والسير في منهجهم، والنسج على منوالهم، ومن لم تمكنه ظروفه المعيشية من الرحلة إلى المشرق، لم يعدم أستاذًا عاش فيه، ليتأثر به[6]، فقد "نقلوا الثروة العلمية المشرقية إلى بلادهم بكل ما فيها من فقه، ودين ولغة ونحو، وفلسفة وطب"[7]، فيعودن حاملين ما تعلموه إلى بلادهم؛ بل ويسعون لنشره.

---

(1) الرسالة ص19.

(2) صيد الخاطر ص281.

(3) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، (108/1)، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان.

(4) هو: يحيى بن صالح الطائي بالولاء، اليمامي، أبو نصر، عالم أهل اليمامة في عصره، من أهل البصرة، أقام عشر سنين في المدينة يأخذ عن أعيان التابعين، توفي سنة: (129هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (27/6-31)، ترجمة رقم: (9).

(5) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (5)، باب أوقات الصلوات الخمس (31)، (428/1)، رقم: (612).

(6) شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، (33/1)، ط(1)، جامعة أم القرى- مكة المكرمة- السعودية.

(7) الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، ص317، ط(13)، دار المعارف- مصر.

ففي سنة (514هـ): قدم محمد بن تومرت، في حداثة سنه من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق؛ قاصدًا الحج، فسكن النظامية ببغداد، واشتغل بالعلم، فحصل منه جانبًا جيدًا من الفروع، والأصول، والكلام، والحديث، وقد التقى بأكابر العلماء، وفحول النظار خلال رحلته، من علماء الأشاعرة، وأخذ عنهم المذهب في القول بتأويل المتشابه، وعلى رأسهم: الغزالي، حيث التقى به في الشام، وصحبه[1]، ثم عاد إلى بلاد الغرب، وطعن على أهله في الوقوف مع الظاهر، وحملهم على القول بالتأويل، والأخذ بقول الأشاعرة في جميع العقائد، إلا أنه كان رجلًا ورعًا، زاهدًا، متقشفًا، شجاعًا، جلدًا، عاقلًا، عميق الفكر، فصيحًا، مهيبًا[2].

وهذا: أبو ذر الهَرَوِي[3]: قدم إلى بغداد من هَراة[4]، فأخذ علم الكلام عن ابن الباقلاني[5]، ونقل المذهب الأشعري إلى الحرم، وكان أول من بثه في المغاربة، والمالكية[6].

---

(1) ذهب بعض العلماء إلى إنكار هذا اللقاء بعض الباحثين، مثل: محمد عبد الله عنان، في كتابه: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ص239-240، ط(2)1390هـ-1970م، مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر.

(2) انظر: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن علي بن أحمد القاهري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (251/2)، ط(2)1985م، مطبعة حكومة الكويت. وانظر: البداية والنهاية (186/12). وانظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان (3/ 178)، وانظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ص136، وانظر: العبر في خبر من غبر(421/2)، وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (106/36).

(3) سيأتي الحديث عنه في المبحث الثاني من الفصل الثالث- بعون الله تعالى-.

(4) قيل: هي هَرَاة بني شبابة، وليست هَرَاة خُرَاسَان، وهي موضع بين مكة والطائف، وبها كان سكنى أبي ذر ﷺ. انظر: شرح الشفا، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، (110/1)، ط(1)1421هـ، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان. وانظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (71/2)، ط(1)1971م.

وقيل: هَرَاة خُرَاسَان، التي منها أصله. انظر: الأعلام (66/4). وانظر: سير أعلام النبلاء (518/19).

ولعل الجمع بين القولين: بأن أبا ذر ينسب إلى المدينتين، فالأُولى باعتبار الأصل والنشأة، والثانية باعتبار الارتحال والإقامة، والله أعلم.

(5) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، قاضٍ، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، مولده في البصرة، ووفاته ببغداد، من كتبه: إعجاز القرآن، توفي سنة: (403هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (190/17-193)، ترجمة رقم: (110).

(6) انظر: درء تعارض العقل والنقل (101/2)، (271/1). وانظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان (43/3). وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر(394/37). وانظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (391/14). وانظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، بتحقيق: سعيد أحمد أعراب (46/7). وانظر: البداية والنهاية (50/12).

قال أبو بكر الخطيب: "قدم أبو ذر بغداد وأنا غائب، فحدث بها، وحج، وجاور، ثم تزوج في العرب، وسكن السَّرَوات[1]، فكان يحج كل عام، ويحدث ويرجع، وكان ثقة، ضابطًا، دينًا"[2].

وكان أبو ذر يلتقي مع القادمين من المغرب إلى المشرق، فيعلمهم أصول الأشعرية وعلم الكلام، ويقرؤون عليه البخاري، وذلك عبر الحج، ثم يوجههم للعراق؛ للالتقاء بمشايخ الأشاعرة، وقد كان منهم: أبو الوليد الباجي، وأبو بكر بن العربي[3]، وأبو بكر الصوفي.

فأما أبو الوليد الباجي: فقد رحل إلى الشرق، ومكث فيه نحو ثلاثة عشر عامًا، وأقام بمكة مع أبي ذر الهروي ثلاثة أعوام، وحج أربعة أعوام، وأقام ببغداد ثلاثة أعوام، يدرس الفقه، ويقرأ الحديث، ويتعلم الكلام، حيث لقي فيها جماعة من العلماء، فأخذ طريقة الباقلاني عن أبي جعفر السِّمْناني[4]، قاضي الموصل، صاحب ابن الباقلاني، ورجع إلى الأندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلم جم، حصله مع الفقر والتعفف[5].

وأما أبو بكر بن العربي: فقد رحل بعد أبي الوليد إلى المشرق، ودخل الشام، وبغداد، ومصر، وسمع من العديد من العلماء، والأدباء، والمحدثين، وتأثر بهم، كالغزالي، فأخذ طريقة أبي المعالي في الإرشاد، ثم عاد إلى الأندلس، ثم قدم إلى إشبيلية[6] بعلم كثير[7].

---

(1) "السَّرَوات": سَرَاة بني شبابة، من نواحي مكة التي حدث بها أبو جميع عيسى ابن الحافظ أبي ذر الهروي عن أبيه. انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (71/2). وانظر: معجم البلدان (317/3).

(2) تذكرة الحفاظ (202/3)، ترجمة رقم: (997). سير أعلام النبلاء (557/17)، ترجمة رقم: (370).

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل (101/2-102)، (271/1).

(4) هو: محمد بن أحمد بن محمد السِّمْناني، أبو جعفر: قاض حنفي، نشأ ببغداد، وولي القضاء بالموصل إلى أن توفي بها، وكان مقدم الأشعرية في وقته، له تصانيف في الفقه، توفي سنة: (444هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (651/17-652)، ترجمة رقم: (441).

(5) انظر: درء تعارض العقل والنقل (101/2-102)، (271/1). وانظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (83/3). وانظر: تاريخ ابن الوردي (368/1). وانظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي(241/2).

(6) "إِشْبِيلِيَة": مدينة قديمة على شاطئ نهر عظيم، يقال له: وادي الكبير، يطلّ عليها جبل الشرف، وفيها مدن وأقاليم، أصل تسميتها: "إشبالي"، معناه: المدينة المنبسطة، وأما اسم: "اشبيلية"، فقد أطلق عليها فيما بعد، وتعني: التنجيم، وقد خرجت إشبيلية من أيدي المسلمين في شهر شعبان، سنة: (646هـ). انظر: معجم البلدان (195/1)= =وانظر: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري، (56/1)، ط(4)1417هـ-1997م، مطبعة المدني- القاهرة- مصر، نشر: مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر.

(7) انظر: درء تعارض العقل والنقل (102/2).

وقد لحق بهما: أبو بكر الصوفي[1]، حيث قدم بغداد، من بلاد المغرب، وأخذ عن أبي ذر الهروي[2].

وبذلك يتبين أن الرحلة قد ساهمت في تقريب حواجز الأفكار، والمُعتقدات، بين الدول، حتى قرَّبت بين المشرق والمغرب، ومن خلال ذلك: نُشرت مذاهب المتكلمين، في البلاد التي خلا منها.

(1) هو: عتيق بن عبد الواحد، من أهل المغرب، قدم بغداد، وكان من شيوخ الصوفية وظرافهم، أربى على الثمانين سنة. انظر: تاريخ بغداد وذيوله (130/17)، ترجمة رقم: (409).

(2) تاريخ بغداد وذيوله (130/17).

المطلب الثالث

جهود المتكلمين في نشر مذاهبهم

سعى المتكلمون جاهدين إلى نشر مذاهبهم بين الناس، وهم في ذلك استخدموا وسائل متعددة، وسلكوا سبلًا متنوعة؛ من أجل التأثير على الناس؛ وجعلهم يغيرون اتجاهاتهم، وأفكارهم؛ ويدينون لمناهج علم الكلام، عوضًا عن منهج القرآن، وعقيدة السلف.

لقد حاول المتكلمون، وبكل قوة، أن يُظهروا للناس أن منهج أهل السنة والجماعة، وأن ما عليه السابقون من الاعتقاد هو ما عليه أهل الكلام فحسب؛ فلذلك الأمر: لم يبقِ المتكلمون أي جهد في سبيل نشر مذهبهم بين الناس، فمن هذه الطرق:

أولًا: توثيق الضلالات في العقيدة والحفاظ عليها:

إن مما ساعد ضلالات المضلين في العقيدة: وجود من يحفظ مقولاتهم بعد موتهم، ويثبتها؛ بل ويدعو الناس إليها، ويحثهم على التمسك بها، فضلالاتهم لا تفنى بفنائهم، وهذا ما التزم به المتكلمون في ديدنهم، وطريقتهم في الاعتقاد، فإنهم يتمسكون بضلالات السابقين، وانحرافاتهم، فهذا "بشر المَرِيسي توفي سنة (218هـ)، إلا أن تأويلاته وشبهاته لم تمت بموته؛ بل بقيت حية في كتب المتكلمين من بعده"[1].

وبذلك ندرك أن المتكلمين يعتزون بتراث أهل الابتداع في العقيدة، ويفتخرون بهم، ويقيمون ضلالاتهم على أساس هذا الابتداع، المخالف لما كان عليه السلف من الاعتقاد والانقياد، وهم بشكل عام: يعتزون بعلوم الكلام، والمنطق، والفلسفة، وهذا أوجه في صدارة الناس، لا سيما عند ذيوع هذه العلوم، واشتهارها بين الناس[2].

ثانيًا: غَزو علم الكلام للمذاهب الفقهية:

عمل المتكلمون على استغلال المذاهب الفقهية؛ من أجل نشر مذاهبهم؛ والتأثير على المخالفين لهم في الاعتقاد، وقد استطاعوا بذلك أن يتغلغلوا إليها، وأن يبثوا عقيدتهم بهذه الوسيلة، وقد تمثل غزو المتكلمين للمذاهب الفقهية في ما يلي:

---

(1) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص335.

(2) انظر: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة، علي بن بخيت بن عبد الله الزهراني، إشراف: محمد قطب، ص142، قُدمت كرسالة ماجستير في قسم العقيدة، جامعة أم القرى- مكة- السعودية، سنة 1414هـ، بدون طبعة.

1) إظهار علماء الكلام في صورة الفقهاء: حيث إن بعد الفقهاء عن علم الحديث، وقلة درايتهم به جعل كثيرًا منهم ينحرفون في الاعتقاد، ويميلون إلى علماء الكلام، ومذاهبهم المتكلمين، فصاروا يفرغون طاقاتهم، وجهودهم وفق مناهج المتكلمين.

وهذا الأمر أمد المتكلمين بمدد جديد، يظهرهم فيه بصورة الفقهاء العلماء بالفروع، ثم بالأصول[1]، فيكون بذلك مدخلًا جيدًا لهم للتأثير على الناس، لا سيما المحبين منهم لتعلم علم الفقه، والانتماء للمذاهب الفقهية.

2) إثراء علم أصول الفقه: فقد اعتنى المتكلمون بالتأليف في أصول الفقه، فكثير منهم كانوا أصوليين متكلمين[2]؛ لأنهم "احتاجوا في علم الكلام لتقرير أصولهم إلى التصرف في دلالة النص لتتماشى مع فكرهم وعقيدتهم كالتأويل، فاهتمامهم بأصول الفقه كان الغرض منه وضع قواعد، يتخطون بها النصوص، أو يقيدون دلالاتها بما يتوافق وعقيدتهم"[3]؛ وكذلك اتخذوه مدخلًا لتقوية مسالك الجدل والمناظرة مع الخصوم، "كما أن بعض الأصوليين قد استهواهم المنطق اليوناني فولعوا به وحاولوا مزجه بعلم أصول الفقه"[4]، فحصل"التمازج والتفاعل مع علم الكلام"[5]، فأدى ذلك إلى إفساد علم أصول الفقه، وإدخال كثير من المسائل الكلامية العقائدية المنحرفة والمباحث المنطقية والفلسفية فيه، ومسائل لا ثمرة من ذكرها، ومسائل لا تعلق لها به، وتعقيد العبارات، وصرف الناس عنه[6]؛ لأن طبيعة علم الكلام تميل إلى الاستدلال العقلي والجدلي، فقرروا القواعد وفق المبادئ المنطقية وأقاموا الأدلة عليها مجردة عن الفروق الفقهية[7].

---

(1) انظر: المنهج المقترح لفهم المصطلح ص73.

(2) انظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، ص202، ط(2)1412هـ-1992م، الدار العالمية للكتاب الإسلامي- الرياض- السعودية.

(3) موقع الشيخ مختار الطيباوي: http://www.taibaoui.com/index.php?type=1&detail_prod=64، الفتوى رقم (25).

(4) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ص7.

(5) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ص31.

(6) انظر: من أصول الفقه على منهج أهل الحديث، زكريا بن غلام قادر الباكستاني، ص16، ط(1)1423هـ-2002م، دار الخراز- جدة- السعودية. وانظر: توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر بن صالح الجزائري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (544/1)، ط(1)1416هـ-1995م، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب- سوريا.

(7) انظر: أصول الفقه تاريخه ورجاله، د/ شعبان محمد إسماعيل، ص30-31، ط(1)1401هـ-1981م، دار المريخ للنشر- الرياض- السعودية. وانظر: علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، عبد الوهاب خلاف، ص19، مطبعة المدني "المؤسسة السعودية بمصر"، بدون طبعة. وانظر: المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية، على جمعة محمد عبد الوهاب، ص19، ط(2)1422هـ-2001م، دار السلام - القاهرة- مصر.

3) تبني المتكلمين للمذاهب الفقهية، والدعوة إليها: فقد استطاع المتكلمون الدخول إلى المذاهب الفقهية، والانخراط فيها، فكان كثير منهم يتبعون المذاهب الفقهية؛ بل وبارزون فيها، وساهموا في إنضاجها، فأدخلوا على مذاهب الأئمة الأربعة ما ليس منها، وخلطوها بما هو غريب عنها، ولم يسلم من ذلك أي مذهب من المذاهب الأربعة[1]، ومن ثَم دعوة الناس إليها، وذلك من خلال تلبيسهم على الناس، بلباس التمذهب الفقهي، كاستخدام العبارات المألوفة لدى أصحاب المذاهب، مثل: قولهم: "قال أصحابنا"، و"اختلف أصحابنا"، والحق: أن تحمل على موافقيهم من المتكلمين[2]، ولا شك أن هذا يمثل وسيلة فعالة في جذب الناس لمتاهاتهم الكلامية؛ فإن الإنسان- في الغالب- يدين بما عليه مذهبه الفقهي من الاعتقاد[3].

فعلى سبيل المثال: كانت الشافعية على مذهب السلف في الاعتقاد؛ إتباعًا لإمامهم محمد بن إدريس الشافعي، حيث تميز بجودة الأصحاب والتلامذة[4]، وينكرون على كل من خالف عقيدة السلف[5]، ومع انتشار المذهب الأشعري كان علماء الشافعية من أكثر الناس تأثرًا به، فانتشر المذهب بينهم، حتى إنه ما مضى على وفاة أبي الحسن الأشعري إلا أقل من ستين سنة حتى انتشر مذهبه في العراق والشام[6]، حيث كانوا يعلمون الناس في المدارس النظامية فقه الشافعي، وعقيدة الأشعري[7].

فتحول كثير من الشافعية إلى الأشعرية بشكل جماعي، وتركوا معتقد الشافعي، وصاروا ينادون بالمذهب الشافعي الأشعري[8].

فهذا النجاح الذي حققته الطائفة الشافعية الأشعرية؛ جاء ثمرة للجهود التي بذلها رجالها في نزاعهم مع أهل الحديث من جهة، وفي دعوتهم لمذهبهم بين الشافعية من جهة أخرى، ضمن

---

(1) انظر: براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة (رسالة دكتوراه)، د/ عبد العزيز بن أحمد بن محسن الحميدي، ص28-29، ط(1)1420هـــ-1999م، دار ابن عفان للنشر والتوزيع- القاهرة- مصر.

(2) انظر: درء تعارض العقل والنقل (4/8).

(3) انظر: رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية ص31.

(4) انظر: البداية والنهاية (253/10-254).

(5) انظر: درء تعارض العقل والنقل (96/2-97).

(6) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (192/4).

(7) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (304/16). وانظر: تاريخ الخلفاء ص300.

(8) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (29/14).

الأزمة العقيدية التي عصفت بالمذهب السني، والتي نجح رجالها في التعامل معها، وتحويل تيارها لصالحهم[1].

ثالثًا: بث الطلاب والدعاة لنشر المذهب:

يتخذ المتكلمون طلابهم وسيلة في نشر مذاهبهم؛ وفي التأثير على الناس، وذلك من خلال تعليمهم علم الكلام، وتمكينهم منه، ومن ثَم يقومون بإرسالهم إلى البلدان؛ حتى يعلمون الناس المذهب، فمن ذلك:

1) ما ذكره ابن المرتضى[2] عن واصل بن عطاء زعيم الاعتزال، أنه أنفذ أصحابه إلى بلدان متعددة؛ لنشر مذهبه، وبثه بين الناس، فقد بعث إلى خراسان، وتِرْمِذ[3]، وإِرْمِيْنِيَة[4]، واليمن، والجزيرة[5]، وغير ذلك من البلدان، وقد كان لتلك البعثات أثرها الكبير في كثير من الناس،

---

(1) الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين: مظاهرها، آثارها، أسبابها، والحلول المقترحة لها ص50-51.

(2) هو: أحمد بن يحيى بن المرتضى بن المفضل ابن منصور الحسني، عالم بالدين والأدب، من أئمة الزيدية باليمن، يلقب بالمهدي لدين الله، من مصنفاته: نكت الفرائد، الجواهر والدرر، الفائض، توفي سنة: (840هـ). انظر: الأعلام (269/1).

(3) "تِرْمِذ": مدينة مشهورة من أمهات مدن خُرَاسَان، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، وهي مدينة حسنة، عامرة، آهلة، مفروشة الأزقة في الشوارع بالآجر، شرب أهلها من جيحون، وبينها وبين بَلْخ مرحلتان، وتقع اليوم في جمهورية أوزباكستان السوفيتية، على الحدود مع أفغانستان، ينسب إليها جماعة من الأئمة، والحفاظ، وأهل العلم، وفيهم كثرة. انظر: معجم البلدان (26/2-27). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص132. وانظر: الأماكن، أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، محمد بن موسى بن عثمان الهمداني، زين الدين، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، ص160، الناشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، عام النشر: 1415هـ، بدون طبعة.

(4) "إِرْمِيْنِيَة": منطقة عظيمة واسعة، تقع في الشمال، جنوب القوقاز، سميت بكون الأرمن فيها، وهي أمة كالروم وغيرها، يتقاسمها اليوم: إيران، وتركيا، والاتحاد السوفيتي سابقًا، فتحت في زمان عثمان ﷺ، سنة: (24هـ). انظر: معجم البلدان (195/1-161). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص25-26. وانظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (345/4).

(5) "الجزيزة": وتسمى: جزيرة أَقُور، وهي الهضبة الصحراوية على الحدود العراقية السورية التركية، التي بين دجلة والفرات، مجاورة الشام، تشتمل على ديار مضر وديار بكر ومن أمهات مدنها: حَرَّان والرَّهَا والرَّقَّة ونَصِيبِين والموصل وغيرها، فتحت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ سنة (17هـ). انظر: معجم البلدان (134/2-136).

حيث استجابوا لدعوتهم، فتأثروا بالاعتزال، ودانـــوا بالاعتزال ولزموه[1]، ومنهم من صار داعيًا له، فكانت هذه البعثات بمثابة رحلات دعوية للترويج للمذاهب الضالة والأفكار الهدامة، وقد كان أبو الهذيل[2] ثمرة من ثمار هذه البعثات[3].

2) كان جماعة من المتفقهة الغرباء يدخلون على الباقلاني خفية، ويقرؤون عليه، فيفتنون بمذهبه، فإذا رجعوا إلى بلادهم أظهروا بدعتهم[4]، وقد كان من عادته: أن يرسل تلامذته لنشر المذهب في الحرم، والشام، والمغرب، كما حصل من بعثه لأبي ذر الهروي، والحسين الأَزْدِي[5]، فانتشر عنه في المشرق والمغرب، وقد كان لتلك البعثات أثر كبير في التأثير على الناس، وجذبهم نحو مذاهب علم الكلام[6].

رابعًا: التأليف في علم الكلام، والعمل على إقحامه في العلوم الأخرى:

إن من أبرز عوامل انتشار المذاهب الكلامية، وأهمها: النشاط البالغ في ميدان التصنيف في علم الكلام، سواء كان ذلك بإثباته، أو بالرد على مخالفيه[7].

ولذلك: نشط المتكلمون في تأليف الكتب، ولم يقتصر تأليفهم في مجال علمي محدد؛ بل كان في مجالات علمية متعددة، ولا سيما العقيدة فأثروا فيها، ولقد بلغ نشاط المتكلمين ذروته في

---

(1) انظر: المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، باب ذكر المعتزلة، أحمد بن يحيى المرتضى، اعتنى بتصحيحه: توما ارنلد، ص19-20، طبعة دار المعارف النظامية- حيد آباد الدكن- الهند، 1316هـــ، بدون ناشر= =وانظر: معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد، (159/13)، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان، بدون طبعة.

(2) هو: محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العلاف، شيخ المعتزلة البصريين، وزعيم الفرقة الهذيلية، والمقرب من المأمون والمعتصم والواثق، مشتهر بالفسق، متأثر بالفلسفة، من كتبه: ميلاس، توفي سنة: (227هـ)، وقيل: (235هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (542/10-543)، ترجمة رقم: (173).

(3) انظر: الملل والنحل (49/1).

(4) انظر: درء تعارض العقل والنقل (97/2).

(5) هو: الحسين بن حاتم الأَزْدِي، أبو عبد الله، الذي أرسله الباقلاني إلى جامع دمشق؛ ليلقي دروسًا ومجالس تذكير، في العقيدة، وقد رجع إلى المغرب، ونشر علمه هناك، ومات بالقيروان، ولم أقف له على تاريخ وفاة. انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (49/14)، ترجمة رقم: (1522). وانظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري ص216-217.

(6) انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص216-217، ص410. وانظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (241/2). وانظر: أثر علم الكلام على المنتسبين إليه وموقف أهل السنة والجماعة وكبار المتكلمين منه (رسالة ماجستير)، وليد بن صالح بن عبد القادر باصمد، إشراف: د/ عبد العزيز بن أحمد الحميدي، ص93-94، للعام الدراسي: 1929-1430هـــ، بدون طبعة، أو ناشر.

(7) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (104/1).

التأليف، حتى إننا نجد علم الكلام مقحمًا في الكثير من العلوم الشرعية وغير الشرعية كأصول الفقه[1]، واللغة[2]، والنحو[3]، والبلاغة[4]، والتفسير[5].

---

(1) من ذلك: كتاب: العمد، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي المتوفى سنة (415هـ)، وكتاب: البرهان، للجويني إمام الحرمين. انظر: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن قدامة المقدسي، (1/18-19)، ط(2)1423هـ-2002م، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان. وانظر: تاريخ ابن خلدون(1/576-577). وانظر: المهذب في علم أصول الفقه المقارن، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، (1/61-64)، ط(1)1420هـ-1999م، مكتبة الرشد - الرياض- السعودية.

(2) حيث تأثر بعض أهل اللغة بشيء من علم الكلام، فدخل كتبهم من ذلك ما ليس له أصل في لغة العرب. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ص235-236. وانظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، تحقيق: الطباع، مكتبة المعارف- بيروت- لبنان، 1414هـ.

(3) وهذا حاصل من عدة وجوه:

أ) كان كثير من النحاة من المتكلمين، لا سيما من البصريين، حيث سلكوا طريقة المتكلمين في التأليف، وقويت صلتهم بالفلسفة اليونانية، فمن هؤلاء النحاة: الزمخشري، الجاحظ، الفراء، القاضي عبد الجبار، السيرافي، وابن جني، وغيرهم. انظر: المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص20-22، دار المعارف- الرياض- السعودية، بدون طبعة. وانظر: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ت.ج دي يور، نقله للعربية وعلق عليه: د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، ص55-56، ط(5)، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- مصر.

ب) تأثر علم النحو تأثرًا كبيرًا بالمنطق وعلم الكلام، وبالفلسفة اليونانية بشكل عام، وأُقحمت ألفاظ ومصطلحات المناطقة وعلماء الكلام فيه، حيث رجعوا إلى ملكاتهم العقلية عند وضع القواعد العربية، وضاهئوا المتكلمين في الاحتجاج، وساروا على نهجهم. انظر: من تاريخ النحو العربي، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، ص150-151، مكتبة الفلاح- الكويت، بدون طبعة.

ت) تصرف المتكلمون في النحو وفق ما يناسب معتقداتهم وأفكارهم، فتهافتوا في الإعراب، وتذرعوا بالمجاز، وأفسدوا اللغة، فجانبوا الصواب في الاعتقاد. انظر من ذلك: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (2/449-453)، ط(4)، الهيئة المصرية العامة للكتاب. وانظر: أمالي ابن الحاجب، لأبي عمرو عثمان بن الحاجب، دراسة وتحقيق: د/ فخر صالح سليمان قدارة، (2/702-703)، الإملاء(23) من الأمالي المطلقة، ط1409هـ-1989م، دار عمار- عمان- الأردن، دار الجيل- بيروت- لبنان.

(4) سيطر الإعجاز البلاغي على مباحث المتكلمين في الإعجاز، حيث كان حذاق العلماء الذين أسسوا علوم البلاغة، وبرعوا فيها، فمنهم: عبد القاهر الجُرجاني، والرماني، والباقلاني. انظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، ص94، ط(3)، دار المعارف- الرياض- السعودية.

(5) فمن ذلك: "تنزيه القرآن عن المطاعن"، لعبد الجبار الهمذاني، و"الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، للزمخشري، "مفاتح الغيب"، للفخر الرازي، و"بحر العلوم"، للسمرقندي. انظر: أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، د/ مساعد مسلم عبد الله آل جعفر، ص331-339، ط(1)1405هـ-1984م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان. ويُنظر في هذا الباب: كتاب: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، محمد بن عبد الرحمن الغراوي، ط(1)1420هـ-2000م، مؤسسة الرسالة- دار القرآن- بيروت- لبنان.

خامسًا: الوعظ والإرشاد:

اجتهد المتكلمون في الوعظ والإرشاد، وفق مناهجهم، وعقائدهم، وقد كانوا يدعون الناس إليها من خلال هذه الدروس الوعظية، وقد سبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن الأسباب العامة[1].

على أنه من الأهمية بمكان أن نشير أن تلك الجهود التي يقوم بها المتكلمون لم تلقَ صمتًا من أهل الحق؛ بل قابلوها بالبيان، والرد، والتحذير من المخالفات التي تمس العقيدة الصحيحة، كما فعل ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، حيث كانت "جهود هذين الإمامين تمثل دراسة تقويمية لكتب المتكلمين الأصولية، ونقدًا لقواعد المتكلمين ومناهجهم، وبيانًا لما لها وعليها، انطلاقًا من منهج السلف الصالح[2]، وليس أدل على ذلك من كثرة مؤلفاتهما، حتى إن ابن تيمية يقول في ذلك: "فإن هذه القواعد- المتعلقة بتقرير التوحيد وحسم مادة الشرك والغلو- كلما تنوع بيانها، ووضحت عباراتها، كان ذلك نورًا على نور، والله المُستعان"[3].

إذن: كان للمتكلمين جهود جبارة في نشر مذاهبهم، وطرقهم، وهم يستخدمون في ذلك كل ما أمكنهم، فقد تبين لنا: مدى خطورة هذه السبل التي ينتهجها المتكلمون في نشر علم الكلام، وأن تلك الجهود قوبلت بجهود أقوى من أهل الحق، والمدافعين عنه، اعتقادًا وحبًا.

وخلاصة القول: لقد كان تأثير الأسباب الخاصة كبيرًا، وقد ساعدت على إحداث تغيرات ملحوظة في عقيدة بعض ممن انتسبوا إلى مذهب السلف، ولم يكن التأثير محصورًا على أشخاصهم؛ بل تعدى ذلك إلى بلادهم، ومن يعيشون في بيئتهم.

خلاصة الفصل:

لقد بان من مجموع الفصل: عدم الاستغناء عن أهل العلماء المخلصين، الذين حفظ الله ﷻ الدين على أيديهم، ونصره بهم، فهم دعاة الاعتقاد الصحيح، كما لا يمكن إهمال الفطرة في تنازع المذاهب العقيدة، حيث تمثل الحاكم العادل في تلك النزاعات، أمام تلك الموجات الجارفة من العوامل والمؤثرات على العقيدة الصحيحة، والتي لاحظنا: مدى تأثيرها، خطورتها على العقيدة الصحيحة.

---

(1) انظر: ص98-104 من هذا البحث.

(2) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين الجيزاني، ص38، ط(5)1427هـ، دار ابن الجوزي الدمام- السعودية.

(3) مجموع الفتاوى (313/1).

الفصل الثالث
نماذج من التحولات المذهبية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: علماء تحولوا إلى مذهب المعتزلة.

المبحث الثاني: علماء تحولوا إلى مذهب الأشاعرة.

المبحث الثالث: علماء تحولوا من الاعتزال والأشعرية إلى مذهب السلف.

المبحث الرابع: علماء تحولوا من علم الكلام، ولم يتبعوا منهج السلف.

المبحث الأول

علماء تحولوا إلى مذهب المعتزلة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: واصل بن عطاء.

المطلب الثاني: أبو عبد الرحمن الشافعي.

المبحث الأول

علماء تحولوا إلى مذهب المعتزلة

بعد الحديث في الأسباب العامة والخاصة في التحولات المذهبية، ناسب في هذا الفصل أن نذكر نماذج من تلك التحولات.

وقد حرَص الباحث في هذا الفصل أن يتحدث عن هؤلاء النماذج، بذكر ترجمة كل واحد منها، وبيان ترجمتها، وبيان المذهب المتحول إليه، وسبب التحول.

وهذا المبحث فيه ذكر لنماذج لعلماء كانوا على مذهب السلف، فطرأت عليهم طروآت، وعصفت بهم أسباب، صرفتهم عن مذهب السلف، وجعلتهم يتأثرون بمذهب المعتزلة، فينتقلون إليه، حيث كان لهم شيوخ في الاعتزال، وأصبح لهم بعد ذلك تلاميذ، يعلمونهم مذهب الاعتزال، إلا أنهم متفاوتون في قوة تأثيرهم، وصياغتهم لتاريخ أهل السنة، وتاريخ الاعتزال، وحتى في ما يحدثه أثر الاعتزال في نفوسهم.

وأهل السنة، وإن كانوا يحسنون الظن بالناس، إلا أنه: مهما كان السبب المؤثر في عقيدة الإنسان، المتبع للمذهب الحق، والصارف لهم عن عقيدة أهل السنة، فليس ذلك مبررًا؛ وإنما تعليل، فيكفي في أهل الاعتزال خروجهم عن الحق، وتخليهم عن مذهب السلف، الذي امتثلوه من هدي القرآن الكريم، والسنة النبوية، وحياة الصحابة.

علمًا بأن ذكر هذه النماذج ليس على سبيل الحصر؛ بل على سبيل التمثيل، وإلا، فإن النماذج كثيرة، في كل مبحث من مباحث هذا الفصل، والله المُستعان.

المطلب الأول
واصل بن عطاء

يُعد واصل بن عطاء من أبرز المتأثرين بمخالفة منهج السلف؛ وذلك نتيجة لدخول الشبهة عليه، وتأثره بها، حيث أودت به إلى تأسيس جماعة، من أبرز الجماعات الاسلامية، التي ساهمت في صياغة تاريخ العقيدة الاسلامية، عبر مئات السنين.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: أبو حذيفة واصل بن عطاء، المعتزلي البصري، الأديب، الخطيب، الشاعر، البليغ، المتكلم، المتشدق، الأفوه، كان صموتًا، طويل الرقبة جدًا، معروف بالغزال؛ لأنه كان يدور في سوق الغزل؛ ليتصدق على النساء اللواتي يبعن الغزل، وهو مولى بني ضبة، وقيل: مولى بني مخزوم، كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينًا؛ فلاقتداره على اللغة؛ وتوسعه يتجنب الوقوع في لفظة فيها راء، في خطابه، وكانت تأتيه الرسائل وفيها الراءات، فإذا قرأها أبدل كلمات الراء منها بغيرها، حتى في آيات من القرآن، ومما قيل فيه:

ويجعل البر قمحًا في تصرفه ... وخالف الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطرًا في القول يجعله ... فعاذ بالغيث إشفاقًا من المطر

وقال أحد الشعراء لرجل: أجعلت وصلي الراء لم تنطق به...وقطعتني حتى كأنك واصل[2].

---

(1) **انظر ترجمته:** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (7/6)، ترجمة رقم: (768)، ط:1900م. وانظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (12/1). وانظر: سير أعلام النبلاء (464/5)، ترجمة رقم: (210). وانظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال (329/4)، ترجمة رقم: (9325). وانظر: الوافي بالوفيات (245/27). وانظر: الأعلام (107/8-109). وانظر: معجم المؤلفين(159/13). وانظر: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، محمد بن عبد الله ابن ناصر الدين، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، (203/8-204)، ط(1)1993م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان. وانظر: لسان الميزان (214/6-215)، ترجمة رقم: (752.)

(2) انظر خطبته التي جانب فيها الراء في: نوادر المخطوطات، عبد السلام محمد هارون، (134/2-135)، ط(2)1393هـ-1973م، الناشر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر.

كانت ولادته سنة ثمانين من الهجرة بمدينة رسول الله ﷺ، وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة، سمع من الحسن البصري، وغيره، وجـــــالس أبا هاشـــــم ابن الحنفية[1]، وكان ابن واصل رجل سوء.

له من التصانيف الكثير، فله: كتاب: أصناف المرجئة، والتوبة، ومعاني القرآن، والمنزلة بين المنزلتين، وطبقات أهل العلم والجهل، والسبيل إلى معرفة الحق، والخطب في التوحيد والعدل، وكتاب خطبته التي أخرج منها الراء، وكتاب ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد، وغير ذلك.

ثانيًا: واصل من السنة إلى الاعتزال، وسبب التحول:

يُعد واصل بن عطاء أول من صنف في علم الكلام، والجدال، والخصام، مع أهل السنة والجماعة، وهو رئيس المعتزلة، وأول من سمي معتزليًا، اعتزل مجلس الحسن البصري؛ فسمي بذلك، بعدما كان يجلس إليه، وذلك لما ظهر الاختلاف في حكم مرتكب الكبيرة، فقالت الخوارج: بتكفيره، وقال أهل السنة: بأنهم مؤمنون، وإن فسقوا بالكبائر، فخرج واصل بن عطاء من الفريقين، وقال: إن الفاسق من هذه الأمة: لا مؤمن، ولا كافر: منزلة بين منزلتين، فطرده الحسن عن مجلسه، فاعتزل عنه، فقال الحسن: اعتزل واصل عنا وجلس إليه عمرو بن عبيد، فقيل لهما ولأتباعهما: معتزلون؛ فهذا سبب تسميتهم بالمعتزلة، وكان سبب سؤال السائل للحسن البصري: أنه لم يكن في زمن النبي ﷺ خوض في هذه المسائل، ولا في صدر الإسلام؛ وإنما حدث ذلك في أواخر عصر متأخري الصحابة ﷺ[2].

والملاحَظ أن: السبب في تحول واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة: ما وقع فيه من الشبهة، التي دخلت قلبه، فأفسدته، وعارض بعقله نصوص القرآن والسنة.

---

(1) هو: عبد الله بن محمد ابن الحنفية بن علي بن أبي طالب، أبو هاشم، أحد زعماء العلويين في العصر المرواني، ومن واضعي أسس الدولة العباسية، يدعي الرافضة نقل الإمامة إليه بعد أبيه عب الله، توفي سنة: (99هـ). انظر: ميزان الاعتدال (483/2)، ترجمة رقم: (4533).

(2) انظر: الأعلام (8/-109). وانظر: معجم المؤلفين (159/13). وانظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (12/1). وانظر: سير أعلام النبلاء (464/5). وانظر: أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل الصفدي، تحقيق: د/ علي أبو زيد، د/ نبيل أبو عشمة، د/ محمد موعد، د/ محمود سالم محمد، تقديم: مازن عبد القادر المبارك، (40/1)، ط(1)1418هـ-1998م، دار الفكر المعاصر بيروت- لبنان، دار الفكر- دمشق-سوريا. وانظر: الوافي بالوفيات (245/27). وانظر: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم (203/8-204). وانظر: لسان الميزان (214/6-215). وانظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ: حماد بن محمد الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ، عبد الأول بن حماد الأنصاري، (513/2)، ط(1)، بدون ناشر.

ومما زاد الأمر سوءًا: أن واصل قد أسس بشبهته مذهبًا مستقلًا عن أهل السنة والجماعة، ومخالفًا لما كان عليه سلف الأمة، فهو الذي نشر مذهب الاعتزال، فبعث من أصحابه عبد الله بن الحارث إلى المغرب، وحفص بن سالم إلى خُرَاسَان، والقاسم إلى اليمن، وأيوب إلى الجزيرة، والحسن ابن ذكوان إلى الكوفة، وعثمان الطويل إلى أرمينية[1]، وقد كان مما دعا إليه: القول بخلق القرآن، والتوقف في عدالة أهل الجمل، ويقول: "إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها، فلو شهد عندي علي وعائشة وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم"، والقول بالمنزلة بين المنزلتين في الفاسق من أمة محمد ﷺ، وقد أخذ رأي معبد الجهني في القدر، إلا أنه قال بأن الله عالم بالأشياء قبل وقوعها، ولكن أفعال البشر ليست بمشيئته وإرادته، ولا من خلقه، وهو ممن نفى الصفات الإلهية عن الله ﷻ.

فكانت هذه البدع التي قال بها واصل بن عطاء، كالأساسات التي انبنى عليها مذهب المعتزلة في الاعتقاد، وقد أضيف إلى هذه البدع بدع أخرى، وأصلت عند المعتزلة فيما يسمونه بالأصول الخمسة، وكانت منهم فتن كبيرة على أهل السنة؛ إذ حملوا الناس بالقوة على اعتقاد أن القرآن مخلوق وغير منزل[2].

فيظهر من خلال ذلك: تأثير الشبهة على واصل بن عطاء، إلى أن أسس مذهب الاعتزال.

---

(1) انظر: الأعلام (109/8)، وانظر: معجم المؤلفين (159/13).

(2) انظر: حقيقة البدعة وأحكامها (117/1-118). وانظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، (943/3)، ط(1)1410هـ-1990م، دار ابن القيم- الدمام- السعودية.

المطلب الثاني

أبو عبد الرحمن الشافعي

يُعد الإمام أبي عبد الرحمن أحد أعلام، وهو واحد من تلاميذ الإمام الشافعي، أخذ عنه مسائل العقيدة، ومسائل العمل، إلا أنه تأثر بطريقة أبي دؤاد، فتابعه عليها، وصار يقول بقوله، فضلًا عن مسائل منكرات، حيث جعله ذلك غير محمود عند أهل السنة.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: أحمد بن يحيى بن عبد العزيز، نسب إلى شيخه أبي عبد الرحمن الشافعي، البغدادي، المتكلم، الأشعري نسبًا، من كبار الأذكياء، اشتهر بالكنية والنسبة؛ لكونه تفقه على يد الإمام الشافعي؛ وصحبه ببغداد، وذب عن مذهبه، وكان أول من خلف الإمام الشافعي في ذلك في العراق، وكان من جلة العلماء، وحذاق المتكلمين والعارفين بالإجماع والاختلاف، وكان رفيعًا عند السلطان، وذوي الأقدار، عالمًا بالحديث والأثر، متسعًا في العلم، مع تمكن النظر والجدل، والاقتدار على الكلام، حدث عن جل من العلماء، وكذا تفقه على يديه جمع غفير من أهل العلم، كداود الظاهري، وغيره.

ولد في حدود الثلاثين ومائتين، ولا يُعرف بالتحديد تاريخ وفاته، كما ذكر ابن كثير[2].

يُعد أبو عبد الرحمن أحد الحفاظ النساك المفتين، إلا أنه كان يخطئ كثيرًا، فكان الإمام الشافعي يمنعه من قراءة كتبه، فعن أبي ثور قال: "كنا نختلف إلى الشافعي، ومعنا أبو عبد الرحمن الشافعي، فكان يقول: لا تدفعوا إلى أبي عبد الرحمن يعرض لكم؛ فإنه يخطئ"[3]، وكان ضعيف البصر.

---

(1) **انظر ترجمته:** تاريخ بغداد وذيوله (409/5-410)، رقم: (2989). وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (64/2-66)، ترجمة رقم: (10). وانظر: طبقات الشافعيين ص115-117. وانظر: موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله، (محمد مهدي المسلمي، أشرف منصور عبد الرحمن، عصام عبد الهادي محمود، أحمد عبد الرزاق عيد، أيمن إبراهيم الزاملي، محمود محمد خليل)، (103/1)، ترجمة رقم: (404)، ط(1)2001م، عالم الكتب للنشر والتوزيع- بيروت- لبنان. وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (427/17-428)، ترجمة رقم: (514). وانظر: سير أعلام النبلاء (555/10-556)، ترجمة رقم: (190). وانظر: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة ﷺ ص108.

(2) انظر: طبقات الشافعيين ص.116.

(3) تاريخ بغداد وذيوله (410/5). ميزان الاعتدال في نقد الرجال (547/4). لسان الميزان (76/7).

ثانيًا: أبو عبد الرحمن من السلفية إلى الاعتزال، وسبب التحول:

على الرغم من ملازمة أبي عبد الرحمن للإمام الشافعي، إلا أنه خالف الإمام في مسائل العقيدة، "وغلب عليه الجدل والمناظرة والكلام"[1]؛ متبعًا في ذلك شيخ الاعتزال: أبي دؤاد، قال الدارقطني[2]: "أبو عبد الرحمن الشافعي المتكلم البغدادي، اسمه: أحمد بن يحيى، كان من كبار أصحاب الشافعي الملازمين له ببغداد، ثم صار من أصحاب ابن أبي دؤاد، واتبعه على رأيه"[3]، وكان أحد العشرة الذين اختارهم المأمون لمجلسه، والكلام بحضرته، وسماهم إخوته، ورسمهم في الديوان بذلك، له مصنفات كثيرة جليلة، توفي ببغداد[4].

له تلاميذ كثر من المعتزلة، كـــــ"جعفر بن حرب[5]، وجعفر بن مُبشِّر[6]، وثُمامة بن أشرس[7]، وغيرهم، ممن كان ذكاؤهم وبالًا عليهم، ثم بينهم من الاختلاف والخباط أمر لا يخفى على أهل التقوى، فلا عقولهم اجتمعت، ولا اعتنوا بالآثار النبوية، كما اعتنى أئمة الهدى، ﴿فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:81]"[8]؛ فلذلك لم يكن أبو عبد الرحمن محمودًا؛ بسبب تغييره وتبديله[9].

---

(1) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (428/17).

(2) هو: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن الشافعي، ولد بدار القطن (من أحياء بغداد)، إمام عصره في الحديث، وأول من صنف القراءات، من مصنفاته: السنن، المؤتلف والمختلف، توفي سنة: (385هـ). انظر: الأعلام (314/4).

(3) تاريخ بغداد وذيوله (410/5) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (428/17). طبقات الشافعيين ص116. طبقات الشافعية الكبرى (65/2). وانظر: طبقات الفقهاء، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: إحسان عباس، تهذيب: محمد بن مكرم ابن منظور، ص102، ط(1)1970م، دار الرائد العربي- بيروت- لبنان.

(4) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة ﷺ ص108.

(5) هو: جعفر بن حرب الهمداني، من أئمة المعتزلة، من أهل بغداد، أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف بالبصرة، وكان من نساك القوم، توفي سنة: (236هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (549/10-550)، ترجمة رقم: (181).

(6) هو: جعفر بن مُبشِّر بن أحمد الثقفي: فقيه، من كبار المعتزلة، له آراء انفرد بها، مولده ووفاته ببغداد، توفي سنة: (234هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (549/10)، ترجمة رقم: (180).

(7) هو: ثُمَامة بن أشرس النُّمَيري، أبو معن، من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين، كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون، وتخرج به الجاحظ، تنتسب إليه الثمامية، توفي سنة: (213هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (203/10-206)، ترجمة رقم: (47).

(8) سير أعلام النبلاء (555/10) بتصرف.

(9) انظر: طبقات الشافعية الكبرى (65/2).

ولقد تابع أبو عبد الرحمن الإمام الشافعي في المسائل العملية، دون الاعتقادية، يقول ابن كثير: "إنما صار إلى رأي أبي دؤاد، في القول بخلق القرآن، فأما في الفروع فهو باق على مذهب الإمام الشافعي، وله وجوه تحكي عنه"(1).

وعلى الرغم من متابعة أبي عبد الرحمن للإمام الشافعي في المسائل العملية، إلا أن له منكرات منها، خالفه في بعضها، بل وخالف جمهور العلماء فيها، وذلك كقوله: إن الطلاق لا يقع بالصفات، كقول القائل: جاء رأس الشهر فأنت طالق، أو ذكر وقتًا ما، وقوله بعدم قضاء الصلوات؛ لأن الوقت شرط فيها، وعدم اعتباره لقدر الحد في السرقة، وأن اليد تقطع في القليل والكثير(2).

من خلال ما سبق: يظهر أن أبا عبد الرحمن تأثر بأفكار أبي دؤاد الاعتزالية، فسايره على مذهبه، بالرغم من تتلمذه على يد الإمام الشافعي.

خلاصة المبحث:

تأثر كثير من العلماء، ممن ينتسبون إلى مذهب السلف بالاعتزال؛ وكان لهذا التأثر أسبابه الواضحة، والبيِّنة، كالشبهة، والصحبة، والمخالطة، كما رأينا ما حدث مع واصل بن عطاء، وابن عقيل الحنبلي، وأبي عبد الرحمن الشافعي.

---

(1) طبقات الشافعيين ص.116.

(2) انظر: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، (269/13)، ط(1)1419هـ-1999م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان. وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (65/2). وانظر: سير أعلام النبلاء (555/10).

المبحث الثاني

علماء تحولوا إلى مذهب الأشاعرة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أبو ذر الهروي.

المطلب الثاني: أبو الوليد الباجي.

المطلب الثالث: أبو بكر بن العربي.

المبحث الثاني
علماء تحولوا إلى مذهب الأشاعرة

إن الانتقال عن مذهب السلف، ليس شرطًا أن يكون إلى مذهب المعتزلة، فإن الانتقال عن مذهبهم يمكن أن يكون إلى غير ذلك، كالانتقال إلى مذهب الأشاعرة.

وهذا المبحث فيه ذكر لنماذج لعلماء كانوا على مذهب السلف، فتحولوا إلى مذهب الأشاعرة؛ عبر عوامل وأسباب متعددة، أصبحوا من خلاله أئمة في المذهب، وصار لهم تلاميذ يعلمونهم الأشعرية، حتى أصبح لهم صولة وجولة في ديار أهل السنة، وصاروا نقمة عليهم، من خلال التأثير على الناس، والاجتهاد والحرص على نشر المذهب.

والناظر في هذا المبحث وغيره، يدرك مدى تأثير الشيوخ في تلاميذهم، ومدى تأثيرهم على بلادهم، وأهلها، فطوبى لمن اتخذ علماء السلف أشياخًا، واقتبس منهم أنوارًا.

ليس المشكلة عند أهل السنة متوقفة عند رجل يتأثر بمذهب الأشاعرة، أو غيره؛ بل إنها تتعدى لأكثر من ذلك، من التأثير على غيرهم ممن هم على مذهب أهل السنة والجماعة.

وهؤلاء المنتقلون إلى مذهب الأشاعرة، نحسن الظن بهم، فهم جبال من العلم، قد دفعتهم عوامل حياتهم للانتقال إلى مذهب الأشاعرة، ولكن: كفاهم انحرافًا الخروج عن الاعتقاد الصحيح في ذات الله ﷻ، والبعد عن المنهج الذي ارتضاه الله لعباده، والله المُستعان.

المطلب الأول
أبو ذر الهروي

يُعد الإمام أبو ذر الهروي أحد بحور العلم، ولا سيما في علم الحديث، طلب العلم عبر الرحلة، فساهمت في التأثير على عقيدته؛ بل ونقلها إلى أهل بلده، الذين لم يعرفوا علم الكلام ألبتة، فصاروا يدينون بمذهب الأشعرية؛ بسبب تأثير أبي ذر عليهم.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: عبد الله بن أحمد بن محمد "أبو ذر الهروي"، أصله من هَرَاة، وتمذهب بمذهب مالك ﷺ، ولد سنة: خمس–أو ست– وخمسين وثلاثمائة، وهو من كبار علماء الحديث، وكبار مشايخ الحرمين، كان إمامًا في الحديث، حافظًا له، ثقة، ثبتًا، متفننًا، ورعًا، زاهدًا، متقشفًا، متقللًا، عالمًا، سخيًا، لا يدخر شيئًا للغد، واسع الرواية، متحريًا في سماعه، كثير المعرفة بالصحيح والسقيم، وعلم الرجال، حسن التأليف في ذلك كثيرًا، وكان يتحرى في الفتيا، ويحيل على من يحضره من فقهاء المالكية للسماع منه.

قال حاتم بن محمد[2]: "كان أبو ذر مالكيًا خيرًا، فاضلًا متقللًا من الدنيا، بصيرًا بالحديث وعلله، ويميّز الرجال"[3].

(**1**) **انظر ترجمته:** تاريخ بغداد وذيوله (142/11)، رقم: (5838). وانظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (229/7–233). وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (406/29)، ترجمة رقم: (120). وانظر: سير أعلام النبلاء (554/17–563)، ترجمة رقم: (370). وانظر: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، محمد بن عبد الغني ابن نقطة الحنبلي البغدادي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ص391–392، ترجمة رقم: (510)، ط(1)1408هـ–1988، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان. وانظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ص438، ترجمة رقم: (1361). وانظر: الأعلام (65/4–66). وانظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (70/2–71). وانظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي ابن فرحون، ص217–218، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، بدون طبعة. وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (164/5). الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (241/2–542)، ترجمة رقم: (561).

(**2**) هو: حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمي، أبو القاسم، المحدث المتقن، الأندلسي، أصله من طرابلس الشام، عني بتقييد العلم وضبطه، توفي سنة: (469). انظر: سير أعلام النبلاء (336/18–337)، ترجمة رقم: (157).

(**3**) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (232/7).

سافر الكثير، وتنقل بين البلدان؛ طالبًا للعلم وناشرًا له، فأخذ العلم عن جمع من الشيوخ، وتفقه على يديه جمع ليس بالقليل من الشيوخ، فسافر إلى بغداد، والحجاز، ومصر، وخُرَاسَان، والجِبال[1]، وفارس، والكوفة، وخرج إلى مكة فسكنها أزيد من ثلاثين سنة، وظل مجاورًا للحرم إلى أن مات ناشرًا للعلم، تزوج في العرب وأقام بالسَّرَوان[2]، وكان يحج في كل عام، ويقيم بمكة أيام الموسم، ويحدث، فقد حدث بصحيح البخاري بطرق متعددة.

مات أبو ذر بمكة، لخمس خلون من ذي القعدة، سنة: أربع وثلاثين وأربعمائة، وله مصنفات كثيرة، فله كتاب في المسند الصحيح المخرج على البخاري ومسلم، وكتاب: السنة والصفات، والجامع، والدواة، والقرآن، وفضائل يوم عاشوراء، ومسانيد الموطآت، وكرامات الأولياء، والرؤى والمنامات، وفضائل مالك بن أنس، والمناسك، ودلائل النبوءة، والرباء واليمين الفاجرة، وشهادة الزور، وبيعة العقبة، وحديث الجعرانة وخيبر، وشهادة النبي ﷺ وأصحابه، وكتاب ما روي في بسم الله الرحمن الرحيم، وكتابان في شيوخه، أحدهما: في من روى عنه الحديث، نحو (300) شيخ، والثاني: في من لقيه ولم يرو عنه.

ثانيًا: أبو ذر من السلفية إلى الأشعرية، وسبب التحول:

تأثر أبو ذر بشيخي الأشعرية: أبو بكر الباقلاني، وأبو بكر بن فورك[3]، وأخذ منهما حظًا من علم الاعتقاد[4].

ولم يكن أبو ذر يعرف مذهب الأشعرية، حتى تعرف على شيخهم: أبو بكر الباقلاني، وذلك خلال رحلته إلى بغداد، وفي قصة التقائه بأبي بكر الطيب، وقد سؤل: أنت من هَرَاة فمن

---

(1) "الجِبَال": جمع جبل: اسم علم للبلاد المعروفة اليوم باصطلاح العجم بالعراق، وهي ما بين أصبهان إلى زنجان، وقزوين، وهمذان، والدينور، وقرميسين، والرّيّ، وما بين ذلك من البلاد، وقد يكون السبب في هذه التسمية الحادثة: أن ملوك السلجوقية كان أحدهم إذا ملك العراق دخلت هذه البلاد في ملكه فكانوا يسمّونه سلطان العراق، وهذا أكثر مقامه بالجبال، فظنّوا أن العراق الذي منسوب إليه ملكه، هو الجبال. معجم البلدان (99/2) بتصرف. وانظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص341. وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (309/1).

(2) "السَّرَوان": قال الحموي: "كأنه تثنية سَراة، بفتح ثانيه: محلتان من محاضر، سلمى أحد جبلي طيّء". معجم البلدان (216/3).

(3) هو: محمد بن الحسن الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر، شيخ المتكلمين، من فقهاء الشافعية، من مصنفاته: مشكل الحديث وغريبه، غريب القرآن، توفي سنة: (406هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (214/17-216)، ترجمة رقم: (125).

(4) انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (231/7). وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (89/28).

أين تمذهبت بمالك والأشعري؟ قال: "إني قدمت بغداد أطلب الحديث، فلزمت الدارقطني، فلما كان في بعض الأيام، كنت معه، فاجتاز به القاضي أبو بكر بن الطيب، فأظهر الدارقطني من إكرامه ما تعجبت منه، فلما فارقه، قلت: أيها الشيخ الإمام: من هذا الذي أظهرت من إكرامه ما رأيت؟ فقال: أو ما تعرفه؟ قلت: لا، قال: هذا سيف السنة: أبو بكر الأشعري، فلزمت القاضي منذ ذلك، واقتديت به في مذهبه"[(1)].

قال الإمام الذهبي: "هو الذي كان ببغداد يناظر، عن السنة وطريقة الحديث، بالجدل والبرهان، وبالحضرة رؤوس المعتزلة، والرافضة، والقدرية، وألوان البدع، ولهم دولة وظهور بالدولة البويهية، وكان يرد على الكرامية، وينصر الحنابلة عليهم، وبينه وبين أهل الحديث عامر، وإن كانوا قد يختلفون في مسائل دقيقة؛ فلهذا عامله الدارقطني بالاحترام"[(2)].

قال الإمام ابن الجوزي في ترجمته: "وقيل: إنه كان يميل إلى مذهب الأشعري"[(3)].

وبحكم ارتحاله، ونقله للعلم، فقد نقل المذهب الأشعري إلى الحرم، وكان أول من بثه في المغاربة، والمالكية[(4)]، وقبل ذلك كانت علماء المغرب لا يدخلون في الكلام؛ بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية، ولا يخوضون في المعقولات، وعلى ذلك كان الأصيلي[(5)]، وأبو عمرو الداني[(6)]، وأبو عمر بن عبد البر[(7)]، والعلماء[(8)].

---

(1) التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله البلنسي، تحقيق: عبد السلام الهراس، (209/1)، دار الفكر للطباعة- بيروت- لبنان، سنة النشر: 1415هـ- 1995م. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (406/29). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (508/2-509).

(2) سير أعلام النبلاء (558/17).

(3) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (28/15)، ترجمة رقم: (3248).

(4) انظر: درء تعارض العقل والنقل (101/2)، (271/1). وانظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان (43/3). وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر(394/37). وانظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (391/14). وانظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (46/7). وانظر: البداية والنهاية (50/12).

(5) هو: عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله أبو محمد، عالم بالحديث والفقه، من أهل أصيلة (في المغرب)، رحل في طلب العلم إلى الأندلس والمشرق، له كتاب: الدلائل على أمهات المسائل، توفي سنة: (392هـ). انظر: الأعلام (63/4).

(6) هو: عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، الأندلسي، الأموي، ويقال له ابن الصيرفي، أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره، من كتبه: المقنع، جامع البيان، القراءات السبع، توفي سنة: (444هـ). انظر: الأعلام (206/4).

(7) هو: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي، من كبار حفاظ الحديث، يقال له: حافظ المغرب، من مصنفاته: العقل والعقلاء، بهجة المجالس وأنس المجالس، الكافي في الفقه، توفي سنة: (463هـ). انظر: سير أعلام البلاء (153/18-163)، ترجمة رقم: (85).

(8) سير أعلام النبلاء (557/17).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد كان أبو ذر يلتقي مع القادمين من المغرب إلى المشرق، وذلك عبر الحج، فيعلمهم أصول الأشعرية وعلم الكلام، ويقرؤون عليه البخاري، ثم يوجههم للعراق؛ للالتقاء بمشايخ الأشاعرة، وقد كان منهم: أبو الوليد الباجي، وأبو بكر بن العربي[1].

ومما سبق نلاحظ: أن الارتحال قد أثر في عقيدة أبي ذر، فقد أفسح له المجال للالتقاء بالشيوخ، والعلماء من شتى الملل والنحل، الأمر الذي كان له الدور الكبير في نقل الأشعرية إلى بلاد المغرب.

---

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل (2/101-102)، (1/271).

المطلب الثاني

أبو الوليد البَاجي

يُعد الإمام أبو الوليد البَاجي أحد أوعية العلم، وهو واحد من أئمة المسلمين في بلاد الأندلس، وواحد من قلائدها، وبدر من بدور العلوم فيها، رحل إلى المشرق، بتوجيه من أبي ذر الهروي، فقعد عقيدته من خلال رحلته، وملازمته لعلماء وشيوخ المشرق، ومن ثم حمل هذا العلم إلى بلاد الأندلس.

أولًا: ترجمته(1):

هو: سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الأندلسي الباجي، نسبة إلى مدينة باجة(2)، فقيه مالكي، وأحد الحفاظ المكثرين في الفقه والحديث، من أهل قرطبة(3)، كان

---

(1) **انظر ترجمته:** المغرب في حلى المغرب، على بن موسى بن سعيد الأندلسي، تحقيق: د/ شوقي ضيف، (404/1-405)، ترجمة رقم: (287)، ط(3)1955م، دار المعارف- القاهرة- مصر. وانظر: البداية والنهاية (122/12-123). وانظر: قلائد العقيان، الفتح بن خاقان بن غرطوج، ص187-188، في طبع مصر، عام النشر: 1284هـ- 1866م، بدون طبعة. وانظر: تاريخ بغداد وذيوله (92/21-93)، ترجمة رقم: (85). وانظر: ترتيب المدارك، تحقيق: سعيد أحمد أعراب (117/8-127). وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (224/22-229)، ترجمة رقم: (2660). وانظر: بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم، تحقيق: د/ سهيل زكار، (4648/10)، دار الفكر- بيروت- لبنان. وانظر: وفيات الأعيان (408/2-409)، ترجمة رقم: (275)، ط:1900م. وانظر: سير أعلام النبلاء (535/18-454)، ترجمة رقم: (274). وانظر: فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد، تحقيق: إحسان عباس، (64/2-65)، ترجمة رقم: (173)، ط(1)1974م، دار صادر- بيروت- لبنان. وانظر: تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، علي بن عبد الله الأندلسي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ص95، ط(5)1403هـ-1983م، دار الآفاق الجديدة- بيروت- لبنان. وانظر: الأعلام (125/3). وانظر: نفح الطيب (67/2-69)، ترجمة رقم: (45). وانظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن عميرة، ص108-109، ترجمة رقم: (408)، الناشر: دار الكاتب العربي- القاهرة- مصر، عام النشر: 1967م. وانظر: الديباج المذهب ص120-122. وانظر: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، (1387/3-1389)، ترجمة رقم: (564)، ط(1)1414هـ-1993م، دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان. وانظر: شذرات الذهب (315/5-316). وانظر: الفكر السامي (252/2-253)، ترجمة رقم: (578).

(2) "مدينة بَاجَة": هي من أقدم مدن الأندلس، وتقع اليوم في البرتغال على بعد (140كم) إلى الجنوب الشرقي من لشبونة. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص75. وانظر: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، محمد بن عبد الله الحِميرى، تعليق: لافي بروفنصال، ص36، ط(2)1408هـ- 1988م، دار الجيل- بيروت- لبنان.

(3) "مدينة قرطبة": قاعدة الأندلس، ومستقر الإمارة والخلافة الأموية في الأندلس، مدينة العلم، ومقر السنة والجماعة، خرجت من أيدي المسلمين سنة (633هـ)، ويعتبر الجامع والقنطرة أشهر معالمها في العصر الحالي. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص456-459. وانظر: المسالك والممالك، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي، (900/2-902)، دار الغرب الإسلامي، عام النشر: 1992م.

فقيهًا، نظّارًا، محققًا، راوية محدثًا، يفهم صيغة الحديث ورجاله، متكلمًا، أصوليًا، فصيحًا، شاعرًا، مطبوعًا، حسن التأليف، متقن المعارف، وكان وقورًا، بهيًا، مهيبًا، جيد القريحة، حسن الشارة.

قال القاضي أبو علي الصدفي[1]: "ما رأيت مثل أبي الوليد الباجي، وما رأيت أحدًا على سمته، وهيئته، وتوقير مجلسه"[2].

وكان مولده سنة: ثلاث وأربعمائة، بمدينة بَطَلْيُوس[3]، وتوفى ليلة الخميس، بين العشاءين، التاسع والعشرين من رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة، بمدينة المَرِيَّة[4].

سمع الحديث، ورحل فيه إلى بلاد المشرق، سنة ست وعشرين وأربعمائة، فسمع هناك الكثير، واجتمع بأئمة ذلك الوقت، كأبي إسحاق الشيرازي[5]، وأبي الطيب الطبري[6]، وجاور بمكة ثلاث سنين مع الشيخ أبي ذر الهروي، وأقام ببغداد ثلاث سنين، وبالموصل سنة عند أبي جعفر السِّمْناني قاضيها، فأخذ عنه الفقه والأصول، وفي دمشق وحلب مدة.

---

(1) هو: حسين بن محمد بن فِيرُّه بن سُكَّرة الصَّدفي، أبو علي، قاض، محدّث، كثير الرواية، من أهل سَرَقُسْطَة، رحل إلى المشرق، ولما كانت وقعة قتندة، بثغر الأندلس، شهدها غازيًا واستشهد فيها، سنة: (514هـ). انظر: الوافي بالوفيات (13/27-28).

(2) تذكرة الحفاظ (3/247)، ترجمة رقم: (1027). سير أعلام النبلاء (18/539). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (2/67).

(3) "بَطَلْيُوس": مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال إقليم ماردة على نهر آنة غربي قرطبة. معجم البلدان (1/447). وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (1/204). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص93.

(4) "المَرِيَّة": مدينة كبيرة على ساحل البحر المتوسط، جنوب شرقي أسبانيا، من أعمال البيرة في الأندلس، كانت باب الشرق، وهي ذات موقع استراتجي مهم، بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر، سنة: (344هـ)، وأصبحت المرية القاعدة الكبرى للأسطول الأندلسي، وقد استولى عليها النصارى نهائيًا سنة: (894هـ) انظر: معجم البلدان (5/119-120). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص537-538. وانظر: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، محمد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين ابن الخطيب، ص101-103، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- مصر، عام النشر:1423هـ.

(5) هو: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزآبادي، من بلاد فارس، بنى له نظام الملك المدرسة النظامية، على شاطئ دجلة، له: طبقات الفقهاء، اللمع، التنبيه، وتوفي سنة: (476هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (18/452-464)، ترجمة رقم: (237).

(6) هو: طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري، أبو الطيّب: قاض، من أعيان الشافعية، ولد في آمل طَبَرِسْتَان، واستوطن بغداد، من مصنفاته: جواب في السماع والغناء، التعليقة الكبرى، وهو شيخ أبي إسحاق الشيرازي، توفي سنة: (450هـ). انظر: سير أعلام النبلاء(17/668-671)، ترجمة رقم: (459).

وسمع الخطيب البغدادي، وسمع منه الخطيب أيضًا، ثم عاد إلى بلده بعد ثلاث عشرة سنة، وتولى القضاء هناك، ويقال: إنه تولى قضاء حلب أيضًا، له تصانيف كثيرة جليلة، ولكن: أبلغ ما كان فيها في الفقه وإتقانه، على طريق النظّار من البغداديين، وحذّاق القرويين، والقيام بالمعنى والتأويل، منها: المنتقى شرح الموطأ، وإحكام الفصول في أحكام الأصول، والجرح والتعديل، والمعاني في شرح الموطأ، فجاء في عشرين مجلد، عديم النظير، والاستيفاء، والإيماء في الفقه، والسراج في الخلاف لم يتم، ومختصر المختصر في مسائل المدونة، وله كتاب في اختلاف الموطآت، والتسديد إلى معرفة التوحيد، والإشارة في أصول الفقه، والحدود، وشرح المنهاج، وسنن الصالحين وسنن العابدين، وسبل المهتدين، وفرق الفقهاء، والتفسير لم يتمه، وسنن المنهاج وترتيب الحجاج، وغير ذلك.

ثانيًا: أبو الوليد من السلفية إلى الأشعرية، وسبب التحول:

نحا أبو الوليد منحى أبي ذر الهروي، حيث ارتحل إلى بلاد الشرق، وطاف البلاد، ولما التقى مع أبي ذر، اتخذه شيخا في تعلم الأشعرية، وأسس لعلاقة عقدية معه، حيث "قال في كتابه: اختصار فرق الفقهاء[1]، في ذكر القاضي ابن الباقلاني: "لقد أخبرني الشيخ أبو ذر وكان يميل إلى مذهبه، فسألته: من أين لك هذا؟ قال: إني كنت ماشيًا ببغداد مع الحافظ الدارقطني، فلقينا أبا بكر بن الطيب، فالتزمه الشيخ أبو الحسن، وقبل وجهه وعينيه، فلما فارقناه، قلت له: من هذا الذي صنعت به ما لم أعتقد أنك تصنعه وأنت إمام وقتك؟ فقال: هذا إمام المسلمين، والذاب عن الدين، هذا القاضي أبو بكر محمد بن الطيب"، قال أبو ذر: "فمن ذلك الوقت تكررت إليه مع أبي، كل بلد دخلته من بلاد خُرَاسَان وغيرها لا يشار فيها إلى أحد من أهل السنة إلا من كان على مذهبه وطريقه""[2].

ويبدو من خلال هذه الرواية: أن أبا الوليد قد عزز من صحبته لأبي ذر، ووثق في علمه؛ معتقدًا بصحة مذهبه، عالمًا بكونها طريقة أبي بكر بن الطيب، وذلك ما ساهم في تتلمذ أبي الوليد على أيدي علماء الأشاعرة، من خلال الرحلة التي قام بها إلى بلاد المشرق، فقد تلقفه شيخه أبو ذر، وجاوره بمكة ثلاث سنين، يخدمه، وفيها علمه أصول الأشعرية[3]، ثم وجهه نحو

---

(1) وهو من كتبه المفقودة، ويبدو أنه يعرض بعض مسائل الخلاف بين علماء المذاهب الذين اتصل بهم الباجي. راجع: ملتقى أهل الحديث:http://www.ahlalhdeeth.cc/vb/showthread.php?p=674707، بعنوان: آثار أبي الوليد الباجي المطبوعة والمخطوطة.

(2) سير أعلام النبلاء (558/17).

(3) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص120. وانظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (67/2). وانظر: البداية والنهاية (122/12). وانظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (117/8). وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر(227/22). وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (316/5). وانظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (408/2).

العراق؛ ليكمل تعليمه على أصول الأشعرية[1]، فكان من ذلك: أن "أقام بالموصل سنة يأخذ علم الكلام عن أبي جعفر السِّمْناني"[2]، عاد أبو الوليد إلى الأندلس مشحونًا بالأشعرية، متمكنًا من أصولها، عارفًا بطرائقها، "وعنده من الإتقان، والتحقيق، والمعرفة بطرق الجدل والمناظرة ما حصله في رحلته"[3].

ومما سبق يتبين أن أبا الوليد قد تأثر كثيرًا من رحلته إلى بلاد الشرق؛ ظانًا في علمائها الظن الحسن، بأنهم أهل السنة والجماعة، فضلًا عن أثر الشيوخ في تعليمه والتأثير عليه.

---

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل (2/101-102)، (1/271).

(2) الوافي بالوفيات (15/230).

(3) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (8/122).

المطلب الثالث

أبو بكر بن العربي

يُعد الإمام أبو بكر بن العربي أحد أقمار بلاد الأندلس، سلك مسلك أبي ذر، وأبي الوليد، فرحل إلى المشرق، بتوجيه من أبي ذر الهروي، وتتلمذ على أيدي علمائه، وركب موجتهم، فتعلم منهم أصول الأشعرية، ورجع إلى الأندلس بعلم وافر، لم يضاهه فيه سوى أبو الوليد.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي، المعافري، المالكي، من أهل إِشْبِيلِيَة، يكنى: أبا بكر، العلامة، الحافظ، القاضي، الإمام، المستبحر، ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها، كان فقيهًا عالمًا، وزاهدًا عابدًا، وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها، والجمع لها، متقدمًا في المعارف كلها، متكلمًا في أنواعها، نافذًا في جميعها، حريصًا على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق، مع حسن المعاشرة، ولين الكنف، وكثرة الاحتمال، وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الوعد، وكان رئيسًا محتشمًا، وافر الأموال، بحيث أنشأ على إشبيلية سورًا من ماله.

---

(1) **انظر ترجمته:** الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، خلف بن عبد الملك بن بشكوال، عني بنشره، وصححه، وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، ص558-559، ط(2)1374هـ-1955م، مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر. وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر(24/54)، ترجمة رقم: (6571). وانظر: المغرب في حلى المغرب (254/1)، ترجمة رقم: (177). وانظر: البداية والنهاية (228/12-229). وانظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (296/4-297)، ترجمة رقم: (626). وانظر: سير أعلام النبلاء (197/20-204)، ترجمة رقم: (128). وانظر: تاريخ قضاة الأندلس ص 105-106. وانظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ص92-99، ترجمة رقم: (179). وانظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص281-284. وانظر: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أحمد بن محمد بن يحيى التلمساني، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد العظيم شلبي، (62/3-65)، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة- مصر، عام النشر: 1358هـ-1939م. وانظر: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، لا بن العربي، قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب، ص9-23، ط(1)1419هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية. وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (232/6-234). وانظر: العبر في خبر من غبر (468/2-469). وانظر: تذكرة الحفاظ (60/4-61)، ترجمة رقم: (1080). وانظر: أبجد العلوم، للإمام القِنَّوجي، ص653، ط(1)1423هـ- 2002م، دار ابن حزم- بيروت- لبنان.

وكان عذب المنطق، كريم الشمائل، كامل السؤدد، ولي قضاء إشبيلية، فحمدت سياسته، وكان ذا شدة، وسطوة، وصرامة، وكان له في الظالمين سَوْرة[1] مرهوبة، بجانب الرفق بالمساكين، فعزل، وأقبل على نشر العلم وتدوينه، وجلس للوعظ والتفسير، وقد وكان أبوه عبد الله بن محمد بن العربي من وجوه علماء الدولة وكبار أعيانها.

ولد ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان، سنة: ثمانٍ وستين وأربع مائة، وتوفي بالعُدْوة[2]، في ربيع الآخر، سنة: ثلاث وأربعين وخمس مائة، ودفن بمدينة فَاس[3] بمقبرة الجياني.

قال الحِجَاري[4]: "لو لم ينسب لإشبيلية إلا هذا الإمام الجليل، لكان لها به من الفخر ما يرجع عنه الطرف"[5].

---

(1) قال ابن فارس: "(سَوُرَ) السين والواو والراء أصل واحد يدل على علو وارتفاع". والمراد: ذو بطش شديد. انظر: معجم مقاييس اللغة (115/3). وانظر: العين (289/7).

(2) "العُدْوة": كلمة وتطلق، ويراد بها إحدى ثلاثة أمور: أ) تطلق ويراد بها: المغرب الأقصى. انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (184/5)، ب) تطلق ويراد بها: المغارب الثلاثة: المغرب، والجزائر، وتونس. انظر بحث: عبّاد بن سرحان الشاطبي، حياته وآثاره، رشيد العفاقي، مجلة التاريخ العربي، العدد: (57)، جمعية المؤرخين المغاربة، موقع: قصة الإسلام، بإشراف: د/ راغب السرجاني: http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/Addad57/adaa57partie8.htm. ج) تطلق ويراد بها – وهي المعنية هنا–: مدينة طنجة. انظر: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق: محمد حجي، (254/2)، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية للمملكة المغربية ودار الغرب الإسلامي، سنة: 1401هـ–1981م.

و"طَنجة": مدينة على ساحل بحر المغرب، مقابل الجزيرة الخضراء من البرّ الأعظم وبلاد البربر، وهى قديمة أزليّة، على ظهر جبل، ماؤها في قناة تجرى إليهم من موضع لا يعرفون منبعه على الحقيقة، وهى أحد حدود إفريقيه من جهة المغرب. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (894/2). وانظر: معجم البلدان (43/4).

(3) "فَاس": مدينة عظيمة، وهي قاعدة المغرب، بناها إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى، سنة: (172هـ) أول ملوك الأدارسة، وأتم بناءها ابنه: إدريس الثاني، سنة: (193هـ)، وهي عبارة عن مدينتين مقترنتين، علويتين، في كل جهة مدينة في سفح الجبل، وهما: عدوة الأندلسيين، وعدوة القرويين، يشق بينهما نهر كبير، يسمى: وادي فاس، يأتي من عيون تسمى: عيون صنهاجة، وهي أكثر بلاد المغرب يهودًا، يختلفون منها إلى جميع الآفاق. انظر: معجم البلدان (230/4–231). وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (1014/3). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص434–435. وانظر: خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص55.

(4) هو: عبد الله بن إبراهيم الكندي الحِجَاري، أبو محمد، مؤرخ أندلسي، نسبته إلى وادي الحِجَارة، له: المسهب في أخبار أهل المغرب، والحديقة، توفي سنة: (854هـ). انظر: الأعلام (63/4).

(5) المغرب في حلى المغرب (254/1).

وهذا الحافظ له مصنفات: منها: عارضة الأحوذي في شرح جامع أبي عيسى الترمذي، وأحكام القرآن، حيث أتى بكل بديع، وله كتاب كوكب الحديث والمسلسلات، والأصناف في الفقه، وأمهات المسائل، أونزهة الناظر، وستر العورة، والمحصول في الأصول، وحسم الداء في الكلام على حديث السوداء، وكتاب في الرسائل وغوامض النحويين، وترتيب الرحلة، للترغيب في الملة، والفقه الأصغر المعلب الأصغر، وأحكام القرآن، والمسالك في شرح موطأ مالك، والقبس على موطأ مالك بن أنس، والقواصم والعواصم، وسراج المريدين وسراج المهتدين، والمتوسط، والمتكلمين، وله تأليف في حديث أم زرع، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وتخليص التلخيص، والقانون في تفسير القرآن العزيز، وغير ذلك من التآليف.

ثانيًا: أبو بكر من السنة إلى الأشعرية، وسبب التحول:

كانت لأبي بكر رحلة، وذلك مع والده، سافر من خلالها الكثير من البلاد، وتفقه على يد علمائها؛ سيرًا على نهج أبي ذر، وأبي الوليد من قبله، فقد "رحل إلى المشرق سنة: (485هـ)، فدخل الشام، وتفقه بها، ورحل إلى الحجاز في موسم سنة: (489هـ)، ودخل بغداد مرتين، وصحب أبا بكر الشَّاشي[1]، وأبا حامد الطُّوسي الغزالي، وغيرهما من العلماء والأدباء، وأخذ عنهم، ثم صدر عن بغداد، ولقي بمصر والإسكندرية جماعة"[2].

ويظهر أن أبا بكر قد أكثر من الارتحال والتجوال بين البلاد؛ الأمر الذي ساعده على الالتقاء بالكثير من العلماء في أنحاء الأرض، والتأثر بهم، والسير على طريقتهم في الكلام، ولا سيما: الأشعرية، وقد كان من أهم العوامل التي ساهمت في ذلك: "التقاؤه مع أبي ذر في الحرم، من خلال الحج، حيث قام بتوجيهه للعراق؛ للالتقاء بمشايخ الأشاعرة"[3]، مثلما التقى مع الغزالي، وصحبه، وأكثر عنه، وبلغ تأثيره فيه، وكان يتهمه برأي الفلاسفة، ويقول: دخل في أجوافهم فلم يخرج منها[4].

---

(1) هو: محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر، القفال الفارقيّ، فخر الإسلام، رحل إلى بغداد، فتولى فيها التدريس بالمدرسة النظامية (سنة 504)، واستمر إلى أن توفي، من كتبه: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، توفي سنة: (507هـ). انظر: الأعلام (316/5).

(2) تاريخ قضاة الأندلس ص105. وانظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (214/3). وانظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ص558. وانظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (296/4). وانظر: سير أعلام النبلاء (198/20). وانظر: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ص10.

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل (101/2-102).

(4) البداية والنهاية (229/12) بتصرف.

فمن خلال تلك الرحلة تعلم أبو بكر أصول العقيدة الأشعرية، حيث "أخذ طريقة أبي المعالي في الإرشاد"[1].

وبعد رحلته الطويلة في بلاد المشرق، عاد أبو بكر إلى الأندلس، في سنة: (493هـ)، بعد أن دفن أباه في رحلته، في بيت المقدس، وقدم بلده إشبيلية بعلم كثير، لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق؛ ولذا نقل عنه أنه قال: "كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به أنا والقاضي أبو الوليد الباجي، أو قال: لم يرحل غيري وغير الباجي، وأما غيرنا فقد تعب"، أو نحو هذا[2].

فاستقبل العلماء، ورجال الثقافة والأدب، في إشبيلية وما جاورها من عواصم الأندلس هذا الغائب القادم بعلوم المشرق، استقبالًا لا نظير له، وقصدَه طلاب العلم، وأذكياء الأندلس، من كل حدب وصوب، وتحول منزله إلى جامعة، وعُقدت له حلقات الدرس في الجوامع[3].

عاد أبو بكر إلى الأندلس حاملًا عقيدة الأشاعرة، حيث كان له أثر في نشر المذهب الأشعري في المغرب بين المالكية[4].

ومما سبق: نلاحظ أن أبا بكر قد أثرت عليه الرحلة كثيرًا، فمن خلالها التقى بجمع من العلماء من أصحاب المقالات، حيث صحبهم، وتتلمذ على أيديهم، وكان له من الفضل على بلاد الأندلس الكثير الكثير، وليس الكلام على إطلاقه؛ حيث "عاد من الشرق بما ملأ الغرب بالإشراق"[5]، وبجانب ذلك: فقد رجع إلى بلاده بعقيدة غير التي عرفها في بلاد الأندلس[6]، كما حصل مع أبي ذر، وأبي الوليد من قبله، حيث تأثروا بالمتكلمين من علماء الشرق، ودانوا بمذهب مشايخهم فيه، وصاروا مقلدين لهم، ومعترفون بأنهم لهم من التلامذة المتبعين[7].

---

(1) درء تعارض العقل والنقل (102/2). وانظر: مجموع الفتاوى (18/4).

(2) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (29/2)، ترجمة رقم: (8). وانظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ص558. وانظر: سير أعلام النبلاء (199/20). وانظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص282. وانظر: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض(62/3-63).

(3) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ص23.

(4) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د/ علي سامي النشار، (284/1)، ط(9)، دار المعارف- القاهرة- مصر.

(5) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار(717/5)، ترجمة رقم: (166).

(6) كانت بلاد الأندلس قبل ذلك على عقيدة السلف ومذهب الإمام مالك، لا يعرفون الكلام، والخوض في المعقولات. انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص13. وانظر: سير أعلام النبلاء (557/17).

(7) الفتاوى الكبرى (348/6).

وهم وإن تأثرت عقيدتهم خلال الرحلات الشرقية، إلا أنهم كانوا أفذاذًا في العلم، روادًا للمعرفة، منارات في بلاد الأندلس، أئمة وبحورًا وحفاظًا، "فصاروا بما يقيمونه من السنة، ويردونه من بدعة هؤلاء ونحوهم، لهم من المكانة عند الأمة بحسب ذلك"[1].

(1) مجموع الفتاوى (18/4).

خلاصة المبحث:

لقد بان من خلال هذا المبحث أن: تأثر أهل السنة، بالأشعرية أمر ممكن؛ ولذلك أسبابه، والتي كان أبرزها: الرحلة، فالرحلة كان لها تأثير بالغ على العلماء، فمن خلالها استطاعوا الالتقاء بالمشايخ، وأصحاب المذاهب الكلامية، فأخذوا عنهم علومهم، ونقلوها إلى بلادهم؛ فكانوا سببًا في إدخال العلوم الكلامية إليها، وتأثر أهلها بها.

المبحث الثالث

علماء تحولوا من الاعتزال والأشعرية إلى مذهب السلف

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: أبو الحسن الأَشعري.

المطلب الثاني: أبو محمد عبد الله الجُويْني.

المطلب الثالث: الفخر الرازي.

المطلب الرابع: النَّوَوي.

المطلب الخامس: ابن دقيق العيد.

المطلب السادس: أبو الحسن ابن العطار.

المطلب السابع: الشَّوْكاني.

المبحث الثالث

علماء تحولوا من الاعتزال والأشعرية إلى مذهب السلف

لا يختلف اثنان من أهل الحق في أن العقيدة الصحيحة تلامس الفطرة، وترقى بالعقل، طرقها يسيرة، ومنافذها واضحة، بيِّنة، تفتح أبوابها لأصحابها؛ بل إنها تيسر لهم كل ما يريدون، وتجيب عن كل ما يتساءلون، وتذلل لهم كل ما يتصعبون.

ولقد أخطأ كثير من الناس، فتبنوا علم الكلام، وكثير منهم من الأئمة والأعلام، خطوا طريقهم في العقيدة عبر علم الكلام، وخاضوا في غماره، وما زالوا يلتمسون النجاة، حتى لجّوا في أعماقه، طلبوا النور والضياء، لكنهم لم يجدوا سوى مزيد من الظلام، إلى أن وصلوا بابًا مسدودًا، فحينها أيقنوا أنهم كانوا غارقين في بحار من الظلمات، فأعلنوا حيرتهم، ورجوعهم إلى مذهب الحق، مذهب السلف، ودانوا لله ﷻ به، وصاروا يذودون عن حياض عقيدة السلف، يؤلفون الكتب في ذلك، وينظمون الأبيات الشعرية، في ذم الكلام، وأهل الكلام، وكيف أحاطت الحيرة بهم من كل الجهات، حتى منَّ الله ﷻ عليهم بالهداية والرشاد، فأبصروا الحق، بعدما خفيت قلوبهم عنه، خلال جُل حياتهم، وأعمارهم.

وهذا المبحث فيه ذكر لنماذج من أئمة الكلام، ممن قضوا أعمارهم فيه، حتى أعلنوا إفلاسهم بسببه، ورجعوا بعد كل هذا العمر إلى عقيدة السلف، وختم الله ﷻ بها حياتهم.

وقد حاولتُ فيه أن أجمع كل ما يسر الله لي الوقوف على ندمهم، ورجوعهم، مستشهدًا بأقوالهم، وأشعارهم، وذلك من كتبهم، وإن لم يتيسر ذلك فممن نقل عنهم، والله المُستعان.

المطلب الأول
أبو الحسن الأشعري

يُعد الإمام أبو الحسن الأشعري: أحد الأئمة والأعلام الكبار، خاض في الكلام جُل حياته، وكان له الدور الكبير، والأثر الكبير بين الطوائف الاسلامية، وذلك من خلال مراحل حياته، التي توّجها بالرجوع إلى مذهب السلف، والموت عليها.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: علي بن إسماعيل الأشعري، ينتسب إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ﷺ، وهو أحد علماء القرن الثالث، تنتسب إليه الأشعرية، ولد في البصرة، سنة سبعين، وقيل: ستين ومائتين، وتوفي سنة: اثنين وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة ثلاثين ببغداد، ودفن بين الكَرْخ[2]

---

(1) **انظر ترجمته:** أبو الحسن الأشعري، حماد بن محمد الأنصاري، ط(6)، العدد الثالث- رجب1394هـ- فبراير1974م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية. وانظر: تاريخ بغداد وذيوله (346/11-347)، ترجمة رقم: (6189). وانظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (284/3 -286)، ترجمة رقم: (429). وانظر: الأعلام (263/4). وانظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (29/14-30)، ترجمة رقم: (2459). وانظر: البداية والنهاية (187/11). وانظر: تاريخ الطبري(334/11). وانظر: الكامل في التاريخ (112/7). وانظر: المختصر في أخبار البشر (89/2). وانظر: العبر في خبر من غبر (23/2). وانظر: تاريخ ابن الوردي (265/1). وانظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (225/2). وانظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (259/3). وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (129/4-130). وانظر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، (45/1)، المكتبة العلمية- بيروت- لبنان، بدون طبعة. وانظر: فهرسة اللبلي، أحْمَد بن يُوسُف اللَّبْلِيُّ، تحقيق: ياسين يوسف بن عياش، عواد عبد ربه أبو زينة، ص98-99، ط(1)1408هـ-1988م، دار الغرب الاسلامية- بيروت- لبنان. وانظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص34-44. وانظر: طبقات الشافعيين ص208-219. وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (154/24-158)، ترجمة رقم: (183). وانظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص247. طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، تحقيق: د/ الحافظ عبد العليم خان، (113/1-114)، ترجمة رقم: (60)، ط(1)1407هـ، عالم الكتب – بيروت- لبنان.

(2) "الكَرْخ": كلمة نبطية، من قولهم: كَرَختُ الماء وغيره، إذا جمعته إلى موضع، وهو في عدة مواضع ينسب إليها، وهي هنا: مدينة صغيرة (حي) عامرة بشرقي دجلة، وهي في الجانب الغربي من بغداد. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (1155/3). الروض المعطار في خبر الأقطار ص491.

وباب البصرة في مَشْرَعة الرَّوَايَا[1]، وقد طمس قبره خوفًا عليه؛ لئلا تنبشه الحنابلة وتحرقه، فإنهم عزموا على ذلك مراراً عديدة، وردهم السلطان عنه.

وللإمام أبي الحسن الأشعري تصانيف كثيرة، في الأصول، والملل والنحل، بلغت خمسة وخمسين تصنيفًا، منها: الموجز، ومقالات الإسلاميين، والإبانة، والتفسير الكبير (تفسير المختزن)، وجمل المقلات، واللمع، وغير ذلك من الكتب النفيسة.

قال الخطيب البغدادي: "أبو الحسن الأشعري المتكلم صاحب الكتب والتصانيف، في الرد على الملحدة، وغيرهم من المعتزلة، والرافضة، والجهمية، والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة"[2]، وقال ابن عساكر[3]: "له من التواليف والتصانيف ما لا يحصى كثرة"[4].

وقد أجمل الإمام الذهبي ذلك كله، بقوله: "ومن نظر في هذه الكتب عرف محله"[5].

لقد كان الأشعري إمامًا فذًا، كثير التأليف، واسع الإطلاع، محببًا إلى الناس؛ ولهذا تجد أن كل طائفة تدعي نسبته إليها، فالمالكي يدعي أنه مالكي أشعري، والشافعي يزعم أنه شافعي أشعري، والحنفي كذلك[6].

لقد زخرت كتب التراجم بالحديث عن هذا الرجل العظيم، وتنفست عبق العظمة بحياته، والحديث عنه وعن عقيدته له مذاق خاص.

ثانيًا: عدوله إلى مذهب السلف، وسبب ذلك:

مرَّ الأشعري بأطوار مختلفة؛ نظرًا لاختلاف البيئة التي نشأ فيها، وتربى بينها، وتكاد المراجع كلها تتفق على أن الأشعري نشأ معتزليًا، ثم انتقل إلى المذهب الكلامي، ثم هداه الله إلى الحق، ورجع إلى مذهب أهل السنة والحديث[7].

---

(1) "مَشْرَعة الرَّوَايَا": اسم المقبرة التي دفن فيها. انظر: تاريخ الطبري (334/11). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (286/3)، ط 1900م.

(2) تاريخ بغداد وذيوله (346/11).

(3) هو: علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين الدمشقي، الحافظ، كان محدث الديار الشامية، ورفيق السمعاني في رحلاته، له: الإشراف على معرفة الأطراف، معجم الصحابة، توفي سنة: (571هـ). انظر: الأعلام (273/4).

(4) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص117.

(5) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (157/24).

(6) انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص117-118. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (1206/3-1209).

(7) مقدمة كتاب: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، ص34، ط: 1413هـ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

وتفصيل ذلك بأن الإمام أبا الحسن الأشعري تميز بفطنته وذكائه، وبعلمه وبصيرته، ولكنه تأثر بعلم الكلام، حيث أخذه عن زوج أمه: أبي علي الجُبَّائي شيخ المعتزلة في زمانه، واعتنق بسببه مذهب الاعتزال، وبلغ فيه الغاية، وأقام عليه مدة أربعين سنة[1]، وفي ذات الوقت كان حائرًا في شؤون الاعتقاد؛ بسبب ما تحدثه الفرق من حوله من تنازع في العقيدة، حيث كان ينظر إليها بعين ثاقبة، وبصيرة فائقة، ثم إنه كان يورد الأسئلة على أستاذه في الدرس، فلا يجد فيها جوابًا شافيًا؛ إذ عارض مسائل الكلام بما في القرآن والسنة، ووجد بينها بونًا شاسعًا[2]، فتحير في ذلك؛ ومثل له سببًا في مراجعته لمعتقده[3]، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يومًا، فبعد ذلك خرج إلى جامع البصرة، يوم الجمعة، ثم صعد المنبر بعد الصلاة، ومعه شريط، فشده إلى وسطه، ثم قطعه، وأعلن توبته من اعتقاد المعتزلة، وقال: "أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله تعالى لا يرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب، مقلع، متصدٍ للرد على المعتزلة، مخرجٌ لفضائحهم.

معاشر الناس: إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة؛ لأني نظرتُ، فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق على باطل، ولا باطل على حق، فاستهديت الله – تبارك وتعالى–، فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده، كما انخلعت من ثوبي هذا"، وانخلع من ثوب كان عليه، ورمى به، ودفع للناس ما كتبه على نحوٍ يغاير طريقة المعتزلة، فمنها: كتاب اللمع، وكتاب كشف الأسرار وهتك الأستار، وغيرهما[4].

قال شيخ الإسلام: "هذا أبو الحسن الأشعري: نشأ في الاعتزال أربعين عاماً يناظر عليه، ثم رجع عن ذلك، وصرح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم"[5]، لدرجة أنه كفر النظام:

---

(1) انظر: الإيمان لابن تيمية ص75. وانظر: العرش للذهبي (57/1). وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (127/23). وانظر: البداية والنهاية (125/11).

(2) فمن ذلك: اختلافه مع أبي علي في وجوب فعل الأصلح على الله تعالى، حيث أنكرها أبو الحسن على أبي علي. انظر: تاريخ قضاة الأندلس ص163. وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (130/4). وانظر: المختصر في أخبار البشر (89/2–90).

(3) انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص40–43. وانظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (1206/3).

(4) انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص39. وانظر: الفهرست، لابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، ص225، ط (2)1417هـ–1997م، دار المعرفة– بيروت– لبنان. وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (154/24–155).

(5) مجموع الفتاوى (72/4).

شيخ الاعتزال[1]، وقال أبو بكر الصيرفي: "كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتى أظهر الله أبا الحسن الأشعري، فجحرهم في أقماع السَّمْسَم[2]"[3].

وهذا التحول الحاصل لأبي حسن يمثل المرحلة الأولى من مراحل حياته التي ساهمت في تشكيل عقيدته[4].

إلا أن أبا الحسن لما رجع عن مذهب المعتزلة، سلك طريقة ابن كُلَّاب، ووافق الكُلَّابية[5] في عقائدها، وصارت الكُلَّابِية مشايخ أبي الحـــسن وأتباعه[6]؛ مما أوقع الاضطراب عند أتباعه، في اعتقاده[7]، وتحت سقف الكُلَّابِية، وفي ظلالها: انفرد أبو الحسن عن ابن كُلَّاب[8]؛ مما ساهم في إيجاد معادلة جديدة في اعتقاد أبي الحسن، وصارت النسبة إلى ابن كُلَّاب تتلاشى، ويحل محلها: النسبة إلى أبي الحسن، الذي عمل وأتباعه على الاحتفاظ بأفكار الكُلَّابِية، وذلك بعد أن اندرست المدرسة الكُلَّابِية، وهذا يعني: التأسيس النظري لمذهب الأشعرية[9]، وهذه المعادلة

---

(1) انظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ص115.

(2) أي: دثرهم في أقماع الرمال، والأقماع: جمع: قمع، وهي: أدوات خاصة، يُصب فيها الموائع، والجملة كناية عن إذلالهم، وخمد صِيتهم، وكسر شوكتهم. انظر: معجم مقاييس اللغة (426/1)، (27/5–28). وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس (417/32).

(3) تاريخ بغداد وذيوله (346/11). تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص94. المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، محمد (أو عبد الله) بن علي بن أحمد ابن حديدة، تحقيق: محمد عظيم الدين (225/1–226)، عالم الكتب– بيروت– لبنان، بدون طبعة.

(4) انظر: حقيقة البدعة وأحكامها (167/1). وانظر: المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لابن عثيمين، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، ص304، ط(1)1422هـ–2002م، دار ابن حزم– بيروت– لبنان. وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (83/1).

(5) "الكُلَّابِية": هم أتباع عبد الله ابن كُلَّاب، يقولون: إن أسماء الله هي صفاته، وإن صفاته ﷻ لا هي هو، ولا هي غيره، وإن لله ليس له كلام مسموع، وإن القرآن حكاية عن كلام الله ﷻ، ليس على الحقيقة. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (2/ 398). وانظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (157/4).

(6) انظر: سير أعلام النبلاء (174/11). وانظر: الإيمان لابن تيمية ص337. وانظر: العرش للذهبي (56/1). وانظر: الاستقامة (105/1).

(7) انظر: حقيقة البدعة وأحكامها (167/1–168).

(8) وافق أبو الحسن ابن كُلَّاب في جل مسائل العقيدة، بعد رجوعه عن الاعتزال، ولكن: خالفه في بعض من جزئيات العقيدة، مثل: اتفاقهما في القول بنفي حلول الحوادث بذات الله تعالى (الصفات الاختيارية)، حيث قال ابن كُلَّاب بحدوث الأمر والنهي، وذهب الأشعري إلى أزليتها. انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (376/1–377). وانظر: الفتاوى الكبرى (529/6–530). موقف ابن تيمية من الأشاعرة (495/2).

(9) انظر: العرش للذهبي (1/ 56).

الجديدة في حياة الأشعري تمثل بقايا الأصول العقلية التي استمدها من الاعتزال؛ ولهذا تكلم السلف فيه، وأنكروا عليه، ورموه بالابتداع[1].

وهذه التحول الحاصل لأبي حسن مثل المرحلة الثانية من مراحل حياته التي ساهمت في تشكيل عقيدته[2].

وتأتي المرحلة الثالثة، والأخيرة من حياة أبي الحسن العقدية، والتي تمثلت في رجوعه إلى مذهب السلف، وقد ألف كتبًا عديدة في نصرة مذهبهم[3]، وتوَّج سلفيته فيها، حيث كان أبرزها: كتاب: الإبانة عن أصول الديانة، ففيه توضيح صريح بالانتساب إلى العقيدة السلفية[4].

وقد قال مما قال فيه: "قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا ﷻ، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون، ولما خالف قوله مخالفون"[5].

ويعتبر كتاب (الإبانة) من المؤلفات المعتمد عليها في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة – في الجملة–[6]، وعامة السلف متفقون على نسبة هذا الكتاب لأبي الحسن[7].

قال ابن درباس[8]: "كتاب الإبانة عن أصول الديانة الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، هو الذي استقر عليه أمره، فيما كان يعتقده، وبما كان يدين الله ﷻ بعد

---

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل (99/2).

(2) انظر: حقيقة البدعة وأحكامها (167/1). وانظر: المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (83/1).

(3) منها: الإبانة عن أصول الديانة، ومقالات الإسلاميين، ورسالة إلى أهل الثغر، على الرغم من بقاء الآثار الأشعرية فيها. انظر: النبوات (260/1). وانظر: شرح الرسالة التدمرية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، ص143، ط: 1425هـ–2004م، دار أطلس الخضراء– الرياض– السعودية.

(4) انظر: مجموع الفتاوى (93/5). وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (131/4). وانظر: الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية، تحقيق: د/ حمد بن عبد المحسن التويجري، ص500–501، ط(2)1425هـ–2004م، دار الصميعي– الرياض– السعودية.

(5) الإبانة عن أصول الديانة ص20.

(6) حقيقة البدعة وأحكامها (170/1).

(7) انظر في ذلك: العرش للذهبي (379/2–380). وانظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (22/1). وانظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عبد الله عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، (442/1)، ط(3)1406هـ، المكتب الإسلامي– بيروت– لبنان. وانظر: درء تعارض العقل والنقل (16/2).

(8) هو: عثمان بن عيسى بن درباس الماراني، ضياء الدين، أبو عمرو، من أعلم الشافعيين بالفقه في عصره، نسبته إلى بني ماران، بالمروض (قرب الموصل)، من مصنفاته: الاستقصاء لمذاهب الفقهاء، شرح اللمع، توفي سنة: (602هـ). انظر: الأعلام (212/4).

رجوعه من الاعتزال، بمنِّ الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه، فقد رجع عنها، وتبرأ إلى الله – سبحانه– منها"[1].

ولكن يمكن أن يقال: إن الأشعري مع كل هذه التوبة الصادقة، بقيت معه بقايا من علم الكلام لا يقر عليها، ولا تنقص من فضله[2]، قال شيخ الإسلام: "ولهذا كان هو وأمثاله يعدون من متكلمة أهل الحديث، وكانوا هم خير هذه الطوائف، وأقربها إلى الكتاب والسنة، ولكن خبرته بالحديث والسنة كانت مجملة، وخبرته بالكلام كانت مفصلة؛ فلهذا بقي عليه بقايا من أصول المعتزلة"[3]، حيث ثبت على الأصول الكلامية العقلية التي بنَوا عليها الفروع المخالفة للسنة، مع مخالفته لهم[4]، فرجوعه إلى مذهب السلف كان رجوعًا إجماليًا، لكنه مات على خير، والله أعلم.

ومما سبق: يتبين لنا أن الإمام أبا الحسن الأشعري قد هداه الله ﷻ لمذهب السلف، اعتقادًا وذودًا، وجعله خادمًا لنصرة مذهب السلف[5]، وذلك بعد أن نصر الأشعرية، وذبَّ عن طريقتها[6].

فياليت الأشاعرة يعتبرون من الحال التي انتهي إليها أبو الحسن، قال الإمام الذهبي: "فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن هذه، ولزموها، لأحسنوا، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق، فلا قوة إلا بالله"[7].

---

(1) رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري، وكتابه الإبانة عن أصول الديانة، أبو إسحاق إبراهيم بن درباس، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ص6، ضمن سلسلة بحوث وتحقيقات مختارة من مجلة الحكمة (33) الصادرة في بريطانيا، نشره: أبو مهند النجدي، بدون طبعة.

(2) حقيقة البدعة وأحكامها (171/1).

(3) درء تعارض العقل والنقل (462/7).

(4) انظر: درء تعارض العقل والنقل (236/7–237).

(5) انظر: مقدمة كتاب: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ص6.

(6) انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص117.

(7) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها ص222.

المطلب الثاني

أبو محمد عبد الله الجُويْني

الإمام أبو محمد الجُويني: ذلك البحر الواسع، تميز بسعة علمه، وغزارة فكره، ورجاحة عقله، وهو من العلماء الكبار، الذين كان لهم رجوع إلى مذهب السلف، بعد الاشتغال بعلم الكلام، وأعلن ذلك بعبارات قوية، حُقَّ لمن قرأها أن يبكي من تأثيرها.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: أبو محمد، عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حَيُّوَيَه الطَّائي، السِّنْبِسِيُّ[2]، الجُوَيــْنِي[3]، النيسابوري، شيخ الشافعية، يُلقب بركن الدين، والد إمام الحرمين.

---

(1) **انظر ترجمته:** المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ص301. وانظر: الفتاوى الكبرى (601/6). وانظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، (152/2)، ط(1)1424هـ، المكتبة العصرية- بيروت- لبنان. وانظر: سير أعلام النبلاء (617/17-618). وانظر: وانظر: طبقات المفسرين العشرين، للسيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ص56-57، ط(1)1396م، مكتبة وهبة- القاهرة- مصر. وانظر: المنتظم (306/15-307)، وانظر: الأنساب، للسمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وغيره، (428/3-430)، ترجمة رقم: (1010)، ط(1)1382هـ-1962م، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الهند. وانظر: وفيات الأعيان (47/3-48). وانظر: طبقات الشافعية لابن القاضي شهبة (209/1-211)، ترجمة رقم: (171). وانظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ص15-16، ترجمة رقم: (150)، ط(1)1417هـ-1997م، مكتبة العلوم والحكم- السعودية. وانظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، (610/1،445،385،339)، الناشر: مكتبة المثنى- بغداد- العراق، تاريخ النشر: 1941م. وانظر: اللباب في تهذيب الأنساب، عز الدين ابن الأثير، (315/1)، دار صادر- بيروت- لبنان، بدون طبعة. وانظر: دمية القصر وعصرة أهل العصر، علي بن الحسن الباخرزي، (998/2-999)، ترجمة رقم: (72)، ط(1)1414هـ، دار الجيل، بيروت- لبنان. وانظر: الكامل في التاريخ (59/8). وانظر: طبقات الفقهاء الشافعية (520/1-522). وانظر: مرآة الجنان (46/3-47). وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (73/5-93). وانظر: البداية والنهاية (55/12). وانظر: النجوم الزاهرة (42/5). وانظر: شذرات الذهب (176/5-177). وانظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين البغدادي، (451/1)، ط1951م، بعناية وكالة المعارف الجليلة- استانبول- تركيا، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.

(2) "السِّنْبِسِيُّ": نسبة إلى قبيلة من قبائل العرب، يقال لها: "سِنْبِس"، وهي: بطن من طيِّئ. انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، (219/7)، ط(4)1422هـ-2001م، دار الساقي- بيروت- لبنان. وانظر: الكامل في التاريخ (59/8).

(3) "الجُوَيْني": نسبة إلى "جُوَيْن"، وهي: ناحية كبيرة من نواحي نيسابور، تشتمل على قرى كثيرة مجتمعة، يقال لها: كويان، فعُرِّبت، فقيل: جوين. انظر: معجم البلدان (192/2-193). وانظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص352-353. وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (362/1).

كانت له رحلة في طلب العلم، فسافر إلى: مَرْو، وهَمَذَان[1]، وبغداد، ومكة، وقرأ الأدب على أبيه أبي يعقوب، ودرس الفقه على الإمام أبي بكر القَفَّال المَرْوَزِي، ولزمه حتى تخرج به، وانتقى طريقته وهديها، وصار واحدًا من أصحاب الطريقة الخُرسانية المَرْوزية في أصول الفقه.

ثم عاد إلى نيسابور، سنة: سبع وأربع مائة، وقعد للتدريس والفتوى، ومجلس المناظرة، وكان مجتهدًا في العبادة، مهيبًا بين التلامذة، صاحب جد ووقار وسكينة، فكان إمامًا في التفسير، والفقه، والأصول، والأدب، والنحو؛ بل إن له يد طُولى في أكثر العلوم المعروفة في زمانه، تخرج به جماعة من أئمة الإسلام، وفي مقدمتهم ولده: إمام الحرمين.

ذكر ابن كثير عن أبي سعيد عبد الواحد بن عبد الكريم القُشَيري[2]، أنه قال: "كان أئمتنا في عصره، والمحققون من أصحابنا، يعتقدون فيه من الكمال، والفضل، والخصال الحميدة، أنه لو جاز أن يبعث الله نبيا في عصره، لَما كان إلا هو؛ من حسن طريقته، وورعه، وزهده، وديانته في كمال فضله"[3].

وقال الشيخ أبو صالح المؤذن[4]: "مرض الشيخ أبو محمد الجويني سبعة عشر يومًا، وأوصاني أن أتولّى غسله وتجهيزه، فلما توفي غسلته، فلما لفته في الكفن، رأيت يده اليمنى إلى الإبط زهراء منيرة، من غير سوء، وهي تتلألأ تلألؤ القمر، فتحيّرت وقلت في نفسي: هذه

(1) "هَمَذَان": مدينة بالجبال (عراق العجم)، وهي أكبر مدينة فيها، وهي الآن من مدن إيران المهمة، وتقع جنوب غربي طهران، على الطريق الواصل بين بغداد وطهران، وبها قبر الفيلسوف ابن سينا، فتحت على يد حذيفة بن اليمان ﷺ، سنة: اثنتين وعشرين. انظر: معجم البلدان (410/5-417). وانظر: البلدان لليعقوبي، ص82. وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي (335/1)، ط(1)1412هـ-1992م، دار الجيل- بيروت- لبنان. وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (3/ 1464-1465).

(2) هو: عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن، أبو سعد، ابن الأستاذ أبو القاسم القشيري، وهذا ثاني إخوته الستة، وكان فاضلًا، بارعًا، عالمًا، خطيبًا، متقنًا، وانتهت إليه الرياسة في بلاده، إلى أن توفي سنة: (494). انظر: طبقات الشافعيين ص509.

(3) طبقات الشافعيين ص392. طبقات الفقهاء الشافعية، لابن الصلاح، هذبه، واستدرك عليه: الإمام النووي، بيض أصوله، ونقحه: أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المِزِّي، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، (522/1)، ط(1)1413هـ-1992م، دار البشائر الإسلامية- بيروت- لبنان. طبقات الشافعية الكبرى (74/5).

(4) هو: أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد، النيسابوري، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين، وسمع الكثير، وصنف، وكان حافظًا ثقة، ذا دين متين، وأمانة، يعظ ويؤذن، توفي سنة: (470هـ). انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (193/16)، ترجمة رقم: (3478).

بركات فتاويه"[1]، فقد كان صاحب وجه في المذهب، فمن أقواله: تكفير من تعمد الكذب على النبي ﷺ.

وقد صنف الإمام أبو محمد وألف في كثير من العلوم، فمن تصانيفه: الفروق، السلسلة، التذكرة، التبصرة في الفقه، مختصر المختصر، شرح الرسالة، التفسير الكبير، المشتمل على عشرة أنواع في كل آية، والمحيط، رسالة إثبات الحرف والصوت ومسألة العلو والاستواء[2]، وموقف الإمام والمأموم.

توفي أبو محمد بنيسابور، في ذي القعدة، سنة: (438هـ).

ثانيًا: عدوله إلى مذهب السلف، وسبب ذلك:

لقد تأثر أبو محمد بعلم الكلام، وظل مشتغلًا به جلّ حياته، إلى أن وفقه الله ﷻ، وشرح صدره للهداية، فصنف في ذلك رسالة وجيزة، وجهها لشيوخه وإخوانه، وأثبت فيها رجوعه إلى مذهب السلف، وقد سماها: "رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية"، "ولم يضاه أبا محمد في رجوعه أحد ممن رجع، فقد كان الأصرح في ذلك، والأصدق في النصح، والأدق في الفهم، والأحرص على رجوع غيره، ممن هم على غير طريقة السلف، صور فيها الأسباب التي حملت شيوخه وأمثالهم على الإصرار على تأويل الصفات؛ بل لم يقاربه أحد في هذه المعاني"[3]؛ ولأجل ذلك: أحببتُ أن أذكر بعض أقواله الواردة في رسالة رجوعه.

قال الشيخ أبو محمد: "كنت برهة من الدهر متحيرًا في ثلاث مسائل: مسألة الصفات، ومسألة الفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وكنت متحيرًا في الأقوال الموجودة في كتب أهل العصر، في جميع ذلك، من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف، أو إثباتها بلا تأويل، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل، فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ناطقة منبئة لحقائق هذه الصفات، وكذلك في إثبات العلو والفوقية، وكذلك في إثبات الحرف والصوت، ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء، ويؤول النزول بنزول الأمر، ويؤول اليدين بالقدرتين أو النعمتين، ويؤول القدم بقدَمِ صدق عند ربهم، وأمثال ذلك، ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائمًا بالذات بلا حرف ولا

---

(1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (3/47-48). سير أعلام النبلاء (618/17). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (3/46-47).

(2) هذه الرسالة التي أثبت فيها رجوعه إلى مذهب السلف، وهي تعالج صفات: الاستواء والفوقية والكلام، وعدد صفحاتها لا يتجاوز خمس عشرة صفحة، وهي رسالة عظيمة الفائدة.

(3) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ص410.

صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم، وممن ذهب إلى هذه الأقوال أو بعضها، قوم لهم في صدري منزلة، مثل: طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين؛ لأني على مذهب الشافعي ﷺ، وعرفت فرائض الدين وأحكامه على هذا المذهب، فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلة يذهبون إلى مثل هذه الأقوال، وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم[1]، ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر، وعدم انشراحه مقرونًا بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره، المتململ في تقلبه وتغيره، وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول؛ مخافة الحصر والتشبيه....فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال، حتى لطف الله – تعالى–، وكشف لهذا الضعيف عن وجه الحق، كشفًا إليه خاطره، وسكن به سره، وتبرهن الحق في نوره[2].

ثم قال معللًا حال شيوخه في التأويل، ومخالفًا لهم في الإثبات: "والذي شرح الله صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول الأمر، واليدين بالنعمتين والقدرتين هو: علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب – تعالى– إلا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواءً يليق به، ولا نزولًا يليق به، ولا يدين بعظمته، بلا تكييف ولا تشبيه؛ فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه، وعطلوا ما وصف الله تعالى نفسه به"[3].

ولما تبين له الحق: قال في الصفات الإلهية، بكل جلاء ووضوح: "وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة من حيث التكييف والتحديد...ولا فرق بين الاستواء والسمع، ولا بين النزول والبصر: الكل ورد فيه النص...العبد إذا أيقن أن الله تعالى فوق السماء، عالٍ على عرشه، بلا حصر، ولا كيفية، وأنه الآن في صفاته، كما كان في قدمه، صار لقلبه قبلة في صلاته، وتوجهه، ودعائه، ومن لا يعرف ربه بأنه فوق سماواته على عرشه، فإنه يبقى ضائعًا، لا يعرف وجهة معبوده"[4].

---

(1) وهذا يدلل على الدور الكبير للشيوخ والأئمة، والمذاهب الفقهية في التأثير على عقائد تلاميذهم، إلى عقيدة غير السلف، وذلك مثل: ما كان عليه طائفة من فقهاء الشافعية من الأشعرية، وتأثر أبي محمد بهم.

(2) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية ص30–64.

(3) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية ص72–73.

(4) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية ص73–80.

ثم ختم رسالته الفريدة، بكلمات ناصحة مشفقة، بقوله: "فرحم الله عبدًا وصلت إليه هذه الرسالة ولم يُعاجلها بالإنكار، وافتقر إلى ربه في كشف الحق آناء الليل والنهار، وتأمل النصوص في الصفات، وفكر بعقله في نزولها، وفي المعنى الذي نزلت له، وما الذي أُريد بعلمها من المخلوقات، ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد إلا معرفةُ الرب تعالى بها، والتوجه إليه منها، وإثباتها له بحقائقها وأعيانها، كما يليق بجلاله وعظمته، بلا تأويل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا جمود، ولا وقوف، وفي ذلك بلاغ لمن تدبر، وكفاية لمن استبصر"[1].

فليهنأ أبو محمد الجويني بهذا التوفيق وهذه الهداية، ولعل الله علم من الرجل الإخلاص في علمه وجهاده الذي بذله في البحث عن الحق في فترة حيرته وتردده، فهداه الله ووفقه؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69]، ولقد كاد حبه وتقديره لشيوخه أن يخلداه إلى أرض التقليد؛ ليحولا بينه وبين رؤية الحق وإتباعه، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ [الأنفال:43] ، ووفقه بيده إلى بر السلامة، فسلم، ونحمد الله على ذلك[2].

ومن خلال ذلك نلمس صدق الانتماء إلى عقيدة السلف، وخالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فلم "يمنعه التعصب والتقليد من إتباع الحق، لما تبين له؛ بل اتبعه، وأعلن به، ودعا إليه، وجادل فيه شيوخه، وهو موقف لا يوفق له كل من عرف الحق، ولقد كانت دعوته، ومناقشته لشيوخه، تحمل في طياتها الشفقة عليهم، والتلطف بهم، دون أن يتهجم عليهم، أو يهاجمهم، ويعنف عليهم، وهو ديدن العلماء العاملين، الذين همهم بيان الحق، والدعوة إليه، دون تجريح، أو تنفير"[3].

---

(1) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية ص83-84.

(2) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ص414.

(3) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ص**161-162**.

المطلب الثالث

الفخر الرَّازي

الفخر الرازي أحد الأعلام، الذين تأثروا بالمعقولات، وخاضوا فيها خوضًا كبيرًا، وممن كان له بصمات واضحة، وبيِّنة في نصرة الأشعرية، وتطويرها، فكانت النتيجة من جزاء العمل؛ ولذلك كان الأكثر حيرة، وشكًا، فعاد إلى مذهب السلف، وأثنى على طريقتهم، ووبَّخ المتكلمين وطرائقهم.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: أبو عبد الله، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي القرشي الطَّبَرِسْتَاني[2] الأصل، البكري الرَّازِي[3] المولد، الأصولي، المفسر، كبير الأذكياء

(**1**) **انظر ترجمته:** البداية والنهاية (13/55-56). وانظر: كنوز الذهب في تاريخ حلب، أحمد بن إبراهيم بن خليل، (2/83)، ط(1)1417هـ، دار القلم- حلب- سوريا. وانظر: سير أعلام النبلاء (21/500-501)، ترجمة رقم: (261). وانظر: الأعلام (6/313). وانظر: طبقات النسابين، بكر بن عبد الله بن محمد، ص123، ترجمة رقم: (287)، ط(1)1407هـ-1987م، دار الرشد- الرياض- السعودية. وانظر: وفيات الأعيان (4/248-252). وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (8/81-82)، ترجمة رقم: (1089). وانظر: طبقات الشافعيين ص778-784. وانظر: طبقات المفسرين العشرين ص115-116. وانظر: الكامل في التاريخ (10/165). وانظر: عيون الأنباء ص462-470. وانظر: المختصر في أخبار البشر (3/112-113). وانظر: تاريخ الإسلام (43/211-223)، ترجمة رقم: (311). وانظر: العبر في خبر من غبر (3/142). وانظر: الوافي بالوفيات (4/175-181). وانظر: النجوم الزاهرة (6/197- 198). وانظر: آثار البلاد ص377- 379. وانظر: تاريخ إربل، المبارك بن أحمد ابن المستوفي، تحقيق: سامي بن سيد الصقار، (2/537-538)، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر- العراق، عام النشر: 1980م، بدون طبعة. وانظر: نهاية الأرب (29/51). وانظر: تاريخ ابن الوردي (2/125). وانظر: الوفيات لابن قنفذ، تحقيق: عادل نويهض، ص308، ط(4)1403هـ-1983م، دار الآفاق الجديدة- بيروت- لبنان. وانظر: تاريخ الخميس (2/368). وانظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (2/65-66)، ترجمة رقم: (366). وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (7/40-42). وانظر: هدية العارفين (2/107-108). وانظر: ديوان الإسلام، محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، تحقيق: سيد كسروي حسن، (2/338-340)، ط(1)1411هـ-1990م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان. وانظر: معجم المؤلفين (11/79-80).

(**2**) "طَبَرِسْتَان"، كلمة تعني: (ناحية الفأس)، وهي: بلاد واسعة، ومدن كثيرة، يشملها هذا الاسم، يغلب عليها الجبال، وهى تسمى بمَازَنْدَران، وهى مجاورة لجِيْلان ودَيْلَمَان، وهي من الرَّي وقُومِس، فتحها سعيد بن العاص في ولاية عثمان ﷺ صلحًا، سنة: (30هـ). انظر: معجم البلدان (4/13-14). وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (2/878). وانظر: تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط البصري، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ص165، ط(2)1397هـ، دار القلم، مؤسسة الرسالة- دمشق، بيروت.

(**3**) "الرَّازي": نسبة إلى الري على غير قياس. الروض المعطار في خبر الأقطار ص279.

والحكماء والمصنفين، ويعرف بابن الخطيب، وبابن خطيب الرَّي[1]، وهو أحد الفقهاء الشافعية المشاهير، وتلميذ إمام الحرمين، ولد سنة: (544هـ)، قال فيه القزويني: "إمام الوقت، ونادرة الدهر، وأعجوبة الزمان"[2].

وقال ابن الأثير[3]: "كان إمام الدنيا في عصره"[4]، وقال ابن أبي أصيبعة[5]: "سيد الحكماء المحدثين، قد شاعت سيادته، وانتشرت في الآفاق مصنفاته، وتلامذته، وكان إذا ركب يمشي حوله ثلثمائة تلميذ فقهاء، وغيرهم"[6]، وقال ابن خَلِّكان[7]: "فريد عصره، ونسيج وحده...ولم يبلغ أحد منزلته عنده، ومناقبه أكثر من أن تعد، وفضائله لا تحصى، ولا تحد"[8].

وهو واحد من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال، وقد كان ممن أخذ عنهم الفقه وعلم الكلام: والده، المعروف بخطيب الرَّي.

وحياة الرازي برز فيها جانبان:

---

(1) "خطيب الرَّي": هو والد الفخر الرازي، كان إمامًا، مقدمًا في علم الكلام، فقيهًا، أصوليًا، متكلمًا، له في الكلام: غاية المرام، توفي سنة: (559هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى (242/7)، ترجمة رقم: (946)، معجم المؤلفين (282/7).

(2) آثار البلاد وأخبار العباد ص377.

(3) هو: علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزري، أبو الحسن، من العلماء بالنسب والأدب، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر ﷺ، وسكن الموصل، ومات بها سنة: (630هـ)، من مصنفاته: أسد الغابة، الجامع الكبير. انظر: الأعلام (331/4-332).

(4) الكامل في التاريخ (275/10).

(5) هو: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجيّ موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، الطبيب المؤرخ، ولد بدمشق، من كتبه: التجاريب والفوائد، حكايات الأطباء في علاجات الأدواء، معالم الأمم، توفي سنة: (668هـ). انظر: الأعلام (197/1).

(6) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، تحقيق: د/ نزار رضا، ص462، دار مكتبة الحياة– بيروت– لبنان، بدون طبعة.

(7) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكيّ الإربلي، أبو العباس، مؤرخ حجة، وأديب ماهر، ولي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتوفي بها، سنة: (681هـ)، من كتبه: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. انظر: طبقات الشافعيين ص917-912.

(8) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (249/4-250).

الأول: رحلاته المتكررة، إلى كل من خَوَارِزْم[1]، وطُوس، وبلاد ما وراء النهر، وهَرَاة التي استقر ومات بها، وقد جرت له في رحلاته مناظرات عديدة مع المعتزلة والكرامية وغيرهم، وكثيرًا ما تشتد الخصومة بينه وبين معارضيه؛ فيضطر إلى مغادرة المكان الذي هو فيه.

الثاني: اتصاله بالملوك والسلاطين، وتأليفه أغلب كتبه لهم، وقد استفاد من صلته بهم -خاصة خوارزم شاه وولده محمدًا- مالًا وجاهًا عريضًا.

وكان العلماء والفقهاء والملوك يقصدونه من البلاد، وتشد إليه الرحال من الأقطار، فأكرمه غياث الدين[2]، واحترمه، وبالغ في إكرامه، وبنى له مدرسة بهَرَاة، بالقرب من الجامع، فأصبح له تلاميذ كُثُر، فقد كان من تلاميذه: أفضل الدين الخُونَجي، وشمس الدين الخُسْرُوشاهي[3]، وأثير الدين الأبْهَري[4]، وغيرهم.

وكان واعظًا بارعًا، يحسن الوعظ باللغتين: العربية والفارسية، ويكثر البكاء، ويحصل له مكان مجلسه رقة، ويظهر خشوعًا، حتى أنه قال يومًا للسلطان شهاب الدين وهو تحت منبره: "يا سلطان العالم، لا سلطانك يبقى، ولا تلبيس الرازي يبقى، وأن مردنا إلى الله"، فأبكى السلطان.

وكان يحضر مجلسه بمدينة هَرَاة أرباب المذاهب والمقالات، ويسألونه، وهو يجيب كل سائل بأحسن إجابة، ورجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرَّامية وغيرهم عن مذاهبهم، وكان يلقب بهَرَاة: شيخ الإسلام.

أما مؤلفاته فكثيرة جدًا شملت فنون التفسير، والفقه، وأصوله، وعلم الكلام والفلسفة، والبلاغة، وغيرها، وأقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، فانتشرت في البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة، منها: التفسير، المحصول في أصول الفقه، مناظرات فخر الدين الرازي في

---

(1) "خوَارِزْم": بضم الخاء، وفتحها، وهو: إقليم كبير من خُرَاسَان، مما وراء النهر، فيه مدينة الجُرْجَانية، وهي من أكبر المدن فيها، وهي اليوم: جزء من جمهوريتي أوزباكستان وتركمانستان. انظر: معجم البلدان (395/2-398). وانظر: والروض المعطار في خبر الأقطار ص224-225. وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (847/1).

(2) هو: محمد بن سام بن الحسين بن الحسن المسعودي، أبو الفتح، السلطان، صاحب غزنة بخراسان، كان عادلًا، مظفرًا، أنشأ مدارس عدة بخراسان، توفي سنة: (599هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (320/21-322)، ترجمة رقم: (167).

(3) يُشار إلى أن كلًا من الخونجي، والخسروشاهي له حيرة وندم، وخاتمة بذلك، وسيأتي الحديث عنهما في المبحث الرابع من الفصل الثالث - بعون الله تعالى-.

(4) هو: المفضل بن عمر بن المفضل الأبْهَري السمرقندي، منطقي، له اشتغال بالحكمة والطبيعيات والفلك، من كتبه: هداية الحكمة، مختصر في علم الهيئة، درايات الأفلاك، توفي سنة: (663هـ). انظر: الوافي بالوفيات (121/6).

بلاد ما وراء النهر، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مناقب الإمام الشافعي، الأربعين في أصول الدين، لباب الإشارات، نهاية العقول، المباحث المشرقية[1]، أقسام اللذات[2].

وتوفي بهَرَاة، يوم عيد الفطر، ذي الحجة، سنة ست وست مائة، وله بضع وستون سنة، ودفن آخر النهار في الجبل المُصَاقِب[3] لقرية مُزْدَاخَان[4]، وخلف ولدين أخذ كل واحد منهما أربعين ألف دينار.

ثانيًا: عدوله إلى مذهب السلف، وسبب ذلك:

برع الفخر الرازي في ميادين شتى من العلوم، فقد "فاق أهل زمانه في علم الكلام، والمعقولات، وعلم الأوائل"[5]، وكان يدين بمذهب الأشاعرة، إلا أنه "يمثل مرحلة خطيرة في مسيرة المذهب الأشعري، فهذا الإمام الشافعي الأشعري ترك مؤلفات عديدة، دافع فيها عن المذهب الأشعري بكل ما يملكه من حجج عقلية، كما أنه أفاض في بعضها في دراسة الفلسفة، فوافق أصحابها حينًا، وخالفهم حينًا آخر؛ بل وصل الأمر به إلى أن يؤلف في السحر، والشرك، ومخاطبة النجوم"[6]، وكان له تصوف فلسفي، يقرب من تصوف الغزالي، يقوم على أن التجرد بالرياضة، مع العلم، والفلسفة، يقودان إلى الكشوفات المباشرة[7]؛ وبذلك يكون الرازي قد جمع بين الفلسفة، والتصوف، والكلام في عقيدته[8]، ويقال: إنه كان يحفظ الشامل لإمام الحرمين في علم الكلام[9].

---

(1) وقد كتب جلَّ هذه الكتب وفق طريقة المتكلمين والفلاسفة. انظر: طبقات الشافعيين ص780.

(2) هذا الكتاب أثبت فيها الفخر الرازي رجوعه إلى مذهب السلف، وقد كتبه في آخر حياته، ولم يزل مخطوطًا إلى وقت متأخر.

(3) "مصاقب": أصله من مادة: "صَقَبَ"، والمراد: المقارب. انظر: معجم مقاييس اللغة (296/3-297).

(4) "مُزْدَاخَان": "قرية بالقرب من هَرَاة، وقد تقدم الكلام على هَرَاة". وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (252/4).

(5) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (249/4).

(6) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (654/2).

(7) انظر: من أسرار التنزيل، للفخر الرازي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ص113-114، دار المسلم- القاهرة -مصر. وهو مطبوع باسم عجائب القرآن، لنفس المحقق، انظر: ص118-119، ط(1)1402هـ-1982م، دار الكتب الاسلامية- القاهرة- مصر.

(8) انظر: فخر الدين الرازي، وآراؤه الفلسفية والكلامية، محمد صالح الزركان، ص616-618، دار الفكر- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

(9) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (250/4). طبقات الشافعيين ص780.

وتحت تأثير تلك العلوم المختلفة، والبعيدة عن منهج السلف: صار "الرازي من أكثر الأشاعرة اضطرابًا في أقواله، وهذا بالنظر إلى مجمل أقواله في جميع كتبه...فكثيرًا ما يأتي الرازي بعبارات الشك، والإشكال، والحيرة"[1]، فمثلًا: يقول في مسألة حدوث العالم، وأنه ليس من شرطه أن يكون مسبوقًا بالعدم، قال بعد ذكر الأدلة: "وعلى هذه الطريقة إشكال"، ثم ذكره وقال: "فقد بطلت هذه الحجة، فهذا شك، لابد وأن يتفكر في حله"[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما الرازي فهو في الكتاب الواحد؛ بل في الموضع الواحد منه، ينصر قولًا، وفي موضع آخر منه، أو من كتاب آخر، ينصر نقيضه؛ ولهذا استقر أمره على الحيرة والشك"[3].

قال الذهبي في ترجمته: "صاحب التصانيف، رأس في الذكاء والعقليات، لكنه عَرِيٌّ من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين، تورث حيرة، نسأل الله أن يثبت الإيمان في قلوبنا"[4].

ولهذا: نجد شيخ الإسلام يشير إلى جوهر المشكلة التي تلبس بها الرازي، ففي باب حديثه حول حيرة هؤلاء، يقول عن الرازي: "هو مسرف في هذا الباب، له تهمة في التشكيك، دون التحقيق، بخلاف غيره؛ فإنه يحقق شيئًا، ويثبت على نوع من الحق"[5].

ولما استحكمت الحيرة في قلب الفخر: تراجع عن كل اعتقاداته، وصنف كتاب: "أقسام اللذات"، وذكر فيه رجوعه إلى طريقة السلف، ونصر مذهبهم[6].

فكان مما قال فيه: "وأما اللذة العقلية، فلا سبيل إلى الوصول إليها، والتعلق بها؛ فلهذا السبب نقول: ياليتنا بقينا على العدم الأول؛ وليتنا ما شهدنا هذا العالم؛ وليت النفس لم تتعلق بهذا البدن، وفي هذا المعنى قلتُ:

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال

---

(1) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/670-671).

(2) المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات (1/487).

(3) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (5/270).

(4) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (3/340)، ترجمة رقم: (6686).

(5) نقض المنطق، لابن تيمية، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، سليمان الصنيع، تصحيح: محمد حامد الفقي، ص25-26، ط(1)1370هـ-1951م، مطبعة السنة المحمدية- القاهرة- مصر.

(6) انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (4/252).

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[1]

واعلم أنه بعد التوغل في هذه المضائق والتعميق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق: رأيتُ الأصوب الأصلح في هذا الباب: طريقة القرآن العظيم، والفرقان الكريم، وهو: ترك التعمق والاستدلال بأقسام أجسام السماوات والأرضين على وجود رب العالمين، ثم المبالغة في التعظيم، من غير خوض في التفاصيل، فاقرأ في التنزيه: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورى:11]...واقرأ في الإثبات قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]...وعلى هذا القانون فَقِس، وختم الكتاب"[2].

وقال ابن كثير: "وكان مع غزارة علمه في فن الكلام، يقول: من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز"[3].

وبالإضافة إلى ذلك: ذكر المؤرخون وصية للفخر في آخر حياته، أقر فيها مذهب السلف، وأثنى على طريقتهم، وذم علم الكلام، وحطَّ طرائفقهم، قال ابن خَلِّكان: "ورأيتُ له وصية، أملاها في مرض موته على أحد تلامذته، تدل على حسن العقيدة"[4].

وقال ابن كثير: "وقد ذكرتُ وصيته عند موته، وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف، وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله – سبحانه–"[5].

وكان مما قال فيها: "لقد اختبرتُ الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتُ فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن"، ثم قال: "ديني: متابعة الرسول محمد ﷺ، وكتابي: القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين: عليهما"[6].

قال ابن القيم– معلقًا– على قوله: "فليتأمل اللبيب ما في كلام هذا الفاضل من العبر؛ فإنه لم يأت في المتأخرين من حصَّل من العلوم العقلية ما حصله، ووقف على نهايات أقدام العقلاء،

---

(1) أقسام اللذات (ذم لذات الدنيا)، للفخر الرازي، ص262، مطبعة الحرية– الهند، وهذه الأبيات مشهورة عن الفخر الرازي، وقد ذكرها أغلب من ترجم له.

(2) اجتماع الجيوش الإسلامية (503/2).

(3) البداية والنهاية (55/13). لسان الميزان (427/4).

(4) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (252/4).

(5) البداية والنهاية (55/13).

(6) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (221/43–222)، وانظر نص الوصية كاملة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص466–468. طبقات الشافعيين ص781–783. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (121/9–125).

وغايات مباحث الفضلاء، وضرب بعضها ببعض، ومخضها[1] أشد المخض، فما رآها تشفي علة داء الجهالة، ولا تروي غُلَّةَ[2] ظمأ الشوق والطلب، وأنها لم يَحُلُّ عنه عقدة واحدة من هذه العقد الثلاث التي عقدها أرباب المعقولات على قافية القلب، فلم يستيقظ لمعرفة ذات الله، ولا صفاته، ولا أفعاله، وصدق -والله-؛ فإنه شاك في ذات رب العالمين"[3].

ومما سبق: نلاحظ الخاتمة المشرقة للإمام فخر الدين الرازي، حيث كانت على إتباع القرآن، والإقرار بعقيدة السلف، ونبذ كل ما خالفه من الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، قال الإمام الذهبي: "وقد بدت منه في تواليفه بلايا، وعظائم، وسحر، وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه؛ فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر"[4].

---

(1) "مَخَضَها": حركها تحريكً شديدًا، وهي كناية عن شدة التمحيص، والتعمق في النظر. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (46/19).

(2) "غُلَّةَ": بمعنى: ظمأ. انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ص25، ط(8)1426هــ-2005م، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان.

(3) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (2/ 666).

(4) سير أعلام النبلاء (501/21).

المطلب الرابع
النَّووي

الإمام النووي: إمام الزهد والورع، والعلم والتصانيف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حياته حافلة باستغلال الوقت، والاستفادة القصوى منه.
تجاذب السلف والخلف عقيدته، وحصلت إشكالات كبيرة في ذلك، فكانت الغلبة للسلف؛ بدلالات كثيرة، مع الإقرار بما أصابه من رائحة التأويل، والميل للأشاعرة، وقد أعرض عنه في آخر حياته.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حِزَام الحِزَامي[2] العالم، محيي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي، الشافعي، العلامة، شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه، ولد بنَوَا[3]، في العشر الأوسط من شهر الله المحرم، سنة: إحدى وثلاثين وستمائة، ونشأ نشأة صالحة، وكان يُتوسم فيه النجابة من صغره، حيث شرع بحفظ القرآن الكريم وهو صغير، ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره، قدم به والده إلى دمشق؛ لطلب العلم، فسكن المدرسة

(1) **انظر ترجمته:** البداية والنهاية (278/13-279). وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (55/1-57)، ترجمة رقم: (25). وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (395/8-400)، ترجمة رقم: (1288). وانظر: طبقات الشافعيين ص909-913. وانظر: الأعلام (149/8-150). وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (246/50-256)، ترجمة رقم: (330). وانظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (383/30-384). وانظر: المعين في طبقات المحدثين، للإمام الذهبي، تحقيق: د/ همام عبد الرحيم سعيد، ص215، رقم: (2243)، ط(1)1404هـ، دار الفرقان -عمان- الأردن. وانظر: تذكرة الحفاظ (174/4-176)، ترجمة رقم: (1162). وانظر: العبر في خبر من غبر (334/3). وانظر: ذيل مرآة الزمان، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني، بعناية: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية،(283/3-291)، ط(2)1413هـ-1992م، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة- مصر. وانظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان (138/4-140). وانظر: فوات الوفيات (264/4-268)، ترجمة رقم: (568)، ط: 1974م. وانظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (278/7). وانظر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد الدِّيار بَكْري، (379/2)، دار صادر- بيروت- لبنان، بدون طبعة. وانظر: الدارس في تاريخ المدارس (19/1-20). وانظر: معجم المؤلفين (202/13-203). وانظر: طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (153/2-157)، ترجمة رقم: (454). وانظر: تاريخ ابن الوردي (219/2). وانظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي، ص513، ترجمة رقم: (1128)، ط(1)1403هـ، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان. وانظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (97/2-104)، ط(1)1387هـ-1967م، دار إحياء الكتب العربية- مصر. وانظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (680/5-686)، ترجمة رقم: (161).

(2) "الحِزَامي": نسبة إلى جده ابن حِزَام بن محمد بن جمعة، وليس إلى الصحابي الجليل: حِزَام بن أبي حكيم ﷺ. انظر: تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، لابن العطار، ضبط نصه، وعلق عليه، وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ص40، ط(1)1428هـ-2007م، الدار الأثرية- عمان- الأردن.

(3) "نَوَا": بلفظ جمع نَواة التمر، وهي: قرية من قرى حَوْران، في الجنوب الغربي من سورية، واليها نسبته، والنووي: بحذف الألف، وهي كتابته، ويجوز إثباتها (نواوي). انظر: معجم البلدان (306/5). وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (1391/3).

الرَّوَاحِيَّة[1]، وأخذ العلم عن جمهرة غفيرة من العلماء الكبار في الشام آنذاك، فشرع في قراءة التنبيه[2]، فيقال: إنه قرأه في أربعة أشهر ونصف، وقرأ ربع العبادات من المذهب في بقية السنة، ثم لزم المشايخ تصحيحًا، وشرحًا، فكان يقرأ في كل يوم اثني عشر درسًا على المشايخ وأهل العلم، حيث كان دروسه من علوم متفرقة، وخلال إقامته بدمشق حج مع والده، وذلك في سنة إحدى وخمسين وست مائة.

وقد ولي الشيخ محيي الدين النووي مشيخة دار الحديث الأشرفية[3]، بعد الشيخ شهاب الدين أبي شامة[4]، سنة خمس وستين إلى أن توفي، حسبة لوجه الله تعالى، وباشر التدريس في المدرسة الإقبالية[5]، وذلك نيابة عن الشيخ ابن خَلِّكان، وكذلك ناب في التدريس في المدرسة الفلكية[6]، والمدرسة الرُّكْنِية[1].

---

(1) "المدرسة الرَّوَاحِيَّة": مدرسة للشافعية، أسسها: زكي الدين أبو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة، المتوفى سنة: اثنتين وعشرين وستمائة، في دمشق، لصيقة بالجامع الأموي من جهة بابه الشرقي، ولي التدريس فيها نخبة ممتازة من أهل العلم، كابن الصلاح، وبهاء الدين السبكي، والكمال بن الزملكاني، وصفي الدين الآرموي، وشمس الدين المقدسي. انظر: الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (199/1-207)، رقم: (46) ، ط(1)1410هـ-1990م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان. وانظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، عبد القادر بن أحمد بدران، تحقيق: زهير الشاويش، ص100-103، ط(2)1985م، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

(2) ينسب هذا الكتاب إلى: يحيى بن أكثم التميمي، المتوفى سنة: (242)، قال الحاكم النيسابوري: "من نظر في كتاب التّنبيه ليحيى بن أكثم، عرف تقدُّمه في العلوم". تاريخ بغداد وذيوله (201/14). وانظر ترجمة يحيى في: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (536/18-544)، ترجمة رقم: (586).

(3) "دار الحديث الأشرفية": أسسها: الملك الأشرف موسى، ابن العادل الأيوبي مظفر الدين، ابتدأ عمارتها سنة: (628هـ)، وافتتحت سنة: (630هـ)، وأول من وليها: الشيخ: تقي الدين ابن الصلاح، المتوفى سنة: (643). انظر: الدارس في تاريخ المدارس (15/1-36)، رقم: (**8**).

(4) هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، أبو القاسم، شهاب الدين، أبو شامة، مؤرخ، محدث، باحث، أصله من القدس، ومولده في دمشق، وبها منشأه ووفاته، من مصنفاته: مفردات القراء، الوصول في الأصول، الباعث على إنكار البدع والحوادث، توفي سنة: (665هـ). انظر: الأعلام (299/3).

(5) "المدرسة الاقبالية": نسبة إلى إقبال: خادم نور الدين، أو صلاح الدين، وبه سميت مدرستان: الإقبالية الكبيرة للشافعية، والإقبالية الصغيرة للحنفية، ببغداد، وقد نسب ابن كثير الاقبالية إلى: إقبال الشَّرَابِي، وأرجع بناءها إلى سنة: سنة ثمان وعشرين وستمائة. انظر: الدارس في تاريخ المدارس (118/1-123)، رقم: (31). وانظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص81-82. وانظر: البداية والنهاية (129/13).

(6) "المدرسة الفَلَكِيَّة": أنشأها فلك الدين سليمان أخو الملك العادل سيف الدين أبي بكر لأمه، المتوفى سنة تسع وتسعين وخمس مئة، وقد كان بناؤها في دمشق. انظر: الدارس في تاريخ المدارس (327/1-329)، رقم: (73). وانظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص137-147.

وقد لازم الاشتغال، والتصنيف، ونشر العلم، والعبادة، والذكر، والصبر على العيش الخشن في المأكل، والملبس، بما لا مزيد عليه، وتخرّج به جماعة من العلماء، قال فيه الذهبي: "مفتي الأمة، شيخ الإسلام، محيي الدين، أبو زكريا النواوي، الحافظ، الفقيه، الشافعي، الزاهد، أحد الأعلام"(2).

وكان النووي أمَّارًا بالمعروف، نهاءً عن المنكر، للملوك، وغيرهم، لا تأخذه في الله لومة لائم، يواجه الملوك والجبابرة بالإنكار، وإذا عجز عن المواجهة: كتب الرسائل.

وكان لا يضيع شيئًا من أوقاته، سالكًا في ذلك طريقة السلف، وقد حدث بذلك تلميذه ابن العطار(3)، فقال له: "وبارك الله ليَ في وقتي واشتغالي، وأعانني عليه"(4)، قال ابن العطار: "صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل، فبعضها للتصنيف، وبعضها للتعليم، وبعضها للصلاة، وبعضها للتلاوة، وبعضها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(5).

وهذا يتطابق مع ما قرره شيخ الإسلام، من لزوم البركة للصالحين، حيث قال: "فكل من استقرأ أحوال العالَم، وجد المسلمين أحدَّ وأسدَّ عقلًا، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال"(6).

قال الذهبي: "قال لي شيخنا: مجد الدين أبو عبد الله بن الظهير(7): ما وصل بالشيخ تقي الدين ابن الصلاح(8) إلى ما وصل إليه الشيخ محيي الدين من العلم في الفقه، والحديث، واللغة، وعذوبة اللفظ"(9).

---

(1) "المدرسة الرُّكْنِيَّة": الشافعية أسسها: الأمير ركن الدين منكورس الفلكي، غلام فلك الدين أخي الملك العادل، المتوفى سنة: سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وكان بناؤها في: سفح قَاسِيُون، بدمشق، سنة إحدى وعشرين وستمائة، وكان هذا الرجل من خيار الأمراء. انظر: الدارس في تاريخ المدارس (1/ 398–400)، رقم: (104). وانظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص171. وانظر: البداية والنهاية (141/13).

(2) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (246/50).

(3) ابن العطار تراجع عما أخذه عن الإمام النووي، وألف في عقيدة السلف، وسيأتي ذكره في المبحث الثالث من الفصل الثالث – بعون الله تعالى–.

(4) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين ص50.

(5) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين ص65.

(6) مجموع الفتاوى (10/4).

(7) هو: محمد بن أحمد بن عمر الإربِلِي، من فقهاء الحنفية، تنقل في العراق والشام، ومات بدمشق، له: تذكرة الأريب، مختصر أمثال الشريف الرضي، ديوان شعر، توفي سنة: (677هـ). انظر: الأعلام (323/5).

(8) هو: عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) ابن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي ، أبو عمرو، أحد الفضلاء المقدمين في التفسير، والحديث، والفقه، وأسماء الرجال، له: معرفة أنواع علم الحديث، يعرف بمقدمة ابن الصلاح، شرح الوسيط، الفتاوى، توفي سنة: (643هـ). انظر: الأعلام (207/4–208).

(9) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (252/50).

وإلى جانب ذلك: فقد كان النووي صاحب عبادة، وورع، إلى حد لا يُنافس فيه، قد هيأ الله ﷻ له: فراغ البال، واتساع الزمان، وجمع الكتب، وحُسن النيّة.

قال ابن كثير: "وقد كان من الزهادة، والعبادة، والورع، والتحرِّي والانجماح عن الناس، على جانب كبير، لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره، وكان يصوم الدهر، ولا يجمع بين إِدَامين[1]"[2].

وقال: "كان رَحِمَهُ اللَّهُ على جانب كبير من العلم، والزهد، والتقشف، والاقتصاد في العيش، والصبر على خشونته، والورع الذي لم يبلغنا عن أحد في زمانه، ولا قبله بدهر طويل"[3] .

قال ابن العطار: "ورأيت رجلاً من أصحابه، قشَّر له خيارة؛ ليطعمه إياها، فامتنع عن أكلها، وقال: أخشى أن يَرْطُب جسمي، ويجلب النوم"[4].

وأضاف: "وكان الشيخ محيى الدين قد صار إليه ثلاث مراتب، كل مرتبه منه، لو كانت لشخص؛ شُدت إليه آباط[5] الإبل من أقطار الأرض: المرتبة الأولى: العلم، والقيام بوظائفه، الثانية: الزهد في الدنيا بجميع أنواعها، الثالثة: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر"[6].

أما عن تصانيفه: فكانت نافعة للأمة، مفيدة لها، جمع فيها علمًا كثيرًا، حتى انتشرت في الأقطار، وجُلبت إلى الأمصار، فمنها ما أكمله، ومنها ما لم يكمله، من هذه التصانيف: تهذيب الأسماء واللغات، منهاج الطالبين، الدقائق، العمدة في صحيح التنبيه، التحرير في ألفاظ التنبيه، المنهاج في شرح صحيح مسلم، التقريب والتيسير، حلية الأبرار (يُعرف بالأذكار النووية)، خلاصة الأحكام من مهمات السنن وقواعد الإسلام، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، بستان العارفين، الإيضاح، والإيجاز، روضة الطالبين، التبيان في آداب حملة القرآن، المقاصد، مختصر طبقات الشافعية لابن الصلاح، مناقب الشافعي، المنثورات (فيه جمْع لفتاويه)، مختصر التبيان، منار الهدى، الإشارات إلى بيان أسماء المبهمات، الأربعون حديثًا النووية، طبقات

---

(1) "الإِدَام": أصله من "أَدَمَ"، وهو: ما يؤكل مع الخبز، أي شيء كان. النهاية في غريب الحديث والأثر (31/1).

(2) البداية والنهاية (279/13).

(3) طبقات الشافعيين ص912.

(4) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين ص67.

(5) "آباط": جمع "إبط"، يُذكر ويُؤنث، وهو: باطن المنكب والجناح. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (3/1)، دار الدعوة- الإسكندرية- مصر، بدون طبعة.

(6) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين ص113.

الفقهاء، كتاب الإرشاد، وشرح قطعة من البخاري، وقطعة جيدة من أول الوسيط، شرح المهذب (المجموع)، ولم يُتْممه.

قال ابن العطار: "له ومسودات كثيرة، ولقد أمرني ببيع كراريس، نحو ألف كراس بخطه، وأمرني بأن أقف على غسلها في الورَّاقة[1]، وخوَّفني إن خالفت أمره في ذلك، فما أمكنني إلا طاعته، وإلى الآن في قلبي منها حسرات"[2].

قال الباحث: نشر الإمام النووي كثيرًا من كتبه، ولعل الذي حمله على إتلاف هذه المسودات، أنها كانت حديثة عهد بالكتابة، فهي مسودات، وليست كتبًا، وقد يكون فيها أقوال تراجع عنها، أو كتابات كتبها في بداية عهده بالتصنيف، والله أعلم بالصواب.

كان الإمام النووي يسأل الله ﷻ أن يموت بأرض فلسطين، فسافر الإمام النووي آخر عمره إلى بلدته: نَوَى، وزار بيت المقدس، والخليل، ثم رجع إلى نَوَى، فمرض عند أبويه، وتوفي ليلة الأربعاء، لستٍ بقين من شهر رجب، سنة ست وسبعين وستمائة، وصلوا عليه بدمشق، يوم الجمعة، ودفن ببلده، وقبره مشهور بها، ورثاه غير واحد من الشعراء يبلغون عشرين نفسًا، بِمَراثٍ جمَّة، بأكثر من ستمائة بيت.

لقد كانت حياة الإمام النووي حياة عامرة بكل ما قام به، ووُفق إليه، قال ابن العماد الحنبلي[3]: "وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد اكتال من ذلك بالمكيال الأوفى، فكان ذلك الإنتاج العظيم في عمره القصير الذي لم يتجاوز (45) عاما، ولكنه كان مليئًا بالخير والبركة"[4].

رحم الله الإمام النووي، كم كانت حياته مليئة بالعجائب، وحسن الإقبال على الله ﷻ، فحياته تمثل منهج حياة للأمة، ومناقبه أكثر من ذلك، وقد أُفردت ترجمته في رسائل، إحداها: للسُّحَيْمي[5]، والثانية: للسخَاوي[6]، والثالثة: للسيوطي.

---

(1) "الورَّاقة": صندوق ذو أشكال مختلفة، يُوضع فيه ورق الكتابة. انظر: المعجم الوسيط (1026/2).

(2) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين ص94,85.

(3) هو: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، فقيه، عالم بالأدب، ولد في دمشق، وأقام في القاهرة مدة طويلة، ومات بمكة حاجًا، له: شرح متن المنتهى، شرح بديعية ابن حجة، توفي سنة: (1089هــ). انظر: الأعلام (290/3).

(4) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (56/1).

(5) هو: أحمد بن محمد بن علي الحسني القلعاوي، فقيه مصري، من أعيان الشافعية وصلحائهم، نسبته إلى قلعة الجبل، من كتبه: مناهج الكلام على آيات الصيام، العطايا الربانية، توفي سنة: (1178 هــ). انظر: الأعلام (243/1).

(6) هو: محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخَاوي، مؤرخ حجة، وعالم بالحديث، والتفسير، والأدب. أصله من سخا (من قرى مصر)، ومولده في القاهرة، ووفاته بالمدينة، من كتبه: شرح ألفية العراقي، المقاصد الحسنة، توفي سنة: (902هــ). انظر: الأعلام (194/6-195).

مذهب الإمام النووي في العقيدة:

تعد عقيدة الإمام النووي من أكثر المسائل العلمية غموضًا وتعقيدًا، حتى غلب على فكر الكثير من الناس أشعرية الإمام النووي، ومخالفته للسلف، فدوروه بين السلفية والأشعرية.

ولئن كان لذلك مبررات كثيرة، فإن الإمام النووي قد خالف الأشاعرة، وأنكر عليهم، وأقر بعقيدة السلف، ومات عليها، والحديث في هذه المسألة يحتاج إلى مزيد بيان وتفصيل، ويمكن إجمال معالم عقيدة الإمام النووي، وما استقر فكره عليه من خلال النقاط الآتية[1]:

أولًا: قام الإمام النووي بتأليف كتاب المنهاج، وشرح فيه صحيح الإمام مسلم، وقد كان يرى في مواطن متعددة، أن عقيدة السلف في الصفات دائرة بين التأويل، وتفويض المعنى[2]، بالإضافة إلى تأويله لبعض الصفات[3]، والسكوت عن ما ينقله من التأويل الفاسد للصفات الإلهية، دون نقد أو تعليق.

قال الذهبي: "وكان مذهبه في الصفات السمعية: السكوت، وإمرارها كما جاءت، وربما تأول قليلًا في شرح مسلم، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى"[4].

قال الشيخ مشهور آل سلمان: "لم يرتضِ هذا بعض من كان قريب عهد به من نُسَّاخ "شرح صحيح مسلم"، فقام بعض النُسَّاخ ممن كانت عقيدتهم سلفية بنَسْخ هذا الشرح، وأسقطوا من النُّسَخ كلام النووي في تأويل الصفات"[5].

---

(1) تجدر الإشارة إلى أني قد استفدت هذه الأفكار، والمسائل المتعلقة بعقيدة الإمام النووي من كتاب الشيخ: مشهور آل سلمان، والذي سمّاه: "الدلائل الوفية في تحقيق عقيدة النووي، سلفية أم خلفية"، وتوصل فيه إلى رجوع الإمام النووي إلى عقيدة السلف، فجزاه الله تعالى خيرًا على ذلك.

(2) ورد ذلك بشكل مستفيض في شرحه لصحيح الإمام مسلم، وذلك عند شرحه لأحاديث الصفات. انظر على سبيل المثال: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم)، (19/3)، ط(2)1392هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

وقد جمعها الشيخ: مشهور آل سلمان، على وجه فيه استيعاب، واستقراء، في كتاب سمّاه: "الردود والتعقيبات على كلام الإمام النووي في الصفات، وغيرها من المسائل المهمات".

(3) وهذا ظاهر كثيرًا في شرحه لصحيح الإمام مسلم، على اصطلاح المتأخرين للتأويل، بصرف المعنى من الراجح إلى المرجوح، كتأويل الضحك بالرضا، وغير ذلك. انظر شرح النووي على مسلم (36/13).

(4) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (256/50).

(5) الدلائل الوفية في تحقيق عقيدة النووي، سلفية أم خلفية، مشهور بن حسن آل سلمان، وهو في أصلها: محاضرة صوتية، قام بتفريغها، والتعليق عليها: أبو رأفت الأثري، ص16، ط(1)1429هـ-2008م، الدار الأثرية- عمان- الأردن.

ولذلك: تحامل عليهم السبكي تحاملًا عنيفًا، فقال: "وقد وصل حال بعض المُجسمة[1] في زماننا، إلى أن كتب شرح صحيح مسلم، للشيخ: محيي الدين النووي، وحذف من كلام النووي ما تكلم به على أحاديث الصفات؛ فإن النووي أشعري العقيدة، فلم تَحمل قوى هذا الكاتب، أن يكتب الكتاب على الوضع الذي صنفه مصنفه، وهذا عندي من كبائر الذنوب؛ فإنه تحريف للشريعة؛ وفتح باب لا يُؤمن معه بكُتب الناس، وما في أيديهم من المصنفات، فقبح الله فاعله، وأخزاه، وقد كان في غُنية عن كتابة هذا الشرح، وكان الشرح في غُنية عنه"[2].

والمسألة القائمة هنا: هل كان الإمام النووي مؤولًا حقًا؟ أم كان ذلك مجرد نقولات نقلها، حتى نسبت إليه هذه التأويلات؟

وللإجابة على هذا السؤال، فإنه، وعلى الرغم من تأخر الإمام النووي في تصنيفه لشرح مسلم[3]، إلا أنه اعتمد اعتمادًا قويًا على ألفاظ القاضي عِياض[4] في شرحه لصحيح مسلم، في كتاب سماه: إكمال المعلِم شرح صحيح مسلم، حتى حَبس نفسه فيها، ولا سيما فيما يتعلق بالموقف من الصفات الإلهية، التي كان ينقل تأويلَها القاضي عِياضُ عن شيخه المَازِري[5]، بقوله: قال الإمام، وقد كان الإمام النووي ينسبها للقاضي عِياض، وهي على التحرير والتحقيق: من كلام المَازِري المعروف بأنه أشعري العقيدة، بخلاف القاضي عِياض؛ فإنه بيْن بيْن.

وبذلك: يتبين أن الإمام النووي لم ينشأ التأويل من ذات أفكاره، ولم يأتِ بها من كيسه؛ بل كان ناقلًا لها[6].

---

(1) "المُجسمة": الأصل في هذا الاصطلاح: إطلاقه على المُشبهة، الذين يشبهون صفات الله ﷻ بصفات المخلوقين، كقولهم: يده كيدي، وقد كان بَدء ظهور التشبيه في الإسلام على يد بيان بن سمعان الرافضي، وقد انتشر بين فرق الروافض، واندثر بعد ذلك، ولفظ "المُجسمة" من ألقاب الشتيمة، التي يطلقها المتكلمون على من يثبت الصفات. انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص119. وانظر: وسطية أهل السنة بين الفرق ص126-132.

(2) طبقات الشافعية الكبرى (19/2).

(3) ألفه بعد سنة أربع وسبعين وست مائة كما واضح من خلال الشرح (57/12).

(4) هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصُبي السبتي، أبو الفضل، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، ولي قضاء سَبْتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمرَّاكُش مسمومًا، من تصانيفه: الغنية، مشارق الأنوار، توفي سنة: (544هـ). انظر: الأعلام (99/5).

(5) هو: محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري (بفتح الزاي وكسرها)، أبو عبد الله، محدث، من فقهاء المالكية، نسبته إلى مازر بجزيرة صقلّيّة، ووفاته بالمهدية، من مصنفاته: المعلم بفوائد مسلم، التلقين، إيضاح المحصول في الأصول، توفي سنة: (536هـ). انظر: الأعلام (277/6). وانظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (285/4).

(6) انظر: الدلائل الوفية في تحقيق عقيدة النووي، سلفية أم خلفية ص15-18.

قال الشيخ حماد الأنصاري[1]: "إن الإمام النووي اعتمد على القاضي عِياض في شرحه لصحيح مسلم، اعتمادًا شبه كلي؛ وذلك لأنه ما وجد في المشارقة من شرح صحيح مسلم، ولا أعرف شرحًا لصحيح مسلم للمشارقة قبل شرح النووي"[2].

قال الباحث: المتتبع لشرح الإمام النووي لأحاديث الصفات، يتبين له صحة ما ذهب إليه الشيخ: مشهور، لكن وإن كان الإمام النووي ناقلًا كلام القاضي عِياض، وشيخه المَازرِي، إلا أنه يؤخذ عليه عدم بيان القول الحق في هذا الاختلاف الحاصل في الصفات الإلهية بين السلف والمتكلمين، مع التفصيل في طبيعة هذا الخلاف، وذلك جريًا على عادة السلف من الجزم في هذه المسائل، واعتبارها فيصلًا مهمًا بين الموالفين لعقيدة السلف، والمخالفين لها، وإن كان على قرب من عقيدة السلف في الصفات.

ثانيًا: إن هذا الغموض الحاصل في موقف الإمام النووي من الصفات الإلهية، والذي ظهر من خلال شرح صحيح الإمام مسلم، هو الذي حدا ببعض العلماء إلى نسبة الإمام النووي إلى الأشعرية، وهو ذات السبب الذي فتح الباب للتلبيس على الكثير من الناس في عقيدته.

ولكنْ عند تتبع أقوال المؤرخين، يتبين لنا تورع الكثير من العلماء في نسبة الإمام النووي إلى الأشعرية، إلا ما كان من تاج الدين السبكي، الذي صرح بأن عقيدة الإمام النووي أشعرية[3].

فالإمام الذهبي– وهو مؤرخ كبير– يقول: "وكان مذهبه في الصفات السمعية: السكوت، وإمرارها كما جاءت، وربما تأول قليلًا في شرح مسلم، –رحمه الله تعالى–"[4].

ولم يثبت عن الإمام الذهبي غير هذا الكلام في عقيدة الإمام النووي، ولا سيما مما نسب إليه من القول:"والنووي رجل أشعري العقيدة، معروف بذلك، يُبدع من خالفه، ويبالغ في التغليظ عليه"[5].

قال الشيخ مشهور: "فإذن: بقي النووي رَحِمَهُ اللَّهُ متأثرًا في بعض الأمور، ووقع في كلامه بعض التأويل غير المرضي"[6].

---

(1) هو: حمّاد بن محمد بن محمد البشير، من ذريّة سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري ﷺ، ولد في بلدة (تاد مكة) في مالي بأفريقيا الغربية، حفظ القرآن، واشتغل بالعلم، وصنف، فمن ذلك: التدليس والمدلسون، المفهوم الصحيح للتوسل، توفي سنة: (1418هـ). انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ (1/179–183).

(2) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ (752/2).

(3) انظر: طبقات الشافعية الكبرى (19/2).

(4) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (256/50).

(5) انظر: الدلائل الوفية في تحقيق عقيدة النووي، سلفية أم خلفية ص20–21.

(6) الدلائل الوفية في تحقيق عقيدة النووي، سلفية أم خلفية ص21.

وهذا يعني: أن الإمام النووي مال إلى التأويل، واقترب من عقيدة الأشاعرة، ولعل هذا التفسير: يكشف عن الإشكالات الحاصلة في عقيدة الإمام النووي، فهو الأقرب إلى ما كان عليه من الاعتقاد.

ثالثًا: إن قرب الإمام النووي من عقيدة الأشاعرة لا يعني الموافقة التامة لها من جميع الوجوه، فضلًا عن تضافر الأدلة على رجوعه إلى عقيدة السلف، وتحريره لها تحريرًا صحيحًا.

ويمكن الاستدلال على رجوع الإمام النووي إلى مذهب السلف، وموافقته لها، من خلال الأدلة الآتية:

1) التصريح بموقف السلف في الصفات:

مما يدلل على أن الإمام النووي كان يدين بمذهب السلف في الصفات: تصريحه بذلك، فمن ذلك: قوله: "وأنه (الكافر) لو قال: لا إله إلا الله، المَلك الذي في السماء، أو إلا ملك السماء، كان مؤمنًا، قال الله تعالى: ﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك:16]، ولو قال: لا إله إلا ساكن السماء، لم يكن مؤمنًا، وكذا لو قال: لا إله إلا الله ساكن السماء؛ لأن السكون محال على الله تعالى[1].

وهو موافق لعقيدة السلف، قال ابن تيمية: "وليس من قولنا: إن الله فوق العرش تحديد له؛ وإنما التحديد يقع للمحدثات، فمن العرش إلى ما تحت الثرى محدود، والله ﷻ فوق ذلك، بحيث لا مكان، ولا حد؛ لاتفاقنا أن الله تعالى كان، ولا مكان، ثم خلق المكان، وهو كما كان قبل خلق المكان"[2].

وقد ألف الإمام النووي في آخر حياته رسالة سمَّاها: "جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات"[3]، وأعلن فيها مذهب السلف، بكل قوة، ووضوح، قال في نهايتها: "فرغنا من نسخه الخميس الثالث من شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وستمائة"[4]، وقد مر معنا في الترجمة أن الإمام النووي توفي في الرابع والعشرين من شهر رجب، سنة: سنة: ست وسبعين

---

(1) روضة الطالبين وعمدة المفتين، للإمام النووي، تحقيق: زهير الشاويش، (85/10)، ط(3)1412هـ-1991م، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان.

(2) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (51/3).

(3) لا يزال الخلاف قائمًا بين أهل العلم في صحة نسبة هذه الرسالة إلى الإمام النووي، وعلى القول بصحتها، فهي رسالة نافعة في بيان مذهب السلف، ورجوع الإمام النووي بالجملة، حيث قرر فيها مذهبهم، ولكنه ذهب إلى قول السَّالمية في أزلية الحروف والأصوات منها، وعلى كلٍ فهو صفعة قوية في وجوه الأشاعرة.

(4) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات، تحقيق: أحمد بن على الدمياطي، ص78، ط(1)، مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع- القاهرة- مصر.

وستمائة، قال الشيخ مشهور: "يعني: بين تأليف النووي لهذا الجزء، وبين وفاته: قُرابة ستة أو سبعة أشهر، أي: إنه من أواخر تصانيفه رَحِمَهُ اللَّهُ؛ إذ لا نعلم للنووي كتابًا ألفه بعده"[1].

ومما قال فيه: "ونحن من ديننا: التمسك بكتاب الله ﷻ، وسنة نبينا ﷺ، وما روي عن الصحابة، والتابعين، وأئمة الحديث المشهورين، ونؤمن بجميع أحاديث الصفات، لا نزيد على ذلك شيئًا، ولا ننقص منه شيئًا"[2]، وجعل عمدته الكتاب والسنة في إثبات سائر الصفات الإلهية، وفقًا لعقيدة السلف، ومنهجهم[3].

2) **ألف ابن الصلاح كتابًا سماه: طبقات فقهاء الشافعية،** وقام الإمام النووي بتهذيبه، وترتيبه، ونشره، وحينما ترجم الإمام النووي للخطَّابي، وقد كان الإمام النووي يبجله، ويعظمه، قال في معرض التقرير: "وصرح (الخطَّابي)[4] بأنه ﷻ فوق السماء، وقال: زعم بعضهم أن معنى الاستواء –هاهنا– الاستيلاء، وذكر أن كتابًا له بعنوان: "الرسالة الناصحة فيما يُعتقد من الصفات"[5].

"إذن: نقل النووي كلام الخطابي: في أن الله في السماء، وأنه مستوٍ على عرشه، في معرض الثناء والتقرير، فلو كان هذا الكلام لا يقبله: إما أن يحذفه، أو يتعقبه، أو يرد عليه"[6].

3) **مخالفة الأشاعرة، وانتقادهم في موقفهم من صفة الكلام:**

حرر الإمام النووي موقف السلف من صفة الكلام، وذكر موقف الأشاعرة منها، وتعجب منه، وانتقده، وذلك في الرسالة التي ألفها في آخر حياته، والتي سماها: "جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات"، فمن ذلك: قوله: "والعجب أن كتب الأشاعرة مشحونة بأن كلام الله منزل على نبيه، ومكتوب في المصاحف، ومتلو بالألسنة على الحقيقة، ثم يقولون: المنزل هو عبارة، والمكتوب غير الكتابة، والمتلو غير التلاوة، ويشرعون في مناقضات ظاهرة وتعقبات باردة ركيكة، ويكفي في ضحد هذا المعتقد: كونهم لا يستطيعون على التصريح به؛ بل

---

(1) الدلائل الوفية في تحقيق عقيدة النووي، سلفية أم خلفية ص22.

(2) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات ص67.

(3) انظر: جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات ص67– 69.

(4) هو: حمْد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستيّ، أبو سليمان، فقيه محدّث، من بلاد كابل، من نسل زيد بن الخطاب رضي الله عنه (أخي عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، له: معالم السنن، إصلاح غلط المحدثين، بيان إعجاز القرآن، توفي سنة: (388هـ). انظر: الأعلام (273/2).

(5) طبقات الفقهاء الشافعية (470/1).

(6) الدلائل الوفية في تحقيق عقيدة النووي، سلفية أم خلفية ص46.

هم فيه على نحو من المراء"[1]، وقوله: "ولعمري لقد اندفع بهذا التقرير كثير من كلام الأشاعرة وتلبيساتهم، عند العارف بمعاني الكلام، ودقائقه"[2].

وكذلك: خالف الإمام النووي الأشاعرة في مسألة: "أول واجب على المكلف"، وقرر فيها خلاف ما قاله الأشاعرة، الذين يرون أن أول واجب على المكلف: النظر، خلافًا لما عليه أهل السنة، من أن أول واجب على المكلف: النطق بشهادة التوحيد[3].

وبعد هذا البسط لعقيدة الإمام النووي، كيف يكون الإمام النووي على عقيدة الأشعرية؟ وكيف يصح أن نطلق انتسابه إليها؟!

ولذلك: قال الشيخ مشهور: "واعلموا أن آخر أقوال النووي قبل وفاته بأشهر قليلة رجع إلى معتقد السلف، وأنه قال بما عليه السلف، فكل ما مضى من كلامه: بأن معتقد السلف–عنده– تفويض في المعنى، هو بمثابة المرجوع عنه –عنده–"[4]، إلى القول بتفويض الكيف، وهو ما عليه السلف.

---

(1) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات ص39.

(2) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات ص53.

(3) انظر: المجموع شرح المهذب، للإمام النووي، (24/1–25)، دار الفكر– بيروت– لبنان، بدون طبعة.

(4) الدلائل الوفية في تحقيق عقيدة النووي، سلفية أم خلفية ص49.

المطلب الخامس

ابن دقيق العيد

يُعد الإمام ابن دقيق العيد واحد من الأعلام، الذين استثمروا جُل حياتهم في طلب العلم، والعمل به، وعلى الرغم من زخارة ترجمته، وملئها بالعجائب، إلا أنه تأثر في عقيدته بخليط من الفلسفة والاعتزال، وشيء من التعصب للأشعري، إلى أن وُفق لاعتناق طريقة القرآن، وهدي السلف، فدان بها، وأثنى الفطرة، في مقابل ذم الكلام، ومن يشتغل به.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: الشيخ تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري الشافعي ابن دقيق العيد، ولد بمدينة يَنْبُعُ[2] من أرض الحجاز، في يوم السبت، الخامس

---

(1) **انظر ترجمته:** المعين في طبقات المحدثين ص225. وانظر: تاريخ الإسلام (244/49). وانظر: مقدمة سير أعلام النبلاء ص 28-29. وانظر: طبقات الشافعيين ص952. وانظر: الديباج المذهب ص324-325. وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (207/9-249)، ترجمة رقم: (1326). وانظر: العبر في خبر من غبر (6/4). وانظر: أعيان العصر وأعوان النصر (576/4-603). وانظر: مرآة الجنان (177/4-178). وانظر: النجوم الزاهرة (206/8-208). وانظر: البداية والنهاية (27/14). وانظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد بن علي الفاسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (191/1-192)، ترجمة رقم: (355)، ط(1)1410هـ-1990م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان. وانظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (317/1-320)، ترجمة رقم: (72). وانظر: شذرات الذهب (11/8-13). وانظر: الوافي بالوفيات (137/4-150). وانظر: فوات الوفيات (442/3-450)، ط: 1974م. وانظر: الرد الوافر، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: زهير الشاويش، ص58-59، ترجمة رقم: (23)، ط(1)1393هـ، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان. وانظر: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم (516/1). وانظر: السلوك لمعرفة دول الملوك (368/2). وانظر: طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (229/2-232)، ترجمة رقم: (517). وانظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، (351/5-352)، ترجمة رقم: (130)، ط(2)1392هـ- 1972م، مجلس دائرة المعارف العثمانية- صيدر أباد- الهند. وانظر: رفع الإصر عن قضاة مصر ص394-403. وانظر: طبقات الحفاظ للسيوطي ص516، ترجمة رقم: (1134). وانظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، (229/2-232)، دار المعرفة- بيروت- لبنان، بدون طبعة. وانظر: الأعلام (283/6). وانظر: معجم المؤلفين (70/11). وانظر: تذكرة الحفاظ (181/4-183)، ترجمة رقم: (1168).

(2) "يَنْبُعُ": بلد يقع على ساحل البحر الأحمر حذاء المدينة النبوية، تسمى بينبُع البحر، وهي الميناء، أما إذا أطلقت قديمًا فيراد بها: وادي ينبع النخل، كثير القرى والعيون والنخيل، وهو على مسيره ليلة من جبل رضوى، وقيل: ينبُع: بين مكة والمدينة. انظر: معجم البلدان (449/5-450). وانظر: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص301.

والعشرين من شعبان، سنة خمس وعشرين وست مائة، ونشأ بديار مصر، وكان قد أخذه والده على يده وطاف به بالكعبة وجعل يدعو الله أن يجعله عالمًا عاملًا.

اشتغل أولًا بمذهب الإمام مالك، ودرس فيه بمدينة قُوص[1] على والده، ثم تفقه على شيخ الإسلام: عز الدين بن عبد السلام الشافعي، فحقق المذهبين: الشافعي والمالكي، حتى صار له الغاية فيهما دراية، ونقلًا، وتوجيهًا، سمع بمصر والشام والحجاز على تحرٍ في ذلك واحتراز، ورحل إليه الطلبة من الآفاق.

قال الشيخ عز الدين ابن عبد السّلام: "ديار مصر تفتخر برجلين في طرفَيْها: ابن منير[2] بالإسكندرية، وابن دقيق العيد بقُوص"[3].

كان ابن دقيق العيد وقورًا، متواضعًا، سمحًا، جوادًا، ورعًا، زاهدًا، غزير الفوائد، كثير العلوم، قليل الكلام، لا يسلك المِرَاء، له شعر رائق، وكان يخاطب عامة الناس: السلطان فمن دونه، بقوله: "يا إنسان"، وإن كان المخاطب فقيهًا كبيرًا قال: "يا فقيه"، وكان يقول "ما تكلمت بكلمة، ولا فعلت فعلًا، إلا أعددت له جوابًا بين يدي الله تعالى"[4]؛ ولذلك: قال ابن قاضي شهبة[5]: "وكان من العبادة والورع بمحل لا يُدرك"[6].

ولي قضاء الديار المصرية على مذهب الشافعي في سنة: خمس وتسعين وستمائة، ومشيخة دار الحديث الكاملية، وذلك بعد إباءٍ شديد، وكان إذا تخاصم إليه أحد من أهل الدولة بالغ في التشدد والتثبت، فإن سمع ما يكرهه عزل نفسه، ثم يُعاد، وقد حصل ذلك مرارًا، ولم

---

(1) "قُوص": مدينة عظيمة في البلاد المصرية في الجهة الشرقية من النيل، وهي قصبة صعيد مصر، ومحطّ التجار القادمين من عدَن، وأكثر تجار عدن من مدينة قوص، وهي شديدة الحرّ؛ لقربها من البلاد الجنوبية. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص484-485. وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (1133/3). وانظر: معجم البلدان (413/4).

(2) هو: علي بن منير بن أحمد الخلال، المصري، أبو الحسن، وكان ثقة، فقيرا، توفي سنة: (439هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (619/17-620)، ترجمة رقم: (415).

(3) الوافي بالوفيات (85/8).

(4) رفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: د/ علي محمد عمر، ص394، ط(1)1418هـ-1998م، مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر.

(5) هو: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقيّ، تقيّ الدين، فقيه الشام في عصره، ومؤرخها، وعالمها، من كتبه: الكواكب الدرية، طبقات النحاة واللغويين، توفي سنة: (851هـ). انظر: الأعلام (61/2).

(6) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (230/2).

يدخل عليه شيء فيما يتعلق بالقضاء، إلا أن جماعة من حاشيته كادوه في توليته الحكم لمن لا يصلح.

وكان ابن دقيق العيد يحب أهل العلم، ويكرمهم، ويتفضل عليهم، ولم يكن للدنيا عنده قيمة، وكان مغريًا بتحصيل الكتب، وله عدة أولاد ذكور، بأسماء الصحابة العشرة.

وقد لخص مناقبه الإمام ابن كثير، بقوله: "أحد علماء وقته؛ بل أجلهم، وأكبرهم علمًا، ودينًا، وورعًا، وتقشفًا، ومداومة على العلم في ليله ونهاره، مع كبر السن، والشغل بالحكم"(1)، وكانت أوقاته كلها معمورة، حتى عده كثير من أهل العلم المجدد المبعوث على رأس السبعمائة.

لقد تحققت دعوة أبيه، حتى مدحه الإمام الذهبي بها، فقال: كان رأسًا في العلم والعمل، عديم النظير"(2)، وقال السيوطي: "وكان من أذكياء زمانه، واسع العلم، مديمًا للسهر، مكبًا على الاشتغال، ساكنًا، وقورًا، ورعًا، إمام أهل زمانه، حافظًا، متقنًا، قل أن ترى العيون مثله"(3)، إلّا أنّه كان قهره الوسواس فى أمر المياه والنّجاسات، وله فى ذلك حكايات ووقائع عجيبة.

له من التصانيف: الإمام في الحديث، الإلمام وشرحه (لم يكتمل)، وأملى شرحًا على عمدة عبد الغني المقدسي في الحديث، وعلى العنوان في أصول الفقه، شرح مختصر ابن الحاجب في فقه المالكية ولم يكمله، وله تصنيف في أصول الدين، وعلق شرحًا على مختصر التبريزي في فقه الشافعية.

وكانت وفاته يوم الجمعة الحادي عشر من شهر صفر، سنة: ثلاث وسبع مائة بالقاهرة، عن سبع وسبعين سنة وصلي عليه بسوق الخيل وحضر جنازته نائب السلطنة والأمراء، ودفن بالقَرَافَةُ الصغرى(4).

ثانيًا: عدوله إلى مذهب السلف، وسبب ذلك:

على الرغم من الحياة الحافلة لابن دقيق العيد، والتي ملأها بالعلم، والعبادة، والورع، إلا أن عقيدته قد شابها شيء من الكلام، والفلسفة، فلم يكن صاحب عقيدة خالصة، سالمة من نزعات

---

(1) طبقات الشافعيين ص952.

(2) العبر في خبر من غبر (6/4).

(3) طبقات الحفاظ، للسيوطي ص516.

(4) "القَرَافَة": مقبرة أهل مصر، وهما قَرَافَتان: الكبرى منهما: ظاهر مصر، وتقع في شرقها، بجوار المساكن، والصغرى: ظاهر القاهرة، وهي واقعة في سفح الجبل، وبالقَرَافة قبر الإمام الشافعي ﷺ، وبنو قرافة: فخذ من المعافر بني يعفر، نزلوا هذين المكانين فنسبا إليه. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (318/3). وانظر: معجم البلدان (317/4). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص460-461. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (327/4).

الابتداع، مطهرة عن العقليات، وقد وصفه السيوطي بقوله: "وله يد طُولى في الأصول والمعقول، وتخرج به أئمة"[1].

ومما يؤكد ذلك، ويبرره: أن ابن دقيق العيد كان تلميذًا عند الشيخ شمس الدين محمد الأصفهاني، وكان يحضر مجالسه، وحلقاته، قال السبكي: "وذكروا أن شيخ الإسلام تقي الدين القشيري كان يحضر درسه بقوص"[2].

والشيخ الأصفهاني كانت عقيدته مضطربة، فتأثر به ابن دقيق العيد تأثرًا كبيرًا، وهو ما يشير إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال عن الأصفهاني: "إن كلامه في التوحيد ليس مبنيًا على أصول الأشعرية، ولا أصول المعتزلة؛ بل على أصول المتفلسفة، فهو متردد بين الفلسفة والاعتزال، وأخذ من بحوث المنتسبين إلى الأشعرية، كالرازي ونحوه، ما قد يقوله هؤلاء وهؤلاء، وكذلك يَحكي عنه خواص أصحابه، أنه كان في الباطن يميل إلى ذلك، وقد ظهر ذلك في خواص المحدثين من أصحابه، كالقُشيري وغيره، ومعلوم أنه تكلم بمبلغ علمه، وحسب اجتهاده، ونهاية عقله، وغاية نظره"[3].

وواضح من كلام شيخ الإسلام: أن ابن دقيق العيد كان على مذهب شيخه في العقيدة، وقد صاغه من خلال تلمذته على يديه، على تسليمنا بأن القشيري المذكور في كلام شيخ الإسلام هو ابن دقيق العيد، كما هو واضح من خلال الترجمة.

ولم يكن ذلك منتهى عقيدة ابن دقيق العيد، فقد كان متأثرًا بالأشعرية، متعصبًا لها، فالسبكي تاج الدين وهو معروف بعقيدته الأشعرية يروي حكاية رسالة ألفها القرطبي، على مذهب الأشعرية، حيث يقول: "ذكر الرسالة المسماة: "زجر المفترى على أبى الحسن الأشعري"، وهذه الرسالة صنفها الإمام ابن القرطبي[4]، وقد وقع في عصره من بعض المبتدعة هجو في أبى الحسن؛ فألفها ردًا على الهاجي، وبعث بها إلى شيخ الإسلام تقي الدين أبى الفتح ابن دقيق العيد: إمام أهل السنة، وقد كانت بينهما صداقة؛ ليقف عليها، فوقف عليها، وقرظها[5]"[6].

---

(1) طبقات الحفاظ للسيوطي ص516.

(2) طبقات الشافعية الكبرى (101/8).

(3) شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، تحقيق: حسين محمد مخلوف، ص60، دار الكتب الإسلامية- القاهرة- مصر، بدون طبعة.

(4) هو: أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري القرطبي، أبو العباس، ضياء الدين، كاتب مترسل أورد النويري نماذج من رسائله في خمسين صفحة، وقال: توفي بقنا، من أعمال قُوص، سنة: (672هـ). انظر: الأعلام (220/1).

(5) "قَرَظَهَا": أصله من: "قَرَظَ"، والمراد: وصف محاسنه ومزاياه. المعجم الوسيط (728/2).

(6) طبقات الشافعية الكبرى (423/3) بتصرف.

وهذه الرسالة التي ألفها القرطبي، مشحونة بالتعطيل، قد بلغت ذروتها فيه، وقد نقلها السبكي، ومما قال فيها: "وقلت إله العرش في العرش كونه ... وأنى لمحدود بمن جل عن حد"[1]، وقوله: "هو الله لا أين ولا كيف عنده ... ولا حد يحويه ولا حصر ذي حد"[2].

وهو ما يعبر عنه أهل السنة بالتعطيل، وإنكار صفة العلو والفوقية لله ﷻ.

ولما رأى عاقبة الاشتغال بعلم الكلام، وبانت له العقيدة الصحيحة، نظم أبيات، تمنى فيها الموت على دين العجائز، وندم على الاشتغال بعلم الكلام، قال الإمام الذهبي: "وقد كان شيخنا العلامة أبو الفتح القُشَيري رحمه الله يقول:

تجاوزت حد الأكثرين إلى العلا وسافرت واستبقيتهم في المفاوز

وخضت بحارًا ليس يُدرك قعرها وسيَّرت نفسي في قسيم المفاوز

ولججت في الأفكار ثم تراجع اختياري إلى استحسان دين الْعَجَائِز"[3]

إن الإمام ابن دقيق العيد، وهو يقول هذا الكلام، هو بذلك يذكرنا بمآلات المتكلمين من أمثاله، الذين أجمعوا على هذه المعاني من الندم، وتمني الموت على دين العجائز؛ لما رأوا فيه من السلامة مما وقعوا فيه، وانجروا إليه، كنتيجة طبيعية لمن قدم عقله على الكتاب والسنة، دون أن يؤثر عنه النصرة لمذهب السلف والتأليف في عقيدتهم، فلعل الوقت لم يكن مسعفًا له في ذلك.

وما أجمل نصيحة سفيان الثوري، حيث يقول: "عليكم بما عليه الجمَّالون[4] والنساء، في البيوت، والصبيان في الكتَّاب، من الإقرار والعمل"[5].

ويظهر مما تقدم: أن الإمام ابن دقيق العيد قد استحسن دين العجائز، دين الفطرة، وأقره، وترك الاشتغال بعلم الكلام، بعد أن بلغ القمة فيه إلى الاشتغال بمذهب السلف.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى (426/3).

(2) طبقات الشافعية الكبرى (428/3).

(3) العلو للعلي الغفار ص258. وانظر: تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري- السابع عشر الميلادي (تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى)، عبد الله بن علي بن أحمد الحسني، المعروف بالوزير، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، ص218، دار المسيرة- بيروت- لبنان، بدون طبعة. وانظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي، للذهبي، تحقيق: د/ محمد الحبيب الهيلة، (101/2) ، ط(1)1408هـ-1988م، مكتبة الصديق- الطائف- السعودية. وانظر: أعيان العصر وأعوان النصر (600/4). وانظر: الوافي بالوفيات (147/4).

(4) "الجمَّالون": جمع: "جمَّال"، وهو: صاحب الجمل، والعامل عليه. المعجم الوسيط (136/1).

(5) شرح السنة للبغوي (217/1).

المطلب السادس
أبو الحسن ابن العطَّار

أبو الحسن العطَّار: أحد أكبر تلاميذ الإمام النووي، وعلى مقربة كبيرة منه، فتأثر بعقيدته، وبقي على ذلك حتى التقى بشيخ الإسلام، فتراجع عمَّا أخذه من شيخه، فانتصر للسلف، ورد على الأشاعرة.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: الشيخ الإمام علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود بن سليمان بن العطار، الشهير بابن العطّار، أبو الحسن الدّمشقيّ الشافعيّ، كان أبوه يهوديًا، عطارًا يلقب: موفق الدين، وجده طبيبًا.

ولد الشيخ ابن العطار في يوم عيد الفطر سنة أربع وخمسين وستمائة، وسمع من خلائق في بلدان عديدة، فسمع بالحرمين، ونابلس، والقاهرة، من عدة أشياخ، يزيدون على المائتين،

(1) **انظر ترجمته:** العبر في خبر من غبر (71/4). وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (37/52). وانظر: تاريخ ابن الوردي (268/2). وانظر: البداية والنهاية (117/14). وانظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (261/9). وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (114/8-115). وانظر: المعجم المختص بالمحدثين ص156-157. وانظر: مقدمة سير أعلام النبلاء ص17-19. وانظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي (7/2-8). وانظر: فوات الوفيات (328/2). وانظر: أعيان العصر وأعوان النصر (244/3). وانظر: الوافي بالوفيات (10/20-11). وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (130/10)، ترجمة رقم: (1386). وانظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (183/2-184)، ترجمة رقم: (1396). وانظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (270/2-271)، ترجمة رقم: (551). وانظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (4/4-6). وانظر: نزهة الألباب في الألقاب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، (162/2)، ترجمة رقم: (2543)، ط(1)1409هـ-1989م، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية. وانظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، (13/1-14)، ط(1)1418هـ-1997م، دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان. وانظر: التنبيه والإيقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ، أحمد رافع بن محمد الحسيني القاسمي الطهطاوي، ص77، الناشر: مطبعة الترقي- دمشق- سوريا، عام: 1348هـ. وانظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، (221/1)، ط(2)1982م، دار الغرب الإسلامي - بيروت- لبنان. وانظر: الأعلام (251/4). وانظر: معجم المؤلفين (5/7). وانظر: الدارس في تاريخ المدارس (52/1-54).

ودار مع الطلبة، حتى صار شيخ دار الحديث النُّورية[1]، والعلمية[2]، ومدرس القُوصية[3] بالجامع، وغير ذلك.

وقد باشر مشيخة النُّورية من سنة أربع وتسعين إلى هذه السنة، مدة ثلاثين سنة، وكان حافظًا للقرآن، فقيهًا، يغلب عليه الفقه، محدّثا، زاهدًا، حافظًا، مفتيًا، ودرّس وأفتى سنين، وكتب وجمع واشتهر ذكره وانتفع به الناس، وحصل على الكثير من الإجازات.

وكان يُحمل إلى المدارس والجوامع في مِحَفَّةٍ [4]، ويُطاف به، وذلك إثر مرض الفالِج[5]، الذي أصابه، سنة: (701)، واستمر فيه أزيد من عشرين سنة، حتى مات، وكتب بشماله مدة.

قال ابن كثير: "له مصنفات، وفوائد، ومجاميع، وتخاريج"[6].

خرج له أخوه لأمه من الرضاعة: الإمام الذهبي معجمًا، فيه ما يربو عن ثمانين شيخًا، قال الذهبي: "خرجت له معجمًا في مجلد...انتفعت به، وأحسن إلي باستجازته لي كبار المشيخة"[7].

---

(1) "المدرسة النُّورية": أسسها نور الدين ابن زنكي، المتوفى سنة: (569هـ)، بدمشق، وهي أول مدرسة أنشئت في الإسلام لتعليم الحديث، وقد أنشأها للحافظ: علي بن الحسن بن عساكر، الذي تولى التدريس فيها، وبنوه، وكان نور الدين والسلطان صلاح الدين يحضران حلقات تدريس له فيها.

وقد تخرج من المدرسة النُّورية، وأخذ عن شيوخها: كبار العلماء، والمؤرخين، والمحدثين، في القرنين: السادس والسابع للهجرة، كابن الأثير الجزري، والمقدسي، والمزي، وابن كثير، والنووي، والذهبي، والحسيني، وابن تيمية وابن قيم الجوزية، وغيرهم. انظر: الدارس في تاريخ المدارس (1/74-84)، رقم: (21). وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر(1/7).

(2) "المدرسة العلمية": أسسها: الأمير علم الدين سنجر المعظمي، بدمشق، شرقي جبل الصالحية (قاسِيُون)، في سنة: ثمان وعشرين وستمائة، ودرّس بها الصدر أبو الدلالات، ثم ستة مدرسين، آخرهم: شرف الدين الواني. انظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص186. وانظر: الدارس في تاريخ المدارس (1/429-430)، رقم: (120).

(3) "المدرسة القُوصية": أسسها: إسماعيل بن حامد القوصي المحدث، شهاب الدين، المتوفى سنة: (653هـ)، بدمشق، وهي مدرسة للحديث، تولى التدريس فيها: ابن العطار، والشيخ: تقي الدين بن رافع، لم يُعرف غيرهما. انظر: الدارس في تاريخ المدارس (1/72-73)، رقم: (19). وانظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال (1/225)، في ترجمة رقم: (862)، وقال: "ليس بمتقن، ولا بمعتمد على قوله، والله يسامحه".

(4) "مِحَفَّةٍ": سرير يُحمل عليه الشخص إذا مرض، يشبه نعش الملك إذا مرض. انظر: معجم مقاييس اللغة (5/450).

(5) "الفالِج": أصله من: "فَلَجَ"، يدل على فرجة بين الشيئين المتساويين، والفالِج: شلل يصيب أحد شقي الجسم طولًا. انظر: المعجم الوسيط (2/699).

(6) البداية والنهاية (14/117).

(7) المعجم المختص بالمحدثين، للإمام الذهبي، تحقيق: د/ محمد الحبيب الهيلة، ص157، ط(1)1408هـ-1988م، مكتبة الصديق- الطائف- السعودية.

صحب ابنُ العطار الشيخ محي الدين النووي، واشتغل عليه، وخدمه، وعرف بصحبته، وله معه حكايات، واطّلع على أحواله، وكتب مصنّفاته، وبيّض كثيرًا منها، حتى كان يقال له: مختَصر النووي، وقد يُختصر اللقب، فيقال: المختَصر.

وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عظيمًا، قال الصفدي: "وكان فيه زهد، وتعبد، وأمر بالمعروف، على زَعَارَّة [1] في أخلاقه، وله أتباع ومحبون"[2]، وقال الذهبي: "له فضائل وتأله وأتباع"[3].

في حين يقول ابن حجر في حقه: "ولم يكن بالماهر مثل الأقران الذين نبغوا في عصره"[4].

من مصنفاته: الوثائق المجموعة، الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، إحكام شرح عمدة الأحكام، وكتاب في: فضل الجهاد، وآخر في: كم الاحتكار عند غلاء الأسعار، وآخر في حكم البلوى وابتلاء العباد رسالة في أحكام الموتى وغسلهم، ورتب فتاوى النووي على أبواب الفقه، وكتاب: الخطيب.

توفي يوم الاثنين، مستهل ذي الحجة، سنة: أربع وعشرين وسبعمائة، بدار الحديث النُّورية، بدمشق، عن سبعين سنة، وصُلي عليه بالجامع، ودفن بقَاسِيُون[5].

ثانيًا: عدوله إلى مذهب السلف، وسبب ذلك:

تقرر أن الإمام النووي، كان له ميل إلى التأويل، وأن ابن العطار معروف بصحبته للإمام النووي، وملازمته له، لكنَّه لم يَبْقَ على ما أخذه الإمام النووي، فكان له رجوع عن ذلك، قال الشيخ مشهور آل سلمان: "ابن العطار كان يسمى: "مختصر النووي"، وقد لازمه ست

---

(1) "زَعَارة": بتشديد الراء، وتخفيفها، لغتان، وأصله من"زَعَرَ"، والمراد: شدة، وسوء خلق، ويقال: زَعِر الخُلُق. انظر:

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، (80/2)، ط(1)2001م، دار إحياء التراث العربي – بيروت– لبنان.

(2) الوافي بالوفيات (11/20).

(3) العبر في خبر من غبر (71/4).

(4) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (5/4).

(5)"جبل قَاسِيُون": الجبل المشرف على مدينة دمشق، ويسمى: جبل الصالحية، فيه عدّة مغاور، وفيها آثار الأنبياء وكهوف، وفي سفحه مقبرة أهل الصلاح، وهو جبل معظّم مقدّس، يُروى فيه آثار، وللصالحين فيه أخبار. معجم البلدان (295/4). وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (1057/3). وانظر: برنامج الوادي آشي، محمد بن جابر بن محمد الأندلسي، تحقيق: محمد محفوظ، ص104، ط(1)1400هـ– 1980م، دار المغرب الإسلامي– أثينا– بيروت.

سنوات، وهو أخ الإمام الذهبي من الرضاعة، وأدرك شيخ الإسلام، ولما التقى بشيخ الإسلام ابن تيمية، تراجع عما أخذه عن النووي، وألف جزءًا لطيفًا، سماه: "الاعتقاد في نفي الشك والارتياب"[1]، قرر فيه بقوة عقيدة السلف أهل السنة، ورد فيه على الأشاعرة"[2].

قال الباحث: هذا لا يتنافى مع ما تقرر مسبقًا من رجوع الإمام النووي إلى عقيدة السلف؛ بل إن ابن العطار شعر بصفاء العقيدة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، الأمر الذي لم يشعر به لدى الإمام النووي، ولا سيما وأن شيخ الإسلام كان حاسمًا في مسائل العقيدة، حاملًا على كل من خالفها، فرحمة الله على شيخ الإسلام، كم ظهرت فضائله على كثير من أهل العلم والفضل.

والكتاب الذي ألفه ابن العطار، هو كتاب نفيس، أطال فيه النفس في ببيان عقيدة السلف، والرد على من خالفها، حيث قال في مقدمة كتابه: "فهذا كتاب صنَّفْتُه على أصول أهل السنة في الاعتقاد، من غير زَيَد، ذكرتُ فيه ما يحتاج إليه كل عارف من أهل الزَّبَد؛ رجاءَ نفعهم به في الأُولى والعُقبى، ووصْلة إلى دار الكرامة والأبد"[3].

وقال: "يجب أن نعتقد أن ما أثبته الله في كتبه على لسان رسله- صلوات عليهم الله وسلامه- حق، وأن جميع ما فيها من الموجود والإيجاد الثَّابتيْن للإلهية، والتنزيه عن الحدث والمُحْدث وصفاتِهما حق"[4].

وقال: "فتعين تنزيه الباري ﷻ عن التشبيه والتعطيل بكسْف (إبعاد) التحريف والتكييف والتمثيل، والأخذ بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّورى:11]، منًّا من الله تعالى بالتفهيم والتعريف لسلوك التوحيد والتنزيه"[5].

وبهذا: يتبين أن ابن العطار، كما شيخه، قد لزما عقيدة السلف، وانتهجاها، وكان آخر أقوالهما عليها.

---

(1) الكتاب المطبوع ليس بهذا الاسم؛ بل: "الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد".

(2) الدلائل الوفية في تحقيق عقيدة النووي، سلفية أم خلفية ص19.

(3) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، تحقيق وتعليق: علي حسن علي عبد الحميد الحلبي الأثري، ص14، ط(1)1408هـ، دار الكتب الأثرية- الزرقاء- الأردن.

(4) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ص22.

(5) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ص25-26.

المطلب السابع
الشَّوْكَاني

الإمام الشوكاني: أحد الأئمة الكبار، وهو ممن بلغ مرتبة الاجتهاد، رغب في الإطلاع على علم الكلام، وكاد أن ينزلق في متاهاته، ولكنَّ الله ﷻ أنقذه من ذلك، فسرعان ما أدرك ظلماته، فتركه، وأبقى على الاشتغال بعلوم السلف، وألَّف فيها، وكان من الدعاة إلى التمسك بالكتاب والسنة، وكذا إلى الاجتهاد، ونبْذ التقليد.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: الإمام العلامة المجتهد القاضي محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشَّوْكَاني، من كبار علماء اليمن، ولد في نهار الاثنين، الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة، سنة:

---

(1) انظر ترجمته: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (214/2-225). وانظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ص1316-1317. وانظر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الشهير بالكتاني، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، ص152، ط(6)1421هـ-2000م، دار البشائر الإسلامية- بيروت- لبنان. وانظر: الحطة في ذكر الصحاح الستة، للقِنَّوجي، ص71، ط(1)1405هـ-1985م، دار الكتب التعليمية- بيروت- لبنان. وانظر: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، ادوارد كرنيليوس فانديك، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي، ص496، الناشر: مطبعة التأليف (الهلال)-مصر، عام النشر: 1313هـ- 1896م، بدون طبعة. وانظر: المكتبة الإسلامية، عماد علي جمعة، ص197، ط(2)1424هـ-2003م، سلسلة التراث العربي الإسلامي. وانظر: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، محمد عجاج الخطيب، ص204، ط(19)1422هـ-2001م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان. وانظر: الأعلام للزركلي (298/6). وانظر: معجم المؤلفين (53/11). وانظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (775/1). وانظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس، (1160/2)، الناشر: مطبعة سركيس بمصر 1346هـ-1928م، بدون طبعة. وانظر: معجم المؤلفات الأصولية الشافعية المبثوثة في كشف الظنون وإيضاح المكنون وهدية العارفين، ترحيب بن ربيعان الدوسري، ص414، ط(36)، العدد (112) 1424هـ-2004م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية. وانظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (1082/2-1088)، ترجمة رقم: (607). وانظر: الأدلة الرضية لمتن الدرر البهية في المسائل الفقهية، محمد صبحي حلاق، ص13-17، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، بدون طبعة. وانظر: أبجد العلوم ص683-690. وانظر: منهج الإمام الشوكاني في العقيدة (رسالة دكتوراه)، د/ عبد الله نومْسوك، ص25-134، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة- السعودية، نشر: مكتبة دار القلم والكتاب. وانظر: الإمام الشوكاني رائد عصره (دراسة في فقهه وفكره)، د/ حسين عبد الله العمري، ص17-55، ط(1)1411هـ-1990م، دار الفكر المعاصر- بيروت- لبنان.

(1174هـ)، بهجرة شَوْكَان[1]، ونشأ بصنعاء، وقرأ القرآن وجد واجتهد في الطلب، ثم شرع في الطلب، فقرأ على والده، وعلى كثير من الشيوخ، والعلماء، والفقهاء، ومهر في الفنون، ودرس فيها، فحفظ الكتب، وأكثر الاشتغال، ثم تصدى للتدريس والفتوى والتصنيف، وهو في سن مبكر، فأتى بالعجيب الغريب، زعامة، وإقدامًا، وتحريرًا، وإطلاعًا، ونقدًا، حتى بلغت دروسه في اليوم والليلة (13) درسًا، وقد تميز بسعة التبحر في العلوم، وكثرة التلاميذ وسعة التآليف، "ثم إن صاحب الترجمة فرغ نفسه لإفادة الطلبة فكانوا يأخذون عنه في كل يوم زيادة على عشرة دروس في فنون متعددة"[2].

"وقد كان الشوكاني شامة في وجه القرن المنصرم، وغرة في جبين الدهر، انتهج من مناهج العلم ما عمي على كثير ممن قبله، وأوتي فيه من طلاقة القلم والزعامة ما لم ينطلق به قلم غيره، فهو من مفاخر اليمن بل العرب"[3].

قال في حقه الإمام القَنُّوجي[4]: "إمام الأئمة، ومفتي الأمة، بحر العلوم، وشمس الفهوم، سند المجتهدين الحفاظ، فارس المعاني والألفاظ...أحرز جميع المعارف، واتفق على تحقيقه المخالف والموالف، وصار مشارًا إليه في علوم الاجتهاد بالبنان، والمجلِّي في معرفة غوامض الشريعة عند الرهان"[5].

ولي قضاء شوكان، سنة: (1229هـ)، ومات حاكمًا بها، ليلة الأربعاء، (27) من شهر جمادى الآخرة سنة: (1250هـ)، ودفن بخزيمة[6]، وكان بين وفاته ووفاة ولده: علي بن محمد نحو شهر، ولم يظهر والده جزعًا ولا حزنًا، وكان ولدًا صالحًا، عالمًا، مبرزًا، في جميع العلوم،

---

(1) "شَوْكَان": قرية من قرى السجامية: إحدى قبائل خَوْلَان باليمن، بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم بالقرب من ذِمَار القربية من صنعاء، وهذه النسبة على غير قياس؛ لأن النسب إلى المضاف يكون إلى صدره، وليس للمضاف إليه، فهي نسبة ليست حقيقية. انظر: معجم البلدان (373/3). وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (820/2).

(2) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (219/2).

(3) فهرس الفهارس (1086/2).

(4) هو: محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لُطْف الله الحسيني البخاري القَنُّوجي، أبو الطيّب، من رجال النهضة الإسلامية المجددين، ولد ونشأ في قَنُّوج (بالهند)، من مصنفاته: حصول المأمول من علم الأصول، عون الباري، الروضة الندية، توفي سنة: (1307هـ). انظر: الأعلام (167/6-168).

(5) أبجد العلوم ص683-684.

(6) "خُزيمة": مقبرة صنعاء. ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (الملحق التابع للبدر الطالع)، محمد بن محمد بن يحيى زبارة اليمني، (94/2)، دار المعرفة- بيروت- لبنان.

وكان نادرة وقته على صغر سنه، وقد توفي وهو في حدود العشرين من عمره، له ثلاثة وخمسون كتابًا سمَّاها بأسمائها.

له من المؤلفات ما يقارب مائة وستين كتابًا، وقد أحصاها الأستاذ: إبراهيم هلال في تحقيقه لكتاب الشوكاني: "ولاية الله والطريق إليها"[1]، ومن هذه الكتب: تفسير فتح القدير، نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار، القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، التحف في عقائد السلف، شرح الصدور في تحريم رفع القبور، إرشاد الفحول، السيل الجرار الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، وغير ذلك.

ثانيًا: مظاهر الحياة العلمية عند الإمام الشوكاني:

تمثلت الحياة العلمية عند الإمام الشوكاني في عدة نقاط:

أولًا: دعوته إلى الاجتهاد، ونبذ التقليد:

بدت روح الاجتهاد واضحة عند الإمام الشوكاني، حيث أوجب الاجتهاد على القادر، وأنكر على تاركه مع القدرة عليه، وذم المقلدين وعابهم، وذلك كنتيجة للاشتغال بعلم الحديث، وترك المذهب الزيدي، الذي كان يدين به، فأخذ بالدليل، وأفتى به، فغضب منه المقلدون، وتحاملوا عليه[2]، وهذه الروح القوية عند الشوكاني: بدت في جميع كتبه، حيث إنه لم يكن صاحب نظرة فحسب؛ بل كان على رأس الميدان، وقد أوقف بعض كتبه على وجوب الاجتهاد، وحرمة التقليد[3].

ثانيًا: ذم المتكلمين وطرائقهم:

لم يكن علم الكلام الوجهة الأساسية في الحياة العلمية عند الشوكاني، حيث كان على مذهب السلف في بداية أمره، اجتهادًا، لا تقليدًا، ولكنه أراد زيادة البصيرة به، فتحول بعض

---

(1) انظر: ولاية الله والطريق إليها (قطر الولي على حديث الولي)، للإمام الشوكاني، تحقيق: د/ إبراهيم إبراهيم هلال، ص46–62، مطبعة حسان بالقاهرة، دار الكتب الحديثة– القاهرة– مصر.

(2) مقدمة: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام الشوكاني، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغُوش، (1/6–7)، ط(4)1428هـ–2007م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت– لبنان.

(3) انظر في ذلك: القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ص62. وانظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (2/213–214). وانظر: أدب الطلب ومنتهى الأدب، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، ط(1)1419هـ–1998م، دار ابن حزم – بيروت– لبنان. وانظر: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ط(1)، دار ابن حزم– بيروت– لبنان. وانظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (1/ 2–3). وانظر: بغية المستفيد في الرد على من أنكر العمل بالاجتهاد من أهل التقليد، (مخطوط) بمكتبة صنعاء باليمن.

الوقت إلى علم الكلام، وأكبَّ على مؤلفات طوائفه المختلفة، وشُغل بها زمنًا، فلم يظفر بشيء ذي فائدة[1]، حتى قال في ذلك: "ورمتُ الرجوع بفائدة، والعودة بعائدة، فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة، وكان ذلك من الأسباب التي حببت إليَّ مذهب السلف، على أني كنتُ قبل ذلك عليه، ولكن أردتُ أن أزداد منه بصيرة، وبه شغفًا، وقلتُ عند ذلك في تلك المذاهب:

وغاية ما حصلتُه من مباحثي ومن نظري من بعد طول التدبر

هو الوقف ما بين الطريقين حَيْرَة فما علم من لم يلق غير التحير

على أنني قد خضت منه غِمارَه[2] وما قنعت نفسي بدون التبحر"[3].

ومن هنا: ذم الإمام الشوكاني المتكلمين، وتحامل عليهم، وخطَّأ طرائقهم، حيث يقول: "ومن أعظم الأدلة الدالة على حظر النظر في كثير من مسائل الكلام: أنك لا ترى رجلًا أفرغ فيه وسعه، وطوّل في تحقيقه باعه إلا رأيته، عند بلوغ النهاية، والوصول إلى ما هو فيه من الغاية، يقرع على ما أنفق في تحصيله سن الندامة، ويرجع على نفسه في غالب الأحوال بالملامة، ويتمنى دين العجائز، ويفر من تلك الهزاهز[4]"[5].

ثالثًا: دعوته إلى العقيدة الصحيحة، التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه والتابعون:

دعا الإمام الشوكاني إلى التمسك بالعقيدة الصحيحة، التي كان عليها أصحاب القرون الثلاثة، حيث يقول: "ومن لم يسعه ما وسع هؤلاء الذين هم أهل القرون الثلاثة الفاضلة على ما بعدها، فلا وسَّع الله عليه"[6].

وأوجب على الناس الاعتقاد بما اعتقد أهل هذه القرون الثلاثة، وذم المتكلمين الذين انحرفوا عن هذه الاعتقادات، وفي ذلك يقول: "ومن زعم أن الله – سبحانه– تعبد عباده بأن يعتقدوا أن صفاته الشريفة كائنة على الصفة التي يختارها طائفة من طوائف المتكلمين فقد أعظم

---

(1) مقدمة: ولاية الله والطريق إليها (قطر الولي على حديث الولي) ص33 بتصرف يسير.

(2) "غِماره": ما صعب منه. انظر: المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (520/5)، ط(1)1421هـ–2000م، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان.

(3) التحف في مذاهب السلف، للإمام الشوكاني، تحقيق: سيد عاصم علي، ص25، ط(1)1409هـ–1989م، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع– طنطا– مصر. وانظر: كشف الشبهات عن المشتبهات، للإمام الشوكاني، صححه وعلق عليه: الشيخ: محمد منير، ص24، طبع على نفقة: عبد الهادي محمد منير، مطبعة المعاهد– مصر.

(4) "الهَزَاهز": الفتن التي يهتز فيها الناس. معجم مقاييس اللغة (9/6).

(5) كشف الشبهات عن المشتبهات ص22. وانظر: التحف في مذاهب السلف ص16.

(6) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ص14. وانظر: التحف في مذاهب السلف ص16.

الفرية؛ بل كلف عباده أن يعتقدوا أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:11]، وأنهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:110]"[1].

ثالثًا: دعوته إلى تطهير العقيدة، وتنقيتها من مظاهر الشرك:

دعا الإمام الشوكاني إلى تخليص التوحيد من الشرك وشوائبه؛ حتى يصير خالصًا لوجه الله ﷻ، كما دعا إلى تطهير النفس من الذنوب، وتحريرها من الأدران، وحثها على الإنابة إلى الله ﷻ، والعودة إليه، وهو بذلك يركز على المعاني النظرية والوجدانية التي يتحقق بها التوحيد، وقد بان ذلك في كثير من مؤلفاته النافعة[2].

فرحم الله ﷻ إمامنا الشوكاني، الذي كاد أن ينزلق في علم الكلام، فمنّ الله عليه بالبصيرة، فسرعان ما تركه، ورجع إلى ما كان عليه من قبل، من الاشتغال بالكتاب والسنة.

خلاصة المبحث:

لقد كان واضحًا من هذا المبحث أن: كثيرًا من أهل الكلام، تبين لهم عُوَار مذاهبهم الكلامية، فندموا على تضييع أوقاتهم في الاشتغال به، وأثنَوا على دين العجائز، وتمنَّوْه، بعدما بلغوا الذروة في علوم المعقولات، فرجعوا إلى مذهب السلف، مقرِّين بفضله، راجين في ذلك اللهَ ﷻ أن يعفوَ عنهم، وأن يميتهم على دين الفطرة، والأصل في هذا الباب أنه يكون عبرة لمن دونهم.

---

(1) كشف الشبهات عن المشتبهات ص22

(2) انظر في ذلك: شرح الصدور بتحريم رفع القبور، ط(4)1408هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية. وانظر: الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، ضمن مجموعة رسائل الشوكاني التي تنشرها الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة- مركز شئون الدعوة ط1410هـ. وانظر: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، علق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبد الله الحلبي، ط(1)1414هـ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع الرياض- السعودية.

المبحث الرابع

علماء تحولوا من علم الكلام، ولم يتبعوا منهج السلف

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الوليد بن أَبَان الكرابيسي.

المطلب الثاني: الشَّهْرَستاني.

المطلب الثالث: الآمِدي.

المطلب الرابع: الخُونْجِي.

المطلب الخامس: الخُسْرُوشَاهي.

المطلب السادس: محمد بن واصل الحموي.

المطلب السابع: المَرْعَشي.

المبحث الرابع

علماء تحولوا من علم الكلام، ولم يتبعوا منهج السلف

إن نظرة فاحصة لأحوال المتكلمين، تُظهر أنهم لم يكونوا على درجة واحدة من العلم والفقه؛ بل إنهم متفاوتون في ذلك، فكما أن كثيرًا منهم كان خبيرًا بطبيعة ما يجري من الاختلاف في العقيدة، فإن الكثير منهم كان جاهلًا بذلك، يخوض في علم الكلام، دون أن يحيط علمًا بالمذاهب العقدية من حوله؛ ولذلك: وجدنا أن كثيرًا من هؤلاء، لما تبين له خطأ منهجه، ولما أدرك فشل علم الكلام في تحقيق مآرب الناس، وطموحاتهم، لم يدرِ أين البديل؟ ولم يعرف أن يكون الحق، بعدما نزع الثقة من علم الكلام.

وهؤلاء فئة موجودة، كانوا جاهلين بعقيدة السلف، لم يتعرفوا عليها حق المعرفة، ولم يتذوقوا طعمها، ويعرفوا خيرها وفضلها وحسنها، فلما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الحيرة، والشك، والاضطراب، كان الوقع مريرًا عليهم، وإلا، فهل هناك أسوأ من أن يموت الإنسان جاهلًا بربه، لا يعرف ماذا يعتقد، وبماذا سيلاقي ربه ﷻ، ولعل بعضهم كان عارفًا بها، ولم يتسنَّ له لزومها، والسير عليها.

إن كثيرًا من هؤلاء ماتوا على ذلك، والواقع يشهد على هذا الكلام؛ بل إن أقوالهم، التي تلفظوها بألسنتهم تقطر حيرة، واضطرابًا، وأهل العلم كذلك شهود على ما ألمَّ بهم، وانتهى إليه أمرهم.

وهؤلاء المتكلمون ليسوا كمن سبقهم في هذه الرسالة؛ لأن السابقين كانوا عالمين بمذهب السلف، وأدركوا أن الخير كل الخير فيه، ومنهجه، وسبيله، فما كان منهم إلى اعتناقه، بعد توفيق الله ﷻ لهم، وتيسيره؛ فإن الاعتقاد بالحق لهو دليل على توفيق الله ﷻ لمن طلب الهداية فيه.

وهذا المبحث فيه جمع لما يسر الله ﷻ لي الوقوف عليه من حيرة المتكلمين، وندمهم، وشكهم، واضطرابهم، في أواخر حياتهم، دون أن يُوفقوا إلى الاعتقاد الصحيح، والله المُستعان.

المطلب الأول
الوليد بن أَبَان الكَرَابِيسي

الكَرَابِيسي: إمام معتزلي، اعتقد بالاعتزال، ونصره، حتى ندم على ذلك في آخر حياته، وخطَّ لبنيه وصية نافعة، فيها الاعتراف بفضل أهل الحديث، والإقرار بما عليه من الحق والصواب، دون أن نلمس منه اعتناقًا له.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: الوليد بن أَبَان الكَرَابيسي[2]، المُعتزلي، أحد أئمة المتكلمين، فقد كان من كبار المعتزلة بالبصرة، وله في الاعتزال باع ونصرة، وهو أستاذ حسين الكَرَابِيسي.

توفي سنة: أربع عشرة ومائتين.

ثانيًا: حيرته وندمه:

لقد مضت حياة الكَرَابِيسي في الاشتغال في النظر والكلام، والاعتزال؛ ولذلك ذمه الإمام أحمد بن حنبل، قال الفضل بن زياد[3]: سألت أبا عبد الله عن الكَرَابِيسي، وما أظهر، فَكَلَح[4] وجهُه، ثم قال: "إنما جاء بلاؤُهم من هذه الكتب التي وضعوها، تركوا آثار رسول الله ﷺ وأصحابَه، وأقبلوا على هذه الكتب"[5].

---

(1) **انظر ترجمته:** تاريخ بغداد وذيوله (13/446-447)، ترجمة رقم: (7317). وانظر: سير أعلام النبلاء (10/548)، ترجمة رقم: (179). وانظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (10/273)، ترجمة رقم: (1219). وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (16/445)، ترجمة رقم: (461). وانظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (2/210). وانظر: الوافي بالوفيات (27/264). وانظر: الأعلام (8/119). وانظر: معجم المؤلفين (13/169).

(2) نسبة إلى الكَرَابِيس: جمع الكِرْباسُ، وهو لفظ فارسيٌّ معرب، والكِرْباسَةُ أخص منه، وهي: الثياب الخشنة، ويقال لبائعها: كَرَابِيسي. انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (3/970).

(3) هو: الفضل بن زياد القطان البغدادي، أبو العباس ، كان من المتقدمين عند الإمام أحمد، روى عنه مسائل كثيرة جياد، وكان الإمام يحبه ويكرمه، لم أقف له على تاريخ وفاة. انظر: طبقات الحنابلة (1/251-253).

(4) "كَلَحَ وجهُه": يعني: عَبَس، وهي كناية عن الضجر. انظر: معجم مقاييس اللغة (5/134).

(5) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص6. المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (3/392)، ط(2)1401هـ-1981م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (18/243). تاريخ بغداد وذيوله (8/65).

ولما حان موعد الأجل: ندم على ذلك، فأوصى أولاده بوصية مميزة، دعاهم فيها إلى ترك طرائق المتكلمين، وإتباع طريقة أهل الحديث؛ معللًا ذلك بأنهم على الحق.

قال أحمد بن سنان[1]: "كان الوليد الكَرَابِيسي خالي، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: "تعلمون أحدًا أعلم بالكلام مني"؟ قالوا: "لا"، قال: "فتتهموني"؟ قالوا: "لا"، قال: "فإني أوصيكم، تقبلون"؟ قالوا: "نعم"، قال: "عليكم بما عليه أصحاب الحديث؛ فإني رأيت الحق معهم، لستُ أَعْني الرؤساء، ولكن هؤلاء الْمُمَزَّقِينَ، ألم تر أحدهم يجيء إلى الرئيس منهم فيخطِّئه ويُهجِّنُه؟""[2].

وفي هذا "إشارة إلى أنه لا يقصد ذوي الهيئات المتباهين بأنفسهم؛ بل يقصد العلماء المتواضعين من أهل الحديث"[3].

واضح من هذه الرواية: أن الكَرَابِيسي يذم علم الكلام، ويثني على أهل الحديث، فقد كانت هذه النقاط محور وصيته لأولاده، وهي وإن كانت خاصة لأولاده، فهي وصية للأمة من بعده، وهو بذلك يعترف لأهل الفضل في فضلهم، فلقد برز فضل أهل الحديث من خلال خصومهم، فحُق لأهل الحديث أن يكونوا شامة بين الناس، وحُق لعقيدتهم أن تكون تاجًا فوق رؤوس الناس؛ لأنهم كانوا على خير منهج، وأصرح برهان، قال الإمام اللَّالكائي[4]: "فلم نجد في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، وآثار صحابته، إلا الحث على الإتباع، وذم التكلف والاختراع، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين"[5].

ولكن الظاهر من خلال ترجمته، وثنائه على أهل الحديث، أنه لم يكن أمامه مجال لمتابعته؛ فهي كانت وصية لأبنائه، وهو وإن أقر بذلك، فلم يبِن منه اعتناق لمذهب أهل الحديث؛ ولعل تأخره في هذا المسلك؛ كونه في حضرة الوفاة، هو الذي يفسر لنا ذلك.

---

(1) هو: أحمد بن سنان بن أسد بن حبان القطان الواسطي، أبو جعفر، حافظ، من علماء الحديث، روى عنه أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي، له مسند مخرج على الرجال. مات بواسط بالشام، سنة: (259هـ). انظر: الأعلام (133/1).

(2) تاريخ بغداد وذيوله (447/13). شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق: د/ محمد سعيد خطي أوغلي، ص55، دار إحياء السنة النبوية- أنقرة- تركيا. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص70. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (288/5). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (273/10).

(3) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، (209/1)، دار الراية للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية، بدون طبعة.

(4) هو: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري أبو القاسم، حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية، من أهل طَبَرِسْتان، استوطن بغداد، ونسبته إلى بيع اللوالك، التي تلبس في الأرجل، من كتبه: السنن، شرح السنة، أسماء رجال الصحيحين، توفي سنة: (418هـ). انظر: الأعلام (71/8).

(5) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (23/1).

المطلب الثاني
الشَّهْرَسْتَانِي

يُعد الإمام الشَّهْرَسْتَاني من الأئمة الفضلاء، العارفين بالكلام، والمذاهب، واختلاف الناس، لكنَّ بصره عميت عن ادراك عقيدة السلف، فطار في فضاء الحيرة، حتى مدح دين العجائز في آخر حياته، ولم يُدِن بعقيدة السلف؛ لجهله التام بها.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشَّهْرَسْتَاني، شيخ أهل الكلام والحكمة، وكان مذهب الإمام الشافعي، ولد في شَهْرَسْتَان[2]، سنة: (479)، وانتقل إلى بغداد، سنة: (510هـ)، فأقام ثلاث سنين، وهو يعظ الناس، فظهر له قبول كثير عند العوام، وقد حج في نفس العام، سكن بلاد خُرَاسَان، وأقام بها مدة، وعاد إلى بلده، وتوفي بها، في أواخر شعبان سنة: (548هـ).

---

(1) **انظر ترجمته**: طبقات الشافعية الكبرى (128/6-130)، ترجمة رقم: (653). وانظر: التحبير في المعجم الكبير(160/2-162)، ترجمة رقم: (791). وانظر: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ص1502-1503. وانظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (273/4-275)، ترجمة رقم: (611). وانظر: سير أعلام النبلاء (286/20-288)، ترجمة رقم: (194). وانظر: طبقات الشافعيين ص635-636. وانظر: الأعلام (215/6). وانظر: لسان الميزان (263/5-264)، ترجمة رقم: (907). وانظر: تاريخ ابن الوردي (54/2). وانظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (221/3-222). وانظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (305/5). وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (246/6-247). وانظر: طبقات الفقهاء الشافعية (212/1-213). وانظر: المختصر في أخبار البشر (27/3-28). وانظر: العبر في خبر من غبر (7/3). وانظر: تذكرة الحفاظ (73/4). وانظر: الوافي بالوفيات (229/3). وانظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (91/2). وانظر: مجاني الأدب في حدائق العرب، رزق الله بن يوسف بن يعقوب شيخو، (280/5)، الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين- بيروت- لبنان، عام النشر: 1913م. وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (327/37-330)، ترجمة رقم: (465).

(2) "شَهْرَسْتَان": لفظة عجمية، وهي مركبة، فمعنى شَهْر: مدينة، ومعنى الإستان: الناحية، فكأنه قال: مدينة الناحية، وشَهْرَسْتَان: مدينة في خُرَاسَان، بين نيسابور وخوارزم، في آخر حدود خُرَاسَان، أخرجت خلقًا كثيرًا من العلماء، وقد بناها عبد الله بن طاهر، أمير خُرَاسَان في خلافة المأمون، وقد سماها السمعاني: شَهْرَسْتَانَة. انظر: معجم البلدان (376/3-377). وانظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (274/4). وانظر: التحبير في المعجم الكبير، للسمعاني المروزي، تحقيق: منيرة ناجي سالم، (160/2)، ترجمة رقم: (791)، ط(1)1395هـ، 1975م، رئاسة ديوان الأوقاف – بغداد- العراق.

تتلمذ على أبي نصر القُشيري وغيره، بنيسابور، وكان إمامًا فاضلًا، مناظرًا، متكلمًا، أصوليًا، عارفًا بالأدب، والعلوم المهجورة، طريفًا، قال عنه الذهبي: "وكان كثير المحفوظ، قوي الفهم، مليح الوعظ"[1]، وقال الزِّرِكلي: "كان إمامًا في علم الكلام، وأديان الأمم، ومذاهب الفلاسفة، يلقب بالأفضل"[2]، وقد دان بمذهب الأشاعرة في الاعتقاد[3].

وللشَّهْرَسْتَانِي مؤلفات عديدة، ومصنفات في علوم مختلفة، منها: كتاب: الملل والنحل، المناهج والبينات، والمصارعات، تاريخ الحكماء، الإرشاد إلى عقائد العباد، تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام، مصارعة الفلاسفة، تاريخ الحكماء، المبدأ والمعاد، تفسير سورة يوسف (بأسلوب فلسفي)، مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، ونهاية الإقدام في علم الكلام[4].

اتُّهم الشَّهْرَسْتَانِي بالإلحاد، والتشيع، والدعوة إليهما، والانتصار لهما، قال أبو سعد السمعاني: "وهو متهم بالإلحاد، غالٍ في التشيع"[5]، وقد رد الإمام السبكي هذه المقالة، ودافع عن الشَّهْرَسْتَانِي، فقال: "وما أدري من أين ذلك لابن السمعاني؛ فإن تصانيف أبي الفتح دالة على خلاف ذلك"[6].

وقال الخوارزمي[7]: "لولا تخليطه في الاعتقاد، وميله إلى أهل الزيغ والإلحاد، كان هو الإمام في الإسلام، حضرت وعظه مرات، فلم يكن في ذلك قال الله، ولا قال رسوله"[8].

وقد تفهَّم ابن حجر هذه المسألة بقوله: "فلعله كان يبدو منه ذلك على طريق الجدل، أو كان قلبه أشرب محبة مقالتهم؛ لكثرة نظره فيها والله أعلم"[9]، وهذا يعني أن هنالك اشكال في علاقته بالاسماعيلية.

---

(1) سير أعلام النبلاء (287/20).

(2) الأعلام (215/6).

(3) انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (273/4).

(4) يُعد هذا الكتاب من أواخر كتبه، وقد انتصر فيه لمذهب الأشاعرة، وفي ذات الوقت: ذم علم الكلام، وأثبت فيه حيرته، وشكه في الاعتقاد.

(5) التحبير في المعجم الكبير (161/2). وانظر: معجم البلدان، نقلًا عن ابن أرسلان الخوارزمي (377/3).

(6) طبقات الشافعية الكبرى (130/6).

(7) هو: محمود بن محمد بن العباس بن رسلان ظهير الدين، أبو محمد الخوارزمي العباسي، كان فقيهًا، فاضلًا، عارفًا بالمتفق والمختلف، حسن الظاهر والباطن، جامعًا بين الفقه والتصوف، من مؤلفاته: الكافي في النظم الشافي، توفي سنة: (568هـ). انظر: الأعلام (181/7).

(8) نقلها عنه كل من: لسان الميزان (263/5). طبقات الشافعية الكبرى (130/6). سير أعلام النبلاء (288/20).

(9) لسان الميزان (264/5).

إذن: فإلحاح الشَّهْرَسْتَانِي وإمعانه في مناظرة الإسماعيلية، وكثرة جداله معهم؛ ربما كان سببًا في رميه بالباطنية؛ لتأثره بتلك المناظرات[1]، وقد صرح الشَّهْرَسْتَانِي بكثرة مناظراته للإسماعيلية، فقال: "وكم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة، فلم يتخطوا عن قولهم: أفنحتاج إليك؟ أو نسمع هذا منك؟ أو نتعلم عنك؟"[2].

وقد أشار شيخ الإسلام إلى ميل الشَّهْرَسْتَانِي إلى التشيع، فقال: "وبالجملة فالشَّهْرَسْتَانِي يظهر الميل إلى الشيعة، إما بباطنه، وإما مداهنة لهم"[3].

قال الباحث: قد ظهر تأثير المخالطة جليًا في التأثير على عقيدة الإمام الشَّهْرَسْتَانِي، حيث كانت علاقاته بالاسماعيلية سببًا في ميله إلى معتقدهم، وإن كان هناك ما يدعوه إلى مناظراتهم.

ثانيًا: حيرته وندمه:

على الرغم من تصنيف الشَّهْرَسْتَانِي في الملل والنحل، إلا أنه كان جاهلاً بمذهب السلف الصالح، فلا يعلم معتقد أهل الحديث، قال شيخ الإسلام: "فالشَّهْرَسْتَانِي صنف الملل والنحل وذكر فيها من مقالات الأمم ما شاء الله، والقول المعروف عن السلف والأئمة لم يعرفه، ولم يذكره"[4].

وهذه المعرفة المتعمقة بالمذاهب لدى الشَّهْرَسْتَانِي، مضاف إليها: الجهل بعقيدة السلف، انعكست عليه بتأثيرات متعددة الجوانب، مترامية الأفكار، وهي كالتالي:

أولًا: التقلب العقدي: وعدم الاستقرار على مذهب ما، وهذا ما نلاحظه فيه من موافقته للأشاعرة، وإظهار التشيع، وغير ذلك[5].

فمن شواهد ميله للتشيع: "لقد كان علي ﷺ على الحق في جميع أحواله، يدور الحق معه حيث دار"[6]، كما أن من شواهد موافقته للأشاعرة: تأويل الرؤية بالعلم[7]، وتقسيمه للتوحيد على مذهب الأشاعرة[8].

---

(1) مجلة البيان، العدد: (30)، ص19، ذو الحجة، 1410هـ، بحث بعنوان: الشَّهْرَسْتَانِي وكتابه: الملل والنِّحل، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، مجلة صادرة عن المنتدى الإسلامي، بدون طبعة.

(2) الملل والنحل (197/1).

(3) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (306/6).

(4) درء تعارض العقل والنقل (2/ 307).

(5) مجلة البيان، العدد: (30)، ص19 بتصرف، بحث بعنوان: الشَّهْرَسْتَانِي وكتابه: الملل والنِّحل.

(6) الملل والنحل (103/1).

(7) انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، للشَّهْرَسْتَانِي، حرره وصححه: الفردجيوم، ص356، بدون طبعة، أو ناشر.

(8) انظر: الملل والنحل (42/1).

ثانيًا: التأثر بالفلاسفة: وهي نتيجة للتعمق في الرد عليهم، ومن أبشع الأمور التي تأثر فيها بهم قوله بجواز وجود الجواهر العقلية والنفوس الفلكية المجردة[(1)].

ثالثًا: الشك والحيرة في الاعتقاد: وظهر ذلك جليًا في عبارات "نهاية الإقدام"، فعند حديثه عن الصفات السبع لدى الأشاعرة: قال: "هل تشترك هذه الحقايق والخصايص في صفة واحدة، أم في ذات واحدة؟ فتلك الطامة الكبرى على المتكلمين، حتى فر القاضي أبو بكر الباقلاني ﷺ منها إلى السمع، وقد استعاذ بمعاذ، والتجأ إلى ملاذ، والله الموفق"[(2)].

رابعًا: التراجع عن علم الكلام، وذمه: فقد "حذر منه، وأوضح أن علم الكلام إنما يورث الحيرة، وليس لدى أربابه يقين في عقيدتهم"[(3)]، وقد عبر عن هذه المعاني بذكر بيتين، حيث قال:

لعمري لقد طفتُ المعاهد كلَّها ... وسَيَّرتُ طَرْفي بين تلك المعالِمِ

فلم أرَ إلا واضعًا كفَّ حائرٍ ... على ذقَنٍ أو قارعًا سِنَّ نادمِ [(4)]

قال شيخ الإسلام: "أخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم"[(5)]، "فأخبر أنه لم يجد إلا حائرًا شاكًا ومرتابًا، أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطؤه؛ ولهذا تجده في المسائل يذكر أقوال الفرق وحججهم، ولا يكاد يرجح شيئًا؛ للحيرة"[(6)].

وقد رد عليه محمد بن إسماعيل الصنعاني، بقوله:

لعلك أهملت الطواف بمعهدِ الرسولِ ومن والاه من كل عالم

فما حار من يهدى بهدي محمد ولست تراه قارعا سن نادم [(7)]

---

(1) انظر: مصارعة الفلاسفة، للشَّهْرَسْتَاني، تحقيق: سهير مختار، ص100،63،36، ط(1)1976م، القاهرة- مصر.

(2) نهاية الإقدام في علم الكلام ص236-237.

(3) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ص168.

(4) نهاية الإقدام في علم الكلام ص3، وقد اختلف العلماء في نسبة هذين البيتين؛ كون الشَّهْرَسْتَانِي لم ينسبهما لنفسه، ولا لغيره؛ بل ذكرهما على سبيل الاستشهاد، فقيل: ينسبان لابن سينا. انظر: الوافي بالوفيات (253/12)، وقيل: لأبي بكر بن باجه، المعروف بابن الصائغ. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (274/4)، وسواء كان هذا كلامه أو كلام غيره، فإنه ينص بهذين البيتين على سوء حال أهل الكلام، وما ينتهي إليه أمرهم من الحيرة والضلال، واضطراب العقيدة. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ص168.

(5) مجموع الفتاوى (10/5).

(6) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (270/5).

(7) ديوان الأمير الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، قدم له وأشرف على طبعه: علي السيد صبح المدني، ص345، مطبعة المدني- القاهرة- مصر.

خامسًا: إقراره أفضلية دين العجائز: وهذا إلى جانب إقراره بضعف مسالك علم الكلام، فأقر بالعقيدة الصحيحة، وأنها عقيدة النجاة، ويظهر ذلك من قوله: "فعليكم بدين العجائز؛ فهو من أسنى الجوائز "[1].

ومن العجيب: أن الشَّهْرَسْتَانِي أقر بذلك كله، حتى وهو يؤلف كتابه في علم الكلام[2]، وهذا يدلّ على شدة تحيره، وتخبطه، واضطرابه في نهاية حياته، وقد فطِن إلى ما وقع فيه من تخبط، وتنبه إلى صحة مذهب السلف الموافق للفطرة...وما ذلك إلا لأن دين العجائز سالم من شوائب علم الكلام وترُّهاته[3][4].

---

(1) نهاية الإقدام في علم الكلام ص4.

(2) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (649/2) بتصرف.

(3) أصلها من: "تَرَهَ"، و التُّرُّهات والتُّرَّهات: الأباطيل، واحدتها تُرَّهة، وهي التُّرَّه، وهي في الأصل: الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الأعظم، والجمع: التَّرَارِه، وقيل: التُّرَّه والتُّرَّهة واحد، وهو: الباطل. لسان العرب (480/13).

(4) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، عبد العزيز ين صالح الطويان، (345/1)، ط(1)1419هـ-1999م، مكتبة العبيكان- الرياض- السعودية.

المطلب الثالث

الآمِدِي

يُعد الشيخ الآمدي من أوعية الفقه، والجدل، والمنطق، فبرع في ذلك، على حساب العبادة، فصار من أعظم الناس توقفًا، وحيرة، وشكًا، لم يستقم له التدريس، فلازم البيت إلى وفاته، معلنًا حيرته، وندمه، وقلة علمه.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي سيف الدين الآمدي، الفقيه، الأصولي، ولد سنة: (551هـ) في آمِد[2]، وقرأ بها القراءات، كان حنبلي المذهب، فصار شافعيًا، أصوليًا، منطقيًا، جدليًا، خلافيًا.

انتقل -وهو شاب- إلى بغداد، فدَرَس بها، ثم تعرض لاتهام الفقهاء له؛ بسبب ميله إلى العلوم العقلية، فانتقل سنة: (592هـ) إلى مصر، فدرَّس في بعض مدارسها، وقد تعرض فيها

---

(1) انظر ترجمته: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص650-651. وانظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (293/3-294)، ترجمة رقم: (432). وانظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال (259/2)، ترجمة رقم: (3647). وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (306/8-307)، ترجمة رقم: (1207). وانظر: الأعلام (332/4). وانظر: طبقات الشافعيين ص833-835. وانظر: الدارس في تاريخ المدارس(298/1). وانظر: البداية والنهاية (140/13-141). وانظر: سير أعلام النبلاء (364/22-366)، ترجمة رقم: (230). وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (74/46-76)، ترجمة رقم: (45). وانظر: المختصر في أخبار البشر (155/3، 156). وانظر: العبر في خبر من غبر (210/3). وانظر: تاريخ ابن الوردي (156/2). وانظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (59/4-60). وانظر: الوافي بالوفيات (225/21-230). وانظر: طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (79/2-80)، ترجمة رقم: (379). وانظر: الوفيات، لابن قنفذ ص312-313. وانظر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (371/2). وانظر: لسان الميزان (134/3-135)، ترجمة رقم: (470). وانظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (285/6). وانظر: تاريخ الخلفاء ص327. وانظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (541/1). وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (253/7-254). وانظر: ديوان الإسلام(76/1- 77). وانظر: معجم المؤلفين (155/7).

(2) "آمِد": مدينة كبيرة في ديار بكر، وهي أعظم مدنها، وأجلها قدرًا، وأشهرها ذكرًا، مجاورة لبلاد الروم، وتقع على الشاطئ الأيسر لنهر دجلة، فتحها عياض بن غنام النهري ﷺ سنة: عشرين، في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ. انظر: معجم البلدان (56/1-57). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص3-5. وانظر: فتوح الشام، محمد بن عمر الواقدي، (146/2)، ط(1)1417هـ-1997م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

إلى محنة أخرى، حيث نسب إليه فساد العقيدة؛ لغلوه في الفلسفة، ثم انتقل إلى حَمَاة[1] ودمشق، حيث تولى مرتبة الأستاذية في المدرسة العَزِيزِيَّة[2]، وتخرج به جماعة.

قال ابن أبي أصيبعة: "كان أذكى أهل زمانه، وأكثرهم معرفة بالعلوم الحُكْمية، والمذاهب الشرعية، والمبادئ الطبية...يتعجب الناس من حسن كلامه في المناظرة والبحث، ولم يكن أحد يماثله في سائر العلوم"[3].

واستمر على التدريس في المدرسة العَزِيزِيَّة مدة، إلى أن عُزل عنها، ومات سنة: (631هـ)، وله ثمانون عامًا، ودفن بسفح جبل قَاسِيُونُ.

ومما يؤخذ عليه: ما ذكره الإمام الذهبي: "وصح عنه أنه كان يترك الصلاة، نسأل الله العافية"[4]، وقد أثنى عليه بقوله: "وبكل قد كان السيف غاية، ومعرفته بالمعقول نهاية، وكان الفضلاء يزدحمون في حلقته"[5].

فعلى كل حال: يمكن الاستئناس بقول ابن كثير في هذا الإشكال، حيث قال: "كان حسن الأخلاق، سليم الصدر، كثير البكاء، رقيق القلب، وقد تكلموا فيه بأشياء الله أعلم بصحتها، والذي يغلب على الظن: أنه ليس لغالبها صحة"[6].

من مؤلفاته: الإحكام في أصول الأحكام، منتهى السُّول، دقائق الحقائق، رموز الكنوز، لباب الألباب، أبكار الأفكار، غاية المرام في علم الكلام، غاية الأمل في علم الجدل، المبين في معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، الترجيحات في الخلاف.

---

(1) "حَمَاة": مدينة من مدن الشام، قديمة جاهلية، إلا أنها لم تكن من العظمة كما هي اليوم؛ وإنما كانت من عمل حمص، فتحها أبو عبيدة الجراح ﷺ، سنة: خمس عشرة، في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ. انظر: معجم البلدان (300/2-301). وانظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (424/1-423). وانظر: تاريخ ابن الوردي (137/1).

(2) "المدرسة العَزِيزِيَّة": نسبة إلى السلطان العزيز عثمان، ابن صلاح الدين يوسف بن أيوب، الذي قام ببنائها، بعد أن أسسها الملك الأفضل علي بن يوسف، أخو الملك العزيز، وقد أُنشئت في دمشق، سنة: اثنتين وتسعين وخمسمائة، وقد كانت هذه المدرسة تهتم بالعلوم العقلية، حتى تولى الملك الأشرف موسى شاه أرمن ابن العادل دمشق، سنة: أربع وعشرين وستمائة، حيث أقر بها العلوم الشرعية، ومنع العلوم العقلية. انظر: الدارس في تاريخ المدارس (290/1-301)، رقم: (66). وانظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص129. وانظر: البداية والنهاية (12/13).

(3) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص650.

(4) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (259/2). وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (76/46).

(5) سير أعلام النبلاء (366/22).

(6) البداية والنهاية (140/13-141).

ثانيًا: حيرته وندمه:

اشتهر الآمدي بالتأثر بالعلوم العقلية، والحكمة، والمنطق، والخلاف، وكان صيته معروفًا بذلك، فقد "تفنن في علم النظر، وأحكم الأصليْن[1]، والفلسفة، وسائر العقليات، وأكثر من ذلك"[2]، حتى إن الإمام الذهبي قال في ذلك: "لم يكن له نظير في الأصليْن، والكلام، والمنطق"[3]، بالإضافة إلى جمعه بين التصوف والفلسفة[4].

ولعل ما كان عليه الآمِدي من التعلق بالعلوم العقلية، ومجانبة للعلوم الشرعية، هو الذي يفسر لنا المحن التي تلاحقت عليه، وكثرة التقول عليه، بما يُستباح به الدم، حتى إن الملك الأشرف[5] عزله عن التدريس بالمدرسة العَزِيزية، التي ولاها له: الملك العادل، على الرغم من البغض الذي كان يحمله الملك العادل، وكذا أولاده إلى الآمدي، ونادى الملك الأشرف في المدارس: "من ذكر غير التفسير، والحديث، والفقه، أو تعرض لكلام الفلاسفة، نفيتُه"، فأقام السيف الآمدي خاملًا في بيته، إلى أن توفي"[6].

ولقد أكسبت تلك الحياة الغامرة والمشحونة بالعلوم العقلية الآمدي حيرة، ووقوفًا عند المسائل الكبار[7]، قال شيخ الإسلام: "والآمِدِي تغلب عليه الحيرة والوقف في عامة الأصول الكبار، حتى إنه أورد على نفسه سؤالًا في تسلسل العلل، وزعم أنه لا يعرف عنه جوابًا، وبنى

---

(1) "الأصْلان": أصول الفقه، وأصول الدين. حاشية الإمام عبد الحميد الشَّرْواني على تحفة المحتاج في شرح المنهاج، لابن حجر الهيتمي، روجعت وصححت على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، (27/1)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر، عام النشر: 1357هـ– 1983م، بدون طبعة.

(2) طبقات الشافعية الكبرى (307/8).

(3) العبر في خبر من غبر (210/3).

(4) انظر: أبكار الأفكار، للآمدي، (مخطوط)، (27/1– أ)، دار الكتب المصرية، رقم: (1603)، علم الكلام، نقلًا عن: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (679/2).

(5) هو: موسى، ابن الملك العادل: أبي بكر بن أيوب، أبو الفتح، الملقب بشاهرين، كان فيه بر ووقار وإحسان إلى العلماء، وكرم وعفة، إلا أنه كان يشرب الخمر، وكانت وفاته سنة: (635هـ)، وقيل: (628هـ). انظر: طبقات الشافعيين ص844–846. وانظر: وفيات الأعيان (330/5–336)، ترجمة رقم: (749).

(6) انظر: سير أعلام النبلاء (366/22)، وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (75/46–76). وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (254/7).

(7) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص208. وانظر: قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص32.

إثبات الصانع على ذلك[1]، فلا يقرر في كتبه لا إثبات الصانع، ولا حدوث العالم، ولا وحدانية الله، ولا النبوات، ولا شيئًا من الأصول التي يحتاج إلى معرفتها"[2].

وبعد عزلة قضاها الآمدي في بيته، -والتي شارفت السبع سنين- خرج بوجهة نظر مغايرة لما عاش عليه، وندم على ما قضى حياته به، من العلوم العقلية، وذمَّ علم الكلام، على الرغم من سعة حيلته، وغزارة فكره، حيث قال: "أمعنت النظر في الكلام، وما استفدت شيئًا إلا ما عليه العوام"[3].

وكأنَّ الآمدي يذكرنا بمواقف السالفين من إخوانه المتكلمين، النادمين على ما حصلوه من علم الكلام، حيث تذكروا عقيدة العوام، وتمنوا الموت عليها.

---

(1) قال في دليل إثبات الصانع: "وإن أمكن بيان ذلك فهو مما يطول، ويصعب تحقيقه جدًا على أرباب العقول". غاية المرام في علم الكلام، للآمِدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، ص249، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، دمشق- سوريا، بيروت- لبنان.

(2) شرح حديث النزول، لابن تيمية، ص176، ط(5)1397هـ-1977م، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

(3) درء تعارض العقل والنقل (262/3).

المطلب الرابع
الخُونَجي

الإمام الخُونَجي: أحد أعلام المنطق، والفلسفة، والكلام، سلك طريقًا معوجًا من أجلها، حتى آلت به إلى ما آلت بغيره، من الحيرة، والشك، وملاقاة الله ﷻ بالجهل بالعقيدة، والمنهج الصحيح، وقد صرح بذلك في آخر حياته، بكلمات تثير الحُزن والشفقة على حاله.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: أبو عبد الله محمد بن ناماور بن عبد الملك الخُونَجي[2]، الشافعي، القاضي، المتكلم، الباهر، أفضل الدين، ولد: سنة: تسعين وخمس مائة، وهو فارسي الأصل، طلب، وحصل، وبالغ في علوم الأوائل، قال ابن أبي أصيبعة: "تميز في العلوم الحُكْمية، وأتقن الأمور الشرعية، قوي الاشتغال، كثير التحصيل، فوجدته لما رأيته الغاية القصوى في سائر العلوم، وله تصانيف في الطب والمنطق"[3]، وقال السبكي: "له اليد الطولى في المعقولات"[4]، قال ابن كثير: "وكان مع ذلك جيد السيرة في أحكامه"[5]، وكانت تلحقه غفلة فيما يفكر فيه من المسائل العقلية.

ولي القضاء بالديار المصرية، وذلك بعد عزل الشيخ عز الدين بن عبد السلام والتدريس بالصالحية، وأفتى وناظر وصنف، وقد أنكر الإمام السيوطي ذلك بقوله: "فاعتبروا يا أولي

---

(1) انظر ترجمته: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص586-587. وانظر: سير أعلام النبلاء (228/23)، ترجمة رقم: (146). وانظر: الوافي بالوفيات (73/5-74). وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (105/8-106)، ترجمة رقم: (1097)، وانظر: طبقات الشافعيين ص864. وانظر: الأعلام (122/7). وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (330/47-331)، ترجمة رقم: (448)، وانظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، (541/1)، ترجمة رقم: (15). وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (409/7-410). وانظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (125/2)، ترجمة رقم: (425). وانظر: العبر في خبر من غبر (255/3-256). وانظر: البداية والنهاية (175/13). وانظر: تاريخ ابن خلدون ص647. وانظر: تاريخ الخلفاء ص335. وانظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (604/9)، ترجمة رقم: (182).

(2) "خُونَج": بلد من أعمال أذربيجان، بين مراغة وزنجان، في طريق الري، وهو آخر ولاية أذربيجان، تُسمى الآن: كاغدكنان، أي: صنّاع الكَاغَد (القرطاس)، وأهل هذه المدينة يكرهون تسميتها بخونا؛ لقرينة قبيحة تقرن بهذا الاسم. معجم البلدان (407/2). وانظر: المعجم الوسيط (791/2).

(3) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص586.

(4) طبقات الشافعية الكبرى (105/8).

(5) البداية والنهاية (175/13).

الأبصار، يُعزل شيخ الإسلام وإمام الأئمة شرقًا وغربًا، ويولَّى عوضه رجل فلسفي! ما زال الدهر يأتي بالعجائب!"[1].

وكانت وفاته بالقاهرة يوم الأربعاء خامس شهر رمضان، سنة ست وأربعين وست مائة، ودفن بالقَرَافَة على سفح الجبل، وللشيخ عز الدين الغنوي[2] قصيدة في رثائه[3].

له مصنفات كثيرة، منها: مقالة في الخدور والوروم، الجمل في علم المنطق، كشف الأسرار في علم المنطق، الموجز في المنطق، أدوار الحميات.

ثانيًا: حيرته وندمه:

وقع للخُونَجي مثل ما وقع لغيره من أئمة الكلام، من الحيرة، والشك، والريبة، ولقد ظهر ذلك من خلال ألفاظه، وتعبيراته، التي عبر بها في أواخر حياته، قال شيخ الإسلام: "وقد بلغني بإسناد متصل، عن بعض رؤوسهم، وهو الخُونَجي، صاحب كشف الأسرار في المنطق، وهو عند كثير منهم غاية في هذا الفن، أنه قال عند الموت: "أموت وما علمت شيئًا، إلا أن الممكن يفتقر إلى الواجب، ثم قال: الافتقار وصف عدمي، أموت وما علمت شيئًا""[4].

وما أجمل ما وصف به شيخ الإسلام حال المتكلمين، فلقد أجاد رَحِمَهُ اللهُ في وصف حالهم، حيث قال: "والواصل منهم إلى علم، يشبهونه بمن قيل له: أين أذنك؟ فأدار يده فوق رأسه، ومدها إلى أذنه بكلفة، وقد كان يمكنه أن يوصلها إلى أذنه من تحت رأسه؛ فهو أسهل وأقرب"[5].

هكذا تُفقد الحيرة كل العلوم التي اشتغل بها هذا العالِم وأمثاله، فأعلنوا الجهل بعد مُضِيِّ الأعمار في الاشتغال بعلم الكلام.

---

(1) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (541/1).

(2) هو: عز الدين حسن بن محمد بن أحمد بن نجا الإربلي، الضرير، الرافضي، نزيل دمشق، كان باهرًا في علوم الأوائل، توفي سنة: (660هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (353/23-354)، ترجمة رقم: (253).

(3) وهي قصيدة طويلة. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص587. رفع الإصر عن قضاة مصر ص422.

(4) درء تعارض العقل والنقل (262/3): مجموع الفتاوى (113/9-114)

(5) الرد على المنطقيين، لابن تيمية، ص249، دار المعرفة- بيروت- لبنان، بدون طبعة. مجموع الفتاوى (208/9).

المطلب الخامس
الخُسْرُوْشَاهِي

الخُسْرُوْشَاهِي: إمام فاضل، بارع في المعقولات، وتلميذ الفخر الرازي، أخذ عنه الحيرة، والشك، كما أخذ عنه العلم، دون أن تتطابق النهايتان، فمات على خاتمة مُؤلمة، لا يدري شيئًا من الاعتقاد، فأعلن ذلك بكل وضوح في لحظات احتضاره، ومات على ذلك.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: عبد الحميد بن عيسى بن عَمَوَيْه بن يونس بن خليل، الشيخ الإمام: شمس الدين أبو محمد الخُسْرُوْشَاهِي، ولد سنة: ثمانين وخمسمائة بخُسْرُوشاه[2]، وهو أحد مشاهير المتكلمين، ومن أعلام المذهب الشافعي، وكان شيخًا، مهيبًا، فاضلًا، متواضعًا، حسن الظاهر، طبيبًا، حكيمًا، فقيهًا، أصوليًا، متكلمًا، محدثًا.

اشتغل على الفخر الرازي في الأصول وغيرها، وأكثر الأخذ عنه، وبرع في الكلام، وتفنن في علوم متعددة، ودرس، وناظر، وأفاد، وكان معظِّمًا لشيوخه.

---

(1) **انظر ترجمته:** المختصر في أخبار البشر (195/3). وانظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص648–650. وانظر: فوات الوفيات (257/2–259). وانظر: الوافي بالوفيات (44/18–45). وانظر: طبقات الشافعية الكبرى (161/8–162)، ترجمة رقم: (1159). وانظر: طبقات الشافعيين ص871. وانظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي الظاهري، حققه ووضع حواشيه: د/ محمد محمد أمين، تقديم: د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، (149/7)، ترجمة رقم: (1362)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون طبعة. وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (125/48–126)، ترجمة رقم: (68). وانظر: البداية والنهاية (185/13). وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (441/7). وانظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ص175–179، ترجمة رقم: (27). وانظر: العبر في خبر من غبر (268/3–269). وانظر: سير أعلام النبلاء (281/23). وانظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (108/2)، ترجمة رقم: (410)، وانظر: والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (32/7). وانظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (506/1). وانظر: معجم المؤلفين (103/5). وانظر: ديوان الإسلام (224/2).

(2) "خُسْروشاه": قرية بقرب تِبْرِيْز، بينها وبين تبريز ستة فراسخ، فيها سوق وعمارة. انظر: معجم البلدان (371/2). وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (125/48). و"تِبْرِيْز": أشهر مدن أذربيجان، في خُرَاسَان، وهي مدينة عامرة حسناء، ذات أسوار، وأهلها أيسر أهل البلاد، وأكثرهم مالًا. انظر: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (252/1). وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ص130. وانظر: معجم البلدان (13/2).

قال السبكي: "وكان فقيهًا، أصوليًا، متكلمًا، محققًا، بارعًا في المعقولات"[1]، وقال ابن أبي أصيبعة: "إمام العلماء، سيد الحكماء، قدوة الأنام، شرف الإسلام، قد تميز في العلوم الحُكْمية[2]، وحرر الأصول الطبية، وأتقن العلوم الشرعية، ولم يزل دائم الاشتغال، جامعًا للفضل والأفضال"[3]، وله يد طولى في الفلسفة[4].

قدم الشام، بعد وفاة الفخر، فلزم الملك الناصر داود بن المعظم[5]، وحظي عنده؛ فإنه استدعاه؛ ليقرأ عليه، وأقام عنده بالكَرَك[6]، ثم توجه إلى دمشق، وأقام بها إلى أن توفي، سنة: اثنتين وخمسين وستمائة، ودفن بجبل: قَاسِيُونُ، وقد رثاه العز الضرير بقصيدة لامية[7].

له مصنفات كثيرة، منها: مختصر كتاب المهذب في الفقه على مذهب الإمام الشافعي لأبي إسحق الشيرازي، مختصر كتاب الشفاء، وتتمة كتاب الآيات البينات في المنطق للفخر الرازي، وهي غير النسخة الصغيرة التي هي عشرة أبواب.

ثانيًا: حيرته وندمه:

سلك الخُسْرُوْشَاهِي مسلك الفخر الرازي في الاعتقاد، ولم يبق على ذلك، فقد سلك مسلكه كذلك في الشك والارتياب، والحيرة، والندم، فقد "حصل له اضطراب في الإيمان، من جهته،

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى (161/8).

(2) قال ابن خلدون: "العلوم الحُكْمية الفلسفية: هي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان، بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية، إلى موضوعاتها، ومسائلها، وأنحاء براهينها، ووجوه تعليمها". تاريخ ابن خلدون (549/1)، فالعلوم الحُكْمية بخلاف العلوم النقلية.

(3) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص648-649.

(4) العبر في خبر من غبر (269/3).

(5) هو: داود بن الملك المعظم عيسى بن محمد ابن أيوب، الملك الناصر صلاح الدين، أحد الشعراء الأدباء، ولد ونشأ في دمشق، له عناية بتحصيل الكتب النفيسة، وله شعر، توفي سنة: (656هـ). انظر: الأعلام (334/2).

(6) "الكَرَك": بفتحتين: قلعة حصينة جدًا في طرف الشام، من نواحي البلقاء في جبالها، وهي على جبل عالٍ، أما "الكَرْك": بفتح الكاف، وسكون الراء، فهي: قرية كبيرة من قرى دمشق، في أصل جبل لبنان، وهي أيضًا: قرية كبيرة قرب بَعْلَبَكّ بالشام، بها قبر طويل، يزعم أهل تلك النواحي أنه قبر نوح عليه السلام. انظر: معجم البلدان (452/4-453).

(7) انظر القصيدة وغيرها في رثائه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص649. فوات الوفيات (258/2). الوافي بالوفيات (45/18).

وجهة أمثاله"[1]، "وكان قد وقع في حيرة وشك حتى كان يقول: "والله ما أدرى ما أعتقد، والله ما أدرى ما أعتقد، والله ما أدري ما اعتقد""[2].

وقد نقل شيخ الإسلام عن من حدث ابن بادة[3]، أنه دخل على الخُسْرُوْشَاهِي، وكلمه في الاعتقاد، حيث قال: "دخلت عليه بدمشق، فقال لي: "يا فلان: ما تعتقد"؟ قلت: "أعتقد ما يعتقده المسلمون"، قال: "وأنت جازم بذلك، وصدرك منشرح له"؟ قلت: "نعم"، قال: "فبكى بكاءً عظيمًا، "حتى أخضل لحيته"[4]، وقال: "لكنني والله ما أدري ما أعتقد، لكنني والله ما أدري ما أعتقد، لكنني والله ما أدري ما أعتقد""[5].

وهكذا تكون حيرة الأستاذ والتلاميذ[6]، وفي هؤلاء العبرة والعظة لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد[7]، فهذا فيه كفاية، ومقنع لمن أراد الله هدايته[8]، وليت أهل الكلام يعتبرون من هذه الخواتيم المؤلمة، التي جعلت العوام أفاضل العلماء.

---

(1) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (6/ 557).

(2) الرد على المنطقيين ص327. مجموع الفتاوى (228/9).

(3) هو: رجل فاضل، من عامة المسلمين، لم أقف له على ترجمة في كتب التراجم. انظر: الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية، تحقيق: د/ حمد التويجري، ص195.

(4) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص209.

(5) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (557/6) بتصرف.

(6) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (895/2).

(7) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (133/1).

(8) أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة (26/1).

المطلب السادس
محمد بن واصل الحَمَوِي

محمد الحَمَوي: شيخ صاحب براعة في كل فن، وفي كل علم، لازم الحلقات، وأكثر التصانيف، وأبحر في العلوم العقلية، حتى انتهى أمره إلى الوقف، والحيرة، ولم يبِن له الصواب في المسائل، والعقائد.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن سالم بن نصر الله بن واصل الحَمَوي، المازني، التميمي، الشافعي، أحد الأئمة الأعلام، وقاضي حَمَاة، وكان صاحب سيرة حميدة، ومولده بحَمَاة في ثاني شوال، سنة: أربع وست مئة.

دخل في كل فن، وبرع في كل علم، من العلوم الشرعية والعقلية، وأتقنها، وبعُد صيِته، واشتهر اسمه، ودرّس، وأفتى، وناظر، حتى قيل: إنه كان يشغل في حلقته في ثلاثين علمًا وأكثر، وكان مفرطًا في الذكاء، مداومًا على الاشتغال والتفكّر في العلم، حتى كان يذهل عمن يجالسه، وعن أحوال نفسه، قال فيه ابن قاضي شهبة: "كان من نوادر الزمان"[2].

---

(1) **انظر ترجمته:** المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (79/1). وانظر: العبر في خبر من غبر (390/3). شذرات الذهب في أخبار من ذهب (766/7). وانظر: أعيان العصر وأعوان النصر (446/4-449). وانظر: الوافي بالوفيات (71/3-72). وانظر: السلوك لمعرفة دول الملوك (295/2). وانظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (194/2-195)، ترجمة رقم: (487). وانظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (108/1-109)، ترجمة رقم: (179). وانظر: ديوان الإسلام (382/4). وانظر: الأعلام (133/6). وانظر: معجم المؤلفين (17/10-18). وانظر: نكث الهميان في نكت العميان، للصفدي، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، ص236-238، ط(1)1428هـ-2007م، دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان. وانظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1/1). وانظر: إيضاح المكنون (430/3). وانظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (138/2). وانظر: مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعه، ط(15)2004م، دار العلم للملايين- بيروت- لبنان.

(2) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (195/2).

قدم القاهرة، في المحرم سنة تسعين وستمائة، ودرّس فيها، وتخرج به جماعة، منهم: أثير الدين أبو حيان[1]، وقال عنه: "وهو من بقايا من رأيناه من أهل العلم"[2]، وقال الشيخ قطب الدين الحلبي[3] في حقه: "الإمام العالم ذو الفنون، فخر العلوم، كان مفردًا في علم الأصول والعلوم والعقلية"[4].

صنّف تصانيف كثيرة في الأصليْن، والحكمة، والمنطق، والعروض، والطبّ، والأدبيات، منها: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، التاريخ الصالحي، شرح ما استغلق من ألفاظ كتاب الجمل في المنطق، تجريد الأغاني، شرح الموجز للخُونَجي، هداية الألباب، شرح قصيدة ابن الحاجب، مختصر الأدوية المفردة لابن البيطار، مختصر المجسطي، نظم الدرر في التواريخ والسير، الصلة والعائد لنظم القواعد، مختصر الأربعين في أصول الدين، نخبة الأملاك في هيئة الأفلاك، وكتاب التاريخ الكبير.

توفي في الثاني عشر من شوال، في حَمَاة، يوم الجمعة، سنة: سبع وتسعين وست مئة، وبلغ التسعين، ودفن بتربته بعقبة بِيرِين[5].

ثانيًا: حيرته وندمه:

المُلاحظ من خلال ترجمة الحَمَوي: أنه تفنن في العلوم، وجمع بينها، وأتقنها، وصار له من الدراية بها الشيء الخِضَم، حتى قال في ذلك الصَّفدي: "برع في العلوم الشرعية، وطلع كالشمس في الفنون العقلية، وجمع شمل ما تفرق في العلوم الأدبيه"[6]، ولكنه تعمق أكثر في العلوم العقلية، حتى صار له يد طُولى فيها[7].

---

(1) هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي، من كبار العلماء بالعربية، والتفسير، والحديث، والتراجم، واللغات، من مصنفاته: النهر، زهو الملك في نحو الترك، البحر المحيط، توفي سنة: (745هـ). انظر: الأعلام (152/7).

(2) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (108/1)، المكتبة العصرية– صيدا– لبنان، بدون طبعة.

(3) هو: عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي، قطب الدين، حافظ للحديث، حلبي الأصل والمولد، مصري الإقامة والوفاة، له: تاريخ مصر، الاهتمام بتلخيص الإلمام، شرح صحيح البخاري، توفي سنة: (735هـ). انظر: الأعلام (53/4).

(4) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (108/1).

(5) "بِيرِين": من قرى حِمص. معجم البلدان (526/1). مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (241/1).

(6) أعيان العصر وأعوان النصر (446/4).

(7) انظر: العبر في خبر من غبر (390/3).

وكنتيجة حتمية لذلك: توقف الحَمَوي في اعتقاده، فبعد كل هذا العلم، بقي لا يعلم ماذا يعتقد، وبماذا يدين الله تعالى[1]، وهو ما أخبرنا به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "حدثني من قرأ على ابن واصل الحموي، أنه قال: "أبيت بالليل، وأستلقي على ظهري، وأضع الملحفة على وجهي، وأبيت أقابل أدلة هؤلاء بأدلة هؤلاء، وبالعكس، وأصبح وما ترجح عندي شيء"، كأنه يعني أدلة المتكلمين والفلاسفة"[2].

كل ذلك لأنهم أعرضوا عن الكتاب والسنة، واعتبروهما غريبين، ولجؤوا إلى المُحدثات، وأشغلوا أنفسهم بما لا فائدة تُرجى من ورائه، وما أجمل تعبير شيخ الإسلام، وهو يبرر حال المتكلمين، حيث قال: "وأما معرفة ما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب، والسنة، وآثار الصحابة، فعلم آخر، لا يعرفه أحد من هؤلاء المتكلمين"[3].

تتمة:

ذكر شيخ الإسلام في هذا السياق، فقال: "وكذلك الأصبهاني[4]: اجتمع بالشيخ إبراهيم الجعبري[5] يومًا، فقال له: "بتُّ البارحة، أفكر إلى الصباح، في دليل على التوحيد سالم عن المعارض، فما وجدته""[6].

يعني بذلك: "ما يسمونه بالأدلة العقلية، وهي جهالات توصل إلى ظلمات الشك"[7]، وكل ذلك: مع توافر أدلة التوحيد، وبسطها في الكتاب والسنة، والتي اعتمد عليها السلف في تقرير

---

(1) أثر علم الكلام على المنتسبين إليه وموقف أهل السنة والجماعة وكبار المتكلمين منه ص278-279 بتصرف.

(2) درء تعارض العقل والنقل (263/3-264).

(3) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (276/5).

(4) لم أقف على تعريف له، ولعله: محمد بن محمود بن محمد بن عبد الكافي العلامة شمس الدين أبو عبد الله الأصبهاني، كان إمامًا في المنطق، والكلام، والأصول، والخلاف، والجدل، وألف فيها، وشرح المحصول، ولد بأصبهان سنة: (616هـ)، وتوفي بالقاهرة، سنة: (688هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى (100/8-103)، ترجمة رقم: (1095). وانظر: طبقات الشافعيين ص932-933.

(5) أبو إسحاق: إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري، عالم بالقراءات، ومن فقهاء الشافعية، يقال له: شيخ الخليل، وقد يُعرف بابن السراج، ولد سنة: (640هـ)، وتوفي سنة: (732هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى (398/9-399)، ترجمة رقم: (1341). وانظر: معجم الشيوخ الكبير(147/1-148). وانظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(55/1-56). وانظر: الأعلام (55/1-56).

(6) درء تعارض العقل والنقل (263/3).

(7) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان، (26/2)، ط(1)1405هـ، مكتبة الدار- المدينة المنورة- السعودية.

التوحيد، انسجامًا مع العقل الصريح، والفطرة السليمة، "وإن من الخذلان أن ينصرف العبد عما تعرف الله به إلى عباده، من أسمائه وأوصافه، ويعتقد أنها تدل على خلاف الحق، وأن الحق والهدى في كلام أهل الجدل والفلسفة، الذين يعتمدون على آرائهم، وعقولهم، فيما يجب لله، وما يمتنع عليه، مع أنهم لم يجنوا من ذلك إلا الحيرة والشك[1].

فلينظر اللبيب كيف توقع الأدلة العقلية أصحابها في الحيرة؛ فلذلك: كانت حجج السلف أقوى، وأدلتهم أصرح، قال ابن القيم: "من استقرأ أحوال الناس، رأى أن كثيرًا من أهل الإسلام- أو أكثرهم- أعظم توحيدًا، وأكثر معرفة، وأرسخ إيمانًا من أكثر المتكلمين، وأرباب النظر والجدال، ويجد عندهم من أنواع الأدلة والآيات التي يصح بها إيمانهم ما هو أظهر وأوضح وأصح مما عند المتكلمين"[2]، وقال: "فسبحان من أعمى عن الحق بصائر من شاء من خلقه، كما أعمى عن الشمس أبصار من شاء منهم، فالذنب لكلل البصائر، لا للحق، كما أن الحجاب في تلك العيون، لا في الشمس، ولقد أحسن القائل في وصف هؤلاء وبصائرهم، أنها بمنزلة أبصار الخفاش: تعجز عن ضوء النهار، ولا تفتح أعينها فيه، ويلائمها ظلام الليل، فتذهب فيه وتجيء"[3].

---

(1) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (25/2).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (451/3)، ط(3)1416هـ-1996م، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.

(3) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (843/3).

المطلب السابع
المَرْعَشي

يُعد الشيخ المَرْعَشِي أحد البارعين في العلوم المختلفة، ولا سيما في المنطق والكلام، فكان آخر أمره الندم، فغير معالم اعتقاداته، ولكنه لم يُوفق في اختيار الطريق البديل عن مذاهب المتكلمين، فلجأ إلى التصوف، وكان من المغالين فيه.

أولًا: ترجمته[1]:

هو: محمد بن أبي بكر المَرْعَشُي، المعروف بسَاجِقْلِي زاده، فقيه حنفي، من العلماء، مشارك في معارف عصره، برع في المنطق والكلام، وألف في ذلك، من أهل مَرْعَش[2]، قام برحلة دراسية، التقى بها في دمشق بالشيخ عبد الغني النابلسي[3]، وتصوف على يده وعاد إلى مَرْعَش، فكانت له حلقة لتدريس الطلاب، وصنف نحو ثلاثين كتابًا ورسالة، منها: شرح الرسالة القياسية، تقرير القوانين المتداولة، الرسالة الولدية، نشر الطوالع[4]، ترتيب العلوم، جهد المقل، في التجويد، وشرحه: بيان جهد المقل، رسالة في الضاد، تسهيل الفرائض، رسالة السرور والفرح في والدي الرسول، ونهر النجاة، توفي بمَرْعَش، سنة: (1145هـ)، ودفن في قبليها[5].

---

(1) **انظر ترجمته:** الأعلام (60/6). وانظر: معجم المؤلفين (14/12). وانظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1145/2). وانظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (322/2).

(2) "مَرْعَشُ": مدينة بالثغور بين الشام وبلاد الروم، أحدثها الرشيد لها سوران، وفى وسطها حصن يسمى: المروانى، كان بناه مروان الحمار، ولها ربض يعرف بالهارونيّة، فتحها خالد بن الوليد ﷺ، سنة: خمس عشرة، في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (1259/3) بتصرف. وانظر: معجم البلدان (107/5). وانظر: الكامل في التاريخ (327/2).

(3) هو: عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي، شاعر، متصوف يقول بوحدة الوجود، حياته ووفاته بدمشق، من كتبه: نفحات الأزهار على نسمات الأسحار، الحضرة الإنسية في الرحلة القدسية، توفي سنة: (1143هـ). انظر: الأعلام (32/4-33).

(4) وهو: شرح لطوالع البيضاوي الأصولي المتكلم. وانظر: الأعلام للزركلي (60/6)، وهذا يؤكد على خوضه في المنطق والكلام، وقد تراجع عنه.

(5) يعني: دفن بالمقبرة التي هي في جهة القلبة بمَرْعش. ترتيب العلوم، للمَرْعشي، دراسة وتحقيق: محمد بن إسماعيل السيد أحمد (رسالة ماجستير)، إشراف: د/ عباس صالح طاشكندي، ص55، للعام الدراسي: 1405هـ-1985م، جامعة الملك عبد العزيز- جدة- السعودية.

وأما شهرته ب"سَاجِقْلِي زاده": فهي كلمة مركبة من لفظين: "أم الأول: ساجِقلي، فمعناه باللغة التركية: المظلة، ويقصد به العالم العظيم، وأما الثاني: زاده، فهي فارسية الأصل، ولها بديل بالتركية، وهو: أوغلو، ومعناها: ابن، فصار معنى الاصطلاح: ابن مظلة العلماء[1].

ثانيًا: حيرته وندمه:

لقد أقر الإمام ابن القيم قاعدة في عقيدة أهل الكلام، فقال: "آخر أمر المتكلمين الشك"[2]، والناظر في سيرة المَرْعَشي: يُلاحظ أن هذه القاعدة قد أصابته، فدار في رحاها، وانخرط بين أسنانها، فلما وجد نفسه كذلك، طلب النجاة، فوجدها عقيدة السلف، فأعلن توبته من الكلام، وقال في ذلك: "وأقول كما هجر الغزالي الكلام، كذلك هجرته، وتبرأت وتبتُ منه إلى الله تعالى، الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، وأسأل الله ألا يحشرني يوم القيامة مع المتكلمين، وهذا القول مني بعد اشتغال بالكلام، وتأليفي فيه "نشر الطوالع"، والآن: أتمنى أن أجمع نسخه المنتشرة، وأحرقها بالنار؛ ولئلا يبقى مني أثر في الكلام، لكني لا أقدر على ذلك"[3].

ونقل المَرْعَشي قول أحد المتكلمين في حاشيته لشرح العقائد: "الاشتغال بتفاصيل علم الكلام يُقسّي القلب؛ ولذا نرى أكثر طلبته تاركي الصلاة، ومرتكبي الكبائر، ومضيعي العمر فيما لا يعنيهم"، ثم علق عليه، فقال: يقول الفقير: "أما قسوة القلب فقد وجدناها – بلا شك– عند الاشتغال به، فنسأل الله يقيلنا عثراتنا"[4]؛ فلذلك حرم الاشتغال بعلم الكلام، دون حاجة، حيث قال: "ولا شك في حرمة الاشتغال بالكلام المخلوط بمجادلات الفلاسفة"[5].

وبذلك: بدأت معالم منهج المَرْعَشِي تتخذ منحًا آخر، فلم يصر على ما كان عليه عندما أيقن أنه على خطأ، فبدأ البحث عن الطريق الصحيح، الذي ينجيه ويوصله إلى سعادة الدارين[6]، فظهرت ملامح هذا المنهج الجديد من خلال:

---

(1) ترتيب العلوم، تحقيق: محمد السيد أحمد، ص50-51، نقلًا عن: الأستاذ والباحث التركي، بجامعة استانبول، والمنتدب إلى مركز أبحاث الحج في مكة.

(2) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، (45/1)، مكتبة المعارف– الرياض– السعودية، بدون طبعة.

(3) ترتيب العلوم، للمَرْعَشي، تحقيق: نجلاء قاسم عباس، ص131، ط1404هـ–1985م، بغداد– العراق.

(4) ترتيب العلوم، تحقيق: نجلاء عباس، ص272.

(5) ترتيب العلوم، تحقيق: محمد السيد أحمد، ص139.

(6) مقدمة: جهد المُقل، للمَرْعَشي، دراسة وتحقيق: د/ سالم قدُّوري الحمد، ص20، ط(2)1429هـ–2008م، دار عمان للنشر والتوزيع– عمان– الأردن.

أولًا: أوجب الاستدلال بالكتاب والسنة، حيث قال: "وأما الاستدلال الشرعي، أعني به: أن تؤخذ العقائد من الشرع، إما بمطابقة الكتاب والسنة، أو بأخبار علماء الشريعة أنها مما أخبر به الشارع، ففرض عين البتة[1]، ودعا إلى الاكتفاء بالكتاب والسنة، بقوله: "فحسبنا ما أنزل الله، وما بلغنا من رسول الله"[2].

ثانيًا: بدا أن المَرْعَشي لم يوفق إلى طريقة السلف في الاعتقاد، ولقد كان أقرب إلى ذلك من غيره من المتكلمين، ولا سيما بعدما رأينا من ذمه لعلم الكلام، وبناء المعتقد على الكتاب والسنة، فذهب إلى التصوف، وأوغل فيه، حتى أصبح من كبار الصوفية، ودافع عنهم، حيث قال: "فليحترز صاحب الذهن القاصر عن إطالة اللسان إلى الأكابر"[3].

وبذلك: يكون المَرْعشي تاركًا لعلم الكلام، مشتغلاً بالتصوف، دون الرجوع إلى ما كان الأصل به أن يرجع إليه.

والمُلاحَظ مما سبق أن: علماء الكلام وقفوا حائرين أمام الظلمات التي أحاطت بهم، فأعلنوا الوقف والاستسلام، وتكافأت لديهم الأدلة العقلية، فلم يكن أمامهم مقدرة على الترجيح فيها، فإذا أضيف إلى ذلك تلاشي المعرفة بعقيدة السلف، صارت المصيبة أعظم من ذلك.

وكل ذلك لا يعني إتباع زلات أهل العلم؛ بل من أجل بيان الحق، ونصرته، قال شيخ الإسلام: ""وليس لأحدٍ أن يتبع زلَّات العلماء، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان، إلا بما هم أهل له؛ فإن الله – تعالى– عفا للمؤمنين عمّا أخطؤوا، كما قال – تعالى–: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:286]"[4].

خلاصة الفصل:

من خلال هذا الفصل العامر بالتأثرات بالمذاهب العقدية، يتضح أن الانتقال من مذهب عقدي إلى آخر، قد اتخذ أشكالًا متعددة، كان منها ما يُحمد، ومنها ما لا يُحمد، ومنها ما يُحمد من جانب، ويُذم من آخر.

فكان الرجوع إلى مذهب السلف أمر حميد، ظهر من كثير من المتكلمين، وهو يدل على عمق البصيرة من جانبهم، وفي المقابل: فقد رأينا أن كثيرًا من دان بعقيدة أهل السنة، تجاذبته عوامل، ساهمت في انحراف مساره، الذي سلكه، وعقيدته التي دان بها، فتأثروا بالاعتزال، والأشعرية، وبعضهم دخل أنفاقًا مظلمة، لم يستطع الخروج منها، حتى مات فيها.

---

(1) ترتيب العلوم، تحقيق: محمد السيد أحمد، ص88.

(2) ترتيب العلوم، تحقيق: محمد السيد أحمد، ص220.

(3) ترتيب العلوم، تحقيق: نجلاء عباس، ص97.

(4) مجموع الفتاوى (239/32).

الفصل الرابع
الآثار العلمية والاجتماعية للتحولات المذهبية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآثار العلمية والاجتماعية للانتقال إلى غير مذهب السلف.

المبحث الثاني: الآثار العلمية والاجتماعية للانتقال إلى مذهب السلف.

المبحث الأول
الآثار العلمية والاجتماعية للانتقال إلى غير مذهب السلف

أولًا: الآثار العلمية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: انتشار البدع.

المطلب الثاني: إثارة الشبهات والفتن.

المطلب الثالث: رواج العقائد الكلامية.

المطلب الرابع: اضطهاد علماء السلف.

ثانيًا: الآثار الاجتماعية.

وفيه مطلب واحد:

المطلب الأول: حدوث الفرقة والاختلاف.

المبحث الأول

الآثار العلمية والاجتماعية للانتقال إلى غير مذهب السلف

لقد كان الانتقال إلى غير مذهب السلف ذا آثار علمية، وآثار اجتماعية، ليست بالحميدة، فإذا كان الله ﷻ قد ارتضى ما كان عليه النبي ﷺ، فكيف تكون نتائج تركه، والعدول عنه محمودة؟ إن كل عدول عن المنهج الصحيح في العقيدة لهو بمثابة الخراب، الذي يحل بالأمة المسلمة.

وهذه الآثار الحاصلة نتيجة العدول عن مذهب السلف إلى مذاهب المتكلمين، ليست محصورة في أشخاصهم؛ بل إنها تتعدى إلى أكثر من ذلك، فهي تعود على المجتمع بشكل عام، وما منهم إلا ونجد له بصمة في التأثير، ونشر المعتقد؛ مما يسهم بشكل كبير في إحداث تغييرات متعددة الجوانب في عقيدة المجتمع.

لقد كان العادلون عن منهج السلف بمنزلة من يرمي السم في أحشاء الناس، حيث أحدثوا الفرقة والاختلاف، وساهموا في نشر البدع، والشبهات، في داخل المجتمع، كما أنهم وروجوا لمذاهبهم، وفي إزاء ذلك كله، لم يكفوا أيديهم عن أهل الحق؛ بل حملوا عليهم، وأضمروا لهم كثيرًا من الملاحقة والاضطهاد، لكنَّ توفيق الله ﷻ بالتشبث بعقيدة السلف من الأمور التي تعين الإنسان على الوقوف في وجه هذه العواصف والمحن.

وهذا المبحث فيه تفصيل لهذه الجوانب من الآثار، في الانتقال ترك مذهب السلف، والعدول عنه إلى غيره من المناهج المُستحدثة، والعقائد المُخالفة، والله المُستعان.

أولًا: الآثار العلمية

المطلب الأول

انتشار البدع

من الأمور المقررة في عقيدتنا: أن الله ﷻ قد أكمل الدين، دون أن يبقى شيء بلا بيان، أو توضيح، حيث قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3]، يقول سيد قطب في تفسيرها: "فأعلن لهم إكمال العقيدة، وإكمال الشريعة معًا، فهذا هو الدين، ولم يعد للمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين- بمعناه هذا- نقصًا يستدعي الإكمال، ولا قصورًا يستدعي الإضافة، ولا محلية أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير، وإلا فما هو بمؤمن، وما هو بمقر بصدق الله، وما هو بمرتضٍ ما ارتضاه الله للمؤمنين"[(1)].

وقد قال النبي ﷺ: **[من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد]**[(2)]، فإنه يدل على أن كل بدعة أحدثت في الدين: ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة، سواء كانت من البدع القولية الكلامية، كالتجهم، والرفض، والاعتزال، وغيرها، أو من البدع العملية، كالتعبد لله بعبادات لم يشرعها الله ولا رسوله، فإن ذلك كله مردود على أصحابه، وأهله مذمومون بحسب بدعهم، وبعدها عن الدين"[(3)].

قال الإمام العيني[(4)]: "فيه: رد المحدثات، وأنها ليست من الدين؛ لأنه ليس عليها أمره ﷺ، والمراد به أمر الدين"[(5)].

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (843/2)، ط(17)1412هـ، دار الشروق- بيروت- لبنان، القاهرة- مصر.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، من حديث عائشة ﵂، كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، (184/3)، رقم: (2697). ومسلم في صحيحه، كتاب: الأقضية (30)، باب: نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور(8)، (1343/3)، رقم: (1718).

(3) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي الدريني، ص17، ط(1)1422هـ-2002م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

(4) هو: محمود بن أحمد بن أحمد، أبو محمد، من كبار المحدثين، أصله من حلب ومولده في عينتاب، وإليها نسبته، من مصنفاته: المسائل البدرية، طبقات الشعراء، المقاصد النحوية، توفي سنة: (855هـ). انظر: الأعلام (163/7).

(5) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى، (274/13)، دار إحياء التراث العربي – بيروت- لبنان.

وإن المتتبع لأحوال المسلمين، يجد ما للبدع من زخارة الذيوع والانتشار، ولا سيما من البدع التي تكون في المسائل العلمية الخبرية، المتعارف على تسميتها قديمًا وحديثًا باسم العقيدة، وهي ما يسمى بالبدع الاعتقادية، وهي دائرة حول ذات الله ﷻ، والرسل، والغيبيات[1]، وهي أمور "لا يسوغ فيها الاجتهاد؛ وإنما هو الإتباع، لا الابتداع، ومن خالف: فهو مبتدع"[2]، و عليها تبنى البدع العملية[3].

وعلى رأس تلك البدع الاعتقادية: ما عليه أهل الكلام من الاعتقاد، فإن هؤلاء أهل بدع، وأحكامهم متفاوتة، بحسب بعدهم وقربهم عن الصواب[4].

قال ابن عبد البر: "أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار: أن أهل الكلام: أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في طبقات الفقهاء؛ وإنما العلماء: أهل الأثر، والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان، والتميز، والفهم"[5].

ذلك لأن علم الكلام مشحون بالفلسفة، والتأويلات الشاذة، وصرف الآيات القرآنية عن معانيها الظاهرة، فلا يعود على صاحبه إلا بالمضرة والخذلان[6].

وعلى ذلك: فقد ساهم علم الكلام في إفساد البيئة التي جملها الصحابة والتابعون بأزهار العقيدة الصحيحة، وأدى بمعتنقيه إلى ارتكاب البدع المضلات، وتفتيت الجهود، وبث الاضطرابات والفتن؛ كونه من قبيل البدع الطارئة على الفكر الإسلامي، في مجال كفاه القرآن والسنة[7].

---

(1) انظر: حقيقة البدعة وأحكامها (60/2).

(2) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة ص8.

(3) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، ص473، ط(2)، دار العصيمي للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

(4) انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري ص334. وانظر: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله الجلعود، (465/2)، ط(1)1407هـ-1987م، دار اليقين للنشر والتوزيع- المنصورة- مصر. وانظر: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص195، ط: السنة الحادية عشرة- العدد الرابع- 1418هـ-1998م، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية. وانظر: الحث على إتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرها، عبد المحسن بن حمد البدر، ص52، ط(1)1425هـ، مطبعة سفير- الرياض- السعودية.

(5) جامع بيان العلم وفضله (942/2).

(6) انظر: درء تعارض العقل والنقل (309/1). وانظر: التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين ص183. وانظر: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص107.

(7) انظر: تحريم النظر في كتب الكلام ص49. وانظر: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص74.

فإن كل من ناصر أهل الكلام، فقد ناصر الابتداع في الدين، وساهم في تخريب عقيدة الصحابة والتابعين، وقد قال الإمام مالك: ""إياكم والبدع"، قيل: "يا أبا عبد الله، وما البدع؟" قال: "أهل البدع: الذين يتكلمون في أسماء الله، وصفاته، وكلامه، وعلمه، وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان""[1]؛ ولذلك "كان الخوض فيه بالكلية من البدع"[2].

فكل هؤلاء لا يحققون التوحيد؛ فإن تحقيق التوحيد: تهذيبه، وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع الاعتقادية العملية، ومن المعاصي التي تكدر التوحيد، وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره [3].

فبان أن: كل من لزم غير مذهب السلف، فقد أعان على نشر البدع، وهدم الإسلام.

---

(1) شرح السنة للبغوي (217/1).

(2) درء تعارض العقل والنقل (186/7).

(3) القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص28 بتصرف، ط(2)1421هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية.

المطلب الثاني
إثارة الشبهات والفتن

إن المقارنة بين العقيدة الصحيحة وعقائد المتكلمين، تُشعر الإنسان لأول وهلة بالبون الشاسع بينهما، فالعقيدة الصحيحة قامت على أسس راسخة، وبيِّنات واضحة، وهي توطن أبناءها على رسوخ الإيمان، خلافًا للعقائد الأخرى، فإن أسسها لا تقوى على حملها، ولا ترقى لتثبيت الإيمان في نفوس أفرادها.

قال الشيخ صالح الفوزان: "وهكذا يجب أن تبنى العقائد على أدلة الكتاب والسنة، وعلى النظر في آيات الله الكونية؛ من أجل أن ترسخ وتثبت في القلب، وتزول جميع الشبه، وأما العقائد المبنية على الشبهات، وعلى الشكوك، وعلى أقوال الناس، والتقليد الأعمى، فإنها عقائد زائلة، لا تثبت، وهي عرضة للنقض، وعرضة للإبطال، فلا تثبت العقيدة، ولا سائر الأحكام الشرعية إلا بأدلة الكتاب والسنة، وبالأدلة العقلية المسلمة"[1].

وفي ضوء ذلك: فإنه لا بد أن تحرر الدلائل العقلية من الشبهات والشكوك[2]، أما إذا لم تحرر، فإنها تُفسد العقيدة، وتُحير العقول، وتُذبذب الإيمان، وهذا هو الحاصل في علم الكلام، فإنه يفضي إلى الشبهات والشكوك[3]، وهو الهدف المنشود من كل الحركات، والمذاهب الهدامة[4].

قال أبو حامد الغزالي: "أما مضرته (علم الكلام): فإثارة الشبهات، وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك مما يحصل في الابتداء، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق"[5].

ولهذا: كان المنتسبون إلى علم الكلام أكثر الناس شربًا للشبهات، وهم أكثر الناس تصديرًا لها، منها كان انحرافهم، وإليها كان مآلهم، قال ابن القيم: "ما على الشريعة أضر من مبتدعة المتكلمين، يفسدون العقول بتوهمات وشبهات تشبه المعقول"[6].

---

(1) شرح الأصول الثلاثة ص94-95.

(2) انظر: الوحي والإنسان (قراءة معرفية)، محمد السيد الجليند، ص99، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر.

(3) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص95.

(4) انظر: موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديمًا وحديثًا، محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني، ص30، ط(1)1411هـ، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع- الطائف- السعودية.

(5) قواعد العقائد ص99-100.

(6) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (1346/4).

وبالفعل، فقد ساهم علم الكلام في إفساد العقيدة وانحرافها عن سبيلها، من خلال الشبهات التي يوقعها في القلوب، والتي جرَّت إلى الضلالات، فمن ذلك: اثارة شبهات متعلقة بالإيمان بوجود الله تعالى، حيث أعرضوا عن طريقة القرآن الكريم إلى طرق عقلية لا يصح استخدامها على الاطلاق، يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "لماذا نقول للمسلم الخالي الذهن من الشبهات والشكوك، لو لم يكن للعالَم إله للزم الدور أو التسلسل[1]، وكل منهما باطل، فما أدى إليه، وهو عدم وجود الإله باطل – فثبت نقيضه، وهو أن للعالَم إلهًا – ثم نحاول أن نفهمه معنى الدور والتسلسل والبرهان على بطلانهما، وما أصعبه مركبًا وأبعده مطلبًا! وقد رأينا كثيرين من المتصدرين لتدريس علم الكلام يذكرون ما كتب من الاستدلال على بطلان الدور والتسلسل، وهم لا يفهمون ما يقولون"[2].

ولئن كان الإنسان معرضًا لتأثير الشبهات في معتقده، فإن الإمام ابن القيم قد أوصى فقال: "نصيحتي لإخواني من المؤمنين الموحدين: أن لا يقرع أبصار قلوبهم كلامُ المتكلمين، وأن يقفوا على النصوص؛ فذلك أولى من شبهات المتخيلة المتوهمة، الذين كان غاية أمرهم الشكوك"[3].

ونراه يتوج هذه المعاني السامية من خلال قصيدته النونية، حيث يقول فيها:

ورأيتُ حوضَ الكوثر الصافي الذي لا زال يشخُبُ[4] فيه ميزابانِ[5]

ميزابُ سنته وقولُ إلهه وهما مدى الأيام لا يَنِيَانِ[6]

والناس لا يردونه إلا من الـــ آلاف أفرادًا ذوي إيمانِ

وردُوا عِذَاب مناهلٍ أَكْرِم بها ووردْتُمُ أنتم عَذَاب هوانِ[7]

---

(1) الدور هو: توقف الشيء على ما يتوقف عليه، مثل: لا يوجد هذا إلا مع هذا، ويسمى الدور المعي أو الإقتراني، وقد يراد به أنه لا يوجد هذا إلا بعد هذا، ولا هذا إلا بعد هذا وهو الدور البعدي. انظر: التعريفات ص105، أما التسلسل فهو: هو ترتيب أمور غير متناهية، وهو على أنواع تسلسل في الآثار والشروط، والتسلسل في الفاعلين والعلل الفاعلة، والأخيران ممتنعان. انظر: التعريفات ص57.

(2) مجلة المنار، مجلد (11)، ص936، ذو الحجة 1326هـ، مقال بعنوان: رحلة صاحب المنار في سوريا، بدون طبعة أن ناشر.

(3) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (1346/4-1347) بتصرف.

(4) "يَشخبُ": بضم الخاء وفتحها، بمعنى: يصب بصوت وقوة، كما في شَخْب اللبن من الضَّرْع. انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض اليحصبي السبتي، أبو الفضل، (245/2)، المكتبة العتيقة– تونس، ودار التراث– القاهرة– مصر، بدون طبعة.

(5) "مِيْزابان": مجريا ماء. انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (48/3)، ط(2)، دار المعرفة–بيروت– لبنان.

(6) "لا يَنِيَان": لا يزالان. انظر: تهذيب اللغة (398/15).

(7) القصيدة النونية ص143-144.

حيث شبه الإمام ابن القيم مصدر الشريعة بحوض النبي ﷺ، الذي يصب فيه ميزابان، وهما: القرآن والسنة، المحفوظان بحفظ الله ﷻ، والمشتملان على طريق الهداية لمن رَامَهَا، وهذا الحوض لا يرِدُهُ إلا أهل السنة، فيشربون منه ماءً حلوًا عذبًا، أما أهل البدع فإنهم يُذادون عنه، ويَرِدون الشكوك والحيرة وهي العذاب بعينه؛ بل ربما تفضي إلى العذاب الأكبر- نعوذ بالله من موجبات غضبه-[1].

فإذا تمسك الإنسان بالكتاب والسنة، كان ذلك عاصمًا له من الشكوك والشبهات، ومثبتًا لقدمه في الإيمان، أما إذا لم يقنع بذلك، وعصفت به الشبهات من كل الجهات، فقد ساء توحيده، ونقص إيمانه، قال الإمام الطحاوي: "فإنه ما سلِم في دينه إلا من سلَّم لله ﷻ، ولرسوله ﷺ، وردَّ علمَ ما اشتبه عليه إلى عالمه"[2].

ولأجل هذا: كان لا بد من مقارعة الشيطان، وجهاده، وذلك بدفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان؛ ليتحقق الإيمان في قلبه[3]، فالإيمان الصحيح يدفع الشبهات[4].

قال ابن القيم: "الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر، ما زالت يقينه، ولا قدحت فيه شكًا؛ لأنه قد رسخ في العلم؛ فلا تستفزه الشبهات؛ بل إذا وردت عليه ردها حرس العلم، وجيشه مغلولة مغلوبة...وقال لي شيخ الإسلام ﷺ-وقد جعلت أورد عليه إيرادًا بعد إيراد-: "لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها، فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها، ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلَّا: فإذا أَشربت قلبك كل شبهة تمر عليها، صار مَقَرًا للشبهات"، فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك؛ وإنا سميت الشبهة شبهة؛ لاشتباه الحق بالباطل فيها"[5].

وبذلك: يكون المنتحلون لمذهب غير السلف، قد فتحوا أبواب الشبهات على الناس، في داء لا يُرجى شفاؤه إلا بالعلم.

---

(1) انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (74/2). وانظر: التعليق المختصر على العقيدة النونية ص576.

(2) تخريج العقيدة الطحاوية ص43، فقرة رقم: (35).

(3) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، (10/3)، ط(27)1415هـ-1994م، مؤسسة الرسالة- بيروت – لبنان، مكتبة المنار الإسلامية- الكويت.

(4) الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، عبد الرحمن بن ناصر، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ص40 بتصرف، ط(1)1419هـ-1998م، أضواء السلف- الرياض- السعودية.

(5) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (140/1).

المطلب الثالث
رواج العقائد الكلامية

على الرغم من ذم السلف لعلم الكلام، ومحاربته، والتحذير منه، إلا أنه لقي انتشارًا كانتشار النار في الهشيم، حتى بلغ صيته أرجاء العالم الإسلامي كله، وراجت أفكاره شرقًا وغربًا، وصار يمثل الوجهة الأساسية للعقيدة الاسلامية.

ولقد ساهم اعتناق المذاهب الكلامية، والتأثر بها، في تكثير سوادها، ونشرها، وسيادتها في بعض الأحيان، "حتى غصّت بلاد العالم كله بمختلف الطوائف والفرق"[(1)]؛ بل وأصبح من كان ذامًا له من قبلُ (السلف وأصحاب الحديث) موضع سخرية، وهمز، ولمز، وانتقاص؛ بسبب ذلك[(2)].

ولعل تأثير الانتقال إلى غير مذهب السلف في رواج المذاهب الكلامية، يتمحور في:

أولًا: الدعوة إلى المذهب، والعمل على نشره:

وقد حمل هذا العبء التلاميذ المخلصون لمذاهبهم الكلامية، حيث عملوا على نشر أفكارهم، وترويجها، والدفاع عنها، كما فعل أتباع الإمام أبي الحسن الأشعري[(3)].

ثانيًا: التأليف في عقيدة المذهب:

وهي صورة من صور الدعوة إلى المذهب، ونصرته، فلم يكن المعتنقون للمذاهب الكلامية مجرد منتسبين؛ بل كانوا مؤلفين ودعاة إلى مذاهبهم الكلامية؛ ولذلك ألفوا الكتب العديدة، وتخرج على أيديهم عدد كبير من التلاميذ[(4)].

إن هذه الكتب التي ألفها المتكلمون لهي من أعظم المصائب التي ابتليت بها الأمة؛ فإنها لا تفنى بفنائهم؛ بل إنها تبقى نبراسًا لأتباعهم، وسراجًا لمن رام الهداية على طريقتهم؛ ولذلك: نجد شيخ الإسلام يمدح العائدين منهم إلى مذهب السلف، ولكنه لا يغفل عن التراث الخطير الذي خلفوه للأمة، حيث قال: "وأما اعتراف المتكلمة من الإسلاميين: فكثير، قد جمع العلماء فيه شيئًا، وذكروا رجوع أكابرهم عما كانوا يقولونه، وتوبتهم، إما عند الموت، وإما قبل الموت، وهذا من أسباب الرحمة – إن شاء الله تعالى– في هذه الأمة؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن

---

(1) انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي البشاري، ص323–324، ط(3)1411هـ–1991م، دار صادر– بيروت– لبنان.

(2) أثر علم الكلام على المنتسبين إليه وموقف أهل السنة والجماعة وكبار المتكلمين منه ص90.

(3) انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري ص117–118.

(4) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (502/2–503).

السيئات، وهذا أصح القولين في قبول توبة الداعي، لكن بقاء كلامهم، وكتبهم، وآثارهم، محنة عظيمة في الأمة، وفتنة عظيمة لمن نظر فيها، ولا حول ولا قوة إلا بالله"[1].

إن هذا الانتشار الواسع لعلم الكلام، لا يشفع له صوابه، ومصداقيته، فمهما بلغ علم الكلام، فلن تحقق له الرياسة والسيادة؛ وذلك لأمور:

أولًا: أن علم الكلام قد ثبت بطلانه بإجماع السلف:

إن "مناهج المتكلمين العقلية، مذمومة في جملتها من جانب السلف؛ لأنها بلغت بهم إلى حد تمجيد العقل، وجعله مهيمنًا حتى على النص، وما خالفه من نصوص أولوها؛ لتوافق تصور العقل"[2]، هذه المسألة مما لا يختلف عليها اثنان من أهل الحق.

وقد تواترت أقوال السلف في ذم الكلام وأهله، فمن ذلك: ما روي عن الإمام الشافعي، أنه قال: "لأن يلقى اللهَ العبدُ بكل ذنب ما خلا الشرك بالله، خير من أن يلقاه بشيء من هذه الأهواء"[3].

وقال: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام"[4]، فإذا كان هذا حكمه فيمن أعرض عنهما، فكيف حكمه فيمن عارضهما بغيرهما؟!![5].

ثانيًا: أن علم الكلام قد بان بطلانه باعترافات أهله المتكلمين:

أقرَّ علماء الكلام بما في هذا الفن من الإشكالات، والمسائل المحيِّرات؛ بل إنهم شهدوا على اتفاق السلف على ذم الكلام، واعتبارهم له من الطرق المبتدعة، المذمومة، المخالفة للشرع[6].

ثالثًا: أن السلف ذادوا عن عقيدتهم، وقارعوا علم الكلام وأهله بالحجة والبرهان:

"لا شك أنه كانت لعلماء السلف في كل زمن جهود مشكورة في الدفاع عن عقيدة السلف، والرد على خصومها"[7]، حيث إنهم دعوا إلى الالتزام بالعقيدة الصحيحة، وتحري آثار

---

(1) الاستقامة (1/79-80).

(2) الإيمان بين السلف والمتكلمين ص10-11.

(3) مناقب الشافعي للبيهقي (1/460). الحجة في بيان المحجة (1/224).

(4) مناقب الشافعي للبيهقي (1/462). وانظر: ذم الكلام وأهله (4/246).

(5) جامع المسائل، لابن تيمية، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، (3/206)، ط(1)1422هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع- مكة المكرمة- السعودية.

(6) انظر: درء تعارض العقل والنقل (7/274-275). وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/865)، (2/892).

(7) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (1/9).

الكتاب والسنة فيها، كما قال ابن القيم: "ومن فارق الدليل، ضل عن سواء السبيل، ولا دليل إلى الله والجنة، سوى الكتاب والسنة، وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة، فهي من طرق الجحيم، والشيطان الرجيم"[1].

وقال ابن أبي العز الحنفي: "كيف يرام الوصول إلى علم الأصول بغير إتباع ما جاء به الرسول ﷺ؟!"[2].

وبهذا: يعمل السلف في كل زمان ومكان على تقويض جهود المتكلمين في نشر مذاهبهم، وترويجها كبديل عن عقيدة السلف.

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (439/2).

(2) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص76.

المطلب الرابع
اضطهاد علماء السلف

لم يكتفِ المتكلمون بما جنوه على أنفسهم، وبيئاتهم؛ بل تعدى الأمر إلى أبعد من ذلك، فقد جعلوا السلف محط رميهم، وذمهم، فنالوا منهم، وأسسوا العقلاقة معهم على أساس من البغض والمعاداة، وبذلك تشكلت معالم الصورة السيئة بين السلف والمتكلمين، والتي كانت من تقريراتهم وتصرفاتهم؛ "مما جعل الصورة قاتمة عند أتباع المتلكمين، ومن يقلدهم، أو يعظمهم، من الخلفاء، أو الوزراء، أو الوجهاء، فضلًا عن العامة"[(1)].

وليس لنا أن نغفل عن الصورة التي رسمها السلف تجاه علم الكلام، وأهله، فقد ذموه، وحرضوا على أهله، وحذروا الناس منهم، وأبغضوهم، وأزالوا اللثام عن حقيقتهم، وذلك باجماع منهم، فقد جعل الامام ابن عبد البر حديث كعب بن مالك، وهجر النبي ﷺ له والمسلمون[(2)]، أصلًا في مجانبة من ابتدع، وهجرته، وقطع الكلام عنه[(3)].

قال ابن أبي زَمَنِين[(4)]: "ولم يزل أهل السنة يعيبون أهل الأهواء المضلة، وينهون عن مجالستهم، ويخوفون فتنتهم، ويخبرون بخَلاقهم، ولا يرون ذلك غيبة لهم، ولا طعنًا عليهم"[(5)]، وهم "على هذا مجمعون، متفقون على معاداة أهل البدع، ومهاجرتهم"[(6)].

---

(1) أثر علم الكلام على المنتسبين إليه وموقف أهل السنة والجماعة وكبار المتكلمين منه ص290.

(2) وهو حديث طويل، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة:**118**]، (70/6)، رقم: (4677). ومسلم في صحيحه، كتاب: التوبة (49)، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (9)، (2120/4)، رقم: (2769).

(3) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (87/4).

(4) هو: محمد بن عبد الله بن عيسى المري، أبو عبد الله، فقيه مالكي، من الوعاظ الأدباء، من أهل إلبيرة، من مصنفاته: تفسير القرآن، حياة القلوب، توفي سنة: (399هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (188/17-189)، ترجمة رقم: (109).

(5) أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، لابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، ص293، ط(1)1415هـ، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة النبوية- السعودية.

(6) شرح السنة للبغوي (227/1) بتصرف.

والناظر في أمر الفريقين، لا بد أن يلحظ الفروق بينهما، فأهل السنة إنما ذموا علم الكلام؛ "لاشتماله علي معان باطلة، مخالفة للكتاب والسنة، ومخالفته للعقل الصريح، وكل ما خالف الكتاب والسن فهو باطل قطعًا"[1].

في حين نجد أن المسوِّغ لعلماء الكلام في عدائهم للسلف: الجهل بعقيدتهم، والجهل بالكتاب والسنة، وليس ذلك بالمستغرب عليهم؛ لأنهم لم يقصدوا دراستهما، ولم يفكروا في الاستدلال بهما، إلا من جهة التأويل، والتحريف.

قال شيخ الاسلام: "ولم يكن الواحد من هؤلاء يعرف البخاري ومسلمًا، وأحاديثهما، إلا بالسماع، كما يذكر ذلك العامة، ولا يميزون بين الحديث الصحيح المتواتر، عند أهل العلم بالحديث، وبين الحديث المفترى المكذوب، وكتبهم أصدق شاهد بذلك، ففيها عجائب"[2]؛ "بل يذكر أحدهم في المسألة عدة أقوال، والقول الذي جاء به الكتاب والسنة لا يذكرونه؛ وليس ذلك لأنهم يعرفونه ولا يذكرونه؛ بل لا يعرفونه"[3]، "ويكون كل ما ذكروه أقوالًا فاسدة، مخالفة للشرع والعقل"[4].

أما ما كان من ألئك المنتقلين للمذاهب الكلامية، بعد أن دانوا لله ﷻ بعقيدة السلف، فهم ليسوا على جهل بها، ولكنْ: طحنتهم الأهواء، ورجتهم زجاجات الفتن والشبهات، واقتحمتهم أسيلة البيئة، فالتحموا بأهل الكلام، وكانوا على علاقة بالسلف، بحسب قربهم وبعدهم منها، فمجهم أهل السنة، وأقاموا عليهم الحجة.

وقد اتخذت المعاداة من جانب أهل الكلام لعلماء السلف صورًا متعددة، مثلت صورًا للاضهاد، والمعاداة، والبغض الأعمى، وهي:

أولًا: كيل الشتائم والألقاب:

إن "خصوم أهل السنة نادرًا ما يذكرونهم باسم أهل السنة، أو أهل الحديث، أو غير ذلك من الأسماء المرضية عند أهل السنة، فقد درجوا على الإشارة إليهم في كتبهم وأقوالهم بألقاب وأسماء ابتدعوها من عند أنفسهم؛ بقصد الحط والتشنيع عليهم وعلى مذهبهم"[5].

---

(1) درء تعارض العقل والنقل (232/1-233).

(2) مجموع الفتاوى (71/4-72).

(3) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (268/5).

(4) درء تعارض العقل والنقل (67/9).

(5) وسطية أهل السنة بين الفرق ص126.

قال الإمام أحمد: "وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء قبيحة شنيعة، يسمون بها أهل السنة؛ يريدون بذلك الطعن عليهم؛ والإزراء[1] بهم عند السفهاء والجهال"[2]، ولا نشك في كذبهم، فهم أولى بذلك من أهل الحق، فالحمد لله على نعمة الهداية[3].

قال مجاهد[4]: "لا أدري أي النعمتين علي أن هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء"[5]، وقال الشعبي: "إنما سموا أصحاب الأهواء؛ لأنهم يهوون في النار"[6].

فمن تلك الألقاب التي يطلقونها على أهل السنة: المجسمة، المشبهة، الحشوية، الشكاكة، المجبرة، المخالفة، العامة، وغير ذلك من الألقاب[7].

ثانيًا: التعرض لهم بالأذى:

لم يسلم أهل السنة من بطش المتكلمين، وأذاهم، حيث ساهم ذلك في احداث الفرقة داخل الأمة المسلمة، قال ابن الحاج القِنَاوي[8]: "وسألت بعض العلماء العارفين: ما هذه الفرقة التي زادت في فرق أمة محمد ﷺ؟ فقال: "رأيت في كلام المحققين، الباحثين، العرافين، أن هذه الفرقة

---

(1) "الإزراء": الاحتقار والانتقاص. انظر: لسان العرب (356/14).

(2) السنة، للإمام أحمد بن حنبل، تصحيح: إسماعيل الأنصاري، ص40، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالسعودية، بدون طبعة.

(3) انظر: إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلى، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، (46/1)، دار إيلاف الدولية – الكويت، بدون طبعة.

(4) هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم تابعي، مفسر من أهل مكة، قرأ القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث مرات، استقر بالكوفة، له مصنف في التفسير، توفي سنة (104هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (449/4-457)، ترجمة رقم: (175).

(5) أخرجه الدارمي في سننه، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، كتاب: العلم، باب: في اجتناب الأهواء، (344/1)، رقم: (317)، ط(1)1412هـ-2000م، دار المغني للنشر والتوزيع- السعودية، **(قال الداراني: إسناده ضعيف)**.

(6) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب: العلم، باب: باب اجتناب أهل الأهواء، والبدع، والخصومة، (391/1)، رقم: (416)، **(قال الداراني: إسناده حسن)**.

(7) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق ص126-146.

(8) هو: شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة، أبو الحسن، ضياء الدين، أديب، من العلماء، مولده بقِفْط، عمي في كبره، له تصانيف، منها: الإشارة في تسهيل العبارة، المعتصر من المختصر، توفي سنة: (599هـ). انظر: الأعلام (181/3).

الزائدة في هذه الأمة: قوم يتعرضون العلماء، ويعادون الفقهاء، ولم يكن ذلك قط في الأمم السالفة"، ففتشت، فوجدت ذلك صحيحًا"[1].

والذين يغلب عليهم هذا الوصف، هم الأمراء من المتكلمين، حيث ساهم الكثير منهم في تعذيب أهل السنة، والتنكيل بهم، أما عموم المتكلمين فكانوا واقفين على حبل المناصرة، وأعظم دليل على ذلك: ما حدث في القرن الثالث الهجري من امتحان العلماء، في الفتنة المشهورة بـــ"فتنة خلق القرآن"، حين دعا المأمون للقول بخلق القرآن؛ بل وفرضه، وأكره الناس عليه، إلى أن أفضت الخلافة إلى المتوكل، حيث أمر بترك هذا القول المبتدع، ونبذ قائله، وأظهر السنة[2].

وهذه المحنة التي وقعت لأهل السنة، كانت مع طوائف كلامية متعددة، وليست مقصورة على المعتزلة، كما نبّه إلى ذلك شيخ الاسلام[3].

ولقد سجل التاريخ موقف أعظم رجل صبر على تلك المحنة، وهو الإمام أحمد الذي "تعرض لأصناف التعذيب وأنواع التهديد والتنكيل ما لم يتعرض لمثله أحد"[4].

ولم يزل أهل الباطل في كل زمان ومكان ينتهزون الفرص لا ضطهاد أهل السنة، والنيل منهم، مستخدمين في كل ذلك كل ما أمكنهم من الوسائل والأساليب، ومن هنا: كان الواجب على الأتباع أن لا ينصروا أهل الباطل؛ لما في ذلك من الخروج عن الحق، ورضًا على طمسه، وإعلاءً لكلمة الباطل.

---

(1) حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، شيث بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن الحاج القناوي، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ص95، ط(1)1405هـــ، مؤسسة الكتب الثقافية– بيروت– لبنان.

(2) انظر: سيرة الإمام أحمد بن حنبل، صالح بن الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: د/ فؤاد عبد المنعم أحمد، ص49–65، ط(2)1404هـــ، دار الدعوة – الاسكندرية– مصر.

(3) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (603/2–604).

(4) الرد على الجهمية والزنادقة ص34.

ثانيًا: الآثار الاجتماعية

المطلب الأول

حدوث الفرقة والاختلاف

إن من أهم ما يميز أهل السنة والجماعة: وحدة الاعتقاد، وهذا يعني: اتفاقهم في العقيدة، وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان، وهذه الوحدة الفكرية لها مؤصلة من خلال القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

فلقد أرشد الله ﷻ إلى الوحدة، وعدم الاختلاف والتنازع، حيث قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:103].

قال ابن كثير: "وقد ضُمنت لهم العصمة، عند اتفاقهم من الخطأ، وخِيف عليهم الافتراق، والاختلاف"[1].

وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى الاتفاق، وعدم الاختلاف، حيث يقول النبي ﷺ في حديث العِرْباض بن سارية رضي الله عنه: **[فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذِ[2]، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة][3].**

---

(1) تفسير ابن كثير (90/2).

(2) "النواجذ": الأضراس، أراد به: الجد في لزوم السنة، كفعل من أمسك الشيء بين أضراسه، وعضّ عليه؛ منعًا من أن ينتزع، أو الصبر على ما يصيب من التعب في ذات الله، كما يفعل المتألم بالوجع يصيبه. حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)، محمد بن عبد الهادي التتوي السندي، (20/1)، دار الجيل – بيروت– لبنان، بدون طبعة.

(3) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب: العلم عن رسول الله (39)، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (16)، ص603، رقم: (2676).

وأبو داود في سننه (واللفظ له)، كتاب: السنة (34)، باب: في لزوم السنة (6)، ص691، رقم: (4607).

وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (6)، ص20، رقم: (42). **(قال الألباني: صحيح).**

يقول الشيخ فيصل المبارك[1]: "وفي الحديث: التمسُّك بالسنَّة في الاعتقاد، والأعمال، والأقوال، والتحذير من البِدع، وهي ما أُحْدث في الدين مما لا أصل له في الشريعة"[2].

ولكن النبي ﷺ أخبر بوقوع الاختلاف في الأمة، حيث يقول النبي ﷺ: **[إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة- يعني: الأهواء-، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة]**[3].

قال المُنَاوي[4]: "واعلم أن جميع المذاهب التي فارقت الجماعة، إذا اعتبرتها، وتأملتها، لم تجد لها أصلًا؛ فلذلك سموا فرقًا؛ لأنهم فارقوا الإجماع"[5].

والسبب الحقيقي لذلك الاختلاف: إتباع الأهواء، والأخذ بعلم الكلام المذموم، والتعويل على العقول، واتهام النقول، وعدم التعويل عليها في أمور العقيدة، وقد ثبت عن الرسول ﷺ من حديث أنس بن مالك ﷺ، في حديث طويل، أنَّه قال: **[فمن رغب عن سنتي فليس مني]**[6]"[7]؛ فالنجاة لا تتأتى إلا بالتمسك بالكتاب والسنة.

---

(1) هو: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك النجدي، قاض حنبلي، من كبار العلماء، ولد ونشأ بالرياض، من كتبه: الحجج القاطعة في المواريث الواقعة، مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد، توفي سنة: (1376هـ). انظر: الأعلام (168/5).

(2) تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل النجدي، تحقيق: د/ عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، ص128، ط(1)1423هـ-2002م، دار العاصمة للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب: السنة (34)، باب: شرح السنة (1)، ص689، رقم: (4596). والإمام أحمد في مسنده، من حديث معاوية بن سفيان ﷺ، (134/28-135)، رقم: (16937). **(قال الألباني: حسن صحيح).**

(4) هو: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين، القاهري، زين الدين، من كبار العلماء بالدين والفنون، انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، من مصنفاته: عماد البلاغة، اليواقيت والدرر، توفي سنة: (1031هـ). انظر: الأعلام (204/6).

(5) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين المُنَاوي، تعليق: ماجد الحموي، (20/2)، ط(1)1356هـ، المكتبة التجارية الكبرى- مصر.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، رقم: (5063). ومسلم في صحيحه، كتاب: النكاح (16)، باب: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم (1)، رقم: (1401).

(7) الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي ص32.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران:106]: "تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدع والضلالة"[1].

ولما كان المتكلمون قد انحرفوا عن الكتاب والسنة، كان اختلافهم مذمومًا، وجمعهم مخذولًا، بخلاف أهل الحق، قال شيخ الإسلام: "وقد تدبرتُ كتب الاختلاف التي يذكر فيها مقالات الناس...فرأيتُ عامة الاختلاف الذي فيها من الاختلاف المذموم، وأما الحق الذي بعث الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وكان عليه سلف الأمة فلا يوجد فيها في جميع مسائل الاختلاف"[2].

وهذا الاختلاف في الدين، هو الاختلاف الذي يكون به تضليل بعضهم بعضًا ومعاداة بعضهم لبعض، ثم بعد ذلك يكون القتال وشدة التفرق[3].

ولذلك مثَّل علم الكلام السبب الأعظم في اختلاف الأمة وتفرقها، فكل من كان أكثر إيغالًا في الكلام، وأبعد عن منهج السلف، كان أعظم فرقة واختلافًا[4].

وفي ذلك يصرح شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: "فليتدبر المؤمن العالم كيف فرق هذا الكلام المحدث المبتدع بين الأمة، وألقى بينها العداوة والبغضاء"[5].

وقال الشاطبي: "ومن طِماح النفوس إلى ما لم تكلف به نشأت الفرق كلها أو أكثرها"[6]، وهذا يعني أن من أكبر الآثار التي جنتها الأمة المسلمة من علم الكلام يتمثل في التفرقة والاختلاف؛ لأن غالب ما عليه المتكلمون هو من قبيل الاختلاف المذموم.

ومن خلال ما تقدم: فقد كان للعدول عن منهج السلف، إلى مناهج المتكلمين الأثر البالغ في نشر الفرقة والاختلاف بين المسلمين، ووقع ما أخبر به النبي ﷺ، فتشعبت الأمة إلى طوائف، فكم شرخت مجالس العلم والسنة، وتفرقت إلى غير الهدى؛ نتيجة لأهواء المتكلمين؛ وانتحال المنتحلين مذاهبهم.

---

(1) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، (291/2)، دار الفكر– بيروت– لبنان، بدون طبعة.

(2) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (268/5).

(3) ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، عبد الله بن محمد الغنيمان، ص15، ط: السنة السابعه عشرة (العدد: الخامس والستون، السادس والستون) محرم– جماد الأخرة 1405هـ–1985م، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة– السعودية.

(4) انظر: مجموع الفتاوى (51/4–52).

(5) درء تعارض العقل والنقل (306/2).

(6) الموافقات (143/2).

خلاصة المبحث:

يتضح من هذا المبحث أن: الانتقال إلى غير مذهب السلف ساهم في تكثير سواد المتكلمين، فكان لذلك الكثير من الآثار العلمية، والاجتماعية، والتي انعكست على المجتمع بأكمله، والتي كان منها: عموم الفرقة، وانتشار البدع، ورواج الشبهات، والمذاهب الكلامية، في إشارة من هذه الآثار إلى انتقاص عقيدة السلف، ونبذ علمائها؛ نصرة لمذاهبهم الكلامية.

علمًا بأن هذه الآثارة ليست على سبيل الحصر، فهناك آثار عديدة، كانتشار المدارس الكلامية، وكثرة المناظرات والمحاورات العلمية والتأليف.

المبحث الثاني
الآثار العلمية والاجتماعية للانتقال إلى مذهب السلف

أولًا: الآثار العلمية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إقامة الحجة وبيان المحجة.

المطلب الثاني: تعزيز اعتقاد السلف واظهاره.

المطلب الثالث: التأكيد على بطلان اعتقاد المتكلمين.

المطلب الرابع: دحض الشبهات ودفع التشكيكات.

ثانيًا: الآثار الاجتماعية.

وفيه مطلب واحد:

المطلب الأول: تحسين المكانة الاجتماعية.

المبحث الثاني

الآثار العلمية والاجتماعية للرجوع إلى مذهب السلف

إن الانتقال إلى مذهب السلف والعدول عن المناهج الكلامية أمر محمود في نتائجه وعواقبه، سواء كانت تلك العواقب والنتائج دنيوية، أم كانت أخروية؛ فإن الله ﷻ يتجاوز ويعفو لمن رام الهداية، وأعلن التوبة.

أما النتائج الحاصلة في الدنيا فقد ظهرت، فهؤلاء المتكلمون ما ابتغوا سبيل العقيدة الصحيحة إلا حينما أدركوا فضلها وثمارها، وحُسن عاقبتها، فلما استقر ذلك في قلوبهم، وسقوه بماء الصدق واليقين، أثمر ثمرًا طيبًا نافعًا.

وهذا الثمر الطيب النافع لم تكن محصورًا بركته في أشخاص المتكلمين الذين كانوا متأثرين بالمذاهب الكلامية، والطرق المجانبة للصواب؛ بل انعكس ذلك بخير وافر على الناس، والمجتمع بأكمله، فهذا العدول يعني في حد ذاته: اقامة الحجة على كل من انتسب إلى المذاهب الكلامية، فوجب عليه أن يحذر من الوصول إلى مثل العاقبة التي حصلت للمتلكمين، وهو يعني في الوقت ذاته: تعزيز لعقيدة السلف، وحماية لجنابها، وابطال للمناهج المخالفة لها.

إضافة إلى ذلك: فقد اهتم الناس بشأنهم، وأعطوهم من الفضل، والاحترام، والتقدير، والمكانة ما هم أهل له، فجُليت برجوعهم الشبهات، وبان الحق، وظهر أمر الله ﷻ، وكثير من المتكلمين كارهون.

وهذا المبحث فيه بيان وتفصيل لهذه الآثار الحميدة على عقيدة أهل السنة، وعلى المجتمع بشكل عام، والله المُستعان.

أولًا: الآثار العلمية

المطلب الأول

إقامة الحجة وبيان المحجة

إن من رحمة الله ﷻ وفضله أنه لا يؤاخذ مخطئًا إلا بعد قيام الحجة عليه، سواء كان المخطئ جاحدًا أو متؤلًا، وهو ﷻ قد تكفل بذلك، فأوضح الأحكام، وبسط العقيدة، ويسرها، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:15]، ومراده ﷻ أن يقول: إن "مقتضى العدل، والحكمة، والرحمة: أننا لا نعذب أحدًا في الدنيا، أو الآخرة، على فعل شيء أو تركه إلا بعد إنذار، ولا نعاقب الناس إلا بعد إعذار، وبعث الرسل إليهم؛ لإقامة الحجة عليهم، بالآيات المبينة للأحكام، والحلال، والحرام، والثواب، والعقاب"[1].

وقال ﷻ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:165]، قال الشيخ السعدي: "وهذا من كمال عزته تعالى وحكمته: أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وذلك – أيضًا– من فضله وإحسانه، حيث كان الناس مضطرين إلى الأنبياء أعظم ضرورة تقدر، فأزال هذا الاضطرار، فله الحمد وله الشكر، ونسأله كما ابتدأ علينا نعمته بإرسالهم أن يتمها بالتوفيق لسلوك طريقهم؛ إنه جواد كريم"[2].

وهذا هو الصواب: أن يبحث الانسان عن الطريق الموصل إلى الله ﷻ، وإلى الدار الآخرة، والتي لا تتم إلا عبر متابعة النبي ﷺ، وليس كما ذهب المتكلمون في ذلك.

والمتتبع لمنهج الاسلام الحنيف: يجد أنه قد أقام الحجة على المتكلمين، وهيأ لهم البساط؛ ليسلكوه إلى دار الفوز، فمنهم من أجاب، ومنهم من أخذه العناد بالضلال، وقد أقيمت الحجة على المتكلمين، في عقيدتهم، من خلال:

أولًا: وضوح منهج السلف:

مما لا شك فيه: أن العقيدة الاسلامية توقيفية، قائمة على الاتباع، فهي "مبنية على الدليل من كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه صحابته الكرام ﷺ وأرضاهم، فهي صافية نقية، واضحة جلية، ليس فيها غموض ولا تعقيد"[3].

---

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، (36/15)، ط(2)1418هـ، دار الفكر المعاصر – دمشق– سوريا.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص215.

(3) قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص30.

ولأجل هذا: كان أئمة السلف يأمرون ألا يقول الإنسان إلا الحق، لا يخرج عن السنة في حال من الأحوال، وهذا هو الصواب الذي أمر الله تعالى به ورسوله"[1]، وهم "يذمون ما كان من الكلام، والعقليات، والجدل باطلاً، وإن قصد به نصر الكتاب والسنة، فيذمون من قابل بدعة ببدعة، وقابل الفاسد بالفاسد، فكيف من قابل السنة بالبدعة، وعارض الحق بالباطل، وجادل في آيات الله بالباطل؛ ليدحض به الحق؟!"[2].

ثانيًا: كثرة تحذير السلف من علم الكلام، وعواقبه الوخيمة:

لم يألُ السلف جهدًا في التحذير من علم الكلام، وطرقه، ومن عواقبه الوخيمة، التي تفضي إلى الشك، الحيرة، والتذبذب في الاعتقاد، ولا سيما اذا كان ذلك وقت الاحتضار.

قال ابن القيم: "إن أئمة الإسلام، وملوك السنة، لما عرفوا أن طرق المتكلمين إنما تنتهي إلى هذا، وما هو شر منه، تنوعوا في ذمها، والطعن فيها، وعيب أهلها، والحكم بعقوبتهم، وإشهارهم، والتحذير منهم"[3].

وقد تضافرت أقوال الأئمة الأربعة في النهي عن الاشتغال بعلم الكلام، قال الإمام أبو حنيفة وقد سأله سائل: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: "مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة"[4]، وقال الإمام الشافعي: "لأن يلقى الله ﷻ الفرد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام"[5]، وقال الإمام أحمد: "إنه لا يفلح صاحب كلام أبدًا، تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل"[6]، وقال الإمام مالك: "أرأيت إن جاء من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد"[7]؛ ولذلك وجدنا من بعدهم من أهل العلم والفضل على نفس الوتيرة من ذم الكلام، والدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، قال ابن عبد البر: "أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في طبقات الفقهاء؛ وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم"[8].

---

(1) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (342/2).

(2) درء تعارض العقل والنقل (165/7). وانظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (1273/4). وانظر: الصفدية (163/1).

(3) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (1263/4).

(4) ذم الكلام وأهله (206/5).

(5) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (217/1).

(6) جامع بيان العلم وفضله (942/2)، أثر رقم: (1796).

(7) درء تعارض العقل والنقل (157/7).

(8) جامع بيان العلم وفضله (942/2).

وقال الذهبي- ناصحًا-: "اهربوا بدينكم من شبه الأوائل، وإلا وقعتم في الحيرة، فمن رام النجاة والفوز، فليلزم العبودية، وليدمن الاستغاثة بالله، وليبتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام، وأن يتوفى على إيمان الصحابة، وسادة التابعين، والله الموفق"[1].

ثالثًا: تراجعات المتكلمين:

لقد كان في رجوعات أئمة الكلام إلى مذهب السلف عبرة لكل من أراد الاعتبار، فكيف للأتباع أن يبقوا على مذاهب متبوعيهم، بعد أن تركوا مذاهبهم الكلامية، وتخلوا عنها؟! فعلى ذلك: يكون "رجوع هؤلاء الأكابر عن علم الكلام، بعد أن أفنوا أعمارهم فيه، لهو من أوضح الحجج على من دونهم"[2].

وليتهم يسمعون نصيحة أبي حامد الغزالي حين يقول: "إن الصحابة ﷺ كانوا محتاجين إلى محاجة اليهود والنصارى، في إثبات نبوة محمد ﷺ، وإلى إثبات البعث مع منكريه، ثم ما زادوا في هذه القواعد التي هي أمهات العقائد على أدلة القرآن، وما ركبوا ظهر اللُّجاج[3]، في وضع المقاييس العقلية، وترتيب المقدمات، وتحريم طرق المجادلة، وتذليل طرقها ومناهجها؛ ؛ كل ذلك لعلمهم بأن ذلك مثار الفتن، ومنبع التشويش، ومن لا يقنعه أدلة القرآن، لا يقمعه إلا السيف والسنان، فما بعد بيان الله بيان"[4].

لقد كانت عقيدة السلف واضحة كوضوح الشمس، وإن مآلات المتكلمين كانت تكفي في الاعتبار والعظة لهم؛ ولهذا نجد شيخ الإسلام ينكر أشد الإنكار على ما وصل إليه المتكلمون من الجهل، والضلال، وذم السنة، وموافقتهم لأهل البدع، وإعراضهم عن نصوص الكتاب والسنة[5].

وبذلك: فالحُجة مُقامة على المتكلمين؛ بوضوح الحق؛ وتراجع الأعلام الكبار عما خالفه، فـــ"لم يبق أمام أصحاب العقول السليمة، من المتأولة المعاصرين، بعد أن تبرأ كبار أئمتهم، وشيوخهم من هذه العقيدة الفاسدة، وحذروا منها، وأعلنوا رجوعهم عنها إلى معتقد السلف- إلا أن يراجعوا مذهبهم، ويرجعوا عنه إلى معتقد السلف؛ إذ لا عذر لأحد منهم، بعد أن أعلن أئمتهم المتبوعون رجوعهم إلى المعتقد الحق، وماتوا عليه"[6].

---

(1) سير أعلام النبلاء (328/19-329).

(2) القائد إلى تصحيح العقائد ص75.

(3) "اللُّجاج": الماء الكثير، أصله من "لجَّ"، وهو أصل صحيح يدل على تردد الشيء بعضه على بعض. انظر: معجم مقاييس اللغة (201/5). وانظر: القاموس المحيط ص203. والمراد: أنهم ما كلفوا أنفسهم جهدًا في تحرير قواعد المناظرات والمحاجات؛ لاستقائها من القرآن الكريم.

(4) إلجام العوام عن علم الكلام ص335-336.

(5) انظر: مجموع الفتاوى (467/12).

(6) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف (347/1).

المطلب الثاني
تعزيز اعتقاد السلف وإظهاره

لقد مثل العائدون إلى مذهب السلف ذخرًا هائلًا لعقيدة السلف، أكد للقاصي والداني: صواب عقيدة السلف؛ فما معنى أن يمكث أكابر العلماء طوال حياتهم في علم الكلام، ثم يعلنوا رجوعهم عنه، وعودتهم إلى مذهب السلف؟ معتبرين كل ما قضوا به حياتهم هباءً منثورًا؟

إن هؤلاء ما رجعوا إلا بعدما تبين لهم الحق، وعرفوا أن منهج السلف هو الأعلم والأحكم، فتمنوا أن يميتهم الله ﷻ عليه، وأن يحشرهم مع أئمة السلف، "المتبعون لكتاب ربهم –سبحانه–، المقتفون سنة نبيهم ﷺ، المتمسكون بآثار سلفهم، الذين أُمروا بالاقتداء بهم"[(1)].

ومن هنا فإن: عقيدة السلف التي يعتقدونها في قرارة أنفسهم، وقد عقدوا العزم على العمل بها، هي: جملة ما أخذوه عن كتاب الله، وسنة نبيه، وهو الاعتقاد الصحيح، والواقع الحق، الذي لا يزيغ عنه إلا هالك، بخلاف عقائد غيرهم، الذين خلطوا بعلم الكلام، وآراء الفلاسفة، فجاءت نتاجًا مشوهًا[(2)].

وكلما قرب الإنسان من مذهب السلف، كان أقرب في الفقه، والبصيرة، وأسلم في المنهج والحجة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كل من كان إلى طريق الرسالة والسلف أقرب، كان إلى موافقة صريح المعقول وصحيح المنقول أقرب"[(3)].

ولهذا: ينقل الإمام ابن القيم عن بعض المتكلمين تجربتهم في علم الكلام، وشربهم لحب عقيدة السلف، بعدما أنار الله بصيرتهم لها، وأيقنوا أنها الحق، الذي لا شك فيه.

قال الإمام ابن القيم: "وقال بعض الطالبين من المتأخرين، وقد سافر في طلب ربه على هذه الطريق، فلم يزدد إلا حيرة، وبعدًا من مطلبه، حتى قيض الله له من أخذ بيده، وسلك به على الطريق التي سلك عليها الرسل وأتباعهم، فجعل يهتف بصوته لأصحابه: هلموا، فهذه –والله– الطريق، وهذه أعلام مكة والمدينة، وهذه آثار القوم، لم تنسخها الرياح، ولم تزلها الأهوية، ثم قال:

وكنت وصحبي في ظلام من الدجى		نسير على غير الطريق ولا ندري

---

(1) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، عبيد الله بن سعيد السجزيّ، تحقيق: محمد با كريم با عبد الله، ص315، ط(2)1423هـ–2002م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة– السعودية.

(2) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (130/1).

(3) درء تعارض العقل والنقل (91/8).

وكنا حيارى في القِفَار[1] ولم يكن دليل لنا نرجوا الخلاص من القفر
ظِماء إلى ورد يبل غليلنا وقد قطع الأعناق منا لظى الحر
فما هو إلا أن تبدى لناظري سنا بارق يبدو كخيط من الفجر
فقلت لصحبي هل ترون الذي أرى فقالوا اتئد[2] ذاك السراب الذي يجري
فخلفتهم خلفي وأقبلت نحوه فأوردني عين الحياة لدى البحر
فناديت أصحابي فما سمعوا النِّدا ولو سمعوه ما استجابوا إلى الحشر[3]

وقال: "قال بعض المتكلمين: "أفنيت عمري في الكلام، أطلب الدليل، وأنا لا أزداد إلا بعدًا عن الدليل، فرجعت إلى القرآن أتدبره، وأتفكر فيه، وإذا أنا بالدليل حقًا معي، وأنا لا أشعر به، فقلت والله ما مثلي إلا كما قال القائل:

ومن العجائب والعجائب جمة قرب الحبيب وما إليه وصول
كالعِيس[4] في البيداء يقتلها الظَّما والماء فوق ظهورها محمول[5]

فلما رجعتُ إلى القرآن، إذا هو الحكم والدليل، ورأيت فيه من أدلة الله، وحججه، وبراهينه، وبيِّناته، ما لو جُمع كل حق قاله المتكلمون في كتبهم، لكانت سورة من سور القرآن وافية بمضمونه، مع حُسن البيان، وفصاحة اللفظ، وتطبيق المَفْصِل[6]، وحُسن الاحتراز، والتنبيه على مواقع الشبه، والإرشاد إلى جوابها، وإذا هو كما قيل؛ بل فوق ما قيل:

كفى وشفى ما في الفؤاد فلم يدع لذي أَرَب[7] في القول جدًا ولا هَزَلًا[8].

---

(1) "القِفَار": البَر. تهذيب اللغة (134/15).

(2) "اتئد": تأنَّى، وتمهَّل. مختار الصحاح ص331.

(3) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (668/2-669).

(4) "العِيس": الإبل البيض، يخالط بياضها شقرة، يقال للذكر: أعيس، وللأنثى: عَيْساء، ويقال: هي كرام الإبل. انظر: القاموس المحيط ص560. وانظر: حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى بن عيسى الشافعي، (232/2)، ط(2)1424هـ، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(5) لم أجد نسبة هذين، ولكنْ: وجدت لأبي العلاء المعري بيتًا شبيهًا به، قال:
والعيس أَقْتَلُ ما يكون لها الظَّما...والماء فوق ظهورها محمول. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (452/15).

(6) "تطبيق المَفْصِل": التطبيق: الإصابة، والمفصِل: موضع التقاء العظمْين، وهو: العضو، واللفظ المركب: يُراد به: إصابة الحجة. انظر: لسان العرب (213/10).

(7) "الأَرَب": من الفعل "أَرَبَ"، والأَرَب: الحاجة، ومصدره: إرْبة، ومَأرَبَة، ومَأرُبة. معجم مقاييس اللغة (89/1).

(8) هذا البيت أصله من شعر حسان بن ثابت ﷺ، في مدح ابن عباس ﷺ، وهو بلفظ:
كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع ... لذي إِرْبَة في القول جدًا ولا هَزَلًا. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ، شرحه، وكتب هوامشه، وقدم له: عبدأ مهنا، ص211، ط(2)1414هـ-1994م، دار الكتب العلمية- بيروت=

وجَعلتُ جيوش الكلام بعد ذلك تفد إليَّ كما كانت، وتتزاحم في صدري، ولا يأذن لها القلب بالدخول فيه، ولا تلقى منه إقبالًا ولا قبولًا، فترجع على أدبارها"[1].

وإن نظرة متعمقة شاملة لأثر العقيدة الصحيحة في نفوس المتكلمين العائدين إلى مذهب السلف، يكشف عن أنماط من التأثير البالغ لديهم، فمن هذه الأنماط:

أولًا: الدفاع عن عقيدة السلف:

وكانت هذه السمة غالبة على كثير ممن رجع من أهل الكلام؛ كونها استقرت في نفوسهم، فحق له أن يدافعوا عنها، وأن يردوا على من ابتدع، وابتع الأهواء.

ثانيًا: التأليف في عقيدة السلف:

فحينما تراجع بعض المتكلمين عن اعتقاداتهم، نسفوا كل ما كتبوه فيها، فلم يعد لها وجودًا في قلوبهم، واتجهوا للتأليف في العقيدة الصحيحة، فكانت جلها في آواخر حياتهم، ونهاية تحصيلهم، أما الذين احتاروا، وما اتبعوا عقيدة السلف، فلم يكن لهم مجال في ذلك؛ لما كانوا عليه من الجهل.

ومما تقدم يتبين لنا كم كانت جهود المتكلمين العائدين إلى مذهب السلف، في خدمة العقيدة الصحيحة، ونشرها، والدفاع عنها، فلقد أثروها، وأضفوا عليها جمالًا فوق جمالها، فما أجمل أن يكون الإنسان معتنقًا لمذهب السلف، ملازمًا للفطرة السوية، وهذا أمر ليس بالعسير؛ فإنه "ليس من شروط عقيدة السلف أن يتلقنها الإنسان في مدرسة؛ بل من فهمها بفطرته، وآمن، وأقر بها، دون تحريف، ولا تأويل، ولا تمثيل، فهو سلفي، ولو لم يدرس ذلك في كتاب خاص"[2].

وما أجمل ما قاله الإمام: عبد الرحمن بن أحمد الكمالي، وهو يُعبر عن الاعتقاد الحق، حيث يقول:

تمسك بدين الله دينِ نبيهِ ... وعُض عليه بالنواجذ تَسعدِ
وعانق كتاب الله ما دمتَ واجدًا .. له فقريبٌ رفعُه وكأنْ قدِ
وقد رُفعتْ أحكامُه عند بعضهم ... ألَمَّا يكن ذا الرفع سبحان سيدي
وصاحبْ حديث المصطفى مثل صحبه ... وإن لم تكن تقوى فقارب وسددِ
ولا تكُ من قوم أتتْ وتفرقتْ ... بهم سبلٌ دون السبيل المُسَدَّدِ
وبعضهمُ في آخر العُمر قال قد ... أضعتُ نفيسي في سرابٍ بِمَبْعَدِ

=لبنان. وورد في حديث أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير (42/4)، من حديث حسان بن ثابت ﷺ، رقم: (3593)، ولم أقف على تخريج للحديث، ولكنْ: بتتبع رواته: **(إسناده ضعيف)**.

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (146/1).

(2) حوار هادئ مع محمد الغزالي، سلمان بن فهد العودة، ص34، ط(1)1409هــ، بدون ناشر.

ألم يُغنني قول الإله وأحمدٍ ... عن أقوالِ غيرٍ من بعيدٍ وأبعدِ
إلهي كإيمان العجائزِ جُدْ فقد ... وصلنَ ولم أسلم من أسر التَّبَعُّدِ
فياليت شعري هل نجا قبل موته ... من الأسر أم كان اعتبارًا لمُهتدِ[1]

وبذلك: تفخر عقيدة السلف، وتحظى بالحق، وتفوز بالقبول، كما اعترف بذلك عمالقة المتكلمين.

(1) منظومة شهود الحق في إثبات ذات وصفات خالق الخلق، عبد الرحمن بن أحمد الكمالي، تحقيق: د/ محمد رشاد محمد صالح، ص160– 162، دار الكتاب العربي– بيروت– لبنان.

المطلب الثالث

التأكيد على بطلان اعتقاد المتكلمين

لما كان المتكلمون قد رجعوا إلى مذهب السلف، فقد دل ذلك على فساد ما كانوا عليه من الاعتقادات، وهذا أمر غاية في الوضوح والبيان، وله مبرره؛ فإن الله ﷻ قال في شأن المخالفين لأمر النبي ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:63]؛ فبسبب مخالفة منهاج النبي ﷺ، وطريقته، وسنته، وشريعته، كانوا عرضة للضلال، قال ابن كثير في ذلك: "فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله، وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنًا ما كان...فليحذر، وليخشَ من خالف شريعة الرسول ﷺ، باطنًا، أو ظاهرا أن تصيبهم فتنة في قلوبهم، من كفر، أو نفاق، أو بدعة[1].

فبذلك كان هؤلاء عرضة للبدع والأهواء؛ بل وللرسوخ فيها، واستيلائها على قلوبهم؛ ولذلك قال أبو حامد الغزالي في ضرر علم الكلام: "وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة، وتثبيته في صدورهم، بحيث تنبعث دواعيهم، ويشتد حرصهم على الإصرار عليه"[2]، فما بالك لو أضيف إلى ذلك كله التعصب، والجدل؟! فحينها تقفل قلوبهم؛ ولذلك: قال مجاهد في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال:24]: "حتى يتركه لا يعقل"[3].

ولعل ذلك هو ما يحياه المتكلمون، فقد كانوا أكثر الناس شكًا عند الموت[4]؛ ولهذا صرح إمامهم أبو حامد الغزالي بذلك، فقال: "أكثر الناس شكًا عند الموت: أهل الكلام"[5]، قال شيخ الإسلام: "فلا يثبتون على دين واحد، وتغلب عليهم الشكوك، وهذا عادة الله فيمن أعرض عن الكتاب والسنة"[6].

---

(1) تفسير ابن كثير (90/6).

(2) قواعد العقائد ص100.

(3) تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تحقيق: د/ محمد عبد السلام أبو النيل، ص353، ط(1)1410هـ-1989م، دار الفكر الإسلامي الحديثة- مصر.

(4) انظر: إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل، سليمان بن سحمان بن مصلح الخثعمي النجدي، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر العبد الكريم، ص53، ط: 1409هـ-1989م، دار العاصمة الرياض- السعودية.

(5) نقض المنطق ص26.

(6) مجموع الفتاوى (157/4).

قال ابن أبي العز الحنفي: "وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيقر بما أقروا به، ويُعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك، التي كان يقطع بها، ثم تبين له فسادُها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم بمنزلة أتباع أهل العلم، من الصبيان، والنساء، والأعراب"[(1)]؛ فإن تلك العقيدة الفطرية التي للعجائز، خير من هذه الأباطيل، التي من شعب الكفر والنفاق، وهم يجعلونها من باب التحقيق والتدقيق[(2)].

سأل رجل عمر بن عبد العزيز ﷺ عن شيء من أهل الأهواء والبدع فقال: "عليك بدين الأعرابي، والغلام في الكُتَّاب، والهَ[(3)] عما سوى ذلك"[(4)].

قال أبو حامد الغزالي: "الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جدًا، مشرف على الزوال بكل شبهة؛ بل الإيمان الراسخ: إيمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبا"[(5)].

وقد نقل الإمام ابن القيم عن بعضهم، وقد نزلت به نازلة من سلطانه فاستغاث برب الفلاسفة فلم يغث قوله: "ثم استغثت برب الجهمية فلم يغثني، ثم استغثت برب القدرية فلم يغثني، ثم استغثت برب المعتزلة فلم يغثني، قال: فاستغثت برب العامة فأغاثني"[(6)].

هذا هو نتاج علم الكلام، وهذه نهاياتهم المؤلمة، حيث "استولت عليهم الحيرة، واستوحشوا مع أنفسهم، بعد أن فقدوا الأنس بالله"[(7)]، وصاروا يخلطون الأقوال الكلامية ببعضها، ويضربون بعضها ببعض، حتى جلسوا حائرين، فمنهم من وفق لإتباع الحق، ومنهم من كان جاهلًا به، فلم يوفق إليه، حيث ماتوا، دون أن تُحل عقدهم، وحيرتهم، وتشفى مما أصابها، وأربكها[(8)].

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية ص210.

(2) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (408/1).

(3) "الهَ عن الشيء": فعل أمر بمعنى: دعه، ولا تشتغل به. انظر: معجم مقاييس اللغة (213/5).

(4) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب: العلم، باب: من قال: العلم: الخشية وتقوى الله، (343/1)، حديث رقم: (314). **(قال النَّوَوي: إسناده صحيح).** تهذيب الأسماء واللغات، للامام النووي، عنيت بنشره، وتصحيحه، والتعليق عليه، ومقابلة أصوله: شركة العلماء، بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، (22/2)، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

(5) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، لأبي حامد الغزالي، قرأه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: محمود بيجو، ص79، ط(1)1413هـ-1993م، بدون ناشر.

(6) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (168/1).

تصحيح المفاهيم في جوانب العقيدة، محمد أمان الجامي، ص103، ط: السنة الحادية عشرة، العدد الثاني، غرة ذي الحجة، عام: 1398هـ-1978م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

(8) انظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (666/2-667).

لقد كانت الحيرة، والندم أعظم شهادة شهدها المتكلمون على علم الكلام، حيث شهدوا بأنفسهم على قبح الكلام، وسوء نهاياته، وفساد ما كانوا عليه من الاعتقاد، قال ابن الجوزي: "وقد نقل إلينا إقلاع[1] منطقي المتكلمين عما كانوا عليه؛ لما رأوا من قبح غَوائله[2]"[3].

وبعد كل هذا الواقع، مع من أمضوا حياتهم في علم الكلام، تعلمًا، وتعليمًا، وتأليفًا، كيف يقال عن علم الكلام: إنه عمدة من عمد الإسلام؟![4]، و"كيف يسوغ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يوجب على الناس اعتقاد ما كان عليه هؤلاء المحجوبون، المنقوصون، المسبوقون، الحيارى، المُتهوِّكون[5]"[6].

وكان شيخ الإسلام موفقًا في التركيز على هذه المسألة؛ لأن "بيان هذه القضية، وإيضاحها للناس، يفيد الموافق والمخالف، أما الموافق: فتزيده ثقة فيما عنده من الحق، المعتمد على الكتاب والسنة، وأما المخالف: فلابد أن تزرع في نفسه شيئًا من عدم الثقة، فيما يقول هؤلاء في كتبهم الكثيرة، التي أعلنوا رجوعهم عنها، ورضاهم بطريقة القرآن"[7]، علمًا بأن هذه الشهادات كثيرة جدًا، قال شيخ الإسلام: "ولو جمعت ما بلغني في هذا الباب عن أعيان هؤلاء، كفلان، وفلان، لكان شيئًا كثيرًا، وما لم يبلغني من حيرتهم وشكهم، أكثر وأكثر؛ وذلك لأن الهدى هو فيما بعث الله به رسله، فمن أعرض عنه لم يكن مهتديًا، فكيف بمن عارضه بما يناقضه، وقدم مناقضه عليه؟![8] .

حتى قال الشيخ: محمد الخميس: "وشهادات المتكلمين على أنفسهم بالشك والاضطراب أكثر من أن تحصى"[9].

---

(1) "إقلاع": الإقلاع: الترك، والكف عن الشيء. انظر: معجم مقاييس اللغة (22/5).

(2) "غَوائل": جمع: "غائلة"، وهي: عواقب شره. انظر: أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (716/1)، ط(1)1419هـ–1998م، دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان.

(3) تلبيس إبليس ص77.

(4) الإعلام بمخالفات الموافقات والاعتصام، ناصر بن حمد بن الفهد، ص160 بتصرف، ط(1)1420هـ–1999م، مكتبة الرشد – الرياض– السعودية.

(5) "المُتهوِّكون": أصله من: هَوَكَ، والهَوْكُ: التحير والتردد. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (410/27).

(6) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، سليمان بن سحمان النجدي، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر بن عبد الكريم، ص340، ط(5)1414هـ–1992م، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض– السعودية. وانظر: مجموع الفتاوى (11/5).

(7) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (895/2).

(8) درء تعارض العقل والنقل (166/1)، وانظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (366/2).

(9) شرح الرسالة التدمرية ص330.

فرحمة الله ﷻ على هذا الامام العظيم، الذي أبان الحق، وكشف ضلالات المتكلمين، وفند كلامهم، وأعلى مذهب السلف، وأغلظ على المخالفين[1]، "فكم أنقذ الله بشيخ الإسلام، ومصنفاته العظام من حيرة تلك الشبهات والأضاليل، وكاد يخرج بها عن سواء السبيل"[2].

فمن كلامه النفيس في ذلك: قوله: "إذا نظرت إليهم بعين القدر، والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم، رحمتهم، ورفقت عليهم، أوتوا ذكاءً، وما أوتوا زَكَاءً[3]، وأُعطوا فهومًا، وما أُعطوا علومًا، وأُعطوا سمعًا، وأبصارًا، وأفئدة، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف:26]، ومن كان عليمًا بهذه الأمور: تبين له بذلك حِذْق[4] السلف، وعلمهم، وخبرتهم، حيث حذروا عن الكلام، ونهوا عنه، وذموا أهله، وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة، لم يزدد إلا بعدًا"[5].

حقًا: "لقد كانت الفلسفة، وعلم الكلام رانًا على قلب الإنسان، هنيئًا لمن عافاه الله من ضلالاتها"[6].

وهذا البيان: من عظيم الدلائل والبراهين على وجوب الرجوع إلى مذهب السلف، وذم الطرق الكلامية، وذلك بعد أن بان فسادها على لسان أهلها، ولا بديل عن الحق، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس:32].

---

(1) انظر: دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية (عرض ونقد) ص99.

(2) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (74/2). وانظر: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ص518-523. وانظر: غاية الأماني في الرد على النبهاني، محمود شكري بن عبد الله الألوسي، تحقيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، (500/1-503)، ط(1)1422هـ-2001م، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية.

(3) "زَكَاءً": أصله من "زَكَوَ"، والمصدر: زكاءً، وزَكْوًا، والمراد: صلاحًا. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (220/38).

(4) "حِذْق": بكسر الحاء وفتحها، وتعني: المهارة بالشيء. انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1456/4).

(5) الفتوى الحموية الكبرى ص555-556.

(6) انظر: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (115/1).

المطلب الرابع
دحض الشبهات ودفع التشكيكات

لقد اتسعت مظان الشبهات، حتى شملت مداخل كثيرة، ولئن برّر أهل الكلام أهمية علم الكلام في الرد على الخصوم، والقضاء على البدع والأهواء، إلا أن ذلك لا يعصمه عن الخطأ؛ كونه يمثّل انحرافًا عن صراط الله القويم.

"لقد رأى علماء الكلام أنه لا يمكن الاكتفاء بالاعتماد على مذهب السلف النصي، في رد الشبهات، فبذلك نشأ علم الكلام، بمباحثه العقلية والكلامية؛ ليرد الشبهات؛ ويثبت العقيدة؛ ويظهر الحجاج لها"[(1)].

وهذا الذي مال إليه أبو حامد الغزالي، حيث اعتبر أن علم الكلام ليس من علوم الدين الأصلية؛ وإنما هو ضرورة ألجأ العلماءَ إليها الردُّ على المبتدعة والفلاسفة، فيما خالفوا فيه ما جاء في نصوص الدين القطعية[(2)].

لم يكن علم الكلام بعيدًا عن السيول الجارفة التي حمى الله ﷻ عقيدة السلف منها؛ وما ذلك إلا لأنه آثر الوديان، وارتمى في القيعان، فانعكس الهدف المنشود وبالًا على أهله، حيث صار علم الكلام مشحونًا بالشبهات، ومثّل أكبر مصدر لها، وليس حيرتهم وندمهم إلا واحد من الأدلة على بطلانه وفساده، فأهل الكلام "معهم شبهات، يظنها من يتأملها بينات"[(3)]، فـ"أفسدوا فطرتهم العقلية، وشِرْعتهم السمعية"[(4)].

وقد أجمل الشيخ عبد الغني المقدسي[(5)] ذلك بقوله: "ومن أمعن النظر في مناهج المتكلمين، يجدها تثير من الشبه ما تعجز معه عن الإقناع؛ لأنها تمثل منهجًا شيطانيًا، يؤدي إلى

---

(1) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (37/1) بتصرف.

(2) انظر: المنقذ من الضلال، للغزالي، بقلم: د/ عبد الحليم محمود، ص124، دار الكتب الحديثة- القاهرة- مصر. وانظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (111/3). وانظر: إحياء علوم الدين (23/1). وانظر: بحث بعنوان: موقف الإمام الغزالي من علم الكلام وأدلة المتكلمين، د/ إبراهيم أحمد الديبو، ص473-474، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد(27)، العدد الثالث، 2011م.

(3) مجموع الفتاوى (291/5).

(4) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (271/5).

(5) هو: عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الحنبلي، أبو محمد، حافظ للحديث، ولد في جَمَّاعيل (قرب نابلس)، وتوفي بمصر، سنة: (600هـ)، من تصانيفه: المصباح، النصيحة في الأدعية الصحيحة. انظر: الأعلام (34/4).

الفرقة والاختلاف؛ ولذلك: كان مصير أَساطِينِه[1] الحيرة، والاعتراف بالعجز، وعدم الاهتداء، ورجوع كثير منهم إلى مذهب السلف، بعد أن أدركوا إفلاس مناهجهم، وتملكتهم الحيرة، فأعلنوا التوبة، وعضوا أصابع الندم على ما فات من حياتهم التي قضوها في القيل والقال، الذي يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح، ويفرق ولا يجمع"[2].

فكان علم الكلام مصدر خطر على العقيدة، يهدد كل مسلم سني، قال شيخ الإسلام: "فإذا كان فحول النظر وأساطين الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر إلي الغاية، وهم ليلهم ونهارهم يكدحون في معرفة هذه العقليات، ثم لم يصلوا فيها إلى معقول صريح، يناقض الكتاب؛ بل إما إلي حيرة وارتياب، وإما إلي اختلاف بين الأحزاب، فكيف غير هؤلاء ممن لم يبلغ مبلغهم في الذهن والذكاء ومعرفة ما سلكوه من العقليات؟"[3]، "فالسلف ذموا أهل الكلام الذين هم أهل الشبهات والأهواء، لم يذموا أهل الكلام الذين هم أهل كلام صادق، يتضمن الدليل على معرفة الله تعالى، وبيان ما يستحقه، وما يمتنع عليه، ولكن قد يورث شبهة وهوى"[4].

لقد أدرك رؤساء المتكلمين ذلك، وعرفوا أنهم غارقون في بحار الشبهات المظلمة، فعادوا إلى مذهب السلف، ووضعوا على أنفسهم نصرة الحق، وقد تمثل سبيلهم في ذلك من خلال: إماتة الشبهات، وإحياء السنن، قال شيخ الإسلام: "الضدُّ يُظْهِر حسنَه الضدُّ، وكل من كان بالباطل أعلم، كان للحق أشد تعظيمًا، وبقدره أعرف إذا هدي إليه"[5].

---

(1) "أَساطِينِه": أصله من سَطَنَ، والمراد: أعلامه. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (109/1).

(2) الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي ص65.

(3) درء تعارض العقل والنقل (169/1).

(4) درء تعارض العقل والنقل (181/7).

(5) مجموع الفتاوى (118/5).

ثانيًا: الآثار الاجتماعية

المطلب الأول

تحسين المكانة الاجتماعية

إن من أهم ما يميز أهل السنة والجماعة: أنهم يقدرون العلماء، ويحترمونهم، ويجلونهم، ويحبون من يناصرهم، يحبون أئمتهم، ومن يهتدي بهديهم؛ ولذلك: حظي العائدون إلى مذهب السلف باحترام بالغ لدى الناس، وبالمنزلة الرفيعة في أوساط مجتمعاتهم.

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ: **[أن النبي ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة، وهو جنب، فانْخَنَسْتُ[1] منه، فذهب فاغتسل، ثم جاء، فقال: "أين كنت يا أبا هريرة؟" قال: "كنت جنبًا، فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة"، فقال: "سبحان الله، إن المسلم لا ينجُس"]**[2].

قال العيني: "فيه استحباب احترام أهل الفضل، وأن يوقرهم جليسُهم، ومصاحبُهم، فيكون على أكمل الهيئات، وأحسن الصفات"[3].

فهذا خلق من أخلاق أهل السنة "احترام علماء الأمة، وأقوالهم، وسؤالهم، والرجوع إليهم، كما أمر الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:43]، وتوقيرهم"[4].

ويمكن القول: إن صورة المكانة الاجتماعية التي تشكلت لألئك المتكلمين المتحولين لمذهب السلف، تتمثل في ما يلي:

أولًا: المنزلة العظيمة لدى الناس:

إن أهل السنة يحبون كل من ناصر العقيدة الصحيحة، ودافع عنها ضد خصومها، والناس يقبلون عليهم بفطرتهم؛ لما يعتقدونه فيهم من الحق؛ ولما يرونه عليهم من وقوع الفتن والابتلاءات، والصبر عليها من أجل أن ترفع راية الحق، وتُجابه الشبه والبدع، التي تريد النيل من طريق الحق، التي رسمها الله ﷻ ورسوله ﷺ، وسار عليها الصحابة، والتابعون لهم بإحسان.

---

(1) "فانْخَنَسْتُ": تواريت، واختفيت منه، وتأخرت عنه. انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (925/3).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الغسل، باب عرق الجنب، وأن المسلم لا ينجُس، (65/1)، رقم: (283). ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض (3)، باب الدليل على أن المسلم لا ينجس (29)، (282/1)، رقم: (371).

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (240/3).

(4) إسلامية لا وهابية، د/ ناصر بن عبد الكريم العقل، ص101، الناشر: دار كنوز أشبيلية للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية، تاريخ النشر: 1425هـ، بدون طبعة.

فانظر إلى فتنة خلق القرآن، كيف نصر الله تعالى فيها أهل السنة، ومكن لهم، وخفض رؤوس أهل الباطل، لقد "كانت محنة القول بخلق القرآن خافضة رافعة، رفعت رجال الحديث إلى السِّمَاكَيْن(1)، وخفضت المعتزلة إلى الحضيض، ومن هذا الحين عظم احترام العامة لأهل السنة، وأحبوهم أكثر من ذي قبل وحمدوا لهم سيرتهم"(2).

فأهل السنة يحبون الخير للناس، ويتمنون لو كان كل الناس على طريقتهم؛ ليفوزوا برضا الله ﷻ، فهم يفرحون بكل من يدين بعقيدتهم، ولذلك: لما انضم الإمام أبو الحسن الأشعري إلى مذهب السلف، "فرحوا به فرحًا شديدًا، واحترموه، وعرفوا قدره، وإخلاصه، وتوجهه إلى الحق بيقين ثابت، وصارت أقواله حجة، وآراؤه متبعة، بينما ثار عليه أهل الاعتزال، وذموه بأنواع الذم؛ غيظًا عليه؛ لوقوفه في وجوههم؛ وإبطال آرائهم المخالفة للحق؛ وتركه لمذهبهم، خصوصًا وأنه كان من المتعمقين في مذهبهم، والعارفين بعَواره(3)"(4).

قال الشيخ محمد أبو زهرة(5): "وقد نال الأشعري لذلك منزلة عظيمة، وصار له أنصار كثيرون، ولقي من الحكام تأييدًا ونصرة، فتعقب خصومه من المعتزلة، وأهل الأهواء، والكفار، وبث أنصاره في الأقاليم، يحاربون خصوم الجماعة ومخالفيها، ولقبه أكثر علماء عصره بإمام أهل السنة والجماعة"(6).

ثانيًا: الدعاء لهم بحسن العمل، وحسن الختام:

لقد كان رجوع من رجع من أئمة الكلام إلى مذهب السلف سببًا من أسباب الرحمة – إن شاء الله تعالى– في هذه الأمة؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات(7)؛ ولذلك كان من هدي السلف الدعاء لمن كان على نهجهم، ولمن انتحله بعد بعده، وحتى لمن ليس على

---

(1) "السِّمَاكَيْن": هما نجمان معروفان عند العرب، يقال للأول: الرامِح؛ لأنه يقدمه كوكب، يقولون: هو رُمحه، وللثاني: الأعزل؛ لأنه لا كوكب أمامه، والرَّامح أشد حمرة. تاج العروس من جواهر القاموس (402/6) بتصرف.

(2) الحديث والمحدثون، محمد محمد أبو زهو، ص331، ط: 1378هـ في القاهرة، دار الفكر العربي- بيروت– لبنان.

(3) "بعَواره": أصله من عَوَرَ، والعَوار: العيب. مختار الصحاح ص221.

(4) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (1208/3).

(5) هو: محمد بن أحمد أبو زهرة، من أكابر علماء الشريعة الاسلامية في عصره، مولده بمدينة المَحَلَّة الكبرى بمصر، أصدر من تأليفه أكثر من أربعين كتابًا، منها: الخطابة، تاريخ الجدل في الإسلام، أصول الفقه، توفي سنة: (1394هـ). انظر: الأعلام (25/6-26).

(6) تاريخ المذاهب الاسلامية ص159.

(7) انظر: الاستقامة (80/1).

طريقتهم، وهذا أدب رفيع عند أهل السنة، في التعامل مع المخالفين، قال الذهبي بعد أن ذكر الغلاة في الطوائف الإسلامية من أهل القبلة: "قد ماجت بهم الدنيا، وكثروا، وفيهم أذكياء، وعباد، وعلماء، نسأل الله العفو والمغفرة لأهل التوحيد، ونبرأ إلى الله من الهوى والبدع، ونحب السنة وأهلها، ونحب العالم على ما فيه من الإتباع والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ؛ وإنما العبرة بكثرة المحاسن"[(1)]، وهي أيضًا "بكمال النهايات، لا بنقص البدايات، وذكر هذه الأخبار عن علماء أهل الإسلام يدل على كمالهم، وحسن مقصدهم، غفر الله لهم جميعًا"[(2)].

ثالثًا: الظَّفر بالقرب من الصالحين، ومحبتهم:

إن الانتقال إلى مذهب السلف خير وبركة، وسلامة من الوعيد، وقرب من الصالحين، ورضًا لله رب العالمين، فمن اتبع منهج السلف فقد أفلح وفاز، ومن أعرض عنه فقد خاب، وخسر.

فقد حظي المتكلمون العائدون إلى مذهب السلف بالقرب والمحبة، كما حصل مع الإمام أبي الحسن الأشعري، "فكل من أحب الأشعري وأثنى عليه، أو انتصر له من أهل العلم المعروفين بالاتباع فإنما يحبه ويثني عليه إما لموافقته لأهل السنة والحديث، وإما لرده على من خالف السنة والحديث وبيانه تناقض حججهم، أو لكلا الأمرين"[(3)].

وهذه الأشكال، والصور من المكانة الاجتماعية قد تحققت بالرجوع إلى مذهب السلف، والله ﷻ المسؤول أن يبيِّض ووجوههم في الآخرة، كما بيَّضها بالانتماء إلى مذهب السلف.

من هنا: وضع المتكلمون العائدون إلى مذهب السلف بصماتهم في نصرة العقيدة الصحيحة، ودحض الشبهات، ومحاربة كل ما خالفها، فصاروا تلاميذ عند علماء السلف، بعد أن كانوا يعادونهم، وأضفوا على المجتمع آثارًا علمية، واجتماعية حميدة، تمثَّلت في إقامة الحجة، ونصرة عقيدة السلف، في مقابل بطلان المذاهب الكلامية المُتحول عنها، بالإضافة إلى المكانة الاجتماعية الحاصلة، والشبهات التي تجلَّت بعودتهم.

خلاصة الفصل:

لقد كان للرجوع إلى مذاهب السلف آثار علمية، واجتماعية حميدة، انعكست على عقيدة السلف بالإيجاب، وساهمت في نشرها، وتعزيزها، بخلاف الآثار السلبية التي تحصلت نتيجة للانحراف عن السنة، وهي وإن كانت واقعة، إلا أنها أضعف تأثيرًا، وأقل ذيوعًا.

---

(1) سير أعلام النبلاء (20/45-46).

(2) طريق الهداية (مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة) ص132.

(3) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ص347.

وإن من أهم النصائح التي أنصح نفسي بها، وإخواني: ما جاء في وصية طاهر بن الحسين، لابنه عبد لله، لما ولاه المأمون الرَّقَّةَ، ومصر، وما بينهما سنة: (206هـ)، حيث قال مما قال له: "وآثر الفقهَ وأهله، والدينَ وحملته، وكتابَ الله والعاملين به؛ فإن أفضل ما تزين به المرء: الفقه في دين الله، والطلب له، والحث عليه، والمعرفة بما يتقرب فيه منه إلى الله، فإنه الدليل على الخير كله، والقائد له، والآمر به، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله ﷻ، وإجلالًا له، ودَرَكًا[1] للدرجات العلا في المعاد، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك، والهيبة لسلطانك، والأنسة بك، والثقة بعدلك"[2].

وختامًا: نوصي أنفسنا وإخواننا المسلمين بتقوى الله ﷻ، والتمسك بنور الوحي الصحيح في المعتقد وغيره؛ لأن السلامة متحققة في إتباع الوحي فحسب، وليست متحققة في شي غيره.

---

(1) "دَرَكًا": أصله من: "دَرَكَ"، وتعني: وصولًا للحاجة والطلبة، وإدراكها. انظر: العين (327/5).

(2) تاريخ الطبري (583/8).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والحمد لله الذي يسر لي هذا البحث، الذي أسأله أن يتقبله مني، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد:

فإن مما يجدر الإشارة إليه، ويسره الله لي: التوفيق في اختيار بالموضوع، وإعداده، فهو ذو أهمية بالغة وعظيمة، وبعد البحث، والنظر، والانتهاء من إعداد البحث، توصلتُ فيه إلى النتائج عديدة، من أبرزها:

أولًا: تميز السلف عن غيرهم من الفرق الاسلامية بسلامة مصادر الاستدلال على العقيدة، فهم ذوو عقيدة محكمة، ومنهج راسخ، حيث إنها تقوم على أساس الاستدلال بالقرآن، والسنة الصحيحة، والعقل الصريح، والفطرة السوية، ولا تناقض بين هذه المصادر في الاستدلال على العقيدة.

ثانيًا: إن سلامة المنشأ لدى العقيدة الاسلامية، قد أضفى عليها ثباتًا واضحًا جليًا، وسلوكًا قيِّمًا، وقد ظهر ذلك من خلال رسوخ علمائها، ويقين المنتسبين إليها.

ثالثًا: إن ما يحصل من تأثر بعض المنتسبين للسلف بالمذاهب الكلامية، هو ناتج عن أسباب عديدة، كان أبرزها: الشبهات، والأمراء، والارتحال، والصحبة.

رابعًا: كان لعلماء السلف جهود قيمة في تحرير الناس من ذل المذاهب الكلامية، مُمثلًا ذلك في علماء الحديث، وعلماء الحنابلة، وأئمة المذاهب الفقهية، وذلك موازاة بالعوامل الأخرى، والتي كان أبرزها: الفطرة، وهداية التوفيق، والتأثر بالشيوخ، وأهل العلم الأجلاء بالمذهب الحق، وتوجيه الأمراء الفضلاء.

خامسًا: إن علم الكلام من العلوم الدخيلة على الأمة المسلمة، فهو وليد القرون المتأخرة، وقد خالف السلف في عقيدتهم، وفي منهجهم؛ مما ساهم في تشعب طوائفه.

سادسًا: لم يكن لعلم الكلام أن يُسعف أربابه، ولم يستطع إنقاذهم، وتقوية حججهم، حتى بان عُواره، وظهرت مثالبه، وعجزت طرقه، وضعفت مسالكه، فوجد أئمته وأتباعه أنفسهم غارقين في متاهاته، وضلالاته.

سابعًا: رجع كثير من أئمة الكلام، وأربابه عن علم الكلام، وصاروا من الذَّامِّين له، والناهين عن الاشتغال به، بعدما قضوا حياتهم من الاشتغال به، فأوصلهم إلى الشك، والحيرة، والريبة في الاعتقاد.

ثامنًا: لم يكن المُتراجعون عن الكلام، والنادمون على الاشتغال به، على درجة واحدة من العلم والفهم، فمنهم من رجع إلى مذهب السلف، وأقر به، ونافح عنه، ومات عليه، كالجُويني الأب، والإمام النووي، وأبو الحسن الآبْنوسي، وكان منهم من أخذته الحيرة، ولم يرجع إلى مذهب السلف، حتى مات على الحيرة، وقد ظهر ذلك جليًا في أواخر حياتهم، وفي لحظات احتضارهم، كالشَّهْرَستاني، والآمدي، والحموي.

تاسعًا: لم يكن رجوع بعض الأئمة إلى مذهب السلف، رجوعًا كما ينبغي؛ بل بقي لديهم تأثرات بسوابقهم في علم الكلام، كأبي الحسن الأشعري، والجُويني إمام الحرمين.

عاشرًا: إن ما عليه العوام من سلامة الاعتقاد، هو خير من ما عليه المتكلمون من الانحراف في الفطرة، والضلال في المعتقد، والموت على الشك، وإن ما عليه العلماء السلفيون الراسخون في الاعتقاد، هو خير من كلا الفريقين؛ فإن أفضل أحوال الإنسان إذا صحت عقيدته، وسلمت فطرته.

حادي عشر: إن في رجوع أكابر أهل الكلام دروسًا تربوية مهمة في الحياة العقدية، فهو إن دل على سلامة عقيدة السلف، وإرسائها بأهلها إلى شاطئ النجاة، فهو يدل على فساد ما عليه علم الكلام، وهذا من أبين المسالك في مقارعة المتكلمين.

ثاني عشر: كان للانتقال إلى غير مذهب السلف آثارًا سلبية، انعكست على الأفراد والمجتمع بأسره، كإحداث الفرقة والخلاف، ونشر البدع، ورواج الشبهات، كما كان للانتقال إلى مذهب السلف آثارًا حميدة، عمت المجتمع جميعه، كقيام الحجة، والمكانة الاجتماعية، وتجلية الشبهات.

وأختم ببعض التوصيات :

أولًا: ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة؛ كونهما المصدران الأساسيان في نهل العقيدة الاسلامية؛ حتى تظهر بصفائها؛ وتثمر في شربها، واقتفاء طريق السلف الصالح، وعدم سلوك طرق المتكلمين، التي صار من المعلوم بالضرورة فسادها، وانحرافها، وتنغيص خواتيم معتنقيها.

ثانيًا: العمل على تعزيز ريادة العقيدة الاسلامية، وأن تأخذ مكانتها اللائقة بين المسلمين، وذلك من حيث التعليم، والتفهيم، والبحث العلمي.

ثالثًا: مقارعة الفرق الضالة، ومجابهة الأفكار المنحرفة، التي تسعى إلى تفريغ المسلمين من عقيدتهم، والحذر من وسائلهم وأساليبهم المُنتهجة، الساعية إلى تحقيق تلك المآرب، فضلًا عن الانتباه إلى ما يطرأ على المجتمع المسلم من عوامل وأسباب تحقق ذات الهدف.

رابعًا: أن يقوم الباحثون والمتخصصون في قسم العقيدة، بإسقاط هذا البحث على العلماء المعاصرين، ولا سيما من كان له رجوع إلى مذهب السلف، كالشيخ: سليمان دنيا، كما الباب مفتوح لتطبيق الدراسة على باقي الفرق الاسلامية من غير المعتزلة والأشاعرة.

خامسًا: العمل على إيجاد مرجعيات موثوقة لدى الناس؛ لمتابعة ما يستجد على العقيدة الاسلامية، وما يغزو المجتمع السني من الأفكار الهدامة، وذلك بتبصير الناس، وإرشادهم، ودعوة المُتأثرين بالأفكار المُنحرفة، من علم الكلام وغيره، إلى لزوم طريق السلف، بتذكيرهم بآخر أحوال المتكلمين، ويمكن أن تتبنى تشكيل هذه المرجعيات: مؤسسات، وجمعيات علمية.

وفي ختام هذه الدراسة:

فإنني أحمد الله ﷻ على ما وفقني إليه، من الجهد والعطاء، وما هداني إليه من الصواب والرشاد، وأن يتجاوز عني فيما أخطأتُ فيه، أو قصرتُ به، ويعلم الله ﷻ أن النية عُقدت على بيان الحق وإظهاره، والكشف عن ضلال ما خالفه.

واللهَ أسأل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي، وحسنات الأستاذ بشير، وكل من ساهم في إنجاحها، وإخراجها إلى بيئة الحياة، وأن ينفع الله بها طلبة العلم، بأن تكون مرجعًا علميًا نافعًا لهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تم الانتهاء من كتابة الرسالة:

الجمعة، 2012/03/30م

الباحث

عبد الفتاح فتحي حمودة

الفهارس العامة

أولًا: فهرس الآيات القرآنية.

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعًا: فهرس الفرق والأديان.

خامسًا: فهرس الأماكن والبلدان.

سادسًا: فهرس المصادر والمراجع.

سابعًا: فهرس الموضوعات.

أولًا

فهرس الآيات القرآنية

م	السورة	رقمــها	الآية	رقمها	الصفحة
1	البقرة	2	﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾	286	245
2	آل عمران	3	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	103	263
3	آل عمران	3	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	104	31
4	آل عمران	3	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	106	265
5	آل عمران	3	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾	187	109
6	النساء	4	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ	59	74,45

م	السورة	رقمـــها	الآية	رقمها	الصفحة
			إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾		
7	النساء	4	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	65	45
8	النساء	4	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا *وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾	68-66	42
9	النساء	4	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	165	269
10	المائدة	5	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾	3	45,250
11	المائدة	5	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾	**67**	**45**
12	الأنعام	6	﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾	69	44
13	الأنعام	6	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	153	8
14	الأنعام	6	﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	81	158

م	السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
15	الأنعام	6	﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	125	41
16	الأعراف	7	﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	157	31
17	الأعراف	7	﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	158	56
18	الأنفال	8	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾	24	276
19	التوبة	9	﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾	122	139
20	يونس	10	﴿فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾	32	279
21	يونس	10	﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾	94	69
22	يوسف	12	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	108	134

م	السورة	رقمــها	الآية	رقمها	الصفحة
23	النحل	16	﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾	26	102
24	النحل	16	﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	43	282,70
25	الإسراء	17	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	15	269
26	طه	20	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾	5	194,134,39
27	النور	24	﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	35	43
28	النور	24	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾	39	42
29	النور	24	﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾	40	42
30	النور	24	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	63	276
31	الفرقان	25	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾	32	73
32	الفرقان	25	﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالحَقِّ	33	73

م	السورة	رقمـــها	الآية	رقمها	الصفحة
			وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾		
33	القصص	28	﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾	65	56
34	الروم	30	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	30	36
35	الأحزاب	33	﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾	45-46	45
36	الشورى	42	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	11	219,215
37	الشورى	42	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾	52-53	41,37
38	الأحقاف	46	﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	26	279
39	محمد	47	﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾	17	42
40	الذاريات	51	﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ	8-9	31

م	السورة	رقمـــها	الآية	رقمها	الصفحة
			مَنْ أُفِكَ﴾		
41	الحشر	59	﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾	7	74
42	الملك	67	﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾	16	204

ثانيًا

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

م	الحديث	الراوي	الحكم	أخرجه	الصفحة
٢	﴿اتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم﴾	موقوف على حذيفة بن اليمان ﵁		ابن عبد البر	٩
٣	﴿إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا﴾	أنس بن مالك ﵁	حسن	الترمذي	٦٦
٤	﴿ألا هل بلغت؟﴾	أبو بكْرة ﵁	صحيح	البخـــاري ومسلم	٥٦
٥	﴿الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل﴾	أبو هريرة ﵁	حسن	الترمذي	٢٤٤
٦	﴿إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم﴾	أبو برْزة الأسلمي ﵁	صحيح	أحمد والبزار والطبراني	79
٧	﴿إن الله يبعث على رأس كل قرن، أو مائة سنة من يجدد للناس أمر دينهم﴾	أبو هريرة ﵁	صحيح	أبو داود	٢١٩
٨	﴿إن أهل الكتـابين افترقـوا في ديـنهم عـلى ثنتـين وسبعين ملة﴾	أبو هريرة ﵁	حسن صحيح	أبو داود	٣٧٥
٩	﴿أنذرتكم صعاب المنطق﴾	موقوف على عبد الله بن مسعود ﵁		البغوي	٨٩
9	﴿إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم﴾	عياض بن حمار المجاشعي ﵁	صحيح	مسلم	٤٧
٢١	﴿أين الله ؟ فقالت: في السماء﴾	معاوية بن الحكم ﵁	صحيح	مسلم	٢٣٨

م	الحديث	الراوي	الحكم	أخرجه	الصفحة
٢٢	﴿تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدع والضلالة﴾	موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما		السيوطي	٣٧٦
٢٣	﴿سبحان الله، إن المسلم لا ينجُس﴾	أبو هريرة رضي الله عنه	صحيح	البخاري	٣٩٣
٢٤	﴿فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجِذ﴾	العرباض بن سارية رضي الله عنه	صحيح	الترمذي وأبو داود وابن ماجة	٣٧٤
٢٥	﴿فمن رغب عن سنتي فليس مني﴾	أنس بن مالك رضي الله عنه	صحيح	البخاري	٣٧٥
٢٦	﴿لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلوب﴾	موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما		ابن بطة	٢٤٤
٢٧	﴿ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم، إلا وضعت له الملائكة أجنحتها؛ رضًا بما يصنع﴾	صفوان بن عسال رضي الله عنه	حسن صحيح	ابن ماجة	٢٤٩
٢٨	﴿ما من مولود إلا يولد على الفطرة﴾	أبو هريرة رضي الله عنه	صحيح	البخاري ومسلم	٤٧
٢٩	﴿من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد﴾	عائشة رضي الله عنها	صحيح	البخاري ومسلم	٣٦١
٢٩	﴿من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة﴾	أبو هريرة رضي الله عنه	صحيح	الترمذي	٢٤٩
٣١	﴿هل يرجع أحد منهم عن دينه؛ سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا﴾	ابن عباس رضي الله عنهما	صحيح	البخاري	٦٤
٣٢	﴿ولا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نِعم السلف أنا لك﴾	عائشة رضي الله عنها	صحيح	البخاري ومسلم	٥

ثالثًا

فهرس الأعلام المترجم لهم

م	الاسم	الصفحة
24	ابن وهب	134
25	أبو إسحاق الشيرازي	167
26	أبو الحسن ابن الأثير	190
27	أبو الحسن البلخي	99
28	أبو الحسن التميمي	86
29	أبو الحسن الكَرَجِي	124
30	أبو الحسين الخياط	22
31	أبو الطيب الطبري	168
32	أبو العباس القرطبي	210
33	أبو الفتوح الاسفرائيني	100
34	أبو القاسم القشيري	96
35	أبو المظفر البروي	101
36	أبو المليح	58
37	أبو الهذيل	148
38	أبو بكر الباقلاني	141
39	أبو بكر الشاشي	172
40	أبو بكر بن أبي شيبة	47
41	أبو جعفر السَّمْناني	142
42	أبو جعفر الهَمَذاني	39
43	أبو حاتم خاموش	103
44	أبو حفص البزار	62
45	أبو زرعة الرازي	111
46	أبو زهرة	283
47	أبو صالح المؤذن	185
48	أبو طالب المكي	121
49	أبو عبد الله ابن الظهير	199
50	أبو علي الجُبائي	65
51	أبو علي الصدفي	167

م	الاسم	الصفحة
52	أبو علي النهرواني	99
53	أبو عمرو الداني	164
54	أبو قلابة	133
55	أبو محمد الخوارزمي	226
56	أبو موسى الفراء	65
57	أبو نصر القشيري	117
58	أبو نصر المروزي	112
59	أبو هاشم ابن الحنفية	154
60	أبو يعلى الرازي	86
61	أثير الدين أبو حيان	240
62	أثير الدين الأبهَري	191
63	الآجري	9
64	أحمد الفوركي	98
65	أحمد بن سنان	224
66	إدريس بن إدريس	90
67	أرسطاليس	38
68	إسماعيل الأصفهاني	10
69	الأصيلي	164
70	ألب أرسلان	95
71	أم الدرداء الصغرى	59
72	الأوزاعي	8
73	الايجي	17
74	أيوب بن المتوكل	57
75	البربهاري	18
76	تاج الدين السبكي	12
77	التفتازاني	17
78	ثُمامة بن أشرس	158
79	جعفر بن حرب	158

م	الاسم	الصفحة
80	جعفر بن مُبشِّر	158
81	جمال الدين القاسمي	62
82	حاتم بن محمد	162
83	الحارث المحاسبي	137
84	الحجاج الثقفي	92
85	الحِجَاري	171
86	الحسن بن أبي بكر	100
87	الحسين الأزْدي	148
88	حماد الأنصاري	203
89	الحِيري	103
90	الخطابي	205
91	خطيب الري	190
92	خويل	136
93	الدارقطني	158
94	داود الأصفهاني	103
95	داود بن أيوب	237
96	زكريا الأنصاري	120
97	السُّحيمي	201
98	السخَاوي	201
99	السختياني	76
100	السَّرِي السقطي	137
101	السفاريني	5
102	سفيان الثوري	121
103	سفيان بن عيينة	121
104	سِيسَويه	136
105	الشاطبي	75
106	شريك بن عبد الله	30
107	الشعبي	72

رابعًا

فهرس الفرق والأديان

خامسًا

فهرس الأماكن والبلدان

سادسًا

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولًا: الكتب:

1) الإبانة الكبرى، لابن بطة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، ط(1)1409هـ-1988م، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية.

2) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: د/ فوقية حسين محمود، ط(1)1397هـ، دار الأنصار - القاهرة - مصر.

3) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، عبيد الله بن محمد بن حمدان بَطَّة، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، ط(2)1418هـ، دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض- السعودية.

4) أبجد العلوم، للإمام القِنَّوجي، ط(1)1423هـ- 2002م، دار ابن حزم- بيروت- لبنان.

5) إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلى ابن الفراء، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية - الكويت، بدون طبعة.

6) ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها، جمال بن محمد السيد، ط(1)1424هـ-2004م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة- السعودية.

7) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وهو عبارة عن دروس مفرغة.

8) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، للمقريزي، تحقيق: د/ جمال الدين الشيال، ط(1)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة- مصر.

9) آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد القزويني، دار صادر - بيروت- لبنان، بدون طبعة.

10) الأثبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب، علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، ط: 1423هـ-2002م، مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض- السعودية.

11) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، ط(1)1423هـ-2003م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

12) أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، د/ مساعد مسلم عبد الله آل جعفر، ط(1)1405هـ-1984م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

13) أثر علم الكلام على المنتسبين إليه وموقف أهل السنة والجماعة وكبار المتكلمين منه (رسالة ماجستير)، وليد بن صالح بن عبد القادر باصمد، إشراف: د/ عبد العزيز بن أحمد الحميدي، للعام الدراسي: 1929-1430هـ، بدون طبعة، أو ناشر.

14) اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، ط(1)1408هـ-1988م، نشر: مطابع الفرزدق التجارية – الرياض- السعودية.

15) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، ط(3)1411هـ-1991م، دار صادر- بيروت- لبنان.

16) أحكام القرآن، القاضي: أبو بكر بن العربي، راجع أصوله، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط(3)1424هـ-2003م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

17) الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق، بدون طبعة.

18) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

19) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح، عالم الكتب، بدون طبعة.

20) أدب الطلب ومنتهى الأدب، للشوكاني، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، ط(1)1419هـ-1998م، دار ابن حزم – بيروت- لبنان.

21) الأدلة الرضية لمتن الدرر البهية في المسائل الفقهية، محمد صبحي بن حسن حلاق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

22) الأربعين في أصول الدين، للفخر الرازي، ص40، ط(1)، دائرة المعارف العثمانية بالهند، 1353هـ.

23) إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني اليمني، تحقيق: أحمد عزو عناية، قدم له: خليل الميس، ولي الدين صالح فرفور، ط(1)1419هـ- 1999م، دار الكتاب العربي- بيروت – لبنان.

24) الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين: مظاهرها، آثارها، أسبابها، والحلول المقترحة لها، د/ خالد كبير علال، ط(1)1426هــ-2005م، دار الإمام مالك- البليّدة- الجزائر، مع بعض التعديل والإضافة.

25) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أحمد بن محمد المقري، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد العظيم شلبي، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة- مصر، عام النشر: 1358هــ-1939م.

26) أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط(1)1419هــ-1998م، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان.

27) أساس التقديس في علم الكلام، للفخر الرازي، ط(1)1415هــ-1995م، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان.

28) الاستبصار في عجائب الأمصار، كاتب مرَّاكُشي (ت: ق6هــ)، الناشر: دار الشؤون الثقافية- بغداد- العراق، عام: 1986م، بدون طبعة.

29) الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، ط(1)1403هــ، جامعة الإمام محمد بن سعود- المدينة المنورة- السعودية.

30) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، شهاب الدين أحمد بن خالد السلاوي، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب- الدار البيضاء- المغرب، بدون طبعة.

31) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي ط(1)1412هــ-1992م، دار الجيل- بيروت- لبنان.

32) أسد الغابة، لأبي الحسن علي بن الأثير، (409/2)، ترجمة رقم: (2515)، دار الفكر- بيروت- لبنان، تاريخ النشر: 1409هــ-1989م، بدون طبعة.

33) إسلامية لا وهابية، د/ ناصر بن عبد الكريم العقل، الناشر: دار كنوز أشبيلية للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية، تاريخ النشر: 1425هــ، بدون طبعة.

34) الأسماء والصفات، للبيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، ط(1)1413هــ-1993م، مكتبة السوادي- جدة – السعودية.

35) الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف السلفيين منها، صالح زين العابدين الشيبي، رسالة ماجستير بإشراف: أ.د/ عوض الله جاد أحمد حجازي، 1397هــ- 1977م، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة- السعودية، بدون طبعة.

36) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي- الرياض- السعودية، بدون طبعة.

37) أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، لابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، ط(1)1415هـ، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة النبوية- السعودية.

38) أصول الفقه تاريخه ورجاله، د/ شعبان محمد إسماعيل، ط(1)1401هـ-1981م، دار المريخ للنشر- الرياض- السعودية.

39) أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف، ط:1420هـ-1421هـ، بدون ناشر.

40) الأصول والفروع حقيقتهما والفرق بينهما والأحكام المتعلقة بهما (دراسة نظرية تطبيقية)، د/ سعد بن ناصر الشثري، ط(1)1426هـ-2005م، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع - الرياض- السعودية.

41) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط(3)1423هـ- 2002م، مؤسسة الرسالة- بيروت - لبنان.

42) الاعتصام، للشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط(1)1412هـ-1992م، دار ابن عفان- السعودية.

43) اعتقاد الأئمة الأربعة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط(1)1412هـ-1992م، دار العاصمة - الرياض- السعودية.

44) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، لابن العطار، تحقيق وتعليق: علي حسن علي عبد الحميد الحلبي الأثري، ط(1)1408هـ، دار الكتب الأثرية- الزرقاء- الأردن.

45) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للفخر الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

46) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ط(3)، دار المعارف- الرياض- السعودية.

47) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، أبو حفص البزّار، تحقيق: زهير الشاويش، ط(3)1400هـ، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

48) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط(1)1411هـ-1991م، دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان.

49) الإعلام بمخالفات الموافقات والاعتصام، ناصر بن حمد بن حمين الفهد، ط(1)1420هـ-1999م، مكتبة الرشد – الرياض- السعودية.
50) الأعلام، للزِّرِكلي، ط(15)2002م، دار العلم للملايين- بيروت- لبنان.
51) أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: د/ علي أبو زيد، د/ نبيل أبو عشمة، د/ محمد موعد، د/ محمود سالم محمد، تقديم: مازن عبد القادر المبارك، ط(1)1418هـ-1998م، دار الفكر المعاصر بيروت- لبنان، دار الفكر- دمشق- سوريا.
52) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف- الرياض- السعودية، بدون طبعة.
53) إفحام اليهود، وقصة إسلام السموأل، ورؤياه النبي ﷺ، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوي، ط(3)1410هـ-1990م، دار الجيل- بيروت- لبنان.
54) إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل، سليمان بن سحمان النجدي، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر العبد الكريم، ط: 1409هـ-1989م، دار العاصمة الرياض- السعودية.
55) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، مرعي الحنبلى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط(1)1406هـ، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.
56) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو محمد عبد الغني المقدسي، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ط(1)1414هـ-1993م، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية.
57) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط(7)1419هـ-1999م، دار عالم الكتب- بيروت- لبنان.
58) أقسام اللذات (ذم لذات الدنيا)، للفخر الرازي، مطبعة الحرية- الهند.
59) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، ادوارد كرنيليوس فانديك، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي، الناشر: مطبعة التأليف (الهلال)- مصر، عام النشر: 1313هـ- 1896م، بدون طبعة.
60) آل رسول الله وأولياؤه، محمد بن عبد الرحمن العاصمي الحنبلي، بدون طبعة أو ناشر.
61) إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، راجعها وحققها: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية- القاهرة- مصر، بدون طبعة.

62) الأم، للإمام الشافعي، الناشر: دار المعرفة- بيروت- لبنان، سنة النشر:1410هـ-1990م، بدون طبعة.

63) الأماكن، أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، محمد بن موسى الهمداني، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، الناشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، عام النشر: 1415هـ، بدون طبعة.

64) أمالي ابن الحاجب، لأبي عمرو عثمان بن الحاجب، دراسة وتحقيق: د/ فخر صالح سليمان قدارة، ط1409هـ-1989م، دار عمار- عمان- الأردن، دار الجيل- بيروت- لبنان.

65) الإمام الشوكاني رائد عصره (دراسة في فقهه وفكره)، د/ حسين عبد الله العمري، ط(1)1411هـ-1990م، دار الفكر المعاصر- بيروت- لبنان.

66) إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين علي بن يوسف القفطي، ط(1)1424هـ، المكتبة العصرية- بيروت- لبنان.

67) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، ط(1)1419هـ-1999م، أضواء السلف- الرياض- السعودية.

68) الانتصار لأصحاب الحديث، أبو المظفر السمعاني، تحقيق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، ط(1)1417هـ-1996م، مكتبة أضواء المنار - السعودية.

69) الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي، عبد المحسن بن حمد البدر، ط(1)1424هـ-2003م، دار الفضيلة- الرياض- السعودية.

70) الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، أبو الحسين الخياط، مقدمة وتحقيق وتعليقات: د/ نيبرح، ط(2) بيروت 1413هـ-1993م، مكتبة الدار العربية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان.

71) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: (مالك والشافعي وأبي حنيفة ﷺ)، لابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان، بدون طبعة.

72) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة، علي بن بخيت بن عبد الله الزهراني، إشراف: محمد قطب، قُدمت كرسالة ماجستير في قسم العقيدة، جامعة أم القرى- مكة- السعودية، سنة 1414هـ، بدون طبعة.

73) الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط(1)1382هـ-1962م، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الهند.

74) أول واجب على المكلف: عبادة الله تعالى وضوح ذلك من كتاب الله ودعوات الرسل، عبد الله بن محمد الغنيمان، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية، بدون طبعة.
75) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ط(5)1424هـ-2003م، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية.
76) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
77) إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار، صالح بن محمد العَمْري المعروف بالفُلَّاني المالكي، دار المعرفة – بيروت- لبنان، بدون طبعة.
78) الإيمان بين السلف والمتكلمين، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ط(1)1432هـ-200م، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية.
79) الإيمان، لابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط(5)1416هـ-1996م، المكتب الإسلامي- عمان- الأردن.
80) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير، أحمد محمد شاكر، ط(1)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
81) البداية والنهاية، لابن كثير، دار الفكر- بيروت- لبنان، عام النشر: 1407هـ-1986م، بدون طبعة.
82) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، دار المعرفة- بيروت- لبنان، بدون طبعة.
83) براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة (رسالة دكتوراه)، د/ عبد العزيز بن أحمد بن محسن الحميدي، ط(1)1420هـ-1999م، دار ابن عفان للنشر والتوزيع- القاهرة- مصر.
84) برنامج الوادي آشي، محمد بن جابر الوادي آشي الأندلسي، تحقيق: محمد محفوظ، ط(1)1400هـ-1980م، دار المغرب الإسلامي- أثينا- بيروت.
85) البرهان في أصول الفقه، للجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، (274/1-275)، ط(2)1400هـ، دار الأنصار- القاهرة- مصر.
86) بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد العقيلي، كمال الدين ابن العديم، تحقيق: د/ سهيل زكار، دار الفكر- بيروت- لبنان.

87) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لابن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، ط(3)1415ه-1995م، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية.

88) بغية المستفيد في الرد على من أنكر العمل بالاجتهاد من أهل التقليد، (مخطوط) بمكتبة صنعاء باليمن.

89) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، الناشر: دار الكاتب العربي- القاهرة- مصر، عام النشر: 1967م.

90) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- صيدا- لبنان، بدون طبعة.

91) البلدان، لابن الفقيه، تحقيق: يوسف الهادي، ط(1)1416هـ -1996م، عالم الكتب- بيروت- لبنان.

92) البلدان، لليعقوبي، ط(1)1422هـ، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

93) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي الدريني، ط(1)1422هـ-2002م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

94) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط(1)1426هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- السعودية.

95) بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود، عبد الرحمن بن حسن بن محمد التميمي، ط(1) بمصر 1349هـ، النشرة الثالثة، 1412هـ، دار العاصمة- الرياض- السعودية.

96) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، حققه: جمع من المحققين، دار الهداية، بدون طبعة.

97) تاريخ ابن الوردي، عمر بن مظفر ابن الوردي المعري الكندي، ط(1)1417هـ-1996م، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان.

98) تاريخ إربل، المبارك بن أحمد الإِربلي، المعروف بابن المستوفي، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر- العراق، عام النشر: 1980م، بدون طبعة.

99) تاريخ أفريقيا الشمالية، شارلي أندري جويان، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، ط: 2011م، مؤسسة تاوالت الثقافية.

100) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، أحمد شوقي ضيف، دار المعارف- الرياض- السعودية، بدون طبعة.

101) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط(2)1413هـ-1993م، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.

102) تاريخ الخلفاء، للسيوطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط(1)1425هـ-2004م، مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة- السعودية.

103) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري، دار صادر- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

104) تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، للإمام الطبري، وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ط(2)1387هـ، دار التراث - بيروت- لبنان.

105) تاريخ الفلسفة في الإسلام، ت.ج دي يور، نقله للعربية وعلق عليه: د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط(5)، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- مصر.

106) تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي- القاهرة- مصر، بدون طبعة.

107) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري- السابع عشر الميلادي (تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى)، عبد الله بن علي الحسني، المعروف بالوزير، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، دار المسيرة- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

108) تاريخ بغداد وذيوله، للخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط(1)1417هـ، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان.

109) تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، عام النشر: 1415هـ-1995م، بدون طبعة.

110) تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ط(2)1419هـ-1999م، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق- بيروت، الدوحة.

111) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

112) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط(1)1403هـ-1983م، عالم الكتب- بيروت- لبنان.

113) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر، ط(3)1404هـ، دار الكتاب العربي- بيروت – لبنان.

114) التحبير في المعجم الكبير، عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق: منيرة ناجي سالم، ط(1)1395هـ، 1975م، رئاسة ديوان الأوقاف – بغداد- العراق.

115) التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر- تونس، سنة النشر: 1984هـ، بدون طبعة.

116) تحريم النظر في كتب الكلام، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، ط(1)1410هـ-1990م، عالم الكتب – الرياض- السعودية.

117) التحف في مذاهب السلف، للإمام الشوكاني، تحقيق: سيد عاصم علي، ط(1)1409هـ-1989م، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع- طنطا- مصر.

118) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

119) تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، إبراهيم بن علي الطرسوسي، نجم الدين الحنفي، تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط(2)، بدون ناشر.

120) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، لابن العطار، ضبط نصه، وعلق عليه، وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط(1)1428هـ-2007م، الدار الأثرية- عمان- الأردن.

121) التحفة المدنية في العقيدة السلفية، حمد بن ناصر التميمي الحنبلي، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، (وطبع الكتاب باسم: الفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (في الصفات) بتحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي – مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

122) تخريج العقيدة الطحاوية (متن الطحاوية)، أبو جعفر الطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، فقرة رقم: (36)، ط(2)1414هـ، المكتب الإسلامي – بيروت- لبنان.

123) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة – الرياض – السعودية، بدون طبعة.

124) تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، أبو ياسر محمد بن مطر الزهراني، ط(1)1417هـ-1996م، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية.

125) تذكرة الحفاظ، للذهبي، ط(1)1419هـ-1998م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

126) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بدر الدين ابن جماعة الكناني الشافعي، خرج نصوصه وحقق أحاديثه وعلق عليه: عبد السلام عمر علي، شارك في المقابلات والمراجعات اللغوية: مصطفى محمود حسين، تحقيق: مكتب الضياء لتحقيق التراث، ط(1)1425هـ- 2005م، مكتبة ابن عباس- سمنود- مصر، دار الآثار للنشر والتوزيع- القاهرة – مصر.

127) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط(1)1424هـ-2003م، غراس للنشر والتوزيع- الكويت.

128) تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط(2)1390هـ-1970م، مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر.

129) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، ط: 1425هـ-2005م، عالم الكتب- بيروت- لبنان.

130) ترتيب العلوم، للمَرْعَشي، تحقيق: نجلاء قاسم عباس، ط1404هـ-1985م، بغداد- العراق.

131) ترتيب العلوم، للمَرْعشي، دراسة وتحقيق: محمد بن إسماعيل السيد أحمد (رسالة ماجستير)، إشراف: د/ عباس صالح طاشكندي، للعام الدراسي: 1405هـ-1985م، جامعة الملك عبد العزيز- جدة- السعودية.

132) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، ط(1)، الناشر: مطبعة فضالة- المحمدية- المغرب.

133) تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، ط(2)، دار العصيمي للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

134) تصحيح المفاهيم في جوانب العقيدة، محمد أمان الجامي، ط: السنة الحادية عشرة، العدد الثاني، غرة ذي الحجة، عام: 1398هـ-1978م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

135) تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز المبارك النجدي، تحقيق: د/ عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، ط(1)1423هـ-2002م، دار العاصمة للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

136) التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، بدون طبعة.

137) التعريفات، للجُرجاني، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء، بإشراف الناشر، ط(1)1403هـ-1983م، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان.

138) التعليق المختصر على العقيدة النونية، المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم، تعليق: صالح بن فوزان العبد الله الفوزان، أشرف على طبعه وإخراجه: عبد السلام بن عبد الله السليمان، بدون طبعة أو ناشر.

139) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، عبد الله بن جبرين، اعتنى به: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، ط(1)1416هـ-1995م، دار الصميعي للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

140) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط(2)1420هـ-1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

141) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي- القاهرة-مصر، بدون طبعة.

142) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط(2)1418هـ، دار الفكر المعاصر – دمشق- سوريا.

143) تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر، تحقيق: د/ محمد عبد السلام أبو النيل، ط(1)1410هـ-1989م، دار الفكر الإسلامي الحديثة- مصر.

144) تقريب التدمرية، لابن عثيمين، ط(1)1419هـ، دار ابن الجوزي- الدمام- السعودية.

145) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، محمد بن عبد الغني، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط(1)1408هـ-1988، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

146) التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاعي، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة- بيروت- لبنان، سنة النشر: 1415هـ- 1995م.

147) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ط(1)1421هـ-2001م، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت- لبنان.

148) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: 1387هـ، بدون طبعة.
149) تنبيه ذوي الألباب السليمة عن والوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة، سليمان بن سحمان بن مصلح العسيري النجدي، دار العاصمة – الرياض- السعودية، بدون طبعة.
150) التنبيه والإيقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ، أحمد رافع بن محمد الطهطاوي، الناشر: مطبعة الترقي- دمشق- سوريا، عام: 1348هـ.
151) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مع تخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني، زهير الشاويش، عبد الرزاق حمزة، ط(2)1406هـ-1986م، المكتب الإسلامي – بيروت- لبنان.
152) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب محمد أمين الكردي، ط(1)1416هـ-1995م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان
153) تهذيب الأسماء واللغات، للامام النووي، عنيت بنشره، وتصحيحه، والتعليق عليه، ومقابلة أصوله: شركة العلماء، بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.
154) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، ط(1)1400هـ-1980م، مؤسسة الرسالة – بيروت- لبنان.
155) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط(1)2001م، دار إحياء التراث العربي – بيروت- لبنان.
156) توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر بن صالح السمعوني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط(1)1416هـ-1995م، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب- سوريا.
157) توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، محمد بن عبد الله الدمشقي، ابن ناصر الدين، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط(1)1993م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.
158) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، ط(3)1406هـ، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.
159) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط(1)1420هـ-2000م، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

160) ثبات عقيدة السلف وسلامتها من التغيرات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، منار السبيل الجزائر، بدون طبعة.

161) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط(1)1420هـ-2000م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

162) جامع الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، ط(1)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

163) جامع المسائل، لابن تيمية، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط(1)1422هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع- مكة المكرمة- السعودية.

164) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط(1)1414هـ-1994م، دار ابن الجوزي- السعودية.

165) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، ط(1)1271هـ-1952م، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد الدكن- الهند، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

166) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات، للإمام النووي، تحقيق: أحمد بن على الدمياطي، ط(1)، مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع- القاهرة- مصر.

167) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود الآلوسي، قدم له: علي السيد صبح المدني، الناشر: مطبعة المدني- القاهرة- مصر، عام النشر: 1401هـ-1981م، بدون طبعة.

168) جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام، د/نزار أباظة، دار القلم- دمشق- سوريا، الدار الشامية- بيروت ط(1)1418هـ-1997م، ضمن سلسلة أعلام المسلمين(66).

169) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

170) الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان، جمع: أبو المنذر محمود بن محمد المنياوي، ط(1)1426هـ-2005م، مكتبة ابن عباس- مصر.

171) جهد المُقل، للمَرْعَشي، دراسة وتحقيق: د/ سالم قدُّوري الحمد، ط(2)1429هـ-2008م، دار عمان للنشر والتوزيع- عمان- الأردن.

172) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان، ط(1)1419هـ-1999م، مكتبة العبيكان- الرياض- السعودية.

173) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (رسالة دكتوراه)، شمس الدين بن محمد بن أشرف الأفغاني، ط(1)1416هـ-1996م، دار الصميعي- الرياض- السعودية.

174) حاشية الإمام عبد الحميد الشَّرْواني على تحفة المحتاج في شرح المنهاج، لابن حجر الهيتمي، روجعت وصححت: على عدة نسخ، بمعرفة لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر، عام النشر: 1357هـ- 1983م، بدون طبعة.

175) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، دار الجيل - بيروت- لبنان، بدون طبعة.

176) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط(1)1419هـ-1999م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

177) الحث على إتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرها، عبد المحسن بن حمد البدر، ط(1)1425هـ، مطبعة سفير- الرياض- السعودية.

178) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، ط(2)1419هـ-1999م، دار الراية- الرياض- السعودية.

179) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية، بدون طبعة.

180) حجية السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي، عبد القادر بن حبيب الله السندي، ط: السنة الثامنة- العدد الثاني- رمضان 1395هـ سبتمبر 1975م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - السعودية.

181) حجية السنة ودحض الشبهات التي تثار حولها، أبو حفص محمود بن أحمد النعيمي، ط: السنة الرابعة، العدد الثالث، محرم1392هـ- فبراير1972م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

182) حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، ربيع بن هادي المدخلي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة- السعودية، بدون طبعة.

183) حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، عامر بن حسن صبري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة- السعودية، بدون طبعة.

184) حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، فرحانة بنت علي شويتة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة- السعودية، بدون طبعة.

185) حدود العالم من المشرق إلى المغرب، مؤلف مجهول (كتبه عام 372هـ)، محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية): السيد يوسف الهادي، ط: 1423هـ، الدار الثقافية للنشر- القاهرة – مصر.

186) الحدود، أبو الوليد الباجي، تحقيق: نزيه حماد، ط(1)1392هـ-1973م، مؤسسة الزغبي للطباعة والنشر- حمص وبيروت.

187) الحديث والمحدثون، محمد محمد أبو زهو، ط: 1378هـ في القاهرة، دار الفكر العربي- بيروت- لبنان.

188) حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، ابن الحاج القناوي، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط(1)1405هـ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت- لبنان.

189) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط(1)1387هـ-1967م، دار إحياء الكتب العربية- مصر.

190) الحطة في ذكر الصحاح الستة، للقِنَّوجي، ط(1)1405هـ-1985م، دار الكتب التعليمية – بيروت- لبنان.

191) حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية، بدون طبعة.

192) حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط(7)، العدد الأول، رجب 1394هـ -1974م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

193) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، مكتبة السعادة – بجوار محافظة مصر، 1394هـ-1974م، بدون طبعة.

194) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن الميداني، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار، ط(2)1413هـ-1993م، دار صادر- بيروت- لبنان.

195) حوار هادئ مع محمد الغزالي، سلمان بن فهد العودة، ط(1)1409هـ، بدون ناشر.

196) حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدميري، ط(2)1424هـ، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

197) خريدة العجائب وفريدة الغرائب، أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، تحقيق: أنور محمود زناتي، ط(1)1428هـ-2008م، مكتبة الثقافة الإسلامية- القاهرة- مصر.

198) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ط(15)1432هـ-2002م، دار الشروق-القاهرة- مصر.

199) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، ط(4)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

200) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، ط(4)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

201) الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد الدمشقي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط(1)1410هـ-1990م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

202) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، دار الفكر- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

203) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، علق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبد الله الحلبي، ط(1)1414هـ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع الرياض- السعودية.

204) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، ط(2)1411هـ-1991م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية.

205) الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط(1)1419هـ-1998م، أضواء السلف- الرياض- السعودية.

206) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط(6)1417هـ-1996م، بدون ناشر.

207) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط(2)1392هـ- 1972م، مجلس دائرة المعارف العثمانية- صيدر أباد- الهند.

208) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية (عرض ونقد)، د/ عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن، ط(1)1424هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- السعودية.

209) الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده، عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، ط(3)1424هـ-2004م، دار التدمرية الرياض- السعودية.

210) الدلائل الوفية في تحقيق عقيدة النووي، سلفية أم خلفية، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، وهو في أصلها: محاضرة صوتية، قام بتفريغها، والتعليق عليها: أبو رأفت الأثري، ط(1)1429هـ-2008م، الدار الأثرية- عمان- الأردن.

211) دمية القصر وعصرة أهل العصر، علي بن الحسن الباخرزي، ط(1)1414هـ، دار الجيل، بيروت- لبنان.

212) الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، ضمن مجموعة رسائل الشوكاني التي تنشرها الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة- مركز شئون الدعوة ط1410هـ.

213) دول الإسلام، للإمام الذهبي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.

214) دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، ط(4)1417هـ-1997م، مطبعة المدني- القاهرة- مصر، نشر: مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر.

215) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي اليعمري، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، بدون طبعة.

216) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للسيوطي، حقق أصله، وعلق عليه: أبو إسحاق الحويني الأثري، ط(1)1416هـ-1996م، دار ابن عفان للنشر والتوزيع- السعودية.

217) ديوان الإسلام، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط(1)1411هـ-1990م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

218) ديوان الأمير الصنعاني، محمد بن إسماعيل الصنعاني، قدم له وأشرف على طبعه: علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني- القاهرة- مصر.

219) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ط(2)1408هـ-1988م، دار الفكر- بيروت- لبنان.

220) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرحه، وكتب هوامشه، وقدم له: عبدأ مهنا، ط(2)1414هـ-1994م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

221) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، تحقيق: د/ أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام- القاهرة- مصر، عام النشر: 1428هـ-2007م، بدون طبعة.

222) ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، عبد الله بن محمد الغنيمان، ط: السنة السابعه عشرة (العدد: الخامس والستون، السادس والستون) محرم- جماد الأخرة 1405هـ-1985م، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

223) ذم الكلام وأهله، أبو إسماعيل عبد الله الهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، ط(1)1418هـ -1998م، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية.

224) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد الفاسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط(1)1410هـ-1990م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

225) ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط(1)1425هـ-2005م، مكتبة العبيكان- الرياض- السعودية.

226) ذيل مرآة الزمان، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني، بعناية: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، ط(2)1413هـ-1992م، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة- مصر.

227) رحلة بنيامين التطيلي، الرابي بنيامين بن الرابي يونة الإسباني اليهودي، ط(1)2002م، المجمع الثقافي، أبو ظبي- الإمارات.

228) رد المحتار على الدر المختار(حاشية ابن عابدين)، ابن عابدين، ط(2)1412هـ-1992م، دار الفكر- بيروت- لبنان.

229) الرد الوافر، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: زهير الشاويش، ط(1)1393هـ، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

230) الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، ط(1)، دار الثبات للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

231) الرد على الجهمية، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، ط(2)1416هـ-1995م، دار ابن الأثير- الكويت.

232) الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق، لابن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران، ط(1)1429هـ، دار عالم الفوائد- مكة- السعودية.

233) الرد على المنطقيين، لابن تيمية، دار المعرفة- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

234) الرسالة التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لابن تيمية، تحقيق: د/ محمد بن عودة السعوي، ط(6)1421هـ-2000م، مكتبة العبيكان- الرياض- السعودية.

235) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، عبيد الله بن سعيد السجزيّ، تحقيق: محمد با كريم با عبد الله، ط(2)1423هـ-2002م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

236) الرسالة العرشية، لابن تيمية، ط(1)1399هـ، المطبعة السلفية- القاهرة- مصر.

237) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الإدريسي الكتاني، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، ط(6)1421هـ-2000م، دار البشائر الإسلامية- بيروت- لبنان.

238) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، ط: 1413هـ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

239) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية، لأبي محمد الجُويني، تحقيق: د/ أحمد معاذ بن علوان حقي، ط(1)1419هـ-1998م، دار طويق للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

240) الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، ط(1)1358هـ-1940م، مكتبه الحلبي- مصر.

241) رسائل المقريزي، للمقريزي، ط(1)1419هـ، دار الحديث- القاهرة- مصر.

242) رفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: د/ علي محمد عمر، ط(1)1418هـ-1998م، مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر.

243) رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لابن تيمية، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- الرياض- السعودية، عام النشر: 1403هـ-1983م، بدون طبعة.

244) الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحِميرى، تحقيق: إحسان عباس، ط(2)1980م، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت- لبنان، طبع على مطابع دار السراج.

245) روضة الطالبين وعمدة المفتين، للإمام النووي، تحقيق: زهير الشاويش، ط(3)1412هـ-1991م، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان.

246) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان الدارمي البُستي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

247) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن قدامة المقدسي، ط(2)1423هـ-2002م، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان.

248) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ط(27)1415هـ-1994م، مؤسسة الرسالة- بيروت - لبنان، مكتبة المنار الإسلامية- الكويت.

249) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن، ط(1)1412هـ-1992م، مؤسسة الرسالة - بيروت- لبنان.

250) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط(1)1416هـ-1996م، مكتبة دار القلم والكتاب- الرياض- السعودية.

251) السلفيون والأئمة الأربعة ﷺ، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، ط(2)1398هـ-1978م، الدار السلفية- الكويت.

252) السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي تقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط(1)1418هـ-1997م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

253) السنة، أبو بكر الخَلَّال، تحقيق: د/ عطية الزهراني، ط(1)1410هـ-1989م، دار الراية- الرياض- السعودية.

254) السنة، للإمام أحمد بن حنبل، تصحيح: إسماعيل الأنصاري، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالسعودية، بدون طبعة.

255) سنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، ط(1)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

256) سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، ط(1)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

257) سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط(1)1412هـ-2000م، دار المغني للنشر والتوزيع- السعودية.

258) سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط، ط(3)1405هـ-1985م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

259) سيرة الإمام أحمد بن حنبل، صالح بن الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: د/ فؤاد عبد المنعم أحمد، ص49-65، ط(2)1404هـ، دار الدعوة - الاسكندرية- مصر.

260) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشوكاني، ط(1)، دار ابن حزم- بيروت- لبنان.

261) شبهات القرآنيين، عثمان بن معلم محمود بن شيخ علي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة- السعودية، بدون طبعة.

262) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد العَكري الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط(1)1406هـ-1986م، دار ابن كثير- دمشق، بيروت.
263) شرح "مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب"، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط(1)1421هـ-2005م، دار العاصمة للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.
264) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط(8)1423هـ-2003م، دار طيبة - الرياض- السعودية.
265) شرح الأصول الثلاثة، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط(1)1427هـ-2006م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.
266) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له: د/ عبد الكريم عثمان، ط(3)1416هـ- 1996م، مكتبة وهبة- القاهرة - مصر.
267) شرح الرسالة التدمرية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط: 1425هـ-2004م، دار أطلس الخضراء- الرياض- السعودية.
268) شرح السنة، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، بدون طبعة، أو ناشر.
269) شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، ط(2)1403هـ- 1983م، المكتب الإسلامي- دمشق سوريا، بيروت- لبنان.
270) شرح الشفا، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن الهروي، ط(1)1421هـ، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان.
271) شرح الصدور بتحريم رفع القبور، ط(4)1408هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.
272) شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، تحقيق: حسين محمد مخلوف، دار الكتب الإسلامية- القاهرة- مصر، بدون طبعة.
273) شرح العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)، لابن عثيمين، ط(1)1426هـ، دار الوطن للنشر- الرياض- السعودية.
274) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، ط(1)1426هـ-2005م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة- مصر.

275) شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله الطائي، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، ط(1)، جامعة أم القرى- مكة المكرمة- السعودية.

276) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني، ط(1)1401هـ-1981م، دار المعارف النعمانية – باكستان.

277) شرح حديث النزول، لابن تيمية، ط(5)1397هـ-1977م، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

278) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان، ط(1)1405هـ، مكتبة الدار- المدينة المنورة- السعودية.

279) شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق: د/ محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السنة النبوية- أنقرة- تركيا.

280) الشريعة، أبو بكر الآجُرِّيُّ، تحقيق: د/ عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط(2)1420 هـ-1999م، دار الوطن- الرياض- السعودية.

281) شيخ الشام: جمال الدين القاسمي، محمود مهدي الاستانبولي، ط(1)1405-1985، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

282) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط: السنة الحادية عشرة- العدد الرابع- 1418هـ-1998م، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية.

283) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، تحقيق: الطباع، مكتبة المعارف- بيروت- لبنان، 1414هـ.

284) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط(4)1407هـ-1987م، دار العلم للملايين – بيروت- لبنان.

285) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط(1)1422هـ، دار طوق النجاة- جدة- السعودية.

286) صحيح الترغيب والترهيب، ط(5)، مكتبة المعارف- الرياض- السعودية.

287) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

288) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي، ط(1)1408هـ، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- السعودية.

289) صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، محمد بن عبد الله الحِميرى، عنى بنشرها، وتصحيحها، وتعليق حواشيها: أ/ لافي بروفنصال، ط(2)1408هـ-1988م، دار الجيل- بيروت- لبنان.

290) الصفدية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط(2)1406هـ، مكتبة ابن تيمية- مصر.

291) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، عني بنشره، وصححه، وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، ط(2)1374هـ-1955م، مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر.

292) الصمت وآداب اللسان، أبو بكر عبد الله ابن أبي الدنيا، دراسة وتحقيق: نجم عبد الرحمن خلف (رسالة دكتوراه)، بإشراف: د/عبد المجيد النجار، ط(1)1406هـ-1986م، دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان.

293) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، ط(1)1408هـ، دار العاصمة- الرياض- السعودية.

294) صيد الخاطر، لابن الجوزي، اعتنى به: حسن المساحي سويدان، ط(1)1425هـ-2004م، دار القلم – دمشق – سوريا.

295) الضعفاء وأجوبة أبي زرعة الرازي على أسئلة البرذعي، عبيد الله بن عبد الكريم الرازي أبو زرعة، تحقيق: سعدي بن مهدي الهاشمي، باسم: أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية، ط: 1402هـ-1982م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة النبوية- السعودية.

296) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، سليمان بن سحمان النجدي، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر بن عبد الكريم، ط(5)1414هـ-1992م، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض- السعودية.

297) طبقات الحفاظ، للسيوطي، ط(1)1403هـ، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

298) طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت- لبنان، بدون طبعة.

299) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب السبكي، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي، د/ عبد الفتاح محمد الحلو، ط(2)1413هـ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر.

300) طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة، تحقيق: د/ الحافظ عبد العليم خان، ط(1)1407هـ، عالم الكتب – بيروت– لبنان.

301) طبقات الشافعيين، لابن كثير، تحقيق: د/ أحمد عمر هاشم، د/ محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: 1413هـ–1993م، بدون طبعة.

302) طبقات الفقهاء الشافعية، لابن الصلاح، هذبه، واستدرك عليه: الإمام النووي، بيض أصوله، ونقحه: أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المِزِّي، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، ط(1)1413هـ–1992م، دار البشائر الإسلامية– بيروت– لبنان.

303) طبقات الفقهاء، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: إحسان عباس، تهذيب: محمد بن مكرم ابن منظور، ط(1)1970م، دار الرائد العربي– بيروت– لبنان.

304) طبقات المفسرين العشرين، للسيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط(1)1396م، مكتبة وهبة– القاهرة– مصر.

305) طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط(1)1417هـ–1997م، مكتبة العلوم والحكم– السعودية.

306) طبقات النسابين، بكر بن عبد الله بن غيهب بن محمد، ط(1)1407هـ–1987م، دار الرشد– الرياض– السعودية.

307) طريق الهداية (مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة)، محمد يسري، ط(2)1427هـ–2006م، بدون ناشر.

308) الطريقة النقشبندية، عبد الرحمن محمد سعيد دمشقية، نشر موقع الفرقان: www.frqan.com.

309) العبر في خبر من غبر، للذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، بدون طبعة.

310) العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى الفراء، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د/ أحمد بن علي بن سير المباركي، ط(2)1410هـ–1990م، بدون ناشر.

311) العرش، للذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، ط(2)1424هـ–2003م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية– المدينة المنورة– السعودية.

312) العقائد الإِسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، رواية: محمد الصالح رمضان، ط(2)، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بوداود وشركاؤهما– الجزائر.

313) العقد التليد في اختصار الدر النضيد (المعيد في أدب المفيد والمستفيد)، عبد الباسط بن موسى الدمشقي، تحقيق: د/ مروان العطية، ط(1)1424هـ–2004م، مكتبة الثقافة الدينية– القاهرة– مصر.

314) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، شمس الدين محمد بن أحمد الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي – بيروت– لبنان.

315) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد ملكاوي ط(1)1405هـ–1985م، مكتبة دار الزمان– المدينة المنورة– السعودية.

316) العقيدة الصحيحة وما يضادها، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط: السنة السابعة، العدد الثالث، محرم 1395هـ– يناير1975م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة– السعودية.

317) العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، لابن تيمية، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط(2)1420هـ–1999م، أضواء السلف– الرياض– السعودية.

318) العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، ط(1)1408هـ، دار قتيبة– دمشق– سوريا.

319) علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، عبد الوهاب خلاف، مطبعة المدني "المؤسسة السعودية بمصر"، بدون طبعة.

320) علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة المبادئ والمقدمات، د/ أبو عبد الله محمد يسري، بدون طبعة أو ناشر.

321) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، للذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط(1)1416هـ–1995م، مكتبة أضواء السلف– الرياض– السعودية.

322) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي – بيروت– لبنان.

323) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، لا بن العربي، قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب، ط(1)1419هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد– السعودية.

324) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام، د/ يحيى هاشم فرغل، مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية، 1392هـ.

325) العين والأثر في عقائد أهل الأثر، عبد الباقي بن عبد الباقي، ابن فَقِيه فُصَّة، تحقيق: عصام رواس قلعجي، ط(1)1407هـ، دار المأمون للتراث– بيروت– لبنان.

326) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال- القاهرة- مصر.

327) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة، تحقيق: د/ نزار رضا، دار مكتبة الحياة- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

328) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبو شامة، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط(1)1418هـ-1997م، مؤسسة الرسالة - بيروت- لبنان.

329) غاية الأماني في الرد على النبهاني، محمود شكري الألوسي، تحقيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، ط(1)1422هـ-2001م، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية.

330) غاية المرام في علم الكلام، للآمِدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، دمشق- سوريا، بيروت- لبنان.

331) غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، ترجمة رقم: (808)، مكتبة ابن تيمية، بدون طبعة.

332) غاية الوصول في شرح لب الأصول، زكريا بن محمد السنيكي، دار الكتب العربية الكبرى- مصر، بدون طبعة.

333) غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د/ عبد الله الجبوري، ط(1)1397هـ، مطبعة العاني- بغداد- العراق.

334) غريب الحديث، للخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، ط: 1402هـ-1982م، دار الفكر- بيروت- لبنان.

335) الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود الزمخشري جار الله، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط(2)، دار المعرفة-بيروت- لبنان.

336) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ط(1)1408هـ-1987م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

337) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت-لبنان، 1379هـ، بدون طبعة.

338) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام الشوكاني، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغُوش، ط(4)1428هـ-2007م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان.

339) فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر- الرياض- السعودية، بدون طبعة.
340) فتوح الشام، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، ط(1)1417هـ-1997م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
341) الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية، تحقيق: د/ حمد بن عبد المحسن التويجري، ط(2)1425هـ-2004م، دار الصميعي- الرياض- السعودية.
342) فخر الدين الرازي، وآراؤه الفلسفية والكلامية، محمد صالح الزركان، دار الفكر- بيروت- لبنان، بدون طبعة.
343) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، ط(1)1418هـ-1997م، دار القلم العربي، بيروت- لبنان.
344) الفرق الاسلامية الكلامية مدخل ودراسة، د/ علي عبد الفتاح المغربي، ط(2)1415هـ-1995م، مكتبة وهبة – القاهرة – مصر.
345) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر الأسفراييني، ط(2)1977م، دار الآفاق الجديدة – بيروت- لبنان.
346) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د/ غالب بن علي عواجي، ط(4)1422هـ-2001م، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق- جدة- السعودية.
347) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي- القاهرة -مصر، بدون طبعة.
348) الفقه الإسلامي وأدلته أ. د/ وهبة الزحيلي، ط(2)1405هـ-1985م، دار الفكر- دمشق- سوريا.
349) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، ط(2)1421هـ، دار ابن الجوزي- السعودية.
350) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، ط(1)1416هـ-1995م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
351) الفن ومذاهبه في النثر العربي، أحمد شوقي ضيف، ط(13)، دار المعارف- مصر.
352) الفنون، لابن عقيل، من مخطوطة باريس، بدون طبعة، أو ناشر.

353) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ بن الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، ط(2)1982م، دار الغرب الإسلامي – بيروت– لبنان.

354) فهرسة اللبلي، شهاب الدين أحْمَد بن يُوسُف اللَّبْلِيُّ، تحقيق: ياسين يوسف بن عياش، عواد عبد ربه أبو زينة، ط(1)1408هـ–1988م، دار الغرب الاسلامية– بيروت– لبنان.

355) الفهرست، لابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط(2)1417هـ–1997م، دار المعرفة– بيروت– لبنان.

356) فوات الوفيات، محمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت– لبنان.

357) في ظلال القرآن، سيد قطب، ط(17)1412هـ، دار الشروق– بيروت– لبنان، القاهرة– مصر.

358) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، لأبي حامد الغزالي، قرأه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: محمود بيجو، ط(1)1413هـ–1993م، بدون ناشر.

359) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، تعليق: ماجد الحموي، ط(1)1356هـ، المكتبة التجارية الكبرى– مصر.

360) القاموس المحيط، للفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط(8)1426هـ–2005م، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت– لبنان.

361) القائد إلى تصحيح العقائد "وهو القسم الرابع من كتاب "التنكيل بما تأنيب الكوثري من الأباطيل"، المعلمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط(3)1404هـ–1984م، المكتب الإسلامي– بيروت– لبنان.

362) القصيدة النونية، لابن القيم، ط(2)1417هـ، مكتبة ابن تيمية– القاهرة– مصر.

363) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، القِنَّوجي، ط(1)1421هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية.

364) قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، عبد المحسن بن حمد البدر، ط(1)1423هـ–2002، دار الفضيلة– الرياض– السعودية.

365) قلائد العقيان، الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، في طبع مصر، عام النشر: 1284هـ– 1866م، بدون طبعة.

366) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة، عبد العزيز بن فيصل الراجحي، ط(1)1424هـ، مطابع الحميضي- الرياض- السعودية.

367) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، ط: 1414هـ-1991م، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة- مصر.

368) قواعد العقائد، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: موسى محمد علي، ط(2)1405هـ-1985م، عالم الكتب- بيروت – لبنان.

369) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، د/ مصطفى حلمي، ط(1)1426هـ-2005م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

370) القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، ط(2)1421هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية.

371) القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين، ط(2)1424ه، دار ابن الجوزي- السعودية.

372) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، للإمام الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عبد الخالق، ط(1)1396م، دار القلم – الكويت.

373) الكامل في التاريخ، أبو الحسن ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط(1)1417هـ-1997م، دار الكتاب العربي- بيروت – لبنان.

374) كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط(4)1423هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية.

375) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

376) كشف الشبهات عن المشتبهات، للإمام الشوكاني، صححه وعلق عليه: الشيخ: محمد منير، طبع على نفقة: عبد الهادي محمد منير، مطبعة المعاهد- مصر.

377) كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب، ط(1)1418هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية.

378) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، الناشر: مكتبة المثنى- بغداد- العراق، تاريخ النشر: 1941م.

379) الكشف المُبدي لتمويه أبي الحسن السبكي، تكملة "الصّارم المنكي" (رسالة ماجستير)، محمد بن حسين الفقيه، دراسة وتحقيق: د/ صالح بن علي المحسن، د/ أبو بكر بن سالم شهال، ط(1)1422هـ-2002م، دار الفضيلة – الرياض- السعودية.

380) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية – المدينة المنورة – السعودية، بدون طبعة.

381) كنوز الذهب في تاريخ حلب، أحمد بن إبراهيم أبو ذر سبط ابن العجمي، ط(1)1417هـ، دار القلم– حلب– سوريا.

382) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، ط(1)1418هـ–1997م، دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان.

383) لب اللباب في تحرير الأنساب، للسيوطي، دار صادر– بيروت – لبنان، بدون طبعة.

384) اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن ابن الأثير، دار صادر– بيروت– لبنان، بدون طبعة.

385) لسان العرب لابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ط(3)1414هـ، دار صادر – بيروت– لبنان.

386) لسان الميزان، لابن حجر، تحقيق: دائرة المعرف النظامية– الهند، ط(2)1390هـ–1971م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات– بيروت – لبنان.

387) لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، محمد عجاج الخطيب، ط(19)1422هـ–2001م، مؤسسة الرسالة– بيروت– لبنان.

388) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، السفاريني، ط(2)1402هـ–1982م، مؤسسة الخافقين ومكتبتها– دمشق– سوريا.

389) مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط(2)1985م، مطبعة حكومة الكويت.

390) مالك: حياته وعصره آراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة ، ط(2)، دار الفكر العربي– بيروت – لبنان.

391) مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، ط(1)1415هـ–1995م، مكتبة الرشد– الرياض– السعودية.

392) المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات، للفخر الرازي، ط:1966م، مكتبة الأسدي– طهران– إيران.

393) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، د/ ناصر بن عبد الكريم العقل، ط(1)1412هـ، دار الوطن للنشر– الرياض– السعودية.

394) المبسوط، محمد السرخسي، الناشر: دار المعرفة – بيروت – لبنان، تاريخ النشر: 1414هـ-1993م، بدون طبعة.

395) مجاني الأدب في حدائق العرب، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين- بيروت- لبنان، عام النشر: 1913م.

396) المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة محمد صالح العثيمين، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، ط(1)1422هـ-2002م، دار ابن حزم- بيروت- لبنان.

397) مجمل اعتقاد أئمة السلف، عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط(2)1417هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية.

398) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية- السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م، بدون طبعة.

399) المجموع شرح المهذب، للإمام النووي، دار الفكر- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

400) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ: حماد بن محمد الأنصاري (رحمه الله)، عبد الأول بن حماد الأنصاري، ط(1)، بدون ناشر.

401) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، أبو محمد الرامهرمزي، تحقيق: د/ محمد عجاج الخطيب، ط(3)1404هـ، دار الفكر- بيروت- لبنان.

402) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط(1)1421هـ-2000م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

403) مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط(5)1420هـ-1999م، المكتبة العصرية- الدار النموذجية- بيروت – صيدا- لبنان.

404) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير، محمد بن أحمد بن عبد العزيز، ابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي، نزيه حماد، ط(2)1418هـ-1997م، مكتبة العبيكان الرياض- السعودية.

405) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: ابن القيم، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، ط(1)1422هـ-2001م، دار الحديث- القاهرة – مصر.

406) المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة، ط(1)، المطبعة الحسينية المصرية.

407) مختصر معارج القبول، أبو عاصم هشام بن عبد القادر آل عقدة، ط(5)1418هـ، مكتبة الكوثر – الرياض– السعودية.

408) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط(3)1416هـ–1996م، دار الكتاب العربي– بيروت– لبنان.

409) المدارس النحوية، د/ أحمد شوقي، دار المعارف– الرياض– السعودية، بدون طبعة.

410) المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية، على جمعة محمد عبد الوهاب، ط(2)1422هـ–2001م، دار السلام – القاهرة– مصر.

411) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د/ عثمان جمعة ضميرية، د/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، ط(2) 1417هـ–1996م، مكتبة السوادي للتوزيع.

412) المذاهب الفقهية الأربعة: (الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي) وانتشارها عند جمهور المسلمين، أحمد تيمور باشا، ط(1)1421هـ–2001م، دار الآفاق العربية – القاهرة – مصر.

413) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط(1)1417هـ–1997م، دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان.

414) مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي، ط(1)1412هـ، دار الجيل، بيروت– لبنان.

415) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله المباركفوري، ط(3)1404هـ–1984م، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند.

416) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد الهروي القاري، ط(1)1422هـ–2002م، دار الفكر– بيروت – لبنان.

417) مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة، أبو محمد اليافعي، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار، ط(1)1412هـ–1992م، دار الجيل– بيروت– لبنان.

418) المروءة، محمد بن خلف بن المرزبان، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط(1)1420هـ–1999م، دار ابن حزم– بيروت – لبنان.

419) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله العدوي، ط(1)1423هـ، المجمع الثقافي– أبو ظبي– الإمارات.

420) المسالك والممالك، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، عام النشر: 1992م.

421) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع وتحقيق ودراسة: عبد الإله بن سلمان بن سالم الأحمدي، ط(1)1412هـ-1991م، دار طيبة- الرياض- السعودية.

422) المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، ط(1)1419هـ، عالم الكتب - بيروت - لبنان.

423) مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط(1)1421هـ-2001م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

424) مسند البزار (البحر الزخار)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ط(1) (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية.

425) المسودة في أصول الفقه، آل تيمية (بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية، وأضاف إليها الأب: عبد الحليم بن تيمية، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

426) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى السبتي أبو الفضل، المكتبة العتيقة- تونس، ودار التراث- القاهرة- مصر، بدون طبعة.

427) المشوق إلى القراءة وطلب العلم، علي بن محمد بن حسين العِمران، ط(2)1422هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع- مكة المكرمة- السعودية.

428) المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ط(1)1417هـ، دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض- السعودية.

429) مصارعة الفلاسفة، للشَّهْرَسْتَاني، تحقيق: سهير مختار، ط(1)1976م، القاهرة- مصر.

430) المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، محمد (أو عبد الله) بن علي الأنصاري جمال الدين ابن حديدة تحقيق: محمد عظيم الدين، عالم الكتب- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

431) مصطلحات في كتب العقائد، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، ط(1)، درا بن خزيمة، الرياض-السعودية.

432) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط(1)1410هـ-1990م، دار ابن القيم- الدمام- السعودية.

433) المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، ط(2)1992م، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- مصر.

434) معالم أصول الدين، للفخر الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي – بيروت- لبنان، بدون طبعة.

435) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين الجيزاني، ط(5)1427هـ، دار ابن الجوزي الدمام- السعودية.

436) المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، ط(1)1411هـ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق- سوريا، بيروت- لبنان.

437) المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، عبد الواحد بن علي التميمي المرَّاكُشي، تحقيق: د/ صلاح الدين الهواري، ط(1)1426هـ-2006م، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- لبنان.

438) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، ط(1)1414هـ-1993م، دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان.

439) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط(2) 1995م، دار صادر- بيروت- لبنان.

440) معجم الشيوخ الكبير للذهبي، للذهبي، تحقيق: د/ محمد الحبيب الهيلة، ط(1)1408هـ-1988م، مكتبة الصديق- الطائف- السعودية.

441) المعجم الصغير(الروض الداني)، للطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط(1)1405هـ- 1985م، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان، دار عمار- عمان- الأردن.

442) المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط(2)، مكتبة ابن تيمية- القاهرة- مصر.

443) المعجم المختص بالمحدثين، للإمام الذهبي، تحقيق: د/ محمد الحبيب الهيلة، ط(1)1408هـ-1988م، مكتبة الصديق- الطائف- السعودية.

444) معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس، الناشر: مطبعة سركيس بمصر 1346هـ-1928م، بدون طبعة.

445) معجم المؤلفات الأصولية الشافعية المبثوثة في كشف الظنون وإيضاح المكنون وهدية العارفين، ترحيب بن ربيعان الدوسري، ط(36)، العدد (112) 1424هـ-2004م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

446) معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن عبد الغني، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان، بدون طبعة.

447) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة- الإسكندرية- مصر، بدون طبعة.

448) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا بن عبد الغني، ط(7)1414هـ-1994م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

449) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز محمد بن البكري الأندلسي، ط(3)1403هـ، عالم الكتب- بيروت- لبنان.

450) معجم مصنفات الحنابلة من وفيات (241-1420هـ)، عبد الله بن محمد بن أحمد الطّريقي، ط(1)1422هـ-2001م، بدون ناشر، وهو كتاب جيد في بابه، ويتكون من ثماني مجلدات.

451) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت- لبنان، عام النشر: 1399هـ-1979م.

452) المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط(2)1401هـ-1981م، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

453) معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، محمد بن عبد الله، الغرناطي الأندلسي، لسان الدين ابن الخطيب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- مصر، عام النشر:1423هـ.

454) معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد الغزالي، تحقيق: د/ سليمان دنيا، الناشر: دار المعارف- مصر، عام النشر: 1961م، بدون طبعة.

455) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق: محمد حجي، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية للممكلة المغربية ودار الغرب الإسلامي، سنة: 1401هـ-1981م.

456) معيد النعم ومبيد النقم، تاج الدين عبد الوهاب السبكي، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، محمد أبو العيون، ط(2)1413هـ-1993م، مكتبة الخانجي- القاهرة – مصر.

457) المعين في طبقات المحدثين، للإمام الذهبي، تحقيق: د/ همام عبد الرحيم سعيد، ط(1)1404هـ، دار الفرقان -عمان- الأردن.

458) المغرب في حلى المغرب، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي، تحقيق: د/ شوقي ضيف، ط(3)1955م، دار المعارف- القاهرة- مصر.

459) مفاتح الغيب (التفسير الكبير)، للفخر الرازي، ط(3)1420هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت- لبنان.

460) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، للسيوطي، ط(3)1409هـ-1989م، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة- السعودية.

461) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان.

462) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط(1)1412هـ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت.

463) المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، محمد بن عبد الرحمن الغراوي، ط(1)1420هـ-2000م، مؤسسة الرسالة- دار القرآن- بيروت- لبنان.

464) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د/ جواد علي، ط(4)1422هـ-2001م، دار الساقي- بيروت- لبنان.

465) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، ط(1)1426هـ-2005م، المكتبة العصرية.

466) مقالة التعطيل والجعد بن درهم، محمد بن خليفة بن علي التميمي، ط(1)1418هـ-1997م، أضواء السلف- الرياض- السعودية.

467) مقدمة كتاب المسح على الجوربين، محمد جمال الدين القاسمي، ويليه إتمام النصح في أحكام المسح للألباني، تقديم: أحمد محمد شاكر، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط(3)1399-1979، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

468) مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة في الدين، ربيع بن هادي المدخلي، طبعت بدار الأرقم بالبحرين.

469) المكتبة الإسلامية، عماد علي جمعة، ط(2)1424هـ-2003م، سلسلة التراث العربي الإسلامي.

470) ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (الملحق التابع للبدر الطالع)، محمد بن محمد بن يحيى الصنعاني، دار المعرفة- بيروت- لبنان.

471) الملل والنحل، للشَّهْرَسْتَاني، مؤسسة الحلبي- القاهرة- مصر، بدون طبعة.

472) من أسرار التنزيل، للفخر الرازي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار المسلم- القاهرة - مصر. وهو مطبوع باسم عجائب القرآن، لنفس المحقق، انظر: ط(1)1402هـ-1982م، دار الكتب الاسلامية- القاهرة- مصر.

473) من أصول الفقه على منهج أهل الحديث، زكريا بن غلام قادر الباكستاني، ط(1)1423هـ-2002م، دار الخراز- جدة- السعودية.

474) من تاريخ النحو العربي، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، مكتبة الفلاح- الكويت، بدون طبعة.

475) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، عبد القادر بن أحمد بن محمد بدران، تحقيق: زهير الشاويش، ط(2)1985م، المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

476) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط(1)1390هـ-1970م، مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب- سوريا.

477) منازل الأئمة الأربعة: (أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد)، يحيى بن إبراهيم بن أحمد السلماسي، تحقيق: محمود بن عبد الرحمن قدح، ط(1)1422هـ-2002م، مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض- السعودية.

478) مناقب الشافعي، للبيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط(1)1390هـ-1970م، مكتبة دار التراث- القاهرة- مصر.

479) مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعه، ط(15)2004م، دار العلم للملايين- بيروت- لبنان.

480) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، إبراهيم بن محمد بن الأزهر بن أحمد بن محمد العراقي، الحنبلي، تحقيق: خالد حيدر، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع- بيروت- لبنان، سنة النشر1414هـ، بدون طبعة.

481) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط(1)1417هـ-1996م، دار عالم الكتب- الرياض- السعودية.

482) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط(1)1412هـ-1992م، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

483) المنتقى النفيس من تلبيس إبليس، لابن الجوزي، بقلم: علي حسن علي عبد الحميد الحلبي، ص37، دار ابن الجوزي- الدمام- السعودية، بدون طبعة.

484) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي الأندلسي، ط(1)1332هـ، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر.

485) منظومة شهود الحق في إثبات ذات وصفات خالق الخلق، عبد الرحمن بن أحمد بن يحيى الكمالي، تحقيق: د/ محمد رشاد محمد صالح، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.

486) المنقذ من الضلال، للغزالي، بقلم: د/ عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة- القاهرة- مصر.

487) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط(1)1406هـ-1986م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- المدينة المنورة- السعودية.

488) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم)، ط(2)1392هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

489) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان بن علي حسن، (رسالة ماجستير)، ط(6)1429هـ-2008م، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية.

490) منهج الأشاعرة في العقيدة سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ط: السنة السادسة عشرة، العدد: الثاني والستون ربيع الآخر- جمادى الآخرة، 1404هـ-1984م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.

491) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة (رسالة دكتوراه)، د/ عبد الله نومْسوك، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة- السعودية، نشر: مكتبة دار القلم والكتاب.

492) منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري، محمد إسحاق كنُدو، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية، بدون طبعة.

493) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، ط(1)1425هـ-2004م، دار ماجد عسيري- جدة- السعودية.

494) المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم، أ. د/ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط(1)1421هـ-2000م، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت- لبنان.

495) المنهج الكلامي ملامحه وآثاره على مناهج التعليم الديني المعاصر في العالم الإسلامي، د/ سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي، ضمن ندوة مناهج التعليم في العالم الإسلامي (التحديات والآفاق، الجامعة الاسلامية العالمية بماليزيا، المعهد العالمي لوحدة الأمة الاسلامية، 9/6-9/7-2005م-1426هـ، كوالمبور- ماليزيا.

496) المنهج المقترح لفهم المصطلح، حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني، ط(1)1416هـ-1996م، دار الهجرة للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

497) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، د/ مصطفى محمد حلمي، ط(1)1426هـ، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان.

498) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، حققه ووضع حواشيه: د/ محمد محمد أمين، تقديم: د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون طبعة.
499) المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، باب ذكر المعتزلة، أحمد بن يحيى المرتضى، اعتنى بتصحيحه: توما ارنلد، طبعة دار المعارف النظامية– حيد آباد الدكن– الهند، 1316هـــ، بدون ناشر.
500) المهذب في علم أصول الفقه المقارن، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، ط(1)1420هـــ–1999م، مكتبة الرشد – الرياض– السعودية.
501) المهروانيات (الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب)، يوسف بن محمد بن أحمد المهرواني، الهمذاني، تخريج : أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب البغداديّ، دراسة وتحقيق : د/ سعود بن عيد بن عمير بن عامر الجربوعي، ط(1)1422هـ–2002م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة–عمادة البحث العلمي– رقم الإصدار (41).
502) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي، ط(1)1418ه، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
503) الموافقات، للشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط(1)1417هـ–1997م، دار ابن عفان– السعودية.
504) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، ط(1)1407هـ–1987م، دار اليقين للنشر والتوزيع– المنصورة– مصر.
505) موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله، (محمد مهدي المسلمي، أشرف منصور عبد الرحمن، عصام عبد الهادي محمود، أحمد عبد الرزاق عيد، أيمن إبراهيم الزاملي، محمود محمد خليل)، ط(1)2001م، عالم الكتب للنشر والتوزيع– بيروت– لبنان.
506) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ط(1)، مطابع دار الصفوة – مصر.
507) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني، ط(4)1420هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع– الرياض– السعودية.
508) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، ط(1)1415هـ– 1995م، مكتبة الرشد – الرياض– السعودية.
509) موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديمًا وحديثًا، محمد بن مطر بن عثمان الزهراني، ط(1)1411هـ، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع– الطائف– السعودية.

510) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، عرضًا ونقدًا، سليمان بن صالح بن عبد العزيز الغصن، دار العاصمة للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية، بدون طبعة.
511) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط(1)1382هـ-1963م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.
512) النبوات، لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، ط(1)1420هـ-2000م، أضواء السلف- الرياض- السعودية.
513) النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون الحسني، ط(2)، بدون ناشر.
514) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دار الكتب- مصر، بدون طبعة.
515) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط(3)1405هـ-1985م، مكتبة المنار- الزرقاء- الأردن.
516) نزهة الألباب في الألقاب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، ط(1)1409هـ-1989م، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية.
517) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د/ علي سامي النشار، ط(9)، دار المعارف- القاهرة- مصر.
518) النظائر (التراجم الذاتية- التحول المذهبي- العزاب- لطائف الكلم في العلم)، بكر أبو زيد، ط(2)1423هـ، دار العاصمة- الرياض- السعودية.
519) نظرية الخلافة، السلفية، الثورة، الفرق الإسلامية "مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية والإسلامية"، محمد عمارة مصطفى عمارة، ط(1)1986م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- لبنان.
520) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، ط(2)1412هـ-1992م، الدار العالمية للكتاب الإسلامي- الرياض- السعودية.
521) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت – لبنان.
522) نقض المنطق، لابن تيمية، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، سليمان الصنيع، تصحيح: محمد حامد الفقي، ط(1)1370هـ-1951م، مطبعة السنة المحمدية- القاهرة- مصر.
523) نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين، أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي البنعلي، ط:1400هـ-1980م، مكتبة ابن تيمية – الكويت.
524) نكث الهميان في نكت العميان، للصفدي، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، ط(1)1428هـ-2007م، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان.
525) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب التيمي، ط(1)1423هـ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة- مصر.

526) نهاية الإقدام في علم الكلام، للشَّهْرَسْتَاني، حرره وصححه: الفردجيوم، بدون طبعة، أو ناشر.
527) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية- بيروت- لبنان، 1399هـ-1979م.
528) نوادر المخطوطات، عبد السلام محمد هارون، ط(2)1393هـ-1973م، الناشر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر.
529) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، ط1951م، بعناية وكالة المعارف الجليلة- استانبول- تركيا، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.
530) الوافي بالوفيات، للصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت – لبنان، عام النشر:1420هـ-2000م، بدون طبعة.
531) الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط(1)1422هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية.
532) الوحي والإنسان (قراءة معرفية)، محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- مصر.
533) وسطية أهل السنة بين الفرق (رسالة دكتوراه)، محمد با كريم محمد با عبد الله، ط(1)1415هـ-1994م، دار الراية للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.
534) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت- لبنان.
535) الوفيات، لابن قنفذ، تحقيق: عادل نويهض، ط(4)1403هـ-1983م، دار الآفاق الجديدة- بيروت- لبنان.
536) الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، تقديم: عبد الرزاق عفيفي، بتصرف يسير، ط(1)، دار طيبة- الرياض - السعودية.
537) ولاية الله والطريق إليها (قطر الولي على حديث الولي)، للإمام الشوكاني، تحقيق: د/ إبراهيم إبراهيم هلال، مطبعة حسان بالقاهرة، دار الكتب الحديثة- القاهرة- مصر.
538) وليد القرون المشرقة، إمام الشام في عصره: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، ويليه شيوخه وإجازتهم له، تلاميذه وإجازاته، جمع وتعلق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الاسلامية- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

ثانيًا: المجلات والأبحاث المحكمة:

1) أبو الحسن الأشعري، حماد بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي، ط(6)، العدد الثالث- رجب1394هـ- فبراير1974م، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السعودية.
2) الاعتقاد القادري، أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن خداداد الكَرَجي الباقلانِي البغدادي، كتبه وجمع الناس عليه: الخليفة القادر بالله، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها (مكة المكرمة)، ذو الحجة 1427هـ، بدون طبعة.
3) رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري، وكتابه الإبانة عن أصول الديانة، أبو إسحاق إبراهيم بن درباس، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ضمن سلسلة بحوث وتحقيقات مختارة من مجلة الحكمة (33) الصادرة في بريطانيا، نشره: أبو مهند النجدي، بدون طبعة.
4) مجلة البحوث الإسلامية، من رجب إلى شوال 1419هـ، د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، وهي مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- السعودية.
5) مجلة البيان، مجلة صادرة عن المنتدى الإسلامي، بدون طبعة.
6) مجلة المنار، مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا، بدون طبعة أن ناشر.
7) موقف الإمام الغزالي من علم الكلام وأدلة المتكلمين، د/ إبراهيم أحمد الديبو، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد(27)، العدد الثالث، 2011م.

ثالثًا: المراجع الالكترونية:

1) الإسلام سؤال وجواب: http://islamqa.info/ar/.
2) خزانة المذهب الحنبلي: http://hanabila.blogspot.com/.
3) رُوَاق الحنابلة: http://www.rwaq.net/index.php.
4) الشبكة الاسلامية: http://www.islamweb.net/mainpage/index.php.
5) الفرقان: www.frqan.com.
6) قصة الإسلام: http://www.islamstory.com/ar/.
7) ملتقى العقيدة والمذاهب المعاصرة: http://www.alagidah.com/vb/.
8) ملتقى أهل الحديث: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/index.php.
9) موقع الشيخ مختار الطيباوي: http://www.taibaoui.com/index.php.

سابعًا

فهرس الموضوعات



ملخص البحث

تُعد هذه الدراسة نمطًا جديدًا من أنماط الموازنة بين عقيدة السلف، وعقيدة المتكلمين، فليس غريبًا أن نرى فجوة عميقة بين العقيدتين؛ فلئن كانت عقيدة السلف مستمدة من الكتاب والسنة، فإن عقيدة المتكلمين مستمدة من عقولهم، معرضة عما جاء في الكتاب والسنة؛ الأمر الذي أدى إلى تشعب طوائفهم؛ وتباينهم في مسالكها، فكان الأبرز من تلك الطوائف الكلامية: طائفتي المعتزلة والأشاعرة، والتي اقتصرت الدراسة عليهما.

وفي بوتقة الحياة تتزاحم مذاهب المتكلمين مع مذهب السلف، فينعكس ذلك على أبناء المسلمين، فتفسح المجال أمامهم لخوض غمار تلك المذاهب المتباينة، والتنقل بينها.

فمن خلال استقراء تاريخ انتشار تلك المذاهب، نلاحظ أن كثيرًا من العلماء لم يبقوا على مذهبهم العقدي؛ وإنما حصل لهم تأثر بمذهب عقدي آخر، فوُجد من علماء أهل السنة من تأثر بالعلوم العقلية، وبتلك المذاهب الكلامية، فدان بالاعتزال أو الأشعرية، أوغيرهما، وفي المقابل: نجد أن كثيرًا من أهل الكلام لم يتسن لهم البقاء على عقيدتهم؛ لأنهم كشفوا عواره، فعرفوا قيمة الحق، بعدما عاينوا ضلال الباطل، فكان منهم الندم، والتوبة، والعودة إلى مذهب السلف، عودًا حميدًا، أعلنوا فيه انتماءهم إليه، وبرهنوا على ذلك الصدق بالنصرة، والدعوة، والتأليف، ولكن جمًّا كبيرًا من هؤلاء المتكلمين لم يكونوا عارفين بمذهب السلف، فندموا على الاشتغال بعلم الكلام، وحاولوا الخروج من ظلماته، دون أن يعرفوا طريق النور، فصاروا إلى ظلمات الحيرة والندم، حتى ماتوا بين جنباته.

وكل ذلك راجع إلى أسباب وعوامل عامة وخاصة، تكشف عنها هذا الدراسة، مع بيان نماذج من تلك التنقلات المختلفة، مع تسليمنا بثبات عقيدة السلف، ورسوخ أقدام علمائها، وأن غالب تلك التنقلات هي تنقلات من المتكلمين؛ لعدم ثبات عقيدتهم؛ وضعف رسوخهم في العلم النقلي.

ومن خلال تلك التنقلات ظهرت آثار علمية واجتماعية متعددة، منها ما كان ايجابيًا، ومنها ما كان سلبيًا، وهذه الدراسة تكشف عن ذلك، مع الفارق الكبير بين الآثار المترتبة على الانتقال إلى مذهب السلف، عنه في الانتقال إلى غير مذهبهم.

والله أسأل أن أكون قد وُفقت في بيان فضل عقيدة السلف على أهلها، ليس كغيرها من المذاهب، التي لا تُسعف أصحابها في أوقات المحنة والحاجة.

Abstract

This study is considered as a new pattern of balancing between the belief of the righteous Salaf(predecessors) and the belief of the theologists. Therefore It is not strange to find a deep gab between the two beliefs. While the belief of the predecessors is derived from the Holy Book and the Sunnah, the belief of the theologists is derived from their minds ignoring what came in the Quran and Sunnah, a matter which led to the divergence of their communities and contradiction of their paths. But the most important of these theological sects . The sects of isolationists and the Ash'arists . The study was limited to these two sects.

In the crucible of life the beliefs of the theologists compete with the belief of the predecessors, a matter which is reflected on Muslims. Therefore we should open a room for them to dive into those divergent doctrines and roam them. Though induction into the date of the spread of those doctrines we note that many of the scholars did not keep their ideological doctrines but they were affected by another ideological doctrine. We found that some of the Sunni scholars were affected by the mental sciences and those theological doctrines and they believed in isolationism, Ash'arism or others. On the other hand we find that many of the theologists could not keep their belief because they discovered the truth and knew the value of the right after revealing the deception of falsehood. They repented and returned to the doctrine of the predecessors in good faith confirming their affiliation to it. They proved this truth by support, call and writing. But many of these theologists were not aware of the belief of the predecessors and therefore they repented for working in theology and they tried to get out of its darkness without knowing the path of enlightenment, so they walked in the path of darkness of confusion and remorse until they died in it.

All this is attributed to general and special reasons and factors which will be disclosed in this study, showing the forms of these various movements and confirming the consistence of the belief of As Salaf(predecessors) and the firmness of its scholars, knowing that most of these movements are those of the theologists because of the inconsistency of their belief and the lack of awareness of the science of shifting.

Through those movements multiple scientific and social impacts were seen. Some of these impacts were positive and others were negative. This study reveals the big differences among the effects resulting from moving to the belief of the predecessors and moving to other beliefs. I pray to Allah to help me in showing the grace of the belief of the predecessor on its people which is different from the other beliefs which are not useful to their people in the time of distress and need.